

دولة الإمارات العربية المتحدة
جامعة الوصل

مجلة جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية

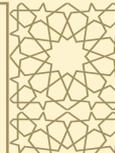
(صدر العدد الأول في 1410 هـ - 1990 م)

العدد الستون

البريد الإلكتروني: research@alwasl.ac.ae
الموقع الإلكتروني: www.alwasl.ac.ae



60



ربيع الآخر - ديسمبر

1442 هـ / 2020 م





مَجَلَّةُ جَامِعَةِ الْوَصْلِ

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية

تأسست سنة ١٩٩٠ م

العدد الستون

ربيع الآخر ١٤٤٢ هـ - ديسمبر ٢٠٢٠ م

المشرف العام

أ. د. محمد أحمد عبدالرحمن

مدير الجامعة

رئيس التحرير

أ. د. خالد توكال

نائب رئيس التحرير

د. لطيفة الحمادي

أمين التحرير

د. عبد السلام أحمد أبو سمحة

هيئة التحرير

د. مجاهد منصور - د. عماد حمدي

د. عبد الناصر يوسف

لجنة الترجمة: أ. صالح العزام، أ. داليا شنواني، أ. مجدولين الحمد

ردمدم: ٢٠٩x-١٦٠٧

المجلة مفهرسة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٦٠١٦

البريد الإلكتروني: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae

الهيئة العلمية الاستشارية للمجلة

أ. د. رشاد محمد سالم

الجامعة القاسمية - الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. قطب الريسوني

جامعة الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. بن عيسى بطاهر

جامعة الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. صالح بن محمد صالح الفوزان

جامعة الملك سعود - الرياض - المملكة العربية السعودية

أ. د. جميلة حيدة

جامعة وجدة - المملكة المغربية

جامعة الوصل في سطور

«جامعة الوصل» مؤسسة جامعية من مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي في الدولة، وقد تحوّلت بموجب قرار وزاري رقم (١٠٧) لعام ٢٠١٩، من «كلية الدراسات الإسلامية والعربية» - الاسم السابق - إلى: جامعة الوصل - المسمى الاسم.

وقد مرت الجامعة بمرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى:

نشأت النواة الأساسية للجامعة سنة ١٩٨٦-١٩٨٧ م بمسمى «كلية الدراسات الإسلامية والعربية»، عند تأسيسها من السيد جمعة الماجد وتمهدها بالإشراف والرعاية مع فئة مخلصه من أبناء هذا البلد آمنت بفضل العلم وشرف التعليم.

♦ رعت حكومة دبي هذه الخطوة المباركة وجسدها قرار مجلس الأمناء الصادر في عام ١٤٠٧ هـ الموافق العام الجامعي ١٩٨٦ / ١٩٨٧ م.

♦ وبتاريخ ٢ / ٤ / ١٤١٤ هـ الموافق ١٨ / ٩ / ١٩٩٣ م أصدر معالي سموّ الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي في دولة الإمارات القرار رقم (٥٣) لسنة ١٩٩٣ م بالترخيص لها بالعمل في مجال التعليم العالي.

برنامج البكالوريوس:

♦ صدر القرار رقم (٧٧) لسنة ١٩٩٤ م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية والعربية بالدرجة الجامعية الأولى في الدراسات الإسلامية.

♦ ثم صدر القرار رقم (٥٥) لسنة ١٩٩٧ م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في اللغة العربية الممنوحة بالدرجة الجامعية الأولى في هذا التخصص.

♦ بقرار من مجلس الأمناء، بتاريخ ٢٤ / ٥ / ٢٠١٧، تفتح أبواب التسجيل في الدراسات العليا أمام الطلاب الذكور، تخصص الشريعة، واللغة العربية بدءاً من ٢٠١٧ / ٢٠١٨.

♦ احتفلت بتخريج الرعيل الأول من طلابها في ٢٣ شعبان ١٤١٢ هـ الموافق ٢٦ / ١٢ / ١٩٩٢ م تحت رعاية صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رحمه الله.

♦ واحتفلت بتخريج الدفعة الثانية من طلابها والأولى من طالباتها في ٢٩ / ١٠ / ١٤١٣ هـ الموافق ٢١ / ٤ / ١٩٩٣ م.

♦ تخرج منذ تأسيسها في العام الجامعي الأول في ١٤٠٦ / ١٤٠٧ هـ الموافق ل ١٩٨٦ / ١٩٨٧ م إلى نهاية عام ٢٠١٩ - ٢٠٢٠ م: ١٢٤٧٣؛ منهم ٩٨٨٣ طالبة و ٢٥٩٠ طالباً.

♦ تخرج فيها إلى غاية يونيو ٢٠٢٠: واحد وثلاثون (٣١) دفعة من الطلاب، وثلاثون (٣٠) دفعة من الطالبات في تخصص الدراسات الإسلامية. سبعة عشر (١٧) دفعة من الطلاب، ثلاثة وعشرون (٢٣) دفعة من الطالبات في تخصص اللغة العربية.

برنامج الدراسات العليا:

♦ أنشئ برنامج الدراسات العليا بها في العام الجامعي ١٩٩٥ / ١٩٩٦ م يخوّل للملتحقين به الحصول على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية واللغة العربية وآدابها والتسجيل فيما بعد في برنامج الدكتوراه؛ حيث شرع فيه بدءاً من العام ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ م.

♦ اعتمدت بدءاً من العام ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ برنامج الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها في شعبتي الأدب والنقد واللغة والنحو.

♦ وقد صدر قرار معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي رقم (٥٦) لسنة ١٩٩٧ م بمعادلة درجة الدبلوم العالي في الفقه الإسلامي التي تمنحها بدرجة الدبلوم العالي في هذا التخصص.

♦ كما صدر القرار رقم (٥٧) لسنة ١٩٩٧ م بمعادلة درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية (الفقه) و(أصول الفقه) الممنوحة بدرجة الماجستير في هذين التخصصين.

- ♦ وفي ٢٤ / ٢ / ٢٠١٧، يعلن مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف والهبة، عن منحها علامة دبي للوقف .
- ♦ بلغ المجموع الكلي للمتخرجات في الدراسات العليا إلى تاريخ التحول الي جامعة ٢٦٤ طالبة؛ منهن ١٨٩ متخرجة بشهادة الماجستير و ٧٥ متخرجة بشهادة الدكتوراه .

المرحلة الثانية: تطورت من مسمى (كلية الدراسات الإسلامية والعربية) بقرار وزاري رقم ١٠٧ لعام ٢٠١٩، إلى مسمى (جامعة الوصل)، لتحمل عدة مُستجدات في:
الرؤية:

تطمح جامعة الوصل أن تكون لها الصدارة إقليمياً ودولياً، ومتميزة في برامجها وطاقمها وأثرها في البحث العلمي .

الرسالة:

تحرص جامعة الوصل على تقديم برامج ذات جودة عالية في البكالوريوس والدراسات العليا، تعزز القدرات البحثية وتطور التفكير الإيجابي، في بيئة جامعية تتسم بالأصالة والحدثة والابتكار .

مجلس الأمناء:

يقوم مجلس الأمناء بالإشراف على الشؤون العامة للجامعة وتوجيهها لتحقيق أهدافها، ويضم المجلس إضافة إلى رئيسه (مؤسس الجامعة) عدداً من الشخصيات المتميزة التي تجمع بين العلم والمعرفة والرأي والخبرة، ممن يمثلون الفعاليات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في دولة الإمارات العربية المتحدة .

كليات الجامعة: تشمل الجامعة الأتية:

- ♦ كلية الدراسات الإسلامية .
- ♦ كلية الآداب .
- ♦ كلية الإدارة .

نظام الدراسة:

- ♦ مدة الدراسة للحصول على درجة الإجازة (البكالوريوس) أربع سنوات لحاملي الشهادة الثانوية الشرعية أو الثانوية العامة بفرعيها: العلمي والأدبي أو ما يعادلها .
- ♦ تقوم الدراسة في الجامعة على أساس النظام الفصلي وقد طُبّق منذ العام الجامعي ٢٠٠١ / ٢٠٠٢ .
- ♦ يلتزم الطالب بالحضور ومتابعة الدروس والبحوث المقررة .
- ♦ نظام الدراسة في الدراسات العليا، ومدة برنامج الماجستير سنتان والدكتوراه ثلاث سنوات، مع سنة تمهيدية متضمنة في كليهما .

البحث العلمي والخدمة المجتمعية: يقوم البحث العلمي في الجامعة على عوامل وأسس ثابتة، منها:

- ١- المؤتمرات: تقيم الجامعة عددًا من المؤتمرات العلمية المحكمة سنويًا منها:
 - ♦ ندوة علمية دولية في الحديث الشريف كل سنتين، وقد كانت ندوتها التاسعة في مارس ٢٠١٩ .
 - ♦ مؤتمر اللغة العربية الدولي، ويقام كل سنتين .
 - ♦ مؤتمر الدراسات الإسلامية الدولي، ويقام كل سنتين .
 - ♦ مؤتمر الدراسات العليا الدولي، ويقام كل سنتين .
- ٢- المجلة المحكمة: تصدر الجامعة هذه المجلة، وهي علمية محكمة، مرتين كل عام وتسمى باسمها، وتنشر بحوثاً ودراسات جادة للأساتذة والعلماء من داخل الجامعة وخارجها .
- ٣- الكتاب العلمي: تشرف الجامعة على مشروع الكتاب العلمي الذي صدر منه لحد الآن (٢٩) مؤلفاً .
- ٤- مشروع طباعة الرسائل الجامعية المميزة: تسهر الجامعة على طباعة الرسائل العلمية الجامعية المتميزة وتوزيعها مجاناً .

قسيمة اشتراك

أرجو قبول اشتراكي / اشتراكنا في مجلة جامعة الوصل لمدة (.....)

سنة، ابتداء من:

– الاسم الكامل:

– العنوان:

– الهاتف:

– البريد الإلكتروني:

– قيمة الاشتراك:

رسوم الاشتراك

قيمة الاشتراك			نوع الاشتراك		مصدر الاشتراك
الطلبة	الأفراد	المؤسسات	الكمية	الفترة	
٥٠ درهم إماراتي	٨٠ درهم إماراتي	١٠٠ درهم إماراتي	٢	سنة واحدة	داخل دولة الإمارات العربية المتحدة
١٠٠ درهم إماراتي	١٥٠ درهم إماراتي	٢٠٠ درهم إماراتي	٤	سنتان	
٣٠ دولار أمريكي	٤٠ دولار أمريكي	٥٠ دولار أمريكي	٢	سنة واحدة	خارج دولة الإمارات العربية المتحدة
٦٠ دولار أمريكي	٨٠ دولار أمريكي	١٠٠ دولار أمريكي	٤	سنتان	

طريقة الدفع:

– داخل دولة الإمارات العربية المتحدة: نقدًا (مكتب المجلة بالحرم الجامعي)، أو حوالة مصرفية.

– خارج دولة الإمارات العربية المتحدة: تحويل مصرفي.

– البيانات: جامعة الوصل.

بنك دبي الإسلامي – دبي

رقم الأيبان: AE030240001520816487801

يُرسَل وصل الإيداع على العنوان العادي: (رئيس تحرير مجلة جامعة الوصل
ص.ب. ٣٤٤١٤ دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة. هاتف: ٠٠٩٧١٤٣٧٠٦٥٥٧)

أو العنوان الإلكتروني: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae

قواعد النشر

أولاً:

تنشر المجلة البحوث العلمية باللغات العربية، والإنجليزية والفرنسية؛ تحريراً أو ترجمةً، على أن تكون بحوثاً أصيلة مبتكرة تتصف بالموضوعية والشمول والعمق، ولا تتعارض مع القيم الإسلامية، وذلك بعد عرضها على محكمين من خارج هيئة التحرير بحسب الأصول العلمية المتبعة.

ثانياً:

١. يراعى في البحث أن يتميز بالأصالة وأن يضيف إضافة جديدة للعلم والمعرفة، وأن يكون مستوفياً للجوانب العلمية بما في ذلك عرض الأسس النظرية والأهداف الخاصة من إجراء البحث والإجراءات المستخدمة في استخلاص النتائج وعرض النتائج والمناقشة.
٢. تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر في المجلة للشروط الآتية:
٣. ألا يكون البحث قد نشر من قبل أو قدم للنشر إلى جهة أخرى، وألا يكون مستلاً من بحث أو من رسالة أكاديمية نال بها الباحث درجة علمية، وعلى الباحث أن يقدم تعهداً خطياً بذلك عند إرساله إلى المجلة.
٤. تقبل البحوث التي تكون جزءاً من رسالة جامعية لم تناقش بعد.
٥. لا يجوز للباحث أن ينشر بحثه بعد قبوله في المجلة في مكان آخر إلا بإذن خطي من رئيس التحرير، وإلا تكفل الباحث بسداد التكلفة المالية لتحكيم بحثه خلال الدورة التحكيمية.
٦. يراعى ضبط الآيات القرآنية وكتابتها بالرسم العثماني، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة، إن استشهد بها في البحوث.
٧. يُكتب البحث بمسافات (مفردة)، على ألا يقل عدد صفحاتها عن (٢٠) صفحة بواقع (٥٠٠٠) خمسة آلاف كلمة، ولا يزيد عن (٣٠) صفحة في (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة كلمة، وحجم الخط (١٦) نوع (Simplified Arabic)، وإذا زاد البحث عن (٣٠) صفحة، فعلى الباحث دفع تكاليف الطباعة للصفحات الزائدة؛ وهي (٥) دولارات عن كل صفحة.
٨. ترسل من البحث نسخة إلكترونية، وفق برنامج "Word ٢٠١٠" وتكتب أسماء الباحثين

باللغتين العربية والإنجليزية، كما تذكر عناوينهم ووظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، بحسب كشف البيانات المرفق؛ وذلك (بغرض التوثيق الدولي).

٩. يُرفق مع البحث ملخص باللغة العربية (في حدود ١٢٠ كلمة) وآخر باللغة الإنجليزية (في حدود ١٥٠ كلمة)، ويتضمن على الأقل أهداف البحث وإشكاليته، ومنهجه وأهم نتائجه، وإسهامات البحث، وخمسة كلمات مفتاحية.

١٠. يُرفق بالبحث الترجمة الكاملة لقائمة المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية؛ وذلك بغرض التوثيق الدولي.

١١. ترقم الجداول والأشكال والصور التوضيحية وغيرها على التوالي بحسب ورودها في متن البحث، وتزود بعنوانات يشار إلى كل منها بالتسلسل نفسه، وتقدم بأوراق منفصلة.

١٢. يتبع المنهجية العلمية في توثيق البحوث على النحو الآتي:

◆ يشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة آلياً توضع بين قوسين إلى الأعلى (هكذا: (١) (٢)) وتبين بالتفصيل في أسفل الصفحة وفق تسلسلها في المتن.

◆ تذكر ببوغرافيا (معلومات الكتاب) في أول ورد لها في البحث على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المحقق (إن وجد) أو المترجم، دار النشر، بلد دار النشر، رقم الطبعة يشار إليها بـ (ط) إن وجدت، التاريخ إن وجد وإلا يشار إليه بـ (د.ت). أما بحوث الدوريات فتكون المعلومات على النحو الآتي: (اسم المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، جهة الإصدار، بلد الإصدار، رقم العدد، التاريخ، مكان البحث في المجلة ممثلاً بالصفحات (من... إلى...)).

◆ إذا تكررت بعد أول إيراد له يُكتفى باسم المؤلف وعنوان المصدر، فإن تكرر مباشرة في الصفحة نفسها يكتب: (المرجع نفسه)، فإن تكرر مباشرة في الصفحة اللاحقة يكتب: (المرجع السابق).

◆ يشار إلى الشروح والملاحظات في متن البحث بنجمة (هكذا: ×) أو أكثر.

◆ تثبت المصادر والمراجع في قائمة آخر البحث مرتبة ترتيباً هجائياً بحسب اسم المؤلف يليه الكتاب والمعلومات الأخرى.

١٣. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة من البحث، وتقرير عن التعديلات التي قام بها.

١٤. يحرص الباحث على تدقيق بحثه لغوياً، ولا تقبل المجلة بحوثاً غير مدققة لغوياً.

ثالثاً: الشروط الإضافية على البحوث المترجمة:

١. أن ترفق مع الترجمة المادة المترجمة بلغتها الاصلية.
٢. يرفق مع الترجمة ملخصان أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية أو الفرنسية، على ألا يتجاوز كل ملخص (١٢٠) كلمة، مع الكلمات المفتاحية.
٣. تكون المادة المترجمة محكمة، أو منشورة في إحدى المجالات المحكمة، أو قد تكون جزءاً من كتاب محكم.
٤. لا يتجاوز عدد صفحاتها / ٢٠ صفحة / من الحجم العادي (A٤) (٦٠٠٠ كلمة) ولا يقل عن / ٧ صفحات / .
٥. المحافظة على النص الأصيل وتفادي الاختزال ما لم يُشر إلى ذلك وبهدف تحسين الترجمة.
٦. أن تكون الجمل مترابطة ومتناسكة وتخدم المعنى المقصود في المادة الاصلية.
٧. يذكر في أول إحالة في الترجمة اسم المؤلف الأصلي مع نبذة عن إسهاماته.
٨. تشمل الترجمة على مقدمة في سطور تبين الأهمية العلمية للمادة المترجمة، وأهم النتائج المتوقعة

رابعاً:

١. ما ينشر في المجلة من آراء يعبر عن فكر أصحابها، ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.
٢. البحوث المرسلّة إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
٣. يخضع نشر البحوث وترتيبها لاعتبارات فنية، بحسب خطة النشر.
٤. يحق للمجلة - عند الضرورة - إجراء بعض التعديلات الشكلية على البحوث المقبولة للنشر دون المساس بمضمونها.
٥. يحق للمجلة نشر البحوث المقبولة إلكترونياً، والمشاركة بها في قواعد البيانات والمواقع الإلكترونية.
٦. يزود الباحث بعد نشر بحثه بنسخة إلكترونية (PDF) من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومستلة (PDF) لبحثه.

خامساً: رسوم النشر:

◆ إسهاماً من مجلة جامعة الوصل في إثراء الحركة البحثية في دولة الإمارات العربية المتحدة بشكل خاص، وكل الأقطار العربية والإسلامية بشكل عام، فإن المجلة لا تحمل الباحثين أية رسوم، إلا ما سبق الإشارة إليه في بند (٧) ثانياً.

◆ ترسل البحوث وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى:

رئيس تحرير مجلة جامعة الوصل

ص.ب. ٣٤٤١٤ دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: ٠٠٩٧١٤٣٧٠٦٥٥٧ - فاكس ٠٠٩٧١٤٣٩٦٤٣٨٨

أو البريد الإلكتروني: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae

المحتويات

- الافتتاحية
رئيس التحرير..... ١٧-١٩
- كلمة المشرف: لغتنا العربية؛ العلمية والعالمية
المشرف العام..... ٢٠-٢٦
- البحوث..... ٢٧
- أثر الإحالة في تماسك النص مقارنة لسانية نصية في قصيدة عمر أبو ريشة
(بنات شاعر)
د. نورة محمد البشري..... ٢٩-٦٨
- استبدال اللفظ المرادف بلفظ الحديث وأثره في الاستدلال بالحديث النبوي
الشريف عند الأصوليين
أ. د. عبد المجيد محمود الصلاحيين
د. سليمة عبد الهادي حمد عبد الله..... ٦٩-١١٤
- تقديم المفصول على الفاضل في باب أفعال المكلفين، أسبابه وضوابطه: دراسة
تأصيلية تطبيقية
أ. أمّنة نزار قاسم الشيخ..... ١١٥-١٦٤
- حديث القرآن عن تبليغ الرسل - عليهم السلام - دراسة موضوعية
د. منذر مازن عودة المسيعدين..... ١٦٥-١٩٨
- دور القراءات القرآنية الشاذة في توجيه ما خرج عن القاعدة اللغوية عند
ابن جني
د. حسين مصطفى غوانمة..... ١٩٩-٢٣٦

● الشبهات التي أثارها عدنان إبراهيم حول حديث الرسول ﷺ

(خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) والرد عليها

د. تهناني جميل بدري ٢٨٦-٢٣٧

● علاقة الزمان بالحدث في القصيدة الجاهلية

د. رائد رشيد الحاج حسن ٣٢٠-٢٨٧

● قاعدة: الحقيقة تترك بدلالة العادة - دراسة تأصيلية تطبيقية

د. مبارك سعود العجمي ٣٦٨-٣٢١

● مستويات البناء النصي في قصيدة "الزنبقة الداوية" للشاعر أبي القاسم الشابي

د. هبة مصطفى جابر ٤٠٨-٣٦٩

● منهج الإمام المهدي في توجيه القراءات القرآنية وأثره في التفسير من خلال

كتابه «شرح الهداية»

د. منير أحمد حسين الزبيدي

د. محمود علي عثمان عثمان ٤٥٦-٤٠٩

الإفتاحية

أ. د. خالد توكال

رئيس التحرير



وصدر العدد الستون، بما يحمل من دلالات خاصة وجليّة في الآن ذاته على ذلك التقدم الذي أحرزته وتحرزه مجلة جامعة الوصل... بالأمس القريب كانت مقتصرة على مجالين أو ثلاثة. أما اليوم فقد انفتحت على عوالم بحثية متنوعة وثرية بعد أن صارت متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية. بالأمس القريب كانت تنشر بالعربية؛ واليوم تقبل البحوث بلغات ثلاثة: العربية والإنجليزية والفرنسية. بالأمس القريب كانت تطمح نحو التميز المحلي والإقليمي. واليوم تطمح نحو العالمية؛ بعد أن تحققت لها ما أرادت في الأعوام الماضية؛ مما يعزز المكانة الأكاديمية التي تتمتع بها المجلة ذات التاريخ الطويل في خدمة البحث العلمي منذ صدور عددها الأول في بداية تسعينيات القرن الماضي.

إنها الآن تقف شامخة في بيئة تنافسية عالمية؛ غير محدودة بحدود القطرية ولا الإقليمية، قادرة على مواكبة الجديد المعرفي، والتطور العلمي، متشحة بالمبادئ التي انتهجتها منذ بداية صدورها، والمعايير التي تسعى دائماً لتطويرها؛ بما يشهد على جديتها وجودتها وتميزها وطموحها الذي يرافق طموح البحث العلمي في جامعة الوصل.

إن ما ينجز الآن على أرض الواقع لم يكن ليحدث لولا تلك العناية الخاصة التي توليها إدارة الجامعة للمجلة. وما تشجيعها الدائم على التطوير والتحسين، وتذليلها العقبات، وحلها المشكلات إلا أوضح دليل، وخير شاهد على ذلك.

لقد احتوى هذا العدد الستون على أبحاث رُتبت ألفبائياً كما يأتي:

البحث الأول: أثر الإحالة في تماسك النص، مقارنة لسانية نصية في قصيدة عمر أبو ريشة (بنات شاعر). وهي دراسة تتخذ من اللسانيات النصية سبيلاً لكشف الاتساق النصي عن طريق تدارس الإحالة فيها؛ وانتهت الدراسة إلى تمييز نص (بنات شاعر) بحشد كبير لأدوات الإحالة؛ مما كان له أكبر الأثر في تحقيق تماسكه النصي، وظهر بجلاء قدرة أبي ريشة على تسخير الإحالة بمختلفة أنواعها ببنية عالية؛ فكان لها وظيفتها الجمالية على مستوى الشكل، ووظيفتها المعنوية على مستوى الدلالة.

البحث الثاني: استبدال اللفظ المرادف بلفظ الحديث، وأثره في الاستدلال بالحديث النبوي الشريف عند الأصوليين. دراسة تجمع بين ما هو لغوي وما هو أصولي، وقد أظهرت الدراسة أثر استبدال المجاز

بالحقيقة، والصفة أو الحالة أو النسبة بالاسم، والعام بالخاص، أو الخاص بالعام، والاستبدال لغرض التأدب في اللفظ وأقوال الأصوليين في كل صورة. كما بينت أثر الاستبدال بين الحروف.

البحث الثالث: تقديم المفضول على الفاضل في باب أفعال المكلفين، أسبابه وضوابطه، وهي دراسة تأصيلية تطبيقية هدفها خدمة فقه الواقع القائم على آلية الموازنة والتنسيق بين الاقتضائين الأصلي والتبعي، كما أنها سعت إلى تبيين مسألة عدول المكلف عن الفاضل المفضل في ميزان الشرع إلى المفضول في ميزانه الأفضل بحقه؛ وذلك لأن معيار الأفضلية يحكمه واقع المرء.

البحث الرابع: حديث القرآن عن تبليغ الرسل عليهم السلام، وهي دراسة موضوعية هدفت إلى التعرف على اشتقاقات التبليغ في القرآن الكريم وبيان حكمه وفوائده، والحديث عن الرسل والتبليغ، وخلصت إلى أن مشتقات البلاغ في العهد المكي كان أكثر من العهد المدني، واستعمل في الأمور الحسية.

البحث الخامس: دور القراءات القرآنية الشاذة في توجيه ما خرج عن القاعدة اللغوية عند ابن جني، وقد سعى البحث إلى الكشف عن أثر القراءات القرآنية الشاذة في بناء القواعد اللغوية أو تأييدها عند اللغوي المعروف ابن جني، وكيف أنه وظف القراءات القرآنية في دعم بعض الآراء اللغوية، فوافق وخالف واستحسن واستدرك، مستضيئاً بما يحتج له من القراءات.

البحث السادس: الشبهات التي أثارها عدنان حول حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، (خلق الله آدم على صورته) والرد عليها.

تهدف الدراسة إلى الرد على عدنان إبراهيم وما أثاره حول حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلق الله آدم على صورته)؛ بهدف الدفاع عن الحديث ودفع الشبهات حوله، وقد كشفت الدراسة ما تمسك به الطاعنون من شبهات لرد حديث صحيح مخرج في الصحيحين، من خلال ربط ما يبرز فساد مبررات الطاعنين بما أثير قديماً من شبهات حول الحديث بتغاير الألفاظ ومغالطة في الحوار والإقناع.

البحث السابع: علاقة الزمان بالحدث في القصيدة الجاهلية، وقد سعى البحث إلى توضيح تقنية السرد الاسترجاعي الذي يعني أي حدث أو مشهد سابق على الزمن الذي يصفه العمل الأدبي بوجه عام والقصيدة الجاهلية بوجه خاص، كما أبرز دور الحذف في تسريع السرد القصصي.

البحث الثامن: قاعدة الحقيقة تترك بدلالة العادة، وهي دراسة تأصيلية تطبيقية، تسلط الضوء على قاعدة فقهية عظيمة، وقد خلصت الدراسة إلى أن الحقيقة أربعة أنواع، وأن العادة والعرف محكمان بين الناس ومعتبران في الشريعة الإسلامية، وأنه إذا أصبح المعنى الحقيقي للفظ مهجوراً عادة وعرفاً وشاع استعماله في معنى آخر لا يراد بالكلام المعنى الحقيقي؛ فحينئذ تترك الحقيقة لأن العادة قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

البحث التاسع: مستويات البناء النصي في قصيدة (الزنبقة الزاوية) لأبي القاسم الشابي، وقد سعى البحث إلى قراءة الزنبقة الزاوية وفقاً لمعطيات المنهج البنوي، بغية الكشف عن المستويات البنائية الأربعة (الصوتي والمعجمي، والبلاغي، والتركيبية).

البحث العاشر: منهج الإمام المهدي في توجيه القراءات القرآنية وأثره في التفسير من خلال كتابه (شرح الهداية). وقد تتبع الباحثان القراءات القرآنية التي عرضها الإمام المهدي في كتابه، وكشفا عن منهجه في توجيه القراءات، وبيان أثرها في إثراء التفسير والمعاني، كما بينا مزايا هذا المنهج وخصائصه. وفي نهاية هذه الكلمة أدعو الزملاء الباحثين إلى التواصل مع المجلة؛ إن قراءة، وإن نشرًا، وإن تعقيبًا، وإن مراجعةً للأبحاث على مواقع التواصل المختلفة؛ فإنه بهذا تتلاقح الأفكار، وتنتج المعارف.

كلمة المشرف: لغتنا العربية؛ العلمية والعالمية بقلم: الأستاذ الدكتور محمد أحمد عبد الرحمن

نشأة اللغة، وأشهر الفصائل اللغوية

تمثل اللغات أحد مقومات الهوية والانتماء، وتعبّر عن ثقافات الشعوب وحضاراتها، وتنقل الخبرات الإنسانية بين الأجيال. وهي وسيلة التعبير عن الفكر، والنظريات العلمية، وتاريخ العلوم البشرية.. وقبل كل ذلك؛ هي من أفضل ما يميز الكائن البشري عن سائر المخلوقات الأخرى.

ويُعدّ موضوع نشأة اللغات من القضايا التي لم تحسمها الأبحاث، ولم يستقر فيها رأي ثابت على الرغم مما كتب فيها الدارسون؛ فمن الآراء المستندة إلى اعتقاد ديني واقعة برج بابل، أو أن آدم أبا البشرية أول من تكلم بالعربية. وتشير الدراسات الفيلولوجية، في تاريخ اللغات، إلى أن عددًا من السجلات المكتوبة يعود - في أبعد تاريخ- إلى ما قبل خمسة آلاف عام بعدد من اللغات: البابلية، السومرية، الصينية، الهيروغليزية (المصرية القديمة).

ويذهب الدارسون في موضوع أصل اللغات مذاهب شتى؛ فمنهم من يرى أنها البابلية القديمة، أو أنها العربية، أو العبرية، وغيرها. ولا دليل يثبت أيًا من هذه الآراء. ولعل الأمر قائم على التعدد أساسًا، وليس بالضرورة أن تعود اللغات إلى أصل واحد، ما دامت البشرية اليوم تتسبب إلى فترة ما بعد الطوفان.

ومن أشهر ما أسفرت عنه الدراسات التاريخية اللغوية الحديثة، أنها قسمت اللغات البشرية إلى إحدى وعشرين فصيلة؛ اعتمادًا على التماثلات المسجلة بينها على مستوى المفردات، والبنية، والروابط الجغرافية والاجتماعية والتاريخية، وأشهرها: فصيلة اللغات الهندية الأوربية، وفصيلة اللغات الحامية السامية (تتفرع منها لغتنا العربية)، والفصيلة الطورانية (مجموعة من اللغات الآسيوية والأوربية مختلفة عن لغات الفصيلتين السابقتين)، واللغات الجرمانية، واللغات السلافية، اللغات الأرمينية، اللغات الألبانية، واللغات الكلتية، واللغات الكورية، واللغات الصينية، ولغات السودان وغانا⁽¹⁾.

المسألة اللغوية في القرن الواحد والعشرين:

حينما نتناول موضوع اللغة للنقاش والتداول، فإننا قد نحتاج إلى كثير من الرويّة والتؤدة لوصف حالها. وينبغي أن ننظر إلى المسألة من زاوية التحولات الحضارية التي يعرفها تاريخ الإنسان. ونعتقد أن سيرورة التغيير التي تعرفها الحياة الإنسانية في كل تفاصيلها لا يمكن أن تكون اللغة بعيدة عنها؛

١- ينظر: جمعية علم اللغة بباريس: لغات العالم، إشراف: أنطوان ماويه ومارسل كوهين.

لذا، فالمسألة اللغوية- بما تعرفه من إشكاليات عديدة- مسألةٌ عاديةٌ وطبيعية، وتندرج ضمن التحوّلات الكبرى التي تعرفها سيرورة التاريخ الإنساني.

ولكننا إنّ حدّدنا لغةً بعينها ضمن هذه التحوّلات، فإنها تدعونا إلى الاعتداد بمعطيات أخرى، قد تُحوّل المسألة من كونها عاديةً إلى خلاف ذلك، حين تكون التغيرات موجّهة أو مفروضة أو نتيجةً لتخطيط لغوي، مسبق، مقصود.

وسنقف اليوم في زاوية علمية خالصة، موضوعية بحتة، للحديث عن اللغة العربية حديثاً هادئاً، علمياً، بعيداً عن العواطف والانفعالات، وفق ما تُتيحه معارف فقه اللغة واللسانيات التطبيقية، لبيان مكان القوة، والمؤهلات العلمية، وعناصر الحياة التي تميز اللغة العربية، وتجعلها لغة عالمية، محلّ اعتزاز كبير من الناطقين بها في سائر أرجاء المعمورة.

والمسألة اللغوية اليوم صارت رهينة التعليم، والإعلام، والفضاءات الإلكترونية؛ حيث يمكن لهذه الأقطاب الثلاثة أن تقدم الكثير للغة، وأن تتبنى خطتها التطويرية.

خصائص اللغة العربية بين اللغات الأخرى:

من التعريفات الدقيقة التي قدّمها العلماء العرب للغة العربية، قول ابن جني: «أما حدها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»^(١). ولم تستطع التعريفات الحديثة للغة أن تتجاوز هذا التعريف الموضوعي الدقيق، الذي يحدد خصائصها في المعطيات الآتية: اللغة أصوات ورموز منطوقة، والأصوات اللغوية تعبيرية (وهنا نبعد الأصوات الأخرى، وهي كثيرة)، واللغة وسيلة وليست غاية في ذاتها، واللغة متعددة بتعدد المجتمعات والشعوب وليست واحدة، واللغة اجتماعية وليست فردية، واللغة نفعية (نعبر بها عن أغراضنا ونقضي مآربنا).

وسنقف فيما يأتي على خصائص اللغة العربية بوصفها لغة سامية، مقارنةً باللغات الأجنبية:

الخصائص السامية في اللغة العربية:

من أهمّ ما يميّز اللغة العربية اعتماداً على أصلها السامي، أنها تحتوي على الحروف الحلقية وحروف الإطباق والمفخمة والحروف بين الأسنان (ذ، ث، ظ). ومن أصوات اللغة العربية ما يُكتب ولا يُنطق، ومنها ما لا يُكتب مع أنه يُنطق؛ همزة الوصل في (عبد الله)، واللام الشمسية، وألف واو الجماعة في الفعل، ولكن (لاكن)، وهذا (هاذا)، الرحمن (الرحمان)، ويغلب في اللغة العربية وجود الأصول الثلاثية، اشتقاقية تصريفية، لا تعتمد على السوابق واللاحق كثيراً. أما الجنس فهو مذكر ومؤنث فقط

١- ابن جني: الخصائص ٢١/١.

ولا يوجد بها الجنس المحايد أو العادم (نحو الإغريقية والألمانية القديمة مثلاً). والعدد في اللغة العربية ينقسم إلى مفرد ومثنى وجمع وهو نظام العدد في اللغات السامية، باستثناء اللغة العبرية التي يقل فيها المثنى.

وبالنسبة إلى الزمن فينقسم إلى ماض وأمر ومستقبل؛ ولا تُعنى بصيغ الأزمنة بقدر عنايتها بانتهاء الحدث أو عدمه (حدث منته ماض، حدث غير منته حاضر ومضارع)، أما الدلالات الأخرى فتحصلُ بإضافة أدوات وحروف معانٍ نحو (السين، سوف، لن، لم،...) .

واللغة العربية هي أكثر اللغات استعمالاً ضمن مجموعة اللغات السامية، وإحدى أكثر اللغات انتشاراً في العالم اليوم.

خصائص اللغة العربية مقارنة باللغات الأجنبية:

تُعنى اليوم الدراسات اللغوية التقابلية بالبحث في مواضع التشابه والاختلاف بين اللغات، ورصد الأسس المشتركة لتكون منطلقات لتدريسها لغير الناطقين بها، وفق المنهج التقابلي في تعليم اللغات.

وفيما يأتي نورد عدداً من الخصائص اللسانية التي تتوفر في اللغة العربية، دون اللغات الأجنبية الأخرى، مكتفين بالخصائص الصوتية والمعجمية تحديداً:

- تُعدّ اللغة العربية من أغزر اللغات من حيث المادة اللغوية، فعلى سبيل المثال يحوي معجم لسان العرب لابن منظور أكثر من ٨٠ ألف مادة لغوية، وأحصى الخليل مجموع الأبنية العربية بطريقة التقليلات، من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، من غير تكرار، المهمل منها والمستعمل: أكثر من اثني عشر مليون كلمة. بينما أحصى قاموس صموئيل جونسون (أول من وضع قاموساً إنجليزياً) في اللغة الإنجليزية ٤٢ ألف كلمة من القرن الثامن عشر.
- تحتوي الأبجدية العربية على ٢٨ حرفاً مكتوباً (دون الاعتداد بالهمزة)، ودون النظر إلى الأحوال المختلفة لنطق الأحرف، نحو الجيم التي تقرب من الزاي، أو الشين التي كالجيم، أو الصاد التي كالزاي وغيرها مما ذكره اللغويون في باب المستحسن والمستقبح من الأصوات.
- اتساع المدرج الصوتي من الحلق إلى الشفتين ١٧ مخرجاً. وعلامة الفصاحة تباعدُ المخارج؛ وقد تتوفر مخارج مختلفة عنها في اللغات الأخرى، ولكن الفرق في التوزيع؛ حيث تكون في بعض اللغات محصورة في نطاق ضيق كما في اللغات ذوات الغنة، دون أن يتوزع في كل نطاق الفم.
- بعض الخصائص في المجاورات الصوتية لا تجمع بين ح وهـ، ولا تأتي الهاء قبل العين، ولا الحاء قبل الهاء، ولا النون قبل الراء، ولا اللام قبل الشين.... ولهذا مبررات صوتية مرتبطة بالفصاحة ونصاعة الأصوات في السمع.

- ثبات أصواتها بمخارجها وصفاتها النطقية منذ أكثر من ١٤ قرناً؛ ولم يحدث هذا مع أي لغة في التاريخ؛ حيث ما زال نطق الأصوات العربية بمواصفاته الفونيتيكية التي قرئ بها القرآن الكريم منذ نزوله.

- تتميز اللغة العربية بكثرة الأصوات الحلقية، بوفرة غير متاحة، إذا ما قورنت بلغات أجنبية أخرى.

- التعبير الزمني في العربية قائم على الدلالة البيانية لا الصيغة الزمنية. خلافاً لعدد من اللغات الأجنبية الأخرى (الإنجليزية مثلاً).

- تعتمد الاشتقاق لا الإلصاق في تصريف الكلمات.

اللغة العربية في يومها العالمي؛ حديث في الرهانات والتحديات:

تحتفل اللغة العربية كل عام بيومها العالمي في الثامن عشر من ديسمبر؛ وأنتهز هذه المناسبة لعرض عدد من الرهانات التي يمكن أن تعزز المكانة العالمية للعربية، وتطور وضعها بين مستخدميها، كما يمكن أن ترسم خطاً مستقبلياً لتجاوز التحديات المختلفة.

التحديات التي تواجه اللغة العربية اليوم؛ البنية الداخلية وسوق اللغات:

تعيش اللغة العربية اليوم تحديات عدة، على المستوى اللساني الداخلي من حيث البنية والنظام والأداء، وعلى المستوى الخارجي في علاقتها باللغات الأخرى، هو ما يفضل علماء اللغات اليوم بتسميته (سوق اللغات)؛ ومن أهم هذه التحديات:

الازدواجية اللغوية: حيث بات يعرف الاستعمال العربي مستويين على الأقل للكلام من اللغة نفسها؛ أحدهما راقٍ والآخر عام (العامية والفصحى مثلاً). وللازدواجية في تاريخ اللغات أثر فيها؛ حيث أفضت بها إلى الاختزال والانحطاط، فضلاً عن انعكاساتها على المحمولات الثقافية والمعرفية. ولمعالجة هذه الظاهرة بصورة علمية واستغلال جوانبها الإيجابية، نقترح ما يأتي:

- ينبغي الترفع عن اللهجات، والتسامي إلى الفصحى الواحدة المشتركة، لا سيما في المؤسسات الحيوية. ولتتحصر للهجات في التعبير عن الخصوصيات الجغرافية والاختيارات الفونولوجية مثلاً، أو الاهتمامات المجتمعية التي يربط أهلها اختيارات لهجية معينة.

- لا يعني الترفع إلى الفصحى إلغاء اللهجات ومحاربتها؛ فلها أهميتها في التعبير، والآداب الشعبية والفنون المجتمعية والخصائص اللسانية بحسب التنوعات الجغرافية. ولها دورها ووظيفتها في نواح عديدة بما تتوفر عليه من قيم مختلفة: قيم تداولية واتصالية لا تتوفر في غيرها، من أساليب التضمن والتصريح، وأفانين الاتصال العادي.

- ينبغي تعزيز التقارب بين اللهجات وإنشاء تجمعات كبرى لها، وتعزيز إنشاء بحوث ودراسات في الخصائص العامة للهجات، وفي علاقتها بالفصحى على مستوى الدولة الواحدة أو التجمعات اللهجية.

جهود الدولة في تعزيز مكانة اللغة العربية:

تمثل اللغة العربية أحد المكونات الأساسية في استراتيجية الحكومة الاتحادية؛ ويبدو ذلك في كثير من المبادرات الرائدة التي تعزز مكانة اللغة العربية محلياً وإقليمياً وعالمياً، وتحفظ دورها في مسيرة البناء الحضاري.

ونُورِدُ في هذا السياق، على سبيل المثال لا الحصر، أن رؤية الإمارات ٢٠٢١، التي كان قد أطلقها سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي حفظه الله- تهدف إلى جعل الدولة مركزاً للامتياز في اللغة العربية. ولقد كان في الفترة نفسها، ميثاق اللغة العربية المعلن عنه في إبريل ٢٠١٢، منطلقاً ومرجعاً لعدد من المبادرات الأخرى التي منحت اللغة العربية مكانتها اللائقة شتى مناحي الحياة؛ من ذلك: الإعلان عن المجلس الاستشاري للغة العربية، وتشكيل لجنة خبراء عربية دولية، لإحياء اللغة العربية، وتقديمها لغة علمية، وتطوير طرائق تعليمها. وإطلاق معجم محمد بن راشد للغة العربية المعاصرة، وجائزة محمد بن راشد للغة العربية التي أطلقت في ٢٠١٤، ومبادرة تحدي القراءة العربي، ومبادرة الموسم «بالعربي»، واستضافة دولة الإمارات العربية المتحدة للمؤتمر السنوي للغة العربية، وتقرير حالة ومستقبل اللغة العربية الذي ضم خبراء دوليين وقدم وصفاً لواقع اللغة العربية ومقترحات لتعزيز مكانتها.

ولقد كان أمرُ سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة بتأسيس مجمع اللغة العربية بالشارقة في ٢٠١٦، إعلاناً لإنشاء معلم من معالم اللغة العربية في الدولة، يُطور دراستها ويحيي تراثها، ويؤسس جهازها المصطلحي في سائر المجالات. ولقد شرع المجمع في إصدار المعجم التاريخي للغة العربية التي سيؤرخ للغة العربية من مرحلة النقوش الأولى إلى العصر الحديث.

وتُمثِّلُ هيئة أبوظبي للغة العربية التي تم إنشاؤها بقرار من المجلس التنفيذي لإمارة أبوظبي في يوليو ٢٠١٩، إضافةً أخرى إلى مجموع جهود الدولة في خدمة اللغة العربية، تُعنى بوضع خططها الاستراتيجية، وإصداراتها العلمية.

وعلى مستوى المؤسسات التعليمية، تُعنى جامعات الدولة ببرامج اللغة العربية وتطويرها، ومنها جامعة الوصل في دبي التي أسَّسها معالي السيد جمعة الماجد منذ ثلث قرن، وقدمت ١٢٦ خريجاً وخريجة من

حاملِي الشهادات العليا (ماجستير ودكتوراه) فِي تخصص اللغة العربية، وهم الآن يقومون بأدوارهم المجتمعية، ويسهمون فِي مسيرة التنمية.

نحو خطة استشرافية لتعزيز واقع اللغة العربية:

تفرض علينا التحديات المستقبلية اهتماماً خاصاً باللغة العربية، لأنها وعاء ثقافتنا وحضارتنا وهويتنا، ونقترح ما يأتي:

على مستوى المناهج التعليمية:

- تطوير مناهج تدريس اللغة العربية لطلاب العلوم؛ حتى لا يكونوا بعيدين عن لغتهم، واستقطاب مدرسين متخصصين، وإعادة الاعتبار للغة ذاتها فِي مساقاتهم الدراسية، ومعايير الانتقال، وأن تُطرح بعض المساقات التخصصية باللغة العربية.
- تطوير برامج اللغة العربية فِي العلوم الإنسانية والاجتماعية، وإثرائها بمناهج جديدة، وطرائق فعالة، وإنشاء علاقات بينية مع العلوم الأخرى وبرامج اللغة العربية.
- تطوير تعليم اللغة العربية من منظور وظيفي سواء للناطقين بها أم للناطقين غيرها، اعتماداً على ضمان القدرة التواصلية لديهم، وتدريسها وفق برامج الأغراض الخاصة التي توفرها اللسانيات التطبيقية.
- استخدام اللغة العربية فِي المؤسسات التعليمية والمدارس والمعاهد والجامعات، وفي قاعات الدروس والمؤتمرات.
- إعادة الحياة للغة العربية وحيويتها بتعليمها بأساليب وظيفية جذابة وتجنب الأمثلة المصنوعة البعيدة عن واقع المتعلمين.
- تربية الذائقة العربية السليمة لدى المتعلمين الصغار وتمييزها.
- تفعيل برامج تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة.

وعلى مستوى الأسر العربية:

- غرس حب العربية الفصحى فِي نفوس الأطفال، ليُقبلوا عليها منذ الصغر، ولا يستصعبوا استخدامها.
- السعي إلى تحقيق الأمن اللغوي الأسري لأبنائنا من خلال سياسة لغوية واضحة؛ حيث يستخدمون اللغة العربية ويتعلمون اللغات الأخرى، ويمتزجون مع الثقافات المختلفة، ويواكبون المستجدات المعرفية والعلمية العالمية، دون أن يقلل ذلك من مكانة لغتهم العربية فِي نفوسهم، أو يهون من شأنها أو يُضعف الاعتزاز بها فِي حياتهم العلمية والمهنية والاجتماعية.

وختامًا؛ وفي اليوم العالمي للغة العربية ندعو الباحثين والدارسين أن يؤسسوا خطابًا علميًا رصينًا في تناولهم للمسألة اللغوية، يقوم على الإفادة من اللغات، والإفادة من مكتسبات الفضاءات الإلكترونية، ودراسة حالات التداخل، واستثمار التقابلات اللغوية في تطوير مناهج تعليم اللغات المختلفة، وبناء سلام لغوي بين اللغات البشرية يضمن الأمن اللغوي لكل منها.

البحوث

أثر الإحالة في تماسك النص
مقاربة لسانية نصية في
قصيدة عمر أبو ريشة (بنات شاعر)

**The Effect of Reference in the Coherence
of the Text - A Linguistic Textual Approach
to the Poem of Omar Abu Risha (bnat shaer)**

د. نورة محمد البشري

جامعة الأميرة نورة - المملكة العربية السعودية

Dr. Norah Mohammed Al Bashri

Princess Nora University- Kingdom of Saudi Arabia

<https://doi.org/10.47798/awuj.2020.i60.01>



Abstract

Textual cohesion transcends the boundaries of connecting between the individual parts of a sentence to a holistic conception of the text, which concentrates on its minor linguistic structures that reveal overlapping text relationships towards the coherence of its various linguistic levels: lexically, syntactically, and semantically .

This consistency (cohesion) and (coherence) can only be achieved through a set of verbal relations. Reference is one of these relations that is achieved in the text superficially: vertically and horizontally. Therefore, this approach (the impact of reference in the cohesion of the text - a linguistic textual approach to the poem of Omar Abu Risha (bnat shaer).

The study introduced the concept of reference, its types and mechanisms, and then it applied these mechanisms to the selected text. The study concluded that the text (bnat shaer) was distinguished by a large number of reference tools, which had the greatest impact in achieving its textual cohesion, and it clearly demonstrated Abu Risha's ability to harness the various types of reference with high skill. Thus, it had its aesthetic function at the level of form, and its moral function at the level of significance (semantics).

As for the research methodology, it is the linguistic textual approach, which considers the text as a self-sufficient reference in the production of indications and transiting from the outer authority to the interior.

ملخص البحث

يعد التماسك النصي من أهم المفاهيم التي أفرزها الحقل اللساني، وهو يتجاوز حدود الربط بين أجزاء الجملة المفردة إلى تصور كلي للنص، يشغل على بنيانه اللغوية الصغرى التي تكشف عن علاقات النص المتداخلة، وصولاً إلى الانسجام بين حقوله المختلفة: معجمية، وتركيبية، ودلالية.

ولا يتم هذا الاتساق والانسجام إلا من خلال مجموعة من العلائق اللفظية، وتعد الإحالة إحدى هذه العلائق التي تتحقق على المستوى السطحي للنص: رأسياً وأفقياً؛ ولذلك كانت هذه المقاربة (أثر الإحالة في تماسك النص-مقاربة لسانية نصية في قصيدة عمر أبو ريشة (بنات شاعر).

وقد قدمت الدراسة مفهوم الإحالة وأنواعها وآلياتها، ثم طبقت هذه الآليات على النص المختار.

وانتهت الدراسة إلى تمييز نص (بنات شاعر) بعشده كبير لأدوات الإحالة، مما كان له أكبر الأثر في تحقيق تماسكه النصي، وظهر بجلاء قدرة أبي ريشة على تسخير الإحالة بمختلف أنواعها ببنية عالية، فكان لها وظيفتها الجمالية على مستوى الشكل، وظيفتها المعنوية على مستوى الدلالة.

أما منهج البحث فهو المنهج اللساني النصي الذي يعدُّ النص مرجعاً مكتفياً بذاته في إنتاج

That is to transit to the authority of the textual structure. The research also used the statistical method to count the mechanisms of reference and highlighting the most influential ones.

Keywords: bnat shaer - Textual cohesion - reference - text -coherence.

الدلالة، والانتقال من سلطة الخارج إلى سلطة الداخل، أي إلى سلطة البنية النصية، كما استعان البحث بالمنهج الإحصائي لإحصاء آليات الإحالة، وإبراز أكثرها تأثيراً.

الكلمات المفتاحية: بنات شاعر- التماسك النصي - الإحالة- النص- الترابط .

المقدمة

تفرعت لسانيات النص من اللسانيات العامة التي أسس لها «فرديناند دي سوسير» وكانت تطوراً للسانيات الجملة التي تقف عند حدود الدراسة الجزئية والشكلية للجملة، وقد دعت هذه المدرسة اللسانية النصية إلى تجاوز الجملة بوصفها وحدة لغوية صغرى إلى وحدة لغوية كبرى، يمكن تقسيمها إلى بنيات لغوية صغرى، تكشف عن علاقات النص المتداخلة وخصوصية ما يميزه، وهذا المفهوم جزء من نظرية تحليل الخطاب.

وبذلك أصبح النص يشكل مفهوماً مركزياً في الدراسات اللسانية المعاصرة، واتجه اهتمام اللغويين إلى دراسة تركيبية النص، ومدى تماسكه وآليات هذا التماسك، إلى حد يمكن أن نعده فتحاً جديداً في تاريخ اللسانيات الحديثة؛ إذ تجاوزت اللسانيات النصية إشكالية الربط بين أبعاد الظاهرة اللغوية نحوياً ودلائلياً ومنطقياً وتداولياً، إلى تصور كلي «ينتقل من مستوى إلى مستوى آخر في حرية وفي صورة منظمة في إطار وحدة كلية»،⁽¹⁾ مما أسس لنشوء عدد من المصطلحات منها: نظرية النص - لسانيات النص - نحو النص - علم النص - علم اللغة النصي.

وبالانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص أصبح التماسك النصي من أهم المفاهيم التي أفرزها الحقل اللساني، ومن أهم العلاقات الدلالية واللفظية بين أجزاء النص، وغيابها غياب للالتحام والاتساق والترابط، وهذا يعني أن النص اللغوي يتابع لغوي لعلاقات متماسكة، تقوم على نظام داخلي متين، يتلاحم فيه البناء ويتربط للوصول إلى الدلالة النهائية، ولتحقيق الاستمرارية، فيظهر النص خالياً من الفجوات اللغوية بحيث يفيد المخاطب بأمر معين، وهو ما أشار إليه

١- بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٧م، ص١٤٢.

(روبرت دي بو جراند) حينما رأى أن نصية النص لا تتحقق إلا إذا اجتمعت له سبعة معايير، وهي: السبك، الالتحام، القصد، القبول، رعاية الموقف، التناص، الإعلامية^(١)، وكل هذه المعايير هي التي تفرق النص عن اللانص، وتحقق نصية النصوص.

ويذهب محمد خطابي إلى أن ظاهرة التماسك في النصوص من أهم عناصر اللسانيات؛ لأن التحليل النصي يعتمد في الأساس على الترابط لتحقيق النصية من عدمها، فإذا ثبت ترابط النص اعترف له بالنصية^(٢).

وحتى يحكم على تماسك نص ما فلا بد من وجود آليات ومعايير تحكم اتساقه وتناسبه، وتعد الإحالة من أهم آليات وأسس النظام التركيبي للجملة، بل يستحيل فهم المعاني والدلالات الواردة في النص دون وجود هذا الترابط الإحالي، الذي يعمل على ربط أجزاء النص وتراكيبه، ويحقق البنية الكلية له، مع اختزال الخطاب اللغوي وتكثيفه؛ لذلك ولأهمية الإحالة بصفة خاصة، والتماسك النصي بصفة عامة في الدراسات اللسانية المعاصرة، بل حتى الدراسات النقدية كان هذا البحث الموسوم بـ(أثر الإحالة في التماسك النصي - مقارنة لسانية نصية في قصيدة عمر أبي ريشة (بنات شاعر)).

ولا تقتصر أهمية هذه الدراسة في أنها تقف على دور الإحالة في استمرارية المعنى وتكامله، لكن دراسة الإحالة في نص واحد للشاعر تعني دراسة الإحالة في شعره بأنواعه واتجاهاته وأساليبه.

١- ينظر: بو جراند، روبرت دي، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص١٠٣-١٠٥.

٢- ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص١٣.

مشكلة البحث وتساؤلاته: انطلقت إشكالية البحث من محاولة إيجاد علاقة بين الإحالة بوظيفتها في التماسك النصي وبين نص (بنات شاعر)، وهو ما فرض مجموعة من التساؤلات الجزئية، وأهمها: كيف يمكن إجراء الدرس اللساني والنقدي على النص الشعري؟ وكيف تسهم الإحالة في تحقيق التماسك النصي، وأيضاً في تعزيز الاختزال اللغوي في الفهم، ثم كيف تساعد الإحالة المتلقي في التنقل في فضاء النص ومعرفة مقاصده، وأي أنواع ووسائل الإحالة برزت في نص (بنات شاعر).

أسباب اختيار الموضوع:

- ١- بروز ظاهرة الإحالة في النص المدروس بشكل جلي.
- ٢- توظيف منهج لساني يتناسب وخصوصية النص.
- ٣- التجريب النقدي في استثمار منهج لساني نصي من شأنه إثراء الدرس النقدي بأدوات منهجية جديدة.
- ٤- تطبيق معطيات اللسانيات الحديثة على نص شعري، وبخاصة في ظل الاهتمام المتزايد باللسانيات النصية والانتقال من حيز الجملة إلى حيز الفضاء النصي.
- ٥- البحث في الإحالة بوصفها آلية لغوية، تنطلق من مستويات نحوية ومعجمية ودلالية، مما يسهم في قراءة النصوص قراءة منتجة.

أما هدف الدراسة فيمكن إجماله في الآتي:

دراسة الوظيفة الإحالية في نص (بنات الشاعر)، ومدى قدرتها على الربط بين مفاصل النص، واستقراء الدلالات النفسية والفنية للبنى الإحالية.

منهج البحث: المنهج اللساني النصي الذي يقوم على ركيزتين أساسيتين،

هما: الخلفية الفلسفية، والأدوات الإجرائية، فالخلفية الفلسفية تقوم على عدّ النص مرجعاً مكتفياً بذاته في إنتاج الدلالة، والانتقال من سلطة الخارج إلى سلطة الداخل، أي إلى سلطة البنية النصية، وإجرائياً يختبر الإحالة بوصفها أداة إجرائية في قراءة النص واستنباط المعنى، بما تحويه من مظاهر إحالية، كما استعان البحث بالمنهج الإحصائي لإحصاء آليات الإحالة، وإبراز أكثرها تأثيراً.

مادة الدراسة: استهدفت هذه الدراسة قصيدة (بنات شاعر) للشاعر (عمر أبو ريشة) وتقع في (٥٤) بيتاً من الشعر العمودي، وهو شاعر سوري من شعراء العصر الحديث، والنص رثاء للشاعر اللبناني (بشارة الخوري) الملقب بالأخطل الصغير، الذي بويح بإمارة الشعر بعد شوقي عام ١٩٦١م، وكان شاعراً للهوى والشباب، كما عرف بمواقفه الوطنية ضد الاحتلال العثماني ثم الفرنسي^(١).

الدراسات السابقة:

- ١- عمر أبو ريشة (حياته وشعره)، جميل علوش، مطبعة الرواد، بيروت، ١٤٩٤م.
- ٢- الصورة الفنية في شعر عمر أبو ريشة، عصام الدين أحمد، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان، ٢٠١٠م.
- ٣- البناء الفني في شعر عمر أبو ريشة، محمد الحيصه، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، عمان، ٢٠١١م.
- ٤- الجمالية الفنية والبنائية في شعر عمر أبو ريشة، يوسف مصطفى، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد كتاب العرب، مج ٤١، ع ٤٤٩، ٢٠١٢م.

١- ينظر: قميحة، مفيد محمد، الأخطل الصغير (بشارة الخوري) حياته وشعره، منشورات دار الآفاق الجديدة-بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ١٥٤-١٦٢.

٥- البنية الأسلوبية في ديوان عمر أبو ريشة، مروة سايبى، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر، ٢٠١٧-٢٠١٨ م.

هيكلية البحث: هذه الدراسة مقارنة لسانية نصية للوصول إلى تجليات التماسك النصي بواسطة الإحالة في نص (بنات شاعر)؛ ولذا فإن خطة البحث ستتكون من مقدمة يعرض فيها أسباب اختيار الموضوع وأهدافه وفرضيته ومنهجه البحثي والدراسات السابقة، ثم تمهيد يقدم فيه التماسك النصي مفهومه وآلياته، وبعد ذلك محوران:

المحور الأول: دراسة نصية تطبيقية على نص (بنات شاعر).

المحور الثاني: التفسير النقدي للإحالة.

ثم خاتمة تتضمن نتائج البحث، وأبرز التوصيات.

التمهيد: التماسك النصي (Textual cohesion) مفهومه وآلياته:

مصطلح التماسك مترجم عن الكلمة الإنجليزية (cohesion)، وقد وقع في ترجمته بعض الاختلاف؛ فكان من الصعب تحديد مصطلح واحد للتماسك، وذلك لتداخله مع مجموعة من المصطلحات، فقد ترجمه محمد خطابي إلى مصطلح (الاتساق)^(١)، أما سعيد بحيري فسماه (الترابط)^(٢)، ونجد أحمد عفيفي يستعمل أكثر من مصطلح في مقابل مصطلح (cohesion) وهي: (السبك - الربط - التضام)^(٣)، وهناك إشكالية أيضًا في التفريق بين مصطلحات تدل على التماسك الشكلي كالإتساق والسبك، ومصطلحات تدل على التماسك الدلالي كالانسجام والحبك، إلا أن «هناك من يرى أن إطلاق تسمية التماسك تجمع بين

١- ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص، ص ١٥.

٢- ينظر: بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص ١٢٢.

٣- ينظر: عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١ م، ص ٩٠.

هذين النوعين، أي التماسك الشكلي والتماسك المضموني^(١)، بمعنى التحام ظاهر النص مع باطنه، وبعبارة أخرى التحام شكله مع مضمونه، وعلى هذا الأساس فإن العلاقة بين التماسك الدلالي والتماسك الشكلي هي علاقة متداخلة، ومتواشجة في كثير من الأحيان، ولا ينبغي الفصل بينهما.

وبذلك تمثل العلاقات الدلالية والشكلية الواجب توافرها في كل نص المحدد الأساس والأهم لسمة الترابط؛ إذ تعد ضرورة لاتساق النص، وانسجامه، وتماسك وحداته اللغوية، بل ضرورة لتحقيقه سمة النصية، فإذا خلا النص «من هذه الأدوات سواء كانت شكلية أم دلالية فإنه يصبح جملاً متراصاً، لا يربط بينها رابط، ويصبح النص - إذا عددناه حينئذ نصاً - جسداً بلا روح»^(٢)، فهي التي تعمل متحدة على تحقيق سمة النصية فيه.

ويعرف محمد خطابي التماسك النصي بقوله: «هو التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص / خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية)، التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من الخطاب أو خطاب برمته، ومن أجل وصف اتساق الخطاب / النص يسلك المحلل / الواصف طريقة خطية متدرجاً من بداية الخطاب (الجملة الثانية فيه غالباً) حتى نهايته»^(٣)، وهذا يعني ربط عناصر النص في المستوى السطحي ليتحقق التماسك من خلال العلاقات والوسائل اللغوية والقرائن اللفظية.

وقد وافق خطابي في هذا المدلول سعد مصلوح الذي ترجم مصطلح التماسك إلى السبك، فرأى أن السبك يختص «بالوسائل التي تتحقق بها خاصية

١- البستاني، بشرى حمدي، وآخرون، في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، ع ١، مج ١١، ٢٠١١م، ص ١٨٤.

٢- الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ١ / ٩٣.

٣- خطابي، محمد، لسانيات النص، ص ٥.

الاستمرارية في ظاهر النص، ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها، أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها، أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الأوراق^(١).

آليات التماسك النصي:

من الضروري -قبل الحديث عن آليات التماسك النصي- أن نشير إلى أن هناك فرقاً بين معايير النص ووسائل التماسك النصي، فمعايير النص ذكرت سابقاً عند الحديث عن نصية النصوص، أما آليات التماسك النصي فهي الوسائل النحوية التي تعمل على الربط بين أجزاء النص ومكوناته، وتقديم المعنى عبر روية كلية متماسكة، لا تعتمد في تحليلها على الجملة.

وقد تعددت وسائل وروابط التماسك النصي بين الباحثين وعلماء لسانيات النص، غير أنهم اتفقوا على عدد منها وأهم هذه الوسائل التي تسهم في خلق النصية:

- ١- الإحالة (Reference) وتتضمن ضمائر الإحالة الشخصية، والأساسية المقارنة.
- ٢- الاستبدال (Substitution) ويتضمن الاستبدال الاسمي، والفعلية، والقولي.
- ٣- الحذف (Ellipsis) ويشمل الحذف الاسمي، والفعلية، وحذف الجملة.
- ٤- الوصل (Coordination) ويضم الوصل الإضافي، والاستدراكي، والاسمي، والزمني.

١- ^١مصلوح، سعد، نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، ع ١، ٢، مج ١٠، ١٩٩١م، ص ١٥٤.

٥- الاتساق المعجمي (Lexical Cohesion) ويشمل أشكال التكرار، والتضام.

أولاً: الإحالة: يعرف روبرت دي بو جراند الإحالة بأنها: «العلاقة بين العبارات، والأشياء، والأحداث، والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص»^(١)، فالإحالة هنا هي عبارة عن علاقة ذات مرتكزين: الأول هو المحيل، وأما الثاني فهو المحال إليه، وتحقق العلاقة بين هذين المرتكزين من خلال العناصر العائدة.

والإحالة أولى الوسائل وأهمها شيوعاً داخل النص، وقد حظيت باهتمام الباحثين في ميدان الدراسات اللسانية النصية، فكل لغة طبيعية تتوفر «على عناصر تمتلك خاصية الإحالة»^(٢).

وقد ذهب الباحثان هاليداي ورقية حسن إلى «أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها»^(٣)، بمعنى أن النص شرط وجودها^(٤).

وللإحالة أهمية كبيرة داخل النص كونها تقوم بدور الرابط بينها وبين ما تحيل إليه، سواء تقدم أو تأخر، ذكر في السياق أو قدر، وبهذا يمكن القول: إن الإحالة هي علاقة بين عنصر لغوي إحالي، وآخر إشاري لغوي أو خارجي، بحيث يتوقف تفسير الأول بالرجوع إلى الثاني الذي يحيل إليه فيوضح دلالاته ومعناه، شريطة أن يكون هناك تطابق دلالي بينهما.

١- بو جراند، روبرت دي، النص والخطاب والإجراء، ص ٣٢٠.

٢- خطابي، محمد، لسانيات النص، ص ١٧٠.

٣- المرجع نفسه، ص ١٦-١٧.

٤- ينظر: الزناد، الأزهر، نسج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م، ص ١١٨.

أنواع الإحالة:

الإحالة المقامية (إحالة خارج النص): (Exophora) وتسمى أيضاً الإحالة إلى غير مذكور، كما يسميها الدكتور (تمام حسان) ترجمةً لمصطلح (روبرت دي بو جراند) وهي تعود «إلى أمور تستنبط من الموقف، لا من عبارات تشترك معها في الإحالة في نفس النص أو الخطاب»^(١)، و«هي إحالة عنصراً لغوي إحالي على عنصراً إشاري غير لغوي، موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم»^(٢)، ولا بد في هذا النوع من الإحالة معرفة الأحداث، وسياق الحال، والمواقف التي تحيط بالنص.

الإحالة النصية (داخل النص): (Endophora) وتسمى الإحالة الداخلية وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ سابقة كانت أو لاحقة»^(٣)، وهذا يعني أن طرفي الإحالة العنصر المحيل والعنصر المحال إليه كلاهما موجود في النص.

وتنقسم الإحالة النصية إلى قسمين: قبلية وبعدية.

أولاً: الإحالة القبليّة (Anaphora): وهي إحالة العنصر الإحالي إلى عنصر سابق عليه، إذ «تعود على مفسر سبق التلفظ به، وهي أكثر الأنواع دوراً في الكلام»^(٤)، ووظيفة الإحالة القبليّة الإشارة لما سبق من ناحية، والتعويض عنه بعنصر آخر، فيكون النص في حالة تماسك.

ثانياً: الإحالة البعدية: (Cataphora) «وهي تعود على عنصر إشاري

١- بو جراند، روبرت دي، النص والخطاب والإجراء، ص ٣٣٢.

٢- الزناد، الأزهر، نسيج النص، ص ١١٩.

٣- المرجع نفسه، ص ١١٨.

٤- عفيفي، أحمد، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص ١١٧.

مذكور بعدها في النص ولاحق عليها»^(١).

وتتسع وسائل الإحالة وأدواتها لتشمل الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وأدوات المقارنة، وتعرف في الدراسات النصية الحديثة بالكنايات، أو الألفاظ الكنائية.

ثانياً: الاستبدال: هو «صورة من صور التماسك النصي، التي تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات، وهو عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، وصورته المشهورة إبدال لفظة بكلمات»^(٢) وهناك من أطلق عليه مصطلح الإبدال بدلاً من الاستبدال، وأدرجه ضمن أدوات التماسك الداخلية^(٣).

والاستبدال من الوسائل النصية التي تعمل على الربط والاتساق داخل النص، والعلاقة بين عنصري الاستبدال علاقة قبلية يشير فيها العنصر المستبدل به على عنصر سابق في النص، كما أن له خاصية الاستمرارية الدلالية «أي وجود العنصر المستبدل في الجملة اللاحقة»^(٤).

وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع: استبدال اسمي، وفعلي، واستبدال قولي.^(٥)

ثالثاً: الحذف:

الحذف علاقة نصية تتم داخل النص مع وجود قرينة تدل عليه في السابق،

- ١- المرجع السابق، ص ١١٧.
- ٢- بو قرّة، نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م، ص ٨٣.
- ٣- ينظر: الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١ / ١٢٠.
- ٤- عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص ١٢٣.
- ٥- ينظر: المرجع نفسه، ص ١٢٣-١٢٤.

وبذلك فهو علاقة قبلية، وهذا الأمر يقرره نعمان بوقرة بقوله: «يتحدد الحذف بأنه علاقة تتم داخل النص، فمعظم أمثله تبين أن العنصر المحذوف موجود في النص السابق، مما يعني أن الحذف ينشأ عن علاقة قبلية»^(١).

و «تتجسد فاعلية أسلوب الحذف في خلق توقعات غير منتظره للقارئ»^(٢)، تدفعه إلى «البحث عن تخريجات أو تأويلات لمثل هذه المحذوفات التي يراها أمامه»^(٣)، ولذلك يؤكد بعض الباحثين دور الحذف في تحقيق التماسك النصي «من خلال البحث عما يملأ الفراغ فيما سبق من خطاب، وبذلك يقوم متلقي للنص بعملية الربط التلقائي بين السياق الحالي، وما سبق من خطاب»^(٤).

أنواع الحذف: الحذف الاسمي، الحذف الفعلي^(٥)، وحذف الجملة^(٦).

رابعاً: الربط: من أهم الوسائل الاتساقية التي تؤدي إلى ترابط النص وتماسكه، والمراد بالربط «تحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم»^(٧)، وطالما أن النص هو عبارة عن متتالية جمالية متعاقبة خطأ إذن يتضمن عناصر متنوعة تصل أجزاء النص السطحية بعضها ببعض كي تدرك كوحدة متماسكة^(٨).

- ١- بوقرة نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ١٠٦-١٠٧.
- ٢- ربابعة، موسى، جماليات الأسلوب والتلقي-دراسات تطبيقية، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص١١٧.
- ٣- المرجع نفسه، ص١١٤.
- ٤- البطاشي، خليل ياسر، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، ص٧١.
- ٥- ينظر: عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص١٢٧.
- ٦- ينظر: المصري، محمد محمود، التماسك النصي في شعر عز الدين المناصرة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، كلية الآداب، اللغة العربية، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، ص١٢٦.
- ٧- خطابي، محمد، لسانيات النص، ص٢٣.
- ٨- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وقد تعددت حروف العطف في اللغة العربية واختلفت معانيها، ومجموعها تسعة: (الواو - الفاء - ثم - أو - لا - بل - لكن - أم - حتى)، وكل هذه الأدوات تسهم بشكل كبير في تحقيق التماسك النصي على مستوى النص وشكله، ويمكن تفسير التماسك الذي تحققه وتولده بطريقتين: «الأولى تحقيقها للربط كونها حلقة وصل بين أجزاء الخطاب المختلفة، وأما الثانية فتتمثل في تحقيقها لسمة الاختزال في الخطاب»^(١).

أنواع الربط: ربط يفيد مطلق الجمع، ويكون بـ (الواو)، وربط التخخير، ويكون بـ (أو)، وربط الاستدراك، ويمكن استخدام: (لكن - بل)، ربط التفريع: ويستخدم لذلك: (لأن)^(٢).

خامساً: التماسك المعجمي: من أهم مظاهر النص التي تؤدي إلى تماسك الأحداث من بداية النص حتى نهايته، حيث تتلاحم مفرداته ومعانيه وأجزائه، وتترابط دلالاته، ويتحقق ذلك التماسك المعجمي داخل النص من خلال وسيلتين هما: التكرار والتضام^(٣).

أولاً: التكرار: وهو شكل من أشكال التماسك المعجمي، يقوم على إعادة أو تكرار وحدة معجمية، سواء بلفظها، أو بمرادف لها، أو شبه مرادف، أو بوحدة مطلقة عامة^(٤).

ويجمع علماء اللسانيات على اعتبار التكرار عنصر من عناصر التماسك والاتساق داخل النص، وهو من الروابط التي تربط بين العلاقات اللسانية من خلال تحقيق مبدأ الاستمرارية والامتداد، وربط الوحدات الصغرى بالكبرى،

١- البطاشي، خليل ياسر، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص ١٨٥.

٢- ينظر: عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص ١٢٩.

٣- ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص، ص ٢٤.

٤- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فتحكم علاقات النص الجزئية، وتكتسب كثافة عالية، وكل هذا يفضي إلى تأكيد الخطاب وترسيخه.

أما أهم أنواع التكرار فقد قسمه جل الباحثين والدارسين إلى أربعة أنواع، وهي: التكرار التام، والتكرار الجزئي، وتكرار المعنى باختلاف اللفظ، وتكرار التوازي^(١).

ثانياً: التضام: ويطلق عليه التلازم العباري، أو «المصاحبة المعجمية»^(٢)، وهو من القرائن اللفظية التركيبية التي بين أجزاء النص، وقد ذكر (هاليداي ورقية حسن) أنه «أداة من أدوات التماسك المعجمية، وعرفاه بأنه: «توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة، نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك»^(٣) فتكون هذه العلاقة بالتضاد أو الترادف، وغيرها من العلاقات التي تكون بين الألفاظ بعضها وبعض»^(٤).

ومما سبق يعرف التضام بأنه «أزواج من الألفاظ متصاحبة دوماً، بمعنى أن ذكر أحدهما يستدعي ذكر الآخر ومن ثم يظهران دوماً معاً»^(٥).

وتنقسم علاقات التضام بحسب ما ذكره (هاليداي ورقية حسن) إلى: التباين بجميع درجاته (التضاد - المخالفة - التعاكس)، والدخول في سلسلة مرتبة، وكذلك علاقة الكل للجزء، والجزء للجزء، وأخيراً علاقة الاندراج في صنف عام^(٦).

- ١- ينظر: الراددي، زاهر مرهون، الترابط النصي بين الشعر والنثر، دار جريب للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ص ٥٤-٥٧.
- ٢- ينظر: عبد الحميد، جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، ١٩٩٨ م ص ٧٩.
- ٣- خطابي، محمد، لسانيات النص، ص ٢٥.
- ٤- ينظر: الفقي، صبحي إبراهيم، علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، ١/ ٤٢.
- ٥- جميل عبد الحميد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص ١٠٧.
- ٦- ينظر: المرجع نفسه، ص ١٠٨.

المحور الأول: الإحالة دراسة نصية تطبيقية في قصيدة بنات الشاعر.

تبين من خلال ما سبق أهمية الإحالة، ودورها في تعزيز العلاقات الموجودة في النص؛ حيث إن اللفظة لا تستقل بذاتها، وإنما تتمثل في عودة بعض عناصر الملفوظ على عناصر لفظية أخرى داخل السياق، وتنسجم هذه الوسيلة اللغوية مع قانون الاقتصاد اللغوي، الذي يمكن الشاعر من اختزال خطابه اللغوي وتكثيفه، «إذ تختصر هذه الوحدات الإحالية العناصر الإشارية، وتجنب مستعملها إعادتها وتكرارها»^(١)، وقد قامت الإحالة في قصيدة (بنات الشاعر) بدور فعال في اتساق النص وترابطه، ويمكن تصنيف عناصر الإحالة في النص كما يلي:

١- الضمائر: والضمائر من أكثر العناصر الإحالية شيوعاً في أي نص؛ لأنها تنوب عن الكلمات، والعبارات، والجمل المتتابعة، ولها وظائف متعددة حسب موقعها من الجملة، ومن بين وظائفها أنها تؤدي دوراً بارزاً في ربط أجزاء النص بعضها ببعض^(٢)، بمعنى أن الضمير هو الذي يجمع ما تناثر من عبارات وجمل ليصل بينها لتكون مع غيرها من أدوات الاتساق نسيجاً نصياً عالياً.

والضمير لا يكتسب وظيفته إلا من خلال وجوده في التركيب، وهو في عرف النحاة «ما وضع لتكلم، أو مخاطب، أو غائب تقدم ذكره لفظاً، أو معنى، أو حكماً»^(٣).

ويقسم الضمير إلى أقسام متعددة، وحسب اعتبارات مختلفة، فبحسب معناه ينقسم إلى (ضمائر المتكلم، وضمائر المخاطب، وضمائر الغائب)، وبحسب استعماله ينقسم إلى قسمين: (مستتر وبارز)، فالأول هو الذي لا يذكر

١- الأزهر الزناد، نسيج النص، ص ١٢١.

٢- ينظر: الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١/ ١٣٧.

٣- الرضي، محمد بن الحسن، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: يحيى بشير المصري، الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة الإمام، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ١/ ١١١.

في الكلام، ويقدر تقديرًا، أما الثاني فالذي يذكر في الكلام، وينقسم بحسب لصوقه إلى (منفصل ومتصل).

وقد كانت الضمائر من أهم وسائل الإحالة في نص بنات شاعر؛ إذ تغلبت على غيرها، فقد بلغت عدد الإحالات الضميرية (١٧٤) من أصل (١٨٦) إحالة، وتنوعت الضمائر الموظفة في النص على النحو الآتي:

أولاً: الإحالة بضمير الغائب: وهو أكثر الضمائر غموضاً، ويحتاج للتوضيح والتفسير، وضمائره هي: «هو - هي - هما - هم - هن - إياه - إياها - إياهما - إياهم - إياهن - والهاء، نحو: رأيتها ورأيتها، والألف، نحو: قاما، والواو، نحو: قاموا، والنون، نحو: قمن»^(١)، وتعد الإحالة بضمير الغائب إحالة إلى داخل النص، وقد بلغت الإحالة بضمير الغائب (١٢٩) من أصل (١٨٦) إحالة، وهذا يعني تواجد ضمائر الغائب بكثرة، واقتصرت الإحالة على (هو - هي - هم)، وقد تمحور الخطاب حول ذوات معينة هي: (المرثي - قصائده - الطواغيت - جيل المقاومة)، وأكثر هذه الإحالات لقصائد المرثي، التي لا تعلم بموت صاحبها، فهي تغني في كل مكان، كناية عن انتشارها وذيوها، وكأنما هي حياة ثانية للمرثي، فهو لم يميت، كما أنها تعيش حالة من المثالية والأناقة والجمال، وهذا أيضاً كناية عن تألقها وعبقورية مبدعها، مع انتشار ذوات أخرى لها دلالة ال (هي) كالطبيعة التي افتقدت المرثي، والحسناوات اللواتي تأثرن بصرخات المرثي، فهن يرخصن كل شيء فداء للوطن، والشاعر يستعين في كل هذا بالرسم بالشعر من خلال هندسة الصور المبتكرة التي امتدت طوال النص، ثم يأتي المرثي في المرتبة الثانية؛ إذ يصف الشاعر بطولات الخوري في محاربة الاحتلال، كما يتخذ منه الشاعر وسيلة للحديث عن نفسه بصيغة الغائب، فيبكي حاله، ويشكو زمانه بعدما كبر

١ - الفضلي، عبد الهادي، مختصر النحو، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط٧، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ص٤٤.

سنه وضعف حاله، وحالت الأيام بينه وبين تحقيق آماله، والأقل في هذه الإحالات من نصيب الأفاقين الذين يتاجرون بقضايا أمتهم، وهؤلاء يمثلون مرتكزاً مهماً في رثاء المرثي؛ وحضورهم يأتي لإثبات أن للمرثي قضية، ومبدأ، ورسالة سامية، في محاربة المحتل، فقد كان من أقوى أصوات النضال، والمقاومة في وقت كان الحكم العثماني يقرر عقوبة الإبعاد للمناضلين^(١)، ومثال الإحالة بضمير الغائب (هي) التي وردت (٦٥) مرة، قول الشاعر

تَيْتَمْتُ وَهِيَ لَا تَدْرِي وَنَشَوْتُهَا مِنْ كُلِّ عُنُقُودٍ ذَكَرَى كُنْتُ تَعْتَصِرُ
رَوَاقِصٌ تَحْمِلُ السُّلُوبَ وَتَسْكِبُهَا وَلَيْسَ تَعْلَمُ مَا الدُّنْيَا وَمَا الْقَدْرُ
عَلَى تَأْوُدِهَا الْإِغْرَاءُ مَنْتَفِضٌ وَفِي تَلْفُتِهَا التَّحْنَانُ مِنْهُمْ
عَنْ قِصَائِدٍ (بِشَارَةَ):^(٢)

يتشكل العنصر الإشاري في النص السابق من الضمير المستتر (هي) في: (تيتمت - تدري - تحمل - تعلم)، والمتصل (الهاء) في: (نشوتها - تسكبها - تأودها - تلفتها)، والمنفصل (هي)، محققاً بذلك إحالة نصية قبلية؛ إذ ارتبط العنصر الإحالي في هذه الإحالات بالعنصر الإشاري السابق له، فتوضحت دلالته وزال الغموض عنه، فقامت هذه الضمائر بوظيفة الربط؛ «لأن المضمرات وضعت نائبة عن غيرها من الأسماء الظاهرة لضرب من الإيجاز والاختصار»^(٣).

أما ضمير الغائب (هو) فقد ورد (٤٤) إحالة، ومثاله قول الشاعر^(٤):

يَارَاقِدًا فِي حَمَى النُّعْمَى وَمُضْجِعِهِ مَا زَالَ يَنْدَى عَلَيْهِ الْعَشْبُ وَالزَّهْرُ

١- ٥٥ انظر: قميحة، مفيد محمد، الأخطل الصغير (بشارة الخوري) حياته وشعره، ص ١٥٥.

٢- أبو ريشة، عمر، الديوان، دار العودة، بيروت، د. ط، ١٩٩٨ م، ١/ ٦٧-٦٨.

٣- ابن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د. ط، د. ت، ٣/ ٩٢.

٤- أبو ريشة، عمر، الديوان، ص ٧٤.

نجيُّك اليوم من أزرى الزمانُ به وردّه عن مدى آفاقه الكبرُ
 جناحُه بعدما طال المطافُ به مخضَّبٌ من شظايا الشهب منكرُ
 يمشي الهويْنَا على صحراء رحلته وصحبُه الليل والأشباح والسهرُ

العنصر الإشاري (الشاعر)، ويحيل عليه بالعنصر الإحالي ضمير الغائب المتصل، (مضجعه - عليه - به - آفاقه - جناحه - رحلته - صحبه - أزرى - يمشي)، وجميع هذه الإحالات إحالات نصية قبلية، أسهمت في ربط ما قبلها بما جاء بعدها.

كتائبٌ بالنضال الحق مؤمنةٌ إذا الطواغيتُ من إيمانها سخروا
 إن خوطبوا كذبوا، أو طولبوا غضبوا أو حوربوا هربوا، أو صوحبوا غدروا
 خافوا على العار أن يحيى فكان لهم على الرباط، لدعم العار، مؤتمرُ!
 على أرائكهم سبحان خالقهم عاشوا وما شعروا، ماتوا وما قبروا

وتأتي الإحالة بضمير الغائب (هم) في (٢٠) إحالة، وهذا التنوع في استدعاء الإضمار، والاحتفاء به يجسد قيام الخطاب على التنوع والتلوين، ومن أبرز ما يمكن الاستشهاد به قول الشاعر^(١):

هذا النص يتضمن (١٧) ضميراً، (١٤)، منها (واو الجماعة)، و(٣) ضمائر الغائب (هم)، وكلها تعود على الطواغيت، الذين يشكلون محور هذا المقطع، فهم كذابون - جنباء - غدارون...، والضمائر هي التي أسهمت في ربط هذه المعاني بالطواغيت، محققاً إحالة نصية قبلية، وكلها إحالات أدت إلى تماسك المقطع وترابطه.

١ - أبو ريشة، عمر، الديوان، ص ٧٧.

ثانياً: الإحالة بضمير المتكلم: وتعد الضمائر الدالة على المتكلم إحالة إلى خارج النص، وقد وردت ضمائر المتكلم (٢٣) مرة، والمقصود بالمتكلم منشئ الخطاب / النص، وهو من العناصر الرئيسة في عملية التواصل، و«بدون المرسل لا يكون للغة فاعلية»^(١)، وضمائره هي: أنا، إياي، إيانا، الياء نحو كلمني، و(نا) نحو نظرنا إليه، والتاء نحو قمت.

ويلحظ أن أبا ريشة استعمل ضمائر المتكلم (- تاء المتكلم - نحن - ياء المتكلم) للإحالة إلى خارج النص، وكانت عائدة على الذات المتكلمة التي هي الشاعر نفسه؛ لأنها تمثل أحد عناصر المقام الرئيسة، بل «هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معينة»^(٢)، وقد ارتكزت الذات المتكلمة على عدد من المحاور: كمشاعر الشاعر تجاه المرثي، وقسوة الغياب، وموقفه الوطني تجاه قضايا أمته، ثم كبريائه وإبائه تجاه دنياه التي جرعته المرارة فما عثر ولا هان، وقد برزت ضمائر المتكلم في النص على نوعين:

١- الإحالة بضمير المتكلم (ياء المتكلم - تاء المتكلم): ووردت في النص (٣) مرات، ومثالها قوله^(٣):

عفوًّا، بشارة، بعض البوح ضقتُ به فسال فوق فمي، حرَّان، يستعُرُ
خنقتُ بالدمعة الخرساء أكثره وأقتلُ الدمع ما لا يلمح البصرُ

استعان الشاعر بضمير المتكلم في (بحت - فمي - خنقت) في خلق عدد من الإحالات، وكلها إحالات خارجية عادت على الشاعر نفسه، الذي يصور

١- الشهري، عبد الهادي ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص٤٥.

٢- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

٣- أبو ريشة، عمر، الديوان، ص٧٨.

مشاعره تجاه المرثي، والحسرة التي ألمت به لفقده، وقد أسهمت هذه الإحالات في ترابط النص وتلاحمه، ووصله بالعالم الخارجي.

٢- الإحالة بضمير المتكلم (نحن- ونا المتكلمين): وردت (٢٠) إحالة، ما بين ضمير متصل ومنفصل، وإن كانت الغالبية للمتصل، ومن أمثلة الإحالة إلى الضمير المتصل قوله معتداً بنفسه^(١):

رمى بنا القفر، وافتضَّ السرابَ به	فأين - لا أين - منه الورْدُ والصدْرُ
خصاصة العيش مامت لنا يدها	إلاَّ وأقدامنا من سعيِنا حُمُرُ
فكم عثرنا ولم تعثرْ إباءتُنا	وكم نهضنا ولم يشمتْ بنا خورُ
وكم لدى صلفِ الحرمان من غصصٍ	نمنا عليها ولم تُكشِفْ لنا سترُ

يحيل الشاعر إلى عنصر إشاري خارج النص، وهو المتكلم نفسه في (بنا - لنا - أقدامنا - سعيِنا - عثرنا - إباءتُنا - نهضنا - نمنا)، وهو يشترك في هذا العنصر الإشاري مع أبناء قومه، وذلك باستخدامه لضمير الجمع المتصل، وقد حقق هذا الضمير إحالة خارجية مقامية.

وقد ينوع بين ضمير المتكلم الجمعي المتصل، والمنفصل في إحالة خارجية مقامية، على

نحو قوله، واصفاً قصائد المرثي^(٢):

ونحن من حولها أنضاءً غربتنا	وأنت عنا وراء الغيب مستترُ
نُبدي لها غير ما نخفي ولو عتتنا	تكاد في صمتها للشوق تعتذرُ

١- المرجع نفسه، ص ٧٠.

٢- المرجع السابق، ٦٨.

يخاطب الشاعر صديقه الأختل مستعملاً ضمير المتكلم المنفصل (نحن)،
عنصرًا إحصاليًا موجودًا في النص، ليحيل به إلى عنصر خارج النص (غربتنا - عنا
- نبدي - نخفي - لوعتنا) وكلها إحصالات خارجية، ربطت النص بمنشئه، والعالم
الخارجي المحيط به.

ثالثًا: الإحصالة بضمير المخاطب: والمقصود بالمخاطب السامع أو الحاضر
فلا إشكال في مرجعه، إنما قد يراد بالمخاطب العموم، فيشمل من يأتي بعده، بل
يصلح للمخاطبة بمثله، وفي عملية: التواصل يعد «المرسل إليه هو الطرف الآخر
الذي يوجه إليه المرسل خطابه عمدًا»^(١)، وتتمثل ضمائره في: «أنت - أنت - أنتما
- أنتم - أنتن - إياك - إياك - إياكم - إياكن، والكاف نحو رأيتك
- والتاء، نحو قمت، والألف نحو: اكتبا - والواو، نحو: اكتبوا، والياء، نحو:
اكتبي - والنون، نحو اكتبين»^(٢).

وقد وردت ضمائر المخاطب في النص (٢٢) مرة، وتنوعت ما بين متصلة
ومنفصلة، وقد مثل المرثي الذات الوحيدة في خطاب الشاعر، ولم يخرج عنها
أبدًا، وهو في خطاب (الخوري) بين حالتين: الأولى الفخر بالمرثي وتخليد ذكره،
والثانية شكوى حاله وزمانه، ومن أمثلة الإحصالة بضمير المخاطب قول الشاعر
مخاطبًا (الخوري)^(٣):

ندُّيكُ السَّمحُ لم يُخنقْ له وَتَرُّ ولم يغبُ عن حواشي ليله سَمْرُ
بناتٌ وحيكُ في أرجائه زَمْرُ يهزها المترفان الزهو والخفْرُ
غَنَّتْ وَغَنَّتْ فدنياك التي طويتُ منشورةٌ يجتليها السمعُ والبصرُ

١- الشهري، عبد الهادي ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص ٤٧.

٢- الفضلي، عبد الهادي، مختصر النحو، ص ٤٤.

٣- عمر أبو ريشة، الديوان، ص ٦٧، ٧١، ٧٣.

تعال نسرْحُ على أدنى ملاعبها فقد تحنُّ إلى مرآتها الصُّورُ
وما عليك إذا ما الزورةُ اختصرتُ بعضُ الريحِ ببعضِ العطرِ يُختصرُ
وخلفَ هذي الرُّبى تهفو إليك رُبىً بين الفراتِ وبين النيلِ تنتشرُ
أذاكُرُ يومَ روادُ الجمالِ بها لفوا جبينك بالغار الذي ضفروا
على شهىِّ روى لقياك مطبقةً أجفانها فهي تستجدي وتنتظرُ
حملتَ أشجانها الحرى فما شهقتُ إلّا وراحتُ إلى نجواك تغتفرُ
أحطتَ في رقة الرهبان جمعهم كما أحاط بعقد الأنجم القمرُ
وأنت تكتم عنهم ما تكابده تموتُ وهي على أقدامها الشجرُ

العنصر الإحالي الضمير المتصل (الكاف) الذي هو للمذكر في (نديك - وحيك - دنيك - عليك - إليك - جبينك - لقياك - نجواك)، يحيل به الشاعر إلى العنصر الإشاري المرثي (الأخطل الصغير)، والأمر ذاته ينطبق على الضمير المنفصل (أنت)، والضمير المتصل في (أحطت - حملت)، والمستتر (تعال - أذاكر - تكتم)، وكلها إحالات مقامية تحيل إلى المرثي في مقامه قبل وفاته.

وقد عملت كل هذه الإحالات بضمير المخاطب على توسيع دلالة النص، وربطه بسياق المقام الخارجي؛ مما ساعد المتلقي على بناء الفضاء النصي الذي كونه هذه الإحالات.

٢- الإحالة الإشارية: وهي من وسائل التماسك النصي الرئيسة، «تقوم بالربط القبلي والبعدي»^(١)، ولا تختلف أسماء الإشارة والأسماء الموصولة من حيث قدرتها على تحقيق الترابط النصي عن الضمائر، وقد أطلق عليها النحاة

١- خطابي، محمد، لسانيات النص، ص ١٩.

اسماً خاصاً هو المبهمات؛ «لوقوعها على كل شيء من حيوان، أو نبات، أو جماد، وعدم دلالتها على شيء معين مفصل، مستقل؛ إلا بأمر خارج عن لفظها، فالموصول لا يزول إبهامه إلا بالصلة...، واسم الإشارة لا يزول إبهامه إلا بما يصاحب لفظه من إشارة حسية»^(١)، فكل منهما يحتاج إلى عنصر يتعلق به ليزول غموضه وتتضح دلالاته، وتستخدم في التكثيف؛ لأنها تشير إلى عدد كبير من الأحداث، فتفيد الاختصار، وتعمل على تحقيق التماسك النصي، وربط أطراف النص المتباعدة.

ويذهب الباحثان هاليداي ورقية حسن إلى أن هنالك عدة إمكانات لتصنيف أسماء الإشارة، فهي تصنف وفق الظرفية الزمانية (الآن، غدا...)، أو وفق الظرفية المكانية (هما، هناك، هنالك...)، أو وفق الانتقاء (هذا - هؤلاء...)، أو وفق البعد (ذاك - تلك...)، أو القرب (هذه، هذا...)^(٢).

وقد بلغت عدد الإحالات بأسماء الإشارة في النص المدروس مرتين فقط، من أصل (١٨٦) إحالة، ولم ترد الإحالة إلا باسم الإشارة (هذي) الدال على القرب، وذلك في قول الشاعر مصوراً اشتياق الكون للمرثي^(٣):

وخلفَ هذي الربِّي تهفو إليك رُبِّي بين الفرات وبين النيل تنتشرُ

وينطبق على اسم الإشارة ما ينطبق على الضمائر من إمكان أن تكون الإحالة إلى عنصر واحد، أو شخص واحد، أو أي شيء آخر، أو أن تكون الإحالة إلى أشياء متعددة، وقد أحال الشاعر اسم الإشارة (هذي) إلى عنصر إشاري متأخر واحد هو (الربِّي)، ليحقق بذلك إحالة نصية بعدية، تزيل إبهام اسم الإشارة، فلو لم يكن العنصر الإشاري المفسر (الربِّي) موجوداً لاختل المعنى وداخله الغموض،

١- حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط٣، د.ت، ١/ ٣٣٨-٣٣٩.

٢- ينظر: خطابي، محمد، لسانيات الخطاب، ص ١٩.

٣- المرجع نفسه، ص ٧٣.

واختيار المنشئ لاسم الإشارة هنا يقع لمقاصد تخاطبية، هي كمال العناية بالمرثي، والرفع من شأنه بتضخيم نوع من يشناق إليه.

وعلى غرار الإحالة السابقة يقول أبو ريشة واصفاً حال قصائد الشاعر بعد موته^(١):

لم يبلغ الخبرُ الناعي مسامعها عن مثل هذي اليتامى يُكتم الخبرُ!!

وهكذا قامت الإحالة الإشارية بالوظيفة ذاتها التي يقوم بها الضمير من تماسك النص، وتأتي أهمية هذه الإشارة من أن المرسل قد استغنى عن إعادة الوحدة النصية باستخدام الإحالة (هذي) فقام اسم الإشارة مقام النص المتأخر عليه.

٣- الإحالة الموصولية: وهي من وسائل التماسك الإحالية؛ إذ تقوم بالربط القبلي والبعدي، وقد سميت بالأسماء الموصولة لأنه يلزمها كلام بعدها هو من تمام معناها، والاسم الموصول عند النحاة هو الاسم الذي «لا يتم بنفسه، ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسماً، فإذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة، يجوز أن يقع فاعلاً ومفعولاً ومضافاً إليه ومبتدأً وخبراً»^(٢).

وقد سميت الأسماء الموصولة بذلك؛ لأنها أسماء مبهمة تحتاج إلى ما يزيل إبهامها، وهذا ما يجعلها دائمة الربط بعنصر آخر يزيل غموضها، فالموصول وحده اسم ناقص أي ناقص الدلالة، ولا «يتم حتى تصله بكلام بعده تام، فيصير مع ذلك الكلام اسماً تاماً بارزاً»^(٣).

ويقسم النحاة الأسماء الموصولة إلى قسمين: مختصة ومشتركة، أما المختصة فهي «ما كان نصاً في الدلالة على بعض الأنواع دون بعض، مقصوراً

١- المرجع السابق، ص ٦٩.

٢- ابن يعيش، أبو البقاء بن علي، شرح المفصل، ٣/ ١٣٨.

٣- المرجع نفسه، ٣/ ١٥٠.

عليه وحده»^(١)، فللمذكر ألفاظ خاصة به، وللمفردة المؤنثة ألفاظ خاصة بها، وكذلك المثني بنوعيه، والجمع بنوعيه، ومن أشهر الألفاظ المختصة: (الذي - التي - اللذان - اللتان - الألى - الذين - اللات - اللاتي)^(٢).

والقسم الثاني: الأسماء الموصولة المشتركة، وهي تصلح لجميع الأشياء، وليس مقصوراً على بعضها، كما في القسم الأول، ولا تتغير صورته مهما تغيرت الأنواع التي يدل عليها^(٣)، وأشهر ألفاظه: (من)، وأكثر استعمالها للعاقل، و(ما)، وأكثر استعمالها في غير العاقل، و(أل)، وتكون للعاقل وغيره، مفرداً وغير مفرد، و(ذا)، وتكون للعاقل وغيره، مفرداً وغير مفرد^(٤).

والإحالة بالأسماء الموصولة مما اتخذها الشاعر وسيلة لتوضيح مقصده وتصوير أحاسيسه تجاه المرثي، غير أنها لم ترد سوى (٨) مرات، من (١٨٦) إحالة، ومثالها قول أبي ريشة مصوراً حنيناً قصائد المرثي إليه^(٥):

نُبدي لها غير ما نخفي ولو عتُنا تكاد في صمتها للشوق تعتذرُ

يقوم الاسم الموصول بعملية الإحالة من خلال استحضر المحال إليه في ذهن المتلقي، ووسيلته في ذلك جملة الصلة (نخفي)، وذلك لغرض بلاغي هو المبالغة والتهويل، فما يخفيه الشاعر من حزن وألم لفقد المرثي، أعظم بكثير مما يبيده، وفي هذا تحريض للعقل على التصور الواسع متعدد الدلالات، وبهذا يتميز الاسم الموصول في إحالاته بما يمكن أن نسميه الإحالة الموسعة متعددة الدلالات، بل منفتحة الدلالات.

١- حسن، عباس، النحو الوافي، ١/ ٣٤٢.

٢- ينظر: المرجع نفسه، ١/ ٣٤٣-٣٤٦.

٣- ينظر: المرجع نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

٤- المرجع نفسه، ١/ ٣٤٨-٣٥٨.

٥- المرجع نفسه، ١/ ٦٨.

ويقول في موضع آخر وفي إحالة جديدة بالاسم الموصول يشكو حاله^(١):

نجيُّك اليوم من أزرى الزمان به وردّه عن مدى آفاقه الكبرِ

٤- الإحالة بالمقارنة: الوسيلة الرابعة من وسائل الاتساق الإحالية، وهي

إحالة غير مباشرة، وتعني وجود عنصرين، يقارن بينهما، وتقوم على المطابقة والتشابه، وتعتمد على ألفاظ، مثل وصف الشيء بأنه شيء آخر، أو يماثله، أو يوازيه، وبعضها يقوم على المخالفة، كأن تقول يضاد، أو يعاكس، أو آخر، أو أفضل، أو أكبر، أو أجمل، وتتميز ألفاظ المقارنة بأنها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها، وهو ما يجعلها وسيلة من وسائل التماسك؛ ولذا فمن الضروري عند ورود هذه الألفاظ أن ينظر المخاطب إلى غيرها بحثاً عما يحيل عليه المتكلم.

وتتفرع المقارنة إلى قسمين:

١- مقارنة عامة: ويتفرع منها التطابق والتشابه، ومن أمثلتها: (مثل، نفس، غير، كاف التشبيه، كم)^(٢).

٢- مقارنة خاصة: ويتفرع منها مقارنة كمية ومقارنة كيفية، ومن أمثلتها: (أكثر، أفضل، أجمل...) ^(٣). على أن الشاعر أباريشة لم يعتمد عليها اعتماداً رئيساً في صناعة تماسك قصيدته النصي، فلم ترد سوى مرتين من أصل (١٨٦) إحالة، وكانت كاف التشبيه وسيلته في الموضع الأول، يقول^(٤):

أحطت في رقة الرهبان جمعهم كما أحاط بعقد الأنجم القمرُ

استخدم الشاعر أداة المقارنة (كاف التشبيه) ليربط بين التركيبين، فهو يشبه

١- ينظر: خطابي، محمد، لسانيات الخطاب، ص ٧٥.

٢- المرجع نفسه، ص ١٩.

٣- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

٤- المرجع نفسه، ص ٧٤.

التفاف المرثي على قصائده، وعنايته بها بالقمر المحاط بالأنجم، وبذلك ربط بين الجملتين (جملة المشبه والمشبه به)، ووثق الترابط النصي بينهما.

ومن مواضع الإحالة بالمقارنة توظيف اسم التفضيل (أقتل) في قوله مخاطباً المرثي، وواصفاً بوجه الذي ضاق به^(١):

خنقتُ بالدمعة الخرساء أكثره وأقتلُ الدمعُ مالا يلمح البصرُ

قامت أداة المقارنة (أقتل) بوظيفة اتساقية من خلال ربط الجملة الثانية بالأولى، لأنه لا يكون الشيء أقتل وأفجع إلا بالموازنة بشيء آخر، وحتى نقف على هذا الشيء الآخر فلا بد من العودة إلى ما سبق لمعرفة ما يؤلم الشاعر، وهكذا يتحقق الترابط النصي «والملاحظ أن أدوات المقارنة أضعف من غيرها من وسائل التماسك الإحالية السابقة (الضمائر وأسماء الإشارة) من حيث توажدها في النصوص، أو من حيث تحقيقها للاتساق النصي، لكن هذا لا ينفي وظيفتها في تحقيق ترابط أجزاء النص بعضها ببعض»^(٢).

المحور الثاني: التفسير النقدي للإحالة:

أولاً: وظف الشاعر الإحالة الضميرية بصورة أوسع من غيرها من العناصر الإحالية الأخرى، وبذلك أسهمت الضمائر في ربط أجزاء النص وتماسك نسيجه، والجدول الآتي يبين نسبة ورود كل من عناصر الاتساق الثلاثة، مع الإشارة إلى أن الدراسة عدت الضمير المستتر نوعاً من الضمير المتصل فألحقته به، وهذا بحسب ما ارتأه بعض النحاة^(٣):

- ١- خطابي، محمد، ص ٧٤.
- ٢- توهامي، الزهرة، الإحالة في ضوء لسانيات النص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، المركز الجامعي، البويرة، معهد الآداب واللغات، قسم اللغة العربية والأدب العربي، ٢٠١٠م-٢٠١١م، ص ٦٨.
- ٣- ينظر: حسن، عباس، النحو الوافي، ١/ ٢١٩.

النسبة المئوية	التكرار	وسائل الاتساق الإحالية
٪٩٣،٥	١٧٤	الضمائر (المتصلة والمنفصلة)
٪١،١	٢	أسماء الإشارة
٪١،١	٢	أدوات المقارنة
٪٤،٣	٨	الأسماء الموصولة
٪١٠٠	١٨٦	المجموع

ثانياً: للضمير أهمية في اللغة العربية يغني عن تكرار الكلمات مما يعد اختصاراً للوقت وأقرب للخفة، مع دفع السأم عن القارئ، والجدول الآتي يظهر الضمائر ومدى وجدها في النص بنوعها المتصل والمنفصل، ودرجة تكرارها، ونسبتها المئوية:

النسبة المئوية	التكرار	نوع الضمير
٪٩٧،١	١٦٩	الضمائر المتصلة
٪٢،٩	٥	الضمائر المنفصلة
٪١٠٠	١٧٤	المجموع

ورجوعاً إلى الجدول السابق يتضح ما يلي:

- ١- شيوع الضمائر المتصلة، التي لا تستقل بذاتها، وإنما تتصل بغيرها من الأسماء والأفعال والأدوات، وهذا يعني استمرارية الالتصاق والتماسك داخل النص، وتحقيق اللحمة بين روابطه.
- ٢- قلة الضمائر المنفصلة، التي تستقل بذاتها ولا تتصل بغيرها، مما يخفف من استقلالية العلائق اللفظية، ويعطي مساحة أكبر لانتشار الضمائر المتصلة.

و يمكن تفسير شيوع الضمائر المتصلة بالآتي:

١- رغبة الشاعر في الاختصار، وهو ما عرف عند العرب الذين «لم يعدلوا عن استعمال المتصل إلا عند تعذره»^(١)، فالضمير ينوب عن الكلمات والعبارات والجمل المتتالية، ويقوم بوظيفة الربط بين أجزاء النص، فيحدث نوعاً من التوازن والانسجام بين عناصر النص، كما يسهم في تشكيل المعنى وإبرازه، وبناء على ذلك كان الضمير من أهم وسائل التماسك.

٢- الضمائر المتصلة تحمل المعاني بصورة أبلغ من المنفصلة، ولها أثر في إيضاح المعنى وتقويته، وتوكيده في ذهن المتلقي.

ثالثاً: تنوعت الضمائر الواردة في النص ما بين ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب، وقد توزعت بحسب مقتضيات السياق ومقصدية الشاعر، وأسهمت في اتساق النص وإبراز جمالياته الشعرية، ووجود هذا الكم الكبير من الضمائر يوحي بقوة اللحمة اللغوية في المشهد الشعري للنص، الذي أدى إلى مد شبكات من التواصل بين أركان التركيب دون إطالة لا داعي لها، وقد كان للضمير في كل ذلك عملاً بلاغياً، فإذا عرفنا أن من تعريفات البلاغة الإيجاز، فالضمير يمثل ذلك بعدم التكرار للعبارات، ويؤدي عملاً دلاليًا تواصلياً حين يشرك المتلقي ويدخله جو النص.

١- العابدي، حسين راضي، من التماسك النصي في سورة يونس، مجلة جامعة الأزهر، غزة، ٢٠١٣م، ع ٢٤، مج ١٥، ص ٤٢.

والجدول الآتي يبين أنواع الضمائر ونسبة تكرارها:

النسبة المئوية	التكرار	أنواع الضمائر
٪٧٤،٢	١٢٩	ضمائر الغيبة
٪١٣،٢	٢٣	ضمائر المتكلم
٪١٢،٦	٢٢	ضمائر المخاطب
٪١٠٠	١٧٤	المجموع

ومن خلال استقراء الجدول السابق يتضح شيوع ضمائر الغيبة أكثر من غيرها، فالشاعر يتخذ منها ستاراً لبت تجربته، ولإيصال أفكاره، وقد استوعبت في النص السابق كل القضايا والمضامين التي أراد الشاعر التعبير عنها، كما أن ضمائر الغيبة تأتي معبرة عن جميع عناصر التجربة عاقلة أو غير عاقلة، أما ضمائر المتكلم والغيبة فلا تعبر غالباً إلا عن عاقل مدرك، ويرى محمد الشاويش أن الإحالة في ضمائر الغائب تكون «إحالة مقالية، ولا يمكن أن تكون إحالة مقامية، وبالتالي فهي تساهم دوماً في تحقيق تناسق النص، أو بعبارة أخرى يكون مفسرها مقالياً دائماً، لأنها تربط دائماً لاحقاً بسابق»^(١).

رابعاً: تنوعت الإحالة ما بين نصية داخلية بنوعها القبلي والبعدي والإحالة المقامية الخارجية، وقد أسهمت الأولى في تشكيل البناء الداخلي للنص وربط مكوناته، أما الثانية فعملت على إحداث علاقة بين النص والسياق الخارجي، وقد جاءت الإحالة النصية الداخلية أكثر من الإحالة الخارجية.

١- الشاويش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، مكتبة الأدب المغربي، تونس، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ١/ ١٢٧.

والجدول الآتي يبين عدد ورود كل من الإحالة النصية والمقامية ونسبة ورودهما:

النسبة المئوية	التكرار	نوع الإحالة
٪٦٩،٩	١٣٠	الإحالة النصية
٪٣٠،١	٥٦	الإحالة المقامية الخارجية
٪١٠٠	١٨٦	المجموع

خامساً: غلبت الإحالة النصية القبلية على الإحالة النصية البعدية؛ وهذا يتفق وطبيعة اللسان العربي، بل «هي الأكثر شيوعاً في الخطاب»^(١) بشكل عام؛ فغالباً ما تكون مرجعية الكلام سابقة وهذا هو المؤلف، وقليل ما ترد مرجعية بعدية لاحقة، والجدول الآتي يبين عدد ورود كل من نوعي الإحالة النصية والنسبة المئوية لكل منهما:

النسبة المئوية	التكرار	نوع الإحالة النصية
٪٩٣،٨	١٢٢	الإحالة النصية القبلية
٪٦،٢	٨	الإحالة النصية البعدية
٪١٠٠	١٣٠	المجموع

يظهر بوضوح ميل الشاعر إلى استخدام الإحالة القبلية، لقدرتها على الربط بين الأحداث والمواقف، واتخذ منها الشاعر وسيلة تساعد على التغني بقصائد المرثي وفنيته القوية وعلاقته الجميلة به، مع بكاء حاله وزمانه، في حين قلت الإحالة البعدية، ومع قلتها فقد حققت شيئاً من الإثارة والمتعة والربط؛ لأن «ورود الضمير قبل مفسره معالجة نصية توصل إلى الغرض الأساسي من تقديم

١- الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص، ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ٩٠.

الضمير؛ إذ تكون تقنية من تقنيات تماسك النص، يلجأ إليها المرسل بغية التنبيه على أهمية عنصر، أو مجموعة عناصر يحيل إليها، لاحقاً^(١). وقد ساعدت الإحالة البعدية رغم قلتها على تجسيد المشاعر التي تربطه بالمرثي.

هذا فيما يتعلق بالإحالة النصية، أما المقامية فساعدت الشاعر في بيان موقفه من المرثي، ومدى العلاقة بينهما، كما تنوعت الضمائر ما بين ضمائر المتكلم المحيلة على الشاعر نفسه، وضمائر المخاطب المحيلة على المرثي، وقد ساعد هذا في تكوين النص؛ حيث ربطت الإحالة المقامية بين اللغة في النص والسياق الذي تقال فيه.

أما ترتيب المحال إليه فيأتي الشاعر في حديثه عن نفسه في المرتبة الأولى، وهذا يعني أن النص رؤية نافذة إلى داخل الشاعر، ثم يأتي المرثي في المرتبة الثانية، أما موضوع التجربة (قصائد الشاعر) فتأتي في المرتبة الثالثة إحاليًا، ليحتل طواغيت العصر المرتبة الرابعة، ثم ترد بعد ذلك إحالات متنوعة ذات علاقة بالتجربة والسياق.

١- الوادعي، عيسى جواد، التماسك النصي دراسة تطبيقية في نهج البلاغة، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، اللغة العربية، ٢٠٠٥م، ص ١٦٠.

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة في النص خرجت الدراسة بعدة نتائج منها:

- ١- تميز نص (بنات شاعر) بحشد كبير لأدوات الإحالة، مما كان له أكبر الأثر في تحقيق تماسكه النصي، وظهرت بجلاء قدرة أبي ريشة على تسخير الإحالة بنوعيتها.
 - ٢- عملت ضمائر الإحالة على ترابط موضوعات النص وانسجامها، كما عملت على جذب الأفكار المختلفة نحو البؤرة الرئيسة (قصائد الشاعر) فقد تعددت الأفكار، ولكنها ارتبطت بذات واحدة، جعل منها منظومة متكاملة، كما أن الإحالة الضميرية كانت أكثر الروابط حضوراً داخل النص.
 - ٣- كانت أكثر إحالات الشاعر إلى داخل النص، وفي المرتبة الثانية الإحالة إلى خارجه، وقد تعدد المحال إليه، ولم يؤد هذا إلى تشتت النص بل كان عاملاً من عوامل التماسك.
 - ٤- كشفت الإحالة النصية عن تمركز ثنائية الموت والحياة والمتمثلة في صورة الحاضر والغائب، بين الأنا التي تعود على الشاعر وبين هو التي تعود على المرثي (الأخطل).
 - ٥- قلت وسائل الإحالة الأخرى مثل أسماء الإشارة والأسماء الموصولة والمقارنة، وما وُجدَ منها كان رابطاً نصياً قوياً يسهم في ربط الوحدات النصية للقصيدة.
- أما أهم التوصيات التي يوصى بها البحث فهي العودة إلى مصادر النقد التراثية، واستلهام القوانين النصية، وربطها بالدراسات المعاصرة، مع الاستفادة في الوقت ذاته من معطيات النقد الغربي، مما يثري المكتبة العربية بالدراسات اللسانية اللغوية ذات الطابع التأصيلي والحديث.

المصادر والمراجع

- بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط ١، ١٩٩٧ م.
- البستاني، بشرى حمدي، وآخرون، في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، ع ١، مج ١١، ٢٠١١ م.
- البطاشي، خليل ياسر، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، عمان، ط ١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩ م.
- بو جراند، روبرت دي، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م.
- بو قرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، جدار للكتاب العالمي، عمان، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩ م.
- توهامي، الزهرة، الإحالة في ضوء لسانيات النص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، الجزائر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، المركز الجامعي، البويرة، معهد الآداب واللغات، قسم اللغة العربية والأدب العربي، ٢٠١٠م - ٢٠١١م.
- حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط ٣، د.ت.
- خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي، بيروت، ط ١، ١٩٩١ م.
- ربابعة، موسى، جماليات الأسلوب والتلقي دراسة تطبيقية، دار جرير، عمان، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.
- الراددي، زاهر مرهون، الترابط النصي بين الشعر والنثر، دار جرير، عمان، ط ١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠ م.
- الرضي، محمد بن الحسن، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: يحيى بشير المصري، الإدارة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م.

- أبو ريثة، عمر، الديوان، دار العودة، بيروت، د.ط، ١٩٩٨ م.
- الزناد، الأزهر، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣ م.
- الشاويش، محمد، صول، تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، مكتبة الأدب العربي، تونس، ط١، ٢٠٠٧ م.
- الشهري، عبد الهادي ظافر، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، ط١، ٢٠٠٤ م.
- الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص، ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.
- العابدي، حسين راضي، من التماسك النصي في سورة يونس، مجلة جامعة الأزهر، غزة، ٢٠١٣ م، ع٢، مج١٥.
- عبد المجيد، جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٩٨ م.
- عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١ م.
- الفضلي، عبد الهادي، مختصر النحو، دار الشروق، ط٧، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م.
- الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠٠٠ م.
- قميحة، مفيد محمد، الأخطل الصغير (بشارة الخوري) حياته وشعره، منشورات دار الآفاق الجديدة-بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م.
- المصري، محمد محمود، التماسك النصي في شعر عز الدين المناصرة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، كلية الآداب، اللغة العربية، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨ م.
- مصلوح، سعد، نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، ع١، ٢، مج١٠، ١٩٩١ م.
- الوادعي، عيسى جواد، التماسك النصي دراسة تطبيقية في نهج البلاغة، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، اللغة العربية، ٢٠٠٥ م.

References:

- Beheiri; Saeed Assen, Libro verborum dierum illud: Lodovico et trends, Aegyptius Internationalis Kessinger Nabu Press, 1 editio: MCMXCVII cum Christo.
- Al Bustani; Bushra Hamdi et aliis, conceptum ex Textusu et signa in in Textusu de Sancti Quran, Journal de Research in Collegio publicatur Fundamentalem institutionem, Universitas Mosul, p. I, vol. XI, MMXI AD.
- al Batashi; Calil Yasir, condita nisi conuenienter ad lucem et linguae analysis de argumentum, Dardanio Jarir, Amman, ut I, MCDXXX AH, AD MMIX.
- B. Albert, Robert Dea Textus: Libri & actio numerus: Tamam Assen libro Mundi, Cairo, I. I, MCDXVIII AH, AD MCMXCVIII.
- pou Qurra, Noman, in in elementa verbis in linguistica ex Textusu et analysis et sermone, et lexical studio, in parietem et in Sacra liber, Oman, 1 editio: MCDXXIX AH MMIX BCE-.
- Touhami; Al-Zahra, referat ad lucem et LITTERATURA, et Scientia interpretatione secus interpretantur, coetus atque collectæ lucernam, et nota enim a domini gradus, Albania est, Ministerio de Superius Educationis et De Research; Universitatis Centre, Bouira: Institutum enim artium et Linguae, Department Arabica lingua, et Arabum Latin: 2010-2011.
- Assen Abbaziensem, satis Grammaticum, Dar Al-Maarif, Aegypti, 3 pavimento, d.
- Khattabi; Machometus: Textusus S. Pufendorffii De Harmonia aut Sermonem: In culturas Centrum, Berytus, et 1 Editio, anno MCMXCI.
- Rababaa; Musa, AESTHETICA de Mauris portum capesserit: An De studium Dardanos Bastarnasque Jarir, Amman, ut I, MMVIII BCE-MCDXXIX AH.
- al Raddadi; Zahir Marhoon; Textusual necessitudinem inter poetica et soluta oratione, Dardanio Jarir, Amman, ut I, MCDXXXI AH, MMX BCE.
- Al- Radhi; Muhammad bin Al-Hassan, Sharh Al Orff quia Kafia Ibn Al Hajeb, studium et investigationis, Jahia Bashir Al Masry, et departamento culturae Libellorum, Imam Muhammad bin Islamic Universitas Arabiae Desertae: Riyadh, 1 editio: MCDXVII AH, AD MCMXCVI.
- Abu Risha, Omar, Diwan, Dardanio Revertere, Berytus; dt MCMXCVIII.
- Ligulae, Al- Azhar: hujusmodi autem substantia Textusus: Quaerere, sive quæ in ea: Textusus: Arabum culturas Centrum, Berytus, et 1 Editio, AD MCMXCIII.

- al- Shawish; Machometus, "Sermo De Graecorum Opera Ad Analysin arabice Textusus" litterae bibliothecam Arabum, Tynetem uenirent 1 Editio, AD MMVII.
- Al- Shehri, Abd al- Hadi zafer, Strategies et orationis ad invicem, et Blue Jean Domus, 1 Editio, anno MMIV.
- al Subaihi; Machometus al- Akhdar: Introductio ad scientiam de Textusus et ejus Applicatio: Scientia Domus Arabum, Berytus: 1 regio, MCDXXIX AH, AD MMVIII.
- Al Abdi Hussein Radhi, a condita cohaerentia in Surat Yunus, Al- Azhar Universitatis Journal unum Gaza unum MMXIII, p. II, Vol.15.
- Abdel Majid, Jamil Al- badi` inter Arabum Rhetoricae Et condita GRAMMATICUS, quod Aegyptia Kessinger Publishing auctoritati, Cairo; Dr. eGO MCMXC-VIII AD.
- Afifi Mohamed: Textus: ad novam directionem in lectione grammaticus, Zahraa Al Sharq Bibliotheca Cairo, et I, AD MMI.
- Al-Fadhli, Abd al-Hadi, ad validitatem Dar Al-Shorouk, 7 Editio, MCD AH -1980AD.
- al Fiqi; Subhi Ibrahim, Textusual Cappella scientiam ab exercitatione separat, An De Super studio Meccan Wall, Dardanio Quba, Cairo, et I, MCDXXXI AH - MM BCE.
- Qumaiha, Mufid Machometus, The Parva Al Akhtal Al Saghir (Bechara Al Khoury) quod Camena animam suam et Latino novum Domus attingit multas - beirut, le editio: MCDII AH -1982 AD.
- Et Aegyptia Mohamed Mahmoud; condita constantiam in Ezz Al-Al Din Manasrah poetica, conclusio Magistri, islamicae Universitas Gazæ, Dean <s Officium Internationalis ipsum et graduati Studiorum, Collegium in Artibus: Arabica lingua in MCDXXXIX AH -2018AD.
- Maslouh, Saad, Versus Ajromiyya de cohibenda poetica Textusus studium in pre-islamica carmine Fasoul Magazine, p. 1.2, X MG, AD MCMXCI.
- al Wadei; Issam Jawad, Melissa Cohaesio mihi An De Studio in II Rhetoric: Accede,; Prima Ph.D., Universitas Jordan, Collegium Studiorum Undergraduate: Arabica Lingua in AD MMV.

استبدال اللفظ المرادف بلفظ الحديث
وأثره في الاستدلال بالحديث
النبوي الشريف عند الأصوليين

**Replacement with Synonymous Expression and
its Impact on Substantiating with Prophetic Tradition
according to the Scholars of the
Principles of Islamic Jurisprudence**

أ. د. عبد المجيد محمود الصلاحي

الجامعة الأردنية - المملكة الأردنية الهاشمية

د. سليمة عبد الهادي حمد عبد الله

جامعة محمد بن علي السنوسي للعلوم الإسلامية - ليبيا

Prof. Dr. Abdul Majeed Mahmoud Al-Salahin

University of Jordan - The Hashemite Kingdom of Jordan

Dr. Salima Abdul Hadi Hamad Abdullah

The Islamic University of Al Saied Mohamed Bin Ali Al Sanussi - Libya

<https://doi.org/10.47798/awuj.2020.i60.02>



Abstract

This study tackles an important subject in the science of Principles of Islamic Jurisprudence, Usul al-Fiqh, in relation with the Prophetic Traditions, al-Hadith al-Nabawi; i.e. the subjects of Synonyms, through applying it on replacing the synonymous of the expression in the case of narrating Hadith . The study assesses the concept of Replacement with Synonymous, the way of implement it, and its role.

It studies also the impact of replacement of truth meaning with metaphor, and noun with a pronoun, or a case. This is in addition to the replacement of general expression with a specific one, and vice versa. Moreover, it studies the role of replacement for the reason of respect. The previously mentioned issues are researched according to the controversial opinions for scholars of this major.

Furthermore, it examines the impact of replacement between letters on understanding and derivation. The role of the latter case is different according to three situations. The first is where this replacement is effective in deriving legal ruling. The second is it is effective in the meaning and not in the derivation of ruling. The third is related to the case where it is not effective neither for meaning understanding, nor ruling derivation.

Keywords: Alhadith - the novel - substitution - synonym.

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة جانباً مهماً من جوانب الدراسات الأصولية المتعلقة بالحديث النبوي الشريف، وهي مسألة الترادف، بتنزيل معطياتها على مسألة استبدال اللفظ المرادف بلفظ الحديث عند الرواية.

وقد تطرقت هذه الدراسة إلى جملة من المسائل منها:

- تحديد مفهوم الاستبدال اللفظ بالمرادف، وكيفية إثبات وقوع هذا الاستبدال، وحكمه.
- بيان أثر استبدال المجاز بالحقيقة، والصفة أو الحالة أو النسبة بالاسم، والعام بالخاص أو الخاص بالعام، والاستبدال لغرض التأدب في اللفظ وأقوال الأصوليين في كل صورة.

كما تناولت الدراسة أثر الاستبدال بين الحروف الذي تارجح بين استبدال مؤثر في الحكم الفقهي، وبين استبدال مؤثر في المعنى دون الحكم، واستبدال لا أثر له في المعنى أو الحكم الفقهي.

- الكلمات المفتاحية: الحديث - الرواية - الاستبدال - المرادف.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فإن مسألة الترادف من المباحث اللغوية المشتهرة في علم الأصول، وتطرح مسألة الترادف في كتب الأصول بشكل عام، وفي هذا البحث سيتم بحث المسألة فيما يتعلق بالحديث النبوي الشريف خاصة، وتأثيرها في الاستدلال به عند الأصوليين.

أهمية البحث: تنبع أهمية هذه الدراسة بالدرجة الأولى من أنها دراسة لموضوع أصولي، وربطه بمسألة حديثة مشتهرة وهي الرواية بالمعنى، من خلال إحدى صورها وهي استبدال المرادف باللفظ النبوي الشريف عند الرواية.

مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في التساؤلات الآتية:

- ١- ما المقصود باستبدال اللفظ المرادف في الحديث النبوي الشريف؟
- ٢- ما حكم استبدال اللفظ المرادف باللفظ النبوي عند الرواية؟
- ٣- كيف يمكن إثبات وقوع الترادف في حالة الاستبدال عند الرواية؟
- ٤- ما تأثير استبدال اللفظ المرادف باللفظ النبوي في الاستدلال بالحديث النبوي الشريف؟

أهداف البحث: تهدف هذه الدراسة إلى:

- ١- تحديد مفهوم استبدال اللفظ المرادف من حيث هو مركب وصفي في الحديث النبوي الشريف.

- ٢- محاولة استنباط الأدلة على وقوع الاستبدال في الحديث النبوي الشريف من خلال استقراءها في الأحاديث التي استبدلت المرادفات ببعض ألفاظها.
- ٣- بيان أن الترادف ليس في كل الأحوال واقع حقيقة، بقدر ما إنه قد يكون في بعض الأحيان ظناً من الراوي.
- ٤- بيان أن الاستبدال كما يقع في الأسماء والأفعال فإنه يقع كذلك في الحروف، وله آثاره المترتبة عليه.

الدراسات السابقة:

يعد موضوع الترادف من الموضوعات التي كثر البحث فيها، وتعددت الدراسات حولها، ومن هذه الدراسات:

- ١- رسالة ماجستير بعنوان: الترادف عند الأصوليين وآثاره الفقهية: من إعداد الطالب محمد علي الشрман - بجامعة آل البيت / الأردن - للعام الدراسي: ٢٠٠٦م: وقد تناول الباحث في رسالته الترادف في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وذكر أسباب الترادف، كما تناول جملة من القواعد الأصولية المتعلقة بموضوع الترادف، والآثار الفقهية المترتبة على إقامة المترادفات مقام بعضها في عدة مسائل تطبيقية من أبواب الفقه المختلفة.

ويختلف بحثنا هذا عن هذه الرسالة في أنه يتناول مسألة واحدة فقط وبشكل مركّز، هي الترادف في رواية الحديث النبوي الشريف.

- ٢- بحث بعنوان: العلاقة بين الترادف وتعدد المعنى - للباحث: مصطفى عوض بني دياب: جامعة عين شمس / مصر - ١٩٩٦م: وهو بحث لم يتمكن من الحصول على نسخة منه، لكن الملخص المنشور ذكر الباحث فيه أنه تناول معنى الترادف وأشكاله وعلاقته بتعدد المعنى وثناء التفسير، كما تناول بعض

الأمثلة التطبيقية للوقوف على حقيقة الترادف في القرآن الكريم.

وهذا يعني أن هذا البحث يختلف عن هذه الدراسة في مادته فيما يتعلق بالترادف في القرآن الكريم، فيما تناول الباحثان في هذا البحث الترادف في الحديث النبوي الشريف.

منهج البحث: اعتمدنا في هذا البحث المنهجين الاستقرائي والتحليلي المقارن، حيث نتبع مادة المسألة في مظانها، من كتب متون الحديث إلى شروح الحديث وكتب التخريج والعلل وأصول الفقه وكتب فقه المذاهب، وذلك بحسب طبيعة الطرح؛ إذ نطرح المسألة مبينين المعنى المراد بحثه فيها، ومن ثم نذكر الأقوال والحجج والمناقشات المذكورة فيها، ونرجح بين الأقوال إذا كان المقام يحتمل الترجيح.

خطة البحث: تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسة وقسم كل منها إلى جملة من المطالب كما يأتي:

المبحث الأول: استبدال المرادف باللفظ في الحديث النبوي الشريف:

ويشمل المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم استبدال اللفظ المرادف بلفظ النبي ﷺ في رواية الحديث النبوي الشريف.

المطلب الثاني: حكم استبدال المرادف باللفظ النبوي عند الرواية.

المطلب الثالث: كيفية إثبات وقوع الاستبدال عند الرواية.

المبحث الثاني: استبدال المرادف باللفظ النبوي وأثره عند الأصوليين:

ويشمل المطالب الآتية:

المطلب الأول: استبدال المرادف باللفظ عند الأصوليين.

المطلب الثاني: أحوال استبدال المرادف باللفظ.

المبحث الثالث: تأثير الاستبدال بين الحروف وأثره عند الأصوليين:

المطلب الأول: دليل تأثير استبدال حرف بحرف في معنى القول.

المطلب الثاني: تأثير تغيير حرف بغيره في اختلاف الحكم الفقهي.

المطلب الثالث: تغيير الحرف بغيره دون تأثير في تغيير المعنى أو الحكم الفقهي.

وخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل اليها الباحثان إليها.

والله نسأل أن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى، وأن يرزقنا الإخلاص في القول

والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول: استبدال المرادف باللفظ في الحديث النبوي الشريف

المطلب الأول: مفهوم استبدال اللفظ المرادف بلفظ النبي ﷺ في رواية الحديث النبوي الشريف

يعد استبدال المرادف باللفظ من أشهر صور رواية الحديث بالمعنى، والتي قيل في تعريفها:

أن ينقل الرواة معنى واحداً في أمر واحد بألفاظ مختلفة^(١).

والرواية بالمعنى مفهوم يضم تحته جملة من الصور من بينها استبدال المرادف باللفظ النبوي الذي قيل أصلاً. وهي إحدى الصور التي ذهب بعض القائلين بجواز الرواية بالمعنى في بعض الأحوال دون غيرها إلى أنها الصورة الوحيدة الجائزة، بل إن من أهل العلم من يرى أنها صورة جائزة بلا خلاف^(٢).

وللوقوف على ماهية استبدال المرادف باللفظ ينبغي أولاً إيضاح معنى اللفظ المرادف:

فالترادف لغة تتابع شيء خلف شيء^(٣)، والمرادف من الألفاظ ما كان مسماها واحداً وأسماءه كثيرة^(٤)؛ وذلك لأن الألفاظ تتابع وتتوالى على مدلول واحد، مثاله: العداوة والشحناء والشنآن والبغضاء^(٥).

- ١- السنيكي، زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري: فتح الباقي بشرح ألفية العراقي - ت / عبد اللطيف هميم وماهر الفحل - دار الكتب العلمية ط ١ - ٢٠٠٢م - ٢ / ٧٣.
- ٢- ينظر: السمعوني، طاهر بن صالح الجزائري، توجيه النظر إلى أصول النظر - ت / عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية / حلب - ط ١ - ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م - ٢ / ٦٨٥.
- ٣- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب - دار صادر / بيروت - ط ٣ - ١٤١٤هـ - ٩ / ١١٤.
- ٤- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، ت / جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية / بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م - ص ٢٠٨.
- ٥- ابن مالك، محمد بن عبد الله، الطائي الجباني: الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة - ت / محمد حسن عواد - دار الجيل / بيروت - ط ١ - ١٤١١هـ - ص ٢٠٠.

أما عند الأصوليين فقد عُرِّفَ الترادف بأنه (توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد)^(١) نحو: البر والقمح^(٢)، وهو بخلاف الاشتراك؛ لأن هذا الأخير هو دلالة اللفظ الواحد على معانٍ مختلفة^(٣)، مثاله: القرء، فهو لفظ مشترك دال بنفس الاعتبار - وهو الحقيقة - على الحيض والظهر^(٤).

أما الاستبدال فهو من قولك استبدل الشيء بغيره وتبدله به، إذا أخذه مكانه^(٥) فهو إحلال الشيء محل الآخر، وقد يكون بمائل، وقد يكون بمغاير.

ومن جملة هذه التعريفات يمكن استنباط تعريف استبدال اللفظ المرادف في الحديث كمركب وصفي بأنه: إحلال لفظ في الحديث محل اللفظ النبوي الشريف عند الرواية دال على ذات المعنى وبنفس الاعتبار.

المطلب الثاني: حكم استبدال المرادف باللفظ النبوي عند الرواية

مما لا جدال فيه أن الأصل في رواية أحاديث رسول الله ﷺ أن تروى بلفظ مطابق للفظه عليه الصلاة والسلام، غير أنه من الثابت تاريخياً أن أحاديث رسول الله ﷺ اعتمد الصحابة رضوان الله عليهم في نقلها على حفظ الصدور، وربما رووها بعد عدة سنوات، فربما يقدم الراوي أو يؤخر، أو يعجز عن استحضار

١- السبكي، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي: الإبهاج في شرح المنهاج - دار الكتب العلمية / بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م - ١ / ٢٣٨.

٢- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي: شرح تنقيح الفصول - ت / طه عبد الرؤوف سعد - شركة الطباعة الفنية المتحدة - ط ١ - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م - ١ / ١١.

٣- ينظر: الأيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد: شرح العضد على مختصر ابن الحاجب - ت / فادي نصيف وطارق يحيى، دار الكتب العلمية / بيروت، ط ١، ١٤٢هـ / ٢٠٠٠م، ص ٣٦، والفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر: شرح التلويح على التوضيح، مكتبة صبيح / مصر، د. ط - د. ت - ١ / ١٢٧.

٤- الشنقيطي، عبد الله بن إبراهيم العلوي: نشر البنود على مراقي السعود، تقديم: الداوي ولد سيدي بابا - أحمد رمزي - مطبعة فضالة بالمغرب، د. ط - د. ت، ١ / ١٢٤.

٥- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ت / أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين / بيروت، ط ٤ - ١٤٠٧ هـ - ٤ / ١٦٣٢.

لفظة في الحديث يمثّل بين نظريه معناها فيستبدل مرادفها بها^(١).

وقد كان لأهل العلم من محدثين وأصوليين في جواز استبدال اللفظ المرادف باللفظ النبوي عند الرواية مذهبان:

المذهب الأول: لا يجوز إبدال المرادف باللفظ بناء على منع الرواية بالمعنى:

وبه قال طائفة من المحدثين والفقهاء والأصوليين من الشافعية، وهو القول المشتهر عن الإمام مالك، حتى إن بعض من ذهب لهذا شدد فيه أكثر التشديد، فلم يُجزّ تقديم كلمة على كلمة، وحرف على آخر، ولا إبدال حرف بآخر^(٢).

المذهب الثاني: يجوز إبدال المرادف باللفظ عند رواية الحديث:

وهو ما اتفق عليه الفريقان: المجيزون للرواية بالمعنى مطلقاً، والمجيزون للرواية بالمعنى في بعض الأحوال دون بعض، بل إن بعض المانعين لجواز الرواية بالمعنى ذهبوا إلى أن الصورة الوحيدة الجائزة منها هي استبدال اللفظ المرادف باللفظ النبوي^(٣)، ولعل هذا ما حدا بالزركشي إلى القول إن استبدال اللفظ المرادف باللفظ النبوي كصورة من صور الرواية بالمعنى جائز بلا خلاف^(٤)، فيما جعل القاري إبدال اللفظ المرادف باللفظ الوارد حقيقة في الحديث مرادفاً للرواية بالمعنى، وذلك عند شرحه لمعنى مصطلح الرواية بالمعنى؛ فكانت عبارته:

١- ينظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن: المحصول، ت/ طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م - ٣٤٨/٤ - والقرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس: نفائس الأصول في شرح المحصول - ت/ عادل عبد الموجود وعلي معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م - ص ٢٩٠٢.

٢- ينظر: السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد: فتح المغيب بشرح ألفية الحديث - ت/ علي حسين علي، مكتبة السنة/ مصر، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ٣/ ٤٠، والغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي: المستصفى - ت/ محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م - ص ١٣٣.

٣- ينظر: الزركشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر: البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ٦/ ٢٧٣، والسمعوني، توجيه النظر: ٢/ ٦٨١.

٤- الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه: ٦/ ٢٧٣.

(وأما الرواية بالمعنى - إشارة إلى إبدال المرادف باللفظ - فالخلاف فيها شهير)^(١)، واشترط الجميع للجواز أن يؤمن التفاوت في المعنى بين اللفظين؛ المبدل والمبدل منه^(٢).

المطلب الثالث: كيفية إثبات وقوع الاستبدال عند الرواية

لعل من الضروري قبل بيان تأثير الاستبدال إثبات وجود هذا الاستبدال أولاً: لم يتمكن الباحثان من إيجاد عبارة صريحة للعلماء سواء أكان في كتب شروح الحديث أم كتب المصطلح بينت كيفية الاستدلال على إثبات وقوع الاستبدال في الحديث، ما استلزم ضرورة استنباط الأدلة على هذا الاستبدال، ومما أمكن استنباطه من أدلة على وقوع الاستبدال ما يأتي:

١- التصريح بأن الاختلاف بين اللفظين إنما هو استبدال من أحد الرواة، وأن الاختلاف بين صيغتي الحديث الواحد ناجم عن الاستبدال، مثاله: ما رواه الإمام أحمد بسنده عن الحسن عن علي، أن النبي ﷺ قال: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه، - أو قال: المجنون - حتى يعقل، وعن الصغير حتى يشب»^(٣).

فهذا الحديث يأتي من باب شك الراوي، غير أنه يتمثل فيه أن الراوي - الذي قد يكون علياً ﷺ وقد يكون أحد الرواة من بعده - قد استبدل لفظاً مرادفاً بلفظ الحديث، دال على ذهاب العقل، فإن إحدى اللفظتين هي من استبدال الراوي لا محالة.

- ١- ينظر: القاري، علي بن سلطان محمد الهروي: شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر - ت / محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم / بيروت، د. ط - د. ط - ص ٤٩٧.
- ٢- ينظر: الأيوب، محمد بن علي بن آدم: شرح الأئوبي على ألفية السيوطي، مكتبة الغرباء الأثرية / السعودية، ط ١، ١٩٩٣ م - ٥٨ / ٢.
- ٣- الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد: مسند الإمام أحمد: ت / شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠١ م (مسند علي بن أبي طالب ﷺ - حديث رقم ٩٥٦ - ٢ / ٢٦٦)

٢- السبيل الثاني الذي قد يحدد ما إذا كان ثمة استبدال في الحديث أم لا هو وحدة الحادثة أو تعددها؛ ذلك أن وحدة الحادثة تعني وحدة الحديث الذي قيل فيها، ووحدة لفظه، وبالتالي فإن أي تعدد في الصيغ الدالة على ذلك المعنى يعني أن هناك استبدالاً من الراوي، وفي ذلك يقول ابن العربي: (إذا اختلف ألفاظ الحديث في الرواية فتأملوا الحديث؛ فإن كان مما يتكرر فكل لفظ أصل يمهّد وتبنى عليه الأحكام، وإن كان مما لا يتكرر فيعلم قطعاً أن النبي، - ﷺ -، إنما قال أحدهما، وأن الراوي هو الذي عبر عن تلك الحالة الواحدة بألفاظ مترادفة أو متقاربة، فتعرض الألفاظ على الأصول والأدلة فما استمر منها عليها هو الذي يُبنى عليه الحكم^(١)).

ومما يصلح مثلاً لمسألتنا هذه اختلاف رواية إهلال النبي ﷺ في حجة الوداع: ففي صحيح البخاري - رحمه الله - عن (عكرمة، أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما، يقول: إنه سمع عمر رضي الله عنه، يقول: سمعت النبي ﷺ بوادي العقيق يقول: «أتاني الليلة آت من ربي، فقال: صلّ في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة»^(٢). وفي مسند الإمام أحمد (عن أنس قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة، فسمعتة يقول: «لبيك عمرة وحجة»^(٣)).

فهنا لا اختلاف بين المحدثين أو علماء السيرة أنها كانت حادثة واحدة؛ إذ لم يحجَّ ﷺ سوى حجة واحدة هي حجة الوداع.

وهذا الملحظ الأخير يضعنا أمام احتمالين متوازيين هما: إما أن الإهلال

١- القاضي أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي المالكي: القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ت / محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٢ م، ص ٦٩٥.

٢- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي: صحيح البخاري، ت / محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ (كتاب الحج - باب قول النبي ﷺ: العقيق واد مبارك - حديث رقم ١٥٣٤ - ١٣٥ / ٢).

٣- مسند الإمام أحمد: مسند أنس بن مالك رضي الله عنه - حديث رقم ١٢٩٤٦ - ٢٠ / ٢٧٥.

الذي رده النبي ﷺ كان واحداً؛ فإما أن يكون قوله «عمرة وحجة»، أو «عمرة في حجة»، وهذا بدوره يعني أن أحد اللفظين هو الذي قد قيل واقعاً، فيما ظن الراوي أن النبي ﷺ قال اللفظ الآخر.

وهذا يطرح احتمالين آخرين؛ أولهما أن يكون راوي الرواية المستبدلة غلب على ظنه أن هذا هو اللفظ الذي قيل، فرواه بناء على ذلك، وثانيهما أن يكون اللفظ المستبدل يحمل ذات معنى اللفظ المبدل منه في ظن الراوي، وهذا الاحتمال الأخير هو ما استند إليه القائلون بالفصل بين أعمال العمرة والحج في القرآن، من أن حرف الجر (في) قد يكون بمعنى (مع)، فيكون المعنى: عمرة مع حج^(١).

والاحتمال الثاني المترتب على الملحظ المشار إليه آنفاً؛ أن الإهلال الذي أهل به النبي ﷺ كان باللفظين معاً، وهو احتمال لا يمكن تحقيقه.

وبناء على كل ما تقدم فالراجح أن الاختلاف بين اللفظين إنما هو استبدال من أحد الرواة بناء على أن حرف الجر (في) قد يكون بمعنى (مع)، وهو ما انبنى عليه الاختلاف في كيفية القرآن وصورته، والله تعالى أعلم.

وفي بيان تأثير هذا الاستبدال كان للعلماء قولان:

١- أن قوله: (عمرة في حجة) دليل على تداخل أعمال العمرة والحج، وأن العمرة مندرجة في الحج عند القرآن^(٢).

١- ينظر: الكرمانى، محمد بن يوسف بن علي: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري - دار إحياء التراث العربي / بيروت، ط ١- ١٩٨١ م - ٦٨ / ٨.

٢- ينظر: الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي: معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود - المطبعة العلمية / حلب - ط ١- ١٩٣٢ م - ١٦٥ / ٢ - ابن بطال، أبو الحسن بن خلف بن عبد الملك: شرح صحيح البخاري لابن بطال - ت / أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد / السعودية، ط ٢، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م - ٢٠٣ / ٤.

٢- أن قوله (عمرة في حجة)، تكون «في» بمعنى «مع» أي عمرة وحجة معاً، فيكون النبي ﷺ قد أحرم بهما معاً^(١).

المبحث الثاني: استبدال المرادف باللفظ النبوي وأثره عند الأصوليين

المطلب الأول: استبدال المرادف باللفظ عند الأصوليين

مسألة استبدال المرادف باللفظ بوجه عام عند الأصوليين هي مسألة اختلفت فيها أنظارهم، وللعلماء فيها ثلاثة أقوال:

- ١- يصح إطلاق كل من المترادفين مكان الآخر؛ لأنه لازم معنى الترادف، وهو اختيار ابن الحاجب^(٢)، ومعنى قول ابن الحاجب إنه لازم معنى الترادف؛ أنه لا معنى للترادف إلا أنه يلزم منه إقامة أحد اللفظين مقام الآخر، ومن اختار هذا القول أيضاً الكمال ابن الهمام، فصح عنده وقوع أحد المترادفين مقام الآخر شرط عدم المانع الشرعي، والمانع الشرعي هو التعبد باللفظ الأول^(٣).
- ٢- أنه لا يصح إقامة أحد المترادفين مقام الآخر، وهو اختيار الرازي^(٤)، ونسب السبكي القول بذلك للبيضاوي^(٥)، وهو ما يعارضه قول البيضاوي نفسه في المنهاج، إلا أن يكون له في المسألة قولان^(٦)، وعلل الرازي ذلك بأنه وإن كان (المعنى الذي يعبر عنه في العربية بلفظ يعبر عنه في الفارسية بلفظ آخر،

-
- ١- ينظر: حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري - مكتبة البيان / سوريا - ١٩٩٠م - ٧٦/٣.
 - ٢- ابن الحاجب، أبو عمرو وجمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر المالكي: منتهى الوصول والأمل إلى علمي الأصول والجدل الشهير بالمنتهى الأصولي - مطبعة السعادة / مصر، ط١، ١٣٢٦هـ - ص١٤.
 - ٣- ابن أمير حاج، أبو عبد الله محمد بن محمد: التقرير والتحبير - دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م - ١٧٠ / ١.
 - ٤- الرازي، المحصول: ١ / ٢٥٧.
 - ٥- السبكي، الإبهاج شرح المنهاج: ١ / ٢٤٣.
 - ٦- الأسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي: نهاية السؤل شرح منهاج الوصول - دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م - ص١٠٦.

فإذا قلت خرجت من الدار؛ استقام الكلام، ولو أبدلت صيغة من وحدها بمرادفها من الفارسية لم يجز، فهذا الامتناع ما جاء من قبل المعاني بل من قبل الألفاظ، وإذا عقل ذلك في لغتين فلم لا يجوز مثله في لغة واحدة^(١).

٣- أن إقامة أحد اللفظين مقام الآخر يصح إن كانا من لغة واحدة وإلا فلا، وهو اختيار السبكي وصفي الدين الهندي^(٢)، وصرح الأسنوي أنه القول الذي صححه البيضاوي في المنهاج^(٣).

وعلى أصحاب هذا القول اختيارهم بأن اختلاف اللغتين يستلزم ضم مهمل إلى مستعمل، فإن لفظة إحدى اللغتين بالنسبة إلى الأخرى مهملة، وبالتالي فلا يصلح استبدال وإقامة أحد اللفظين محل الآخر^(٤).

هذه الأقوال الثلاثة كانت منصبّة حول الترادف بشكل عام، وهو مبحث تستند أقوال الأصوليين فيه إلى أساس لغوي؛ نظراً لبحث المسألة في باب اللغات، أما في نصوص الحديث فإنه يذكر في باب الرواية بالمعنى، فإن من أهل العلم من أصوليين ومحدثين من رأى أنه لا تجوز الرواية بالمعنى إلا في حالة إبدال المرادف في الحديث بلفظ النبي ﷺ^(٥).

ويشترط لجواز استبدال المرادف باللفظ في الرواية بالمعنى أن يكون اللفظان متساويين في المعنى، بحيث لا يتطرق إليهما التفاوت سواء في الفهم أم الاستنباط^(٦).

١- الرازي، المحصول: ج ١ ص ٢٥٧.

٢- السبكي، الإبهاج شرح المنهاج: ١/ ٢٤٣.

٣- الأسنوي، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول: ص ١٠٦.

٤- المرجع نفسه: ص ١٠٦.

٥- ينظر: الأمدي، أبو الحسن علي بن أبي علي: الإحكام في أصول الأحكام - ت/ عبد الرزاق العفيفي، المكتب الإسلامي/ بيروت - د. ط - د. ت - ١٠٣/ ٢، الأصفهاني، محمود بن عبد الرحمن: بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب - ت/ محمد مظهر بقا، دار المدني/ السعودية، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ٧٣٢/ ١

٦- ينظر: الغزالي، المستصفى: ص ١٣٣

وقد وقع استبدال المرادف باللفظ في روايات كثير من الأحاديث كضرب من ضروب الرواية بالمعنى، من ذلك استبدال لفظ القَتَات بلفظ النمام، ففي مسند الإمام أحمد (عن هاشم عن مهدي عن واصل الأحذب عن أبي وائل قال بلغ حذيفة عن رجل أنه يُنَمُّ الحديث، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يدخل الجنة نَمَّام) (١).

وفي رواية أخرى للترمذي من طريق سفيان بن عيينة عن منصور، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث، قال: مر رجل على حذيفة بن اليمان فقيل له: إن هذا يبيلغ الأمراء الحديث عن الناس، فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قَتَات» (٢).

على أن جواز استبدال المرادف باللفظ غير مسلم؛ فمن المعلوم أن الرواية بالمعنى أصلاً غير متفق على جوازها؛ ولذا فإن المانعين للرواية بالمعنى امتنع عندهم الترادف تبعاً لذلك للاحتياط فيه؛ وهذا سواء جوزته اللغة أم منعت (٣).

المطلب الثاني: أحوال استبدال المرادف باللفظ

ذهب بعض الأصوليين إلى أن من المرجحات بين الأخبار المتعارضة ورود الخبر بألفاظ مختلفة متفقة المعنى لاشتهاره (٤)؛ ما يجعله يقوى في النفس كما عبر

- ١- مسند الإمام أحمد: حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ - حديث رقم ٢٣٣٢٥ - ٣٨ / ٣٥١.
- ٢- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: سنن الترمذي - ت / أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي - مكتبة مصطفى البابي الحلبي / مصر - ط ٢ - ١٩٧٥ م: (أبواب البر والصلة - باب ما جاء في النمام - حديث رقم ٢٠٢٦ - قال الترمذي: حديث حسن صحيح - ٤ / ٣٧٥).
- ٣- السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج: ٢ / ٣٤٦.
- ٤- ابن مفلح، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الحنبلي: أصول الفقه - ت / فهد بن محمد السدحان - مكتبة العبيكان - ط ١ - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م - ٤ / ١٥٩٣، المرادوي، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان الحنبلي: تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول - ت / عبد الله هاشم، هشام العربي - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية / قطر - ط ١ - ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م - ص ٣٥٠.

عنه القرافي^(١).

وليس هذا قول الأصوليين فحسب؛ بل إن الحافظ العلائي يرى أن الظنية في الأخبار ترتفع (عند ترادف الروايات؛ ولهذا يزداد حتى يصير علمياً، كما تقدم في الأخبار المستفيضة، وكما هو في المتواترات)^(٢).

ولما كان الترادف يُعرّف بأنه توارد الألفاظ الدالة على شيء واحد باعتبار واحد^(٣)، ووحدة الاعتبار هذه قيد يخرج به عدد من الأحوال التي قد يظن فيها الترادف، وهذه الأحوال هي:

١- الحقيقة والمجاز: من المعلوم أن الحقيقة والمجاز من العلاقات اللغوية المعروفة، وهي من الأساليب البيانية التي تستخدم لتوسعة دلالات الألفاظ والتعبيرات، وفيما يلي تفصيل لعلاقة مبحث الترادف بمسألة الحقيقة والمجاز: أولاً: المراد بالحقيقة ما بقي على أصل وضعه، وقيل: ما استعمل فيما اصطلح عليه من المخاطبة^(٤)، أما المجاز فهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة مع قرينة^(٥)، والمقصود بالوضع هنا الوضع الأول للفظ^(٦)، وهو من قبيل تعدد اللفظ واتحاد المعنى، وقد قيل في تحليل العلاقة بين الحقيقة والمجاز إنه استخدام لفظ مكان لفظ آخر صالح لأن يدل على معناه لعلاقة بينهما^(٧)، وعند هذه النقطة

- ١- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس: شرح تنقيح الفصول - ت / طه عبد الرؤوف سعد - شركة الطباعة الفنية المتحدة - ط ١ - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م - ص ٤٢٤.
- ٢- العلائي، الحافظ خليل بن كيكلدي الشافعي: نظم الفرائد لما تضمنه حديث ذي اليمين من الفوائد - ت / كامل شطيب الراوي - مطبعة الأمة / بغداد - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - ص ٣٩١.
- ٣- الأصفهاني، بيان المختصر: ١ / ١٧٤.
- ٤- المارديني، شمس الدين محمد بن عثمان بن علي: الأنجم الزهراء على حل ألفاظ الورقات - ت / عبد الكريم النملة - مكتبة الرشيد / الرياض - ط ٣ - ١٩٩٩ م - ص ١٠٩.
- ٥- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول - ت / أحمد عزو عنابة - دار الكتاب العربي - ط ١ - ١٩٩٩ م - ١ / ٦٣.
- ٦- السبكي، الإبهاج: ١ / ٢٧٤.
- ٧- الميداني، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الدمشقي: البلاغة العربية - دار القلم / دمشق - ط ١ - ١٩٩٦ م - ٢ / ١٢٤.

تحديداً يتوقف علماء الأصول؛ حيث يرى الأصوليون أنه يمتنع استعمال المجاز بدل الحقيقة في الحقائق والأحكام الشرعية على أنه من باب الترادف، ذلك أن الحقيقة والمجاز هما استخدامان للفظ لكن باعتبارين مختلفين، وشرط الترادف أن يكون تعدد الألفاظ الدالة على معنى واحد باعتبار واحد بغير تفاوت، لا باعتبارين^(١)، كمثل الجُبِّ والبئر، فكلا اللفظين دالٌّ على ذات واحدة باعتبار واحد هو الحقيقة، أما في قولنا سخي وبحر فالإطلاقان مختلفا الاعتبار فالأول حقيقة والثاني مجاز، وهو الممتنع عند الأصوليين.

وقد تسومح في مسألة الرواية بالمعنى باستبدال المرادف المطابق بلفظ النبي ﷺ؛ ولذا فإن استبدال اللفظ ينبغي أن يكون بنفس اعتبار اللفظ المبدل عنه حقيقة أو مجازاً، بحيث يؤدي نفس المعنى بدون أدنى اختلافٍ بين اللفظين، وإلا خرج من باب الترادف.

غير أنه من المعلوم أن للحقيقة أنواعاً متعددة، وهي:

- أ. حقيقة لغوية: وهي أصل الوضع للفظ لغة.
- ب. حقيقة شرعية: لأن الشارع وضعها في ذلك المعنى.
- ج. حقيقة عرفية: وهي المنقولة عن موضعها الأصلي إلى موضعٍ غيره بعرف الاستعمال^(٢).

وهذا التعدد والثراء في الاستعمالات للفظ يثيران تساؤلاً هو: ماذا لو استخدمت إحدى الحقائق بديلاً لأختها، هل تعد مرادفاً مسموحاً به في باب الرواية بالمعنى؟

١ - الأسنوي، نهاية السؤل: ص ١٠٤، السبكي، الإبهاج شرح المنهاج: ١ / ٢٣٨.

٢ - ينظر: الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه: ٨ / ٣.

الجواب عن ذلك يتطلب الرجوع إلى جملة من عبارات الأصوليين انبثت في ثنايا أبواب اللغات في مؤلفاتهم - رحمهم الله - ومنها يمكن الخلوص إلى إجابة عن هذا التساؤل:

مما لا خلاف فيه بين الأصوليين وعلماء اللغة أن ثمة ألفاظاً أطلقت في أصل الوضع للدلالة على معنى معين، ثم انتقلت عن أصل استعمالها في ذلك المعنى للدلالة على معنى آخر بفعل الشرع أو العرف، ثم اشتهر الاستخدام الأخير حتى أصبح حقيقة فيه لا يتبادر إلى الذهن عند إطلاق اللفظ سواء^(١)، وهو ما يسمى بالنقل الشرعي أو العرفي للفظ^(٢)، وفي هذه الحالة يصبح ثم حقيقة راجحة وحقيقة مرجوحة، ومثل الأصوليون لهذه الصورة بلفظ الصلاة فإنه لفظ دال على الدعاء في أصل الوضع في اللغة، غير أنه نقل إلى الدلالة على عبادة ذات أركان مخصوصة بفعل الشرع، فأصبحت حقيقة شرعية فيها^(٣)، متبادرة إلى الذهن عند الإطلاق، والأمر نفسه في الحقيقة العرفية وعلاقتها بالوعين الآخرين.

وفي تفسير العلاقة بين هذه الحقائق ذهب البعض إلى تقسيمها إلى أنواع ثلاثة: متعذرة ومهجورة ومستعملة؛ وفي القسمين الأولين يصار إلى المجاز بالاتفاق، ولو كانت الحقيقة مستعملة، فإن لم يكن لها مجاز متعارف عليه فالحقيقة أولى بلا خلاف^(٤).

فيما يرى فريق آخر أن صرف اللفظ عن الحقيقة الوضعية وعن العرفية والشرعية إلى غيرها يسمى مجازاً^(٥)، ومعنى هذا القول الأخير أن اللفظ متى

- ١- ينظر: الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام: ٢٧ / ١، السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل: أصول السرخسي - دار المعرفة / بيروت - د. ط - د. ت: ١ / ١٩٠.
- ٢- التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح: ١ / ١٣٢.
- ٣- الأسنوي، نهاية السؤل: ص ١٢١.
- ٤- الشاشي، نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق: أصول الشاشي - دار الكتاب العربي / بيروت - د. ط - د. ت: ص ٤٩ - ٥٠.
- ٥- الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام: ٢٨ / ١، الأسنوي، نهاية السؤل: ص ١٢٠.

غلب استعماله في إحدى هذه الحقائق فإنه يكون حقيقةً في المتعارف عليه أو ما استعمل فيه، مجازاً فيما عداه.

ويستنتج من هذا القول الأخير أن الراوي متى استخدم إحدى الحقائق بديلاً عن الحقيقة المستخدمة في اللفظ النبوي فإنه يكون من باب المجاز، وهو الممتنع؛ لأنه سيكون باعتبار مختلف، وسبق القول إن شرط الترادف أن يكون اللفظان المترادفان مستخدمين باعتبار واحد.

٢- الاسم والصفة: من الحالات التي يظن فيها الترادف حالة إبدال الصفة محل الاسم، ومعلوم أن للاسم تقسيمات متعددة، من بينها تقسيم الاسم إلى اسم وصفة:

الاسم وهو ما دل على معنى في نفسه، غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة^(١).

والصفة (عند الأصوليين تقييد لفظ مشترك المعنى بلفظ آخر مختص، ليس بشرط ولا استثناء ولا غاية)، ولا يريدون منها النعت^(٢).

غير أن المقصود في باب الترادف هو النعت اللغوي، نظراً لأن البحث هنا في الترادف بين الألفاظ المفضية لمعنى واحد.

وهذا ما يجعل الاسم والصفة يطلقان على الشيء نفسه ولكن باعتبارين، يضاف إلى ذلك أن في الوصف زيادة فائدة ليست في الاسم، بوصف الذات بصفة معينة، كقولهم: سيف وصارم؛ فإن السيف اسم الآلة، والصارم لفظ واصف للآلة بالحدة، ففيه زيادة على المسمى، وشرط الترادف التساوي بين اللفظين المترادفين؛ مما جعل الأصوليين يحكمون على الصفة أنها لا تصلح مرادفاً

١- الشريف الجرجاني، التعريفات: ص ٢٤.

٢- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي: منع الموانع عن جمع الجوامع في أصول الفقه - ت/ سعيد بن علي الحميري - دار البشائر / بيروت - ط ١ - ١٩٩٩ م - ص ٥١٢ - ٥١٣.

للاسم أو بديلاً عنه^(١).

وبناء على ذلك فإن اللفظين متى كانا صفتين فإنه يصح أن يكون أحدهما مرادفاً للآخر؛ لأنهما لفظان يطلقان باعتبار واحد؛ هو اعتبار الوصف للشيء؛ ولذا صح استبدال لفظ النمام بلفظ القتات في روايتي الحديث؛ لأن كلا اللفظين وصفٌ.

٣- الاسم والنسبة: والنسبة تعني الإضافة^(٢)، وهذه الإضافة قد تكون لبلد كبصري وكوفي، أو قبيلة كقرشي وتميمي، أو مهنة كصيدلاني، أو مذهب فقهي كمالكي، أو فكري كمعتزلي وأشعري^(٣).

وعوداً إلى مسألة الترادف فإن جمهور الأصوليين يرون أن في النسبة زيادة على الاسم، بنسبة ذلك الاسم نفسه إلى شيء بعينه، وبالتالي فإن استبدال النسبة بالاسم لا يعد ترادفاً.

أما في مسألة النقل بالمعنى فإن شرط جواز استبدال اللفظ المرادف باللفظ النبوي في الرواية بالمعنى عند من يرى جوازه أن يكون اللفظان متساويين في المعنى، وهذه الزيادة تجعل أحد اللفظين زائداً عن اللفظ الآخر، وبالتالي لا يجوز في الرواية بالمعنى استبدال الاسم بالنسبة أو العكس لهذه الزيادة.

٤- اختلاف الحالة: كمثل لفظي الجلوس والقعود؛ فالجلوس يكون من اضطجاع، بينما يكون القعود من قيام؛ فهما لفظان وإن ظن ترادفهما إلا أنهما يعبران عن حالتين مختلفتين^(٤).

١- ينظر: الرازي، المحصول: ١/ ٢٥٣، الغزالي، المستصفى: ص ٢٧، ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد: روضة الناظر وجنة المناظر- مؤسسة الريان للطباعة والنشر- ط ٢- ٢٠٠٢م- ١/ ٧٣.

٢- تمام حسان عمر: اللغة العربية معناها ومبناها- عالم الكتب - ط ٥- ٢٠٠٦م- ص ٢٠٣.

٣- ينظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب - ت / عبد السلام هارون- مكتبة الخانجي / القاهرة- ط ٣- ١٩٨٨م- ٣/ ٣٣٥-٣٣٨.

٤- الفناري، شمس الدين محمد بن حمزة: فصول البدائع في أصول الشرائع - ت / محمد حسين - دار الكتب العلمية / بيروت - ط ١- ٢٠٠٦م- ١/ ١٠٩، الشوكاني، إرشاد الفحول: ١/ ٥٧.

ويرى الشوكاني أن إخراج الصفة والنسبة والحالة من باب الترادف إنما هو ضرب من التكلف والتعسف، فهو - وإن أمكن تكلف مثله في بعض الألفاظ المترادفة - فإنه لا يمكن في أكثرها^(١).

ويتفق الباحثان مع الشوكاني في هذا القول، وذلك لعدة أمور منها:

١ - أن استبدال الصفة بالاسم في الرواية بالمعنى خاصة لا يبدو ممتنعاً، أولاً يمكن تعميم امتناعه في كل الأحوال؛ لأن الصفة متى اختص بها اسم واحد دون غيره، ولم تتضمن زيادة حكم على الموصوف، صلحت بديلاً مرادفاً له؛ لأن اللفظ حينئذ لا يترتب عليه التباس اللفظ بغيره، كمثّل لفظي السيف والصارم، فإن صفة الصارم خاصة بالسيف دون غيره، فمتى استبدل لفظ السيف بالصارم - على فرض وقوعه عند الرواية بالمعنى - فإنه لا يترتب عليه لبس على السامع، ولا يتبادر إلى الذهن صورة إلا السيف، والأمر نفسه يمكن قوله في حالة استبدال النسبة أو الحالة باللفظ، فإنه يمكن في حالة الاحتجاج أن يقال مثلاً: إن مما بينه النبي ﷺ أن جعل المكيال مدنياً والوزن مكيماً، بنسبة المكيال إلى المكان الذي ذكره النبي ﷺ فيما يرويه ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «الوزن وزن أهل مكة، والمكيال مكيال أهل المدينة»^(٢)، لكن الأمر ليس على إطلاقه، فالدقة مطلوبة عند النقل بالمعنى وظن الترادف أمر واقع، ومن ذلك ظن الترادف بين صفات الكفر والفسوق والعصيان^(٣) في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ

١ - الشوكاني، إرشاد الفحول: ٥٧ / ١

٢ - السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبو داود - ت / محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية / بيروت - د. ط - د. ت - (كتاب البيوع - باب في قول النبي ﷺ المكيال مكيال المدينة - حديث رقم ٣٣٤٠ - قال أبو داود: وكذا رواه الفريابي، وأبو أحمد، عن سفيان، وافقهما في المتن، وقال أبو أحمد: عن ابن عباس، مكان ابن عمر... واختلف في المتن في حديث مالك بن دينار، عن عطاء عن النبي ﷺ في هذا ٢٤٦ / ٣)

٣ - ينظر: الرجراجي، أبو عبد الله الحسين بن علي بن طلحة الشوشاوي: رفع النقاب عن تنقيح الشهاب - ت / أحمد السراج وعبد الرحمن الجبرين - مكتبة الرشد للنشر / الرياض - ط ١ - ٢٠٠٤م - ٢ / ٣٧١

لَعْنَتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَنَ وَزَيْتَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿١١﴾، فاستبدال أي لفظ من هذه الثلاثة وردت في حديث من باب الرواية بالمعنى، ظناً من الراوي أنها مترادفة ويصلح أن يحل أحدها محل الآخر ممتنع، فهي وإن كانت باعتبار واحد وهو اعتبار الوصف، إلا أنها ليست مترادفة فهي ليست بمعنى واحد أصلاً.

٢- أن اشتهار شخص أو أداة أو دابة أو غيرها بنسبة معينة لبلد أو قبيلة أو غيرها، أو الاشتهار بوصف قد يصل لمرحلة أن يغلب على اسمه، كغلبة الفاروق على اسم سيدنا عمر رضي الله عنه، والفارسي كنسبة على بقية اسم سلمان رضي الله عنه، إن اشتهار هذه الصور قد يجعل هذه النسبة أو الصفة تصلح مرادفاً؛ ولذا يصح استبدالها بالاسم أو اللفظ بها في مثل هذه الحالة - والله تعالى أعلم -.

٥- الاختلاف من حيث العموم والخصوص: وذلك باستخدام لفظ عام بدلاً عن لفظ خاص، أو خاص بدلاً عن عام في أصل الرواية ظناً من الراوي أنهما مترادفين، كالعلاقة بين لفظي السبع والأسد، فالسبع اسم جامع لكل صائد أو عاقر أو أكل لحم، ولا يسمى سبعا حتى تكون كذلك مثل الأسد والذئب والكلب والنمر والفهد^(٢)، فهو يعم كل هذا الجنس، بينما لفظ الأسد لفظ خاص دال على الحيوان المعروف، فإذا أطلق لم يدل على عموم لفظ السبع، وكذلك لفظ السبع إذا أطلق لا يدل على خصوص الأسد وإن كان يشملها، فلا يصلح بديلاً له من باب الترادف.

وفي مسألة الرواية بالمعنى يذكر هذا المثال بعينه، غير أنه إن حاولنا التمثيل للمسألة، فإن المثال هنا سيكون من باب الافتراض، لا أنه من باب ما وقع فعلاً،

١- الحجرات: آية ٧.

٢- الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: غريب الحديث - ت/ عبد الله الجبوري - مطبعة العاني / بغداد - ط ١- ١٣٩٧هـ - ١ / ٢٣٥.

ويمكن هنا التمثيل بما رواه أحمد وابن ماجه بسنده عن ربيعة بن عبد الرحمن، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، «أن رسول الله ﷺ، قضى باليمين مع الشاهد»^(١).

فالقضاء هنا له معنيان:

١- تشريع الحكم كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢)، بمعنى شرع لكم وأمركم.

٢- (الحكم بمعنى فصل الخصومات بين الناس كأحوال القضاة في الوقائع الجزئية. فالمعنى الأول يتأتى فيه العموم؛ لأن شرع كل شاهد ويمين حجة إلى يوم القيامة ممكن، وإذا وردت صيغة العموم في محل يقبل العموم وجب حمله على العموم؛ لأن الأصل في الاستعمال الحقيقة...، أما الثاني - وهو فصل الخصومات الجزئية - فيتعين فيه الخصوص)^(٣).

ووجه الاستشهاد بهذا الأثر أنه لا يصلح من الراوي في حالة النقل بالمعنى استبدال لفظ أفتى أو فصل بلفظ (قضى) بين خصمين بالشاهد واليمين، ظناً منه أنهما مرادفان للفظ (قضى)؛ لما بين هذه الألفاظ من العموم والخصوص، فهما وإن كانا من معاني اللفظ إلا أن شرط الترادف التساوي بين اللفظين المترادفين.

كما أن شرط الرواية بالمعنى المساواة في اللفظ في الزيادة والنقصان، والخفاء والجلاء، والعموم والخصوص؛ إذ لو ذهب بعض هذه الشروط لتغير معنى

١- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه - ت / محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية / مصر - د. ط - د. ت: (كتاب الأحكام - باب القضاء بالشاهد واليمين - حديث رقم ٢٣٦٨ - ٢ / ٧٩٣) - قال ابن حجر عن الحديث: قال ابن أبي حاتم عن أبيه: صحيح (ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير - دار الكتب العلمية - ط ١ - ١٩٨٩م - ٤ / ٤٦٦).

٢- الإسراء: آية ٢٣.

٣- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس: العقد المنظوم في الخصوص والعموم - ت / أحمد ختم عبد الله - دار الكتبي - ط ١ - ١٩٩٩م - ١ / ٥٥١ - ٥٥٢.

الحديث، لأن الخطاب تارة يقع بالمحكم، وتارة بالمتشابه لحكم وأسرار استأثر الله بعلمها، فلا يجوز تغييرها عن وضعها^(١).

وفي حالة العموم والخصوص فإن الراوي إذا لم يلتزم بهما فقد زاد في شرع الله تعالى أو نقص منه، ويكون قد فعل في الرواية بالمعنى ما لا يجوز، وذلك محل بعدالته^(٢).

٦- استبدال المرادف باللفظ لغرض التأدب في النطق:

تشمل لغة العرب كمًا هائلًا من الألفاظ التي توصف بالمترادفة، غير أن منها ما قد تستمجه النفس، والاستبدال هنا يلجأ إليه من باب التأدب واللين في المنطق، وقد كان من سنته ﷺ استبدال الاسم الحسن بالقبيح، والأمر ذاته عند استبدال الألفاظ المستمراة بالمستمجة، ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال: «لا يقولن أحدكم خبث نفسي، ولكن ليقل لقسست^(٣) نفسي»^(٤)، والذي عليه أهل اللغة وغريب الحديث وغيرهم أن لقسست وخبثت بمعنى واحد، وإنما كره لفظ الخبث لبشاعة الاسم، ونهى النبي ﷺ كان لتعليم الأمة وتوجيهها إلى ضرورة التأدب في الألفاظ، واستعمال حسنها وهجران خبيثها؛ ولذا قال ابن بطل أن قوله عليه الصلاة والسلام (لا يقولن أحدكم خبث نفسي) ليس على معنى الإيجاب والحتم، وإنما هو من باب الأدب^(٥).

١- ينظر: الرازي، المحصول: ٤ / ٤٦٧.

٢- ينظر: القرافي، العقد المنظوم في الخصوص والعموم: ١ / ٥٥٠.

٣- اللقس: الحرص والشره، ولقسست نفسه: خبثت، وقيل: نازعته إلى الشر، وقيل: بخلت وضاعت (لسان العرب ٦ / ٢٠٨).

٤- القشيري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم - ت / محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي / بيروت - د. ط - د. ت: (كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها - باب كراهة قول الإنسان خبثت نفسي - حديث رقم ١٧ (٢٢٥١) - ٤ / ١٧٦٥).

٥- ينظر: ابن بطل، شرح صحيح البخاري: ٩ / ٣٣٦، النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: شرح النووي على صحيح مسلم - دار إحياء التراث العربي / بيروت - ط ٢ - ١٣٩٢هـ: ٨ / ١٥.

ولذا قد يمتنع الترادف لا لشيء إلا لمنافاة الأدب الذي حث عليه النبي ﷺ،
رغم وجود حقيقة الترادف ومناسبته.

المبحث الثالث: تأثير الاستبدال بين الحروف وأثره عند الأصوليين

سبقت الإشارة إلى أن من أجاز استبدال اللفظ المرادف باللفظ النبوي كان من شرطه أن يؤدي المعنى نفسه وبذات الاعتبار، وهذه الرأي يشمل اللفظ بشكل عام اسمًا كان أو فعلًا أو حرفًا، ومما سبقت الإشارة إليه أيضًا أن الراوي قد يسبق إلى ظنه حمل اللفظ البديل لنفس معنى اللفظ المبدل منه فيما لا يصدق عليه ذلك، فلربما استبدل بالعام خاصًا أو العكس، أو بالحقيقة مجازًا أو العكس - وهو الممتنع عند الأصوليين - وهو أمر ينطبق على الاسم والفعل.

غير أن الأمر إذا ما تعلق بالحرف فإن الأمر يختلف، فإن استبدال الحرف بآخر بظن أنهما يحملان المعنى نفسه قد يؤدي إلى تغيير معنى النص بشكل كلي أو جزئي، كما قد يؤدي إلى اختلاف الأحكام الفقهية المنصوص عليها في الحديث؛ مما يؤدي إلى اختلاف الفقهاء فيها، أو لربما وصل الأمر إلى اعتبارهما حديثين منفصلين، وفي أحيانٍ أخرى قد لا يكون هناك كبير فرق بين معنى الحرفين، ويستقيم معنى الحديث في الروايتين. وفيما يلي تفصيل البحث في المسألة:

المطلب الأول: دليل تأثير استبدال حرف بحرف في معنى القول

وردت عدة روايات عن النبي ﷺ تبين تأثير الحرف في سياق الكلام، وكذلك وردت عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم، ومن ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه: (أخبرنا علي بن الحسين السبيعي، بالكوفة، ثنا أحمد بن حازم الغفاري، ثنا محمد بن عبيد المسعودي، عن معبد بن خالد، عن عبد الله بن يسار، عن قتيلة بنت صيفي، امرأة من جهينة قالت: إن حبرًا جاء إلى النبي ﷺ، فقال:

إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا ما شاء الله ثم شئت وقولوا ورب الكعبة»^(١).

فالواو حرف من الحروف ذات الوجهين:

أ- فهي حرف من حروف المباني التي تتكون منها بنية الكلمة، فحينذاك قد تكون حرفاً ساكناً أو حرف علة.

ب- حرف من حروف المعاني أي أنها حرف وضع لأداء معنى معين في الجملة^(٢).

وقد اختلف في معنى الواو في الجملة سواء أكان ذلك بين النحاة أم بين الأصوليين، فقليل في معانيها:

١- إنها للترتيب، وهو الذي اشتهر عن أصحاب الشافعي^(٣).

٢- إنها للمعية: وإليه ذهب الصحابان من الحنفية^(٤)، وعند البزدوي أنها لمطلق العطف من غير تعرض لمقارنة أو ترتيب^(٥).

٣- إنها لمطلق الجمع أي أنها لا تدل على ترتيب ولا معية، وهو اختيار البيضاوي، وقيدها الإمام بالواو العاطفة؛ ليحترز عن الواو بمعنى مع^(٦)، وهو اختيار الأمدي^(٧).

١- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري: المستدرک علی الصحیحین - ت / مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية / بيروت - ط١ - ١٩٩٠م - كتاب الأيمان والندور - حديث رقم ٧٨١٥ - قال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: حديث صحيح - ٣٣١ / ٤.

٢- ينظر: التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح: ١ / ١٨٧.

٣- ينظر: الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف: البرهان في أصول الفقه - ت / صلاح محمد - دار الكتب العلمية / بيروت - ط١ - ١٩٩٧م: ١ / ٥٠، الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف: اللمع في أصول الفقه - دار الكتب العلمية - ط٢ - ٢٠٠٣م - ص ٦٥.

٤- ابن أمير حاج، التقرير والتحرير: ٢ / ٤٠.

٥- فخر الإسلام البزدوي، علي بن محمد بن الحسين: أصول البزدوي (مطبوع بأعلى صفحات كشف الأسرار للبخاري) - ٢ / ١٠٩.

٦- الأسنوي، نهاية السؤل: ص ١٤١.

٧- الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام: ١ / ٦٧.

وهذه المعاني جميعاً ردها النبي الكريم ﷺ في هذه العبارة؛ لأن الواو بأي من معانيها الثلاثة لا تتماشى مع العقيدة الصحيحة كما بينه ﷺ، وأمر ﷺ باستعمال «ثم» بدلاً عن الواو.

وتم حرف عطف يفيد الترتيب مع التراخي^(١)، وبناء على هذا فهي تحمل معنى الواو بالنسبة لأصحاب القول الأول، وهذا دالٌّ على عدم اختصاص الواو بالترتيب، ولو كانت الواو توجب الترتيب لكان قوله: وشئت، وقوله: ثم شئت - سواء، وقد فرق النبي ﷺ بينهما، وأمره بأحدهما ونهاه عن الآخر، فعلم أن أحدهما يوجب الجمع، والآخر الترتيب^(٢)، وهو الراجح والله تعالى أعلم.

وقد وقع في بعض الأحاديث أن استبدل حرف بآخر بظن الترادف مما غير المعنى لكن دون تغيير الحكم الفقهي المترتب عليه، ومنه حديث الباب في مسألة السلام على أهل الذمة:

ففي سنن أبو داود: حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا عبد العزيز، يعني ابن مسلم عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود إذا سلم عليكم أحدهم فإنما يقول السام عليكم، فقولوا: وعليكم»^(٣).

وفي صحيح مسلم من طريق يحيى بن يحيى (عن عبد الله بن دينار، أنه سمع ابن عمر، يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود إذا سلموا عليكم يقول أحدهم

١- الأسنوي، جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي: الكوكب الدرّي فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية - ت / محمد حسن عواد - دار عمار / الأردن - ط ١ - ١٤٠٥هـ - ص ٣٤٠.

٢- أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين بن محمد: العدة في أصول الفقه - ت / أحمد بن علي سير المباركي - ط ٢ - ١٩٩٠م - ١ / ١٩٥.

٣- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي: سنن أبي داود - ت / محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية / صيدا - بيروت - ط ١ - د. ت (كتاب الأدب - أبواب النوم - باب في السلام على أهل الذمة - حديث رقم ٥٢٠٦ - قال الألباني: حديث صحيح - ٤ / ٣٥٣).

السام عليكم فقل: عليك»^(١).

قال الخطابي في معالم السنن: (هكذا يرويه عامة المحدثين (وعليكم) بالواو، وكان سفيان بن عيينة يرويه عليكم بحذف الواو وهو الصواب؛ وذلك أنه إذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه بعينه مردوداً عليهم، ويادخال الواو يقع الاشتراك معهم، والدخول فيما قالوه؛ لأن الواو حرف العطف والجمع بين الشئين، والسام فسروه: الموت)^(٢).

ففي هاتين الروایتين غير حرف الواو معنى الجملة، فإن معنى الجملة عند استعمال الواو يكون: السام علينا وعليكم، فيدعو المسلم على نفسه، بينما يتغير المعنى بدونها فيدعو على اليهودي دون دخوله تحت الدعاء.

المطلب الثاني: تأثير تغيير حرف بغيره في اختلاف الحكم الفقهي

ومن ذلك اختلاف روايتي حديث النهي عن البول في الماء الراكد، باختلاف استعمال حرفي العطف (و) و (ثم) في النهي عن الاغتسال في الماء الراكد أو الدائم في الروایتين؛ فجاء في مسند الإمام أحمد: (حدثنا يحيى، عن ابن عجلان، قال: سمعت أبي، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا يبيل أحدكم في الماء الدائم، ولا يغتسل فيه من الجنابة»)^(٣).

باستعمال حرف الواو في عطف الاغتسال على البول في الماء الدائم.

أما صحيح مسلم فجاء فيه: (حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن

١- القشيري، صحيح مسلم: كتاب السلام - باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم - حديث رقم ٢١٦٤ - ١٧٠٦ / ٤.

٢- الخطابي، معالم السنن: ١٥٤ / ٤، ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الشافعي: فتح الباري شرح صحيح البخاري - رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي - دار المعرفة / بيروت - ١٣٧٩هـ - ٤٥ / ١١.

٣- مسند الإمام أحمد: مسند أبي هريرة - حديث رقم ٩٥٩٦ - ٣٦٥ / ١٥.

هشام، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم، ثم يغتسل منه»^(١).

باستعمال حرف العطف (ثم) والذي يفيد التعقيب كما سبقت الإشارة إليه، وقد أدى اختلاف الحرفين إلى اختلاف معنى الحديثين، واختلاف الأحكام المترتبة عليهما.

ففي رواية الواو يكون معنى الحديث النهي عن استعمال الماء الراكد في أمرين هما: البول والاعتسال من الجنابة، والماء الدائم هو الراكد، وقد فسره النبي ﷺ في رواية أخرى بأنه الماء الذي لا يجري، في قوله ﷺ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه»^(٢)، ويحتمل أنه احترز به عن راكد لا يجري بعضه كالبرك والبحيرات الصغيرة التي يجري طرفها ويركد طرفها الآخر^(٣)، والنهي عن الاعتسال هنا سواء أسبقه البول في الماء الراكد أم لا، فقد تكرر حرف النهي بعد الواو، فكانتا جملتين منفصلتين نهى عن كل منهما على حدة، على شاكلة قولنا: لا تخرج من الدار، ولا تغلق بابها.

وبناء على ذلك استدل به بعض الفقهاء على أن اغتسال الجنب في الماء يفسده، لكونه مقروناً بالنهي عن البول فيه^(٤)، فكما كان البول في الماء الراكد مفسداً فكذلك الاعتسال.

أما في الرواية الثانية والتي كانت بحرف العطف (ثم) - والتي تفيد الترتيب مع التراخي - فإن المتبادر أن النهي كان عن الاعتسال في الماء الراكد عقيب البول فيه، فإن لم يكن فالاعتسال فيه جائز، وهو ما أبطله حديث مسلم من طريق أبي

١- صحيح مسلم: كتاب الطهارة - باب النهي عن البول في الماء الراكد - حديث رقم ٢٨٢ - ١ / ٢٣٥.
 ٢- صحيح البخاري: كتاب الوضوء - باب البول في الماء الدائم - حديث رقم ٢٣٩ - ١ / ٥٧.
 ٣- ينظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١ / ٣٤٧.
 ٤- ينظر: ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام - مطبعة السنة المحمدية - د. ط - د. ت - ٧٣ / ١.

السائب، والذي نهى فيه ﷺ عن الاغتسال في الماء الدائم دون ذكر البول فيه، فروى عن أبي السائب، مولى هشام بن زهرة، حدثه أنه سمع أبا هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب» فقال: كيف يفعل يا أبا هريرة، قال: (يتناولُه تناولا) (١).

أما الأحكام التي تأسست على كل رواية منهما فهي:

١- أن النهي كان عن الفعلين سواء اجتمعا أو افترقا، وذلك بحمل الحديث المروي ب (ثم) على الحديث المروي بالواو، للنهي عن كل منهما على حدة في روايات أخرى.

٢- أن الوضوء يأخذ حكم الاغتسال، فلا يجوز أيضاً التوضؤ من الماء الدائم (٢)، لورود ذلك في رواية رابعة للحديث، وهي ما رواه الإمام أحمد في مسنده قال: (حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم، ثم يتوضأ منه» (٣).

٣- أن النهي عن الوضوء من الماء الدائم ليس على إطلاقه، وإنما هو في حالة الماء المتنجس بالبول أو ما في حكمه من النجاسات، وهو ما يمكن استنباطه من نص للحديث.

٤- أن رواية (الواو) كان النهي فيها عن الاغتسال في الماء الراكد بقوله (فيه)، فيما كان النهي في روايتي (ثم) عن الاغتسال والوضوء من الماء الراكد بقوله (منه)، والفرق بين الصيغتين أن قوله (فيه) دال على تنجس الماء بانغماس

١- صحيح مسلم: كتاب الطهارة- باب النهي عن الاغتسال في الماء الراكد- حديث رقم ٢٨٣- ١ / ٢٣٦.

٢- ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام: ٧٣ / ١.

٣- مسند الإمام أحمد: مسند أبي هريرة- حديث رقم ٧٩٠٣- ١٣ / ٤٤.

الجنب في الماء الراكد، وأن الماء ينجس بملاقاة النجاسة.

أما باستخدام صيغة (منه) فهي دالة على امتناع استعمال الماء المتنجس أو المخالط للنجاسة ولو حتى تناولا^(١).

المطلب الثالث: تغيير الحرف بغيره دون تأثير

في تغيير المعنى أو الحكم الفقهي

من ذلك التغيير بين أحرف القسم مثل صيغة (والله)، وصيغة (تالله)، فالصيغتان تؤديان المعنى نفسه وبالاعتبار نفسه وهو القسم، ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد (عن جابر، قال: أتى النبي ﷺ بامرأة قد سرقت، فعادت بربيب رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «والله لو كانت فاطمة لقطعت يدها»، فقطعها قال ابن أبي الزناد: وكان ربيب النبي ﷺ سلمة بن أبي سلمة، وعمر بن أبي سلمة، فعادت بأحدهما^(٢).

والخبر نفسه رواه الإمام البخاري (عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة، فقال رسول الله: «أتشفع في حد من حدود الله»، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها^(٣)).

١- ينظر: القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري - المطبعة الكبرى الأميرية / مصر - ط ٧-١٣٢٣هـ - ١ / ٣٠٥.

٢- مسند الإمام أحمد: مسند جابر بن عبد الله ﷺ - حديث رقم ١٥٢٤٧ - ٢٣ / ٤٠٢.

٣- صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء - باب حديث الغار - حديث رقم ٣٤٧٥ - ٤ / ١٧٥.

ففي الحديثين - رغم الاختلاف فيمن استعادت به المخزومية - فإن القسم الذي أقسمه النبي ﷺ كان في حادثة واحدة، وقد ورد بلفظين مترادفين في روايتين، وفي الروايتين لم يتغير الحكم بناء على تغير حرف القسم وهو ما ذهب إليه أكثر أهل العلم^(١).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له على التوفيق إلى الطاعات،
وبعد:

فقد خلص البحث إلى النتائج الآتية:

- ١- أن استبدال المرادف باللفظ عند رواية الحديث من الصور التي يكثر تداولها بين الرواة، حتى لقد ذهب البعض إلى أنها صورة جائزة بلا خلاف.
- ٢- أن من الأمور التي يمكن بها الاستدلال على وقوع استبدال في لفظ الحديث أن يصرح الراوي بذلك، ومنها أن يثبت وحدة الحادثة التي قيل فيها الحديث، ليثبت بالمقابل وحدة اللفظ الذي قيل ليثبت الاستبدال به.
- ٣- أن استبدال الراوي حقيقة مرجوحة بأحد ألفاظ الحديث باعتباره حقيقة راجحة مستخدمة في الدلالة على معنى معين مرادف في الحديث - سواء أكان اللفظ محمولاً على الحقيقة اللغوية أم العرفية أم الشرعية - يعد من باب استبدال المجاز بالحقيقة وهو ممتنع، بناء على اشتراط وحدة الاعتبار عند الاستبدال.
- ٤- أن استبدال الصفة بالاسم وإحاقها باللفظ المرادف في حالة الرواية بالمعنى خاصة لا يبد وممتنعاً، أولاً يمكن تعميم امتناعه في كل الأحوال؛ لأن الصفة متى

١- ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري: ١١/ ٥٢٦.

اختص بها اسم واحد دون غيره، ولم تتضمن زيادة حكم على الموصوف، صلحت بديلاً مرادفاً له؛ لأن اللفظ حينئذ لا يترتب عليه التباس اللفظ بغيره.

٥- أن اشتهار شخص أو أداة أو دابة أو غيرها بنسبة معينة لبلد أو قبيلة أو غيرها، أو الاشتهار بوصف قد يصل لمرحلة أن يغلب على اسمه، قد يجعل هذه النسبة أو الصفة تصلح مرادفاً؛ ولذا يصح استبدالها بالاسم أو اللفظ في مثل هذه الحالة.

٦- أن استبدال الحرف بآخر بظن أنهما يحملان المعنى نفسه قد يؤدي إلى تغيير معنى النص بشكل كلي أو جزئي، كما قد يؤدي إلى اختلاف الأحكام الفقهية المنصوص عليها في الحديث؛ مما يؤدي إلى اختلاف الفقهاء فيه، وقد يصل الأمر إلى اعتبارهما حديثين منفصلين، وفي أحيانٍ أخرى قد لا يكون هناك كبير فرق بين معنى الحرفين، ويستقيم معنى الحديث في الروايتين. هذا وبالله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة بأسماء المراجع

- الأثري، محمد بن علي بن آدم: شرح الأثري علي ألفية السيوطي - مكتبة الغرباء الأثرية / السعودية، ط١، ١٩٩٣م.
- الأسنوي، جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي: الكوكب الدرري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية - ت / محمد حسن عواد - دار عمار / الأردن - ط١ - ١٤٠٥هـ.
- الأسنوي، جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي: نهاية السؤل شرح منهاج الوصول - دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- الأصفهاني، محمود بن عبد الرحمن: بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب - ت / محمد مظهر بقاء، دار المدني / السعودية، ط١، ١٤٠٦هـ.
- الأمدي، أبو الحسن علي بن أبي علي: الإحكام في أصول الأحكام - ت / عبد الرزاق العفيفي، المكتب الإسلامي / بيروت - د.ط - د.ت.
- الأمير حاج، أبو عبد الله محمد بن محمد: التقرير والتحجير - دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- الأيجي، عضد الدين، عبد الرحمن بن أحمد: شرح العضد علي مختصر ابن الحاجب - ت / فادي نصيف و طارق يحيى، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل - صحيح البخاري - ت / محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- البزدوي فخر الإسلام، علي بن محمد بن الحسين: أصول البزدوي (مطبوع بأعلى صفحات كشف الأسرار للبخاري).
- ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك: شرح صحيح البخاري لابن بطلال - ت / أبو تميم ياسر ابن إبراهيم، مكتبة الرشد / السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: سنن الترمذي - ت / أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي - مكتبة مصطفى البابي الحلبي / مصر - ط٢ - ١٩٧٥م.

- التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر: شرح التلويح على التوضيح - مكتبة صبيح / مصر، د. ط - د. ت.
- تمام حسان عمر: اللغة العربية معناها ومبناها - عالم الكتب - ط ٥ - ٢٠٠٦ م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، ت / جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية / بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣ م.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد - الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية - ت / أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين / بيروت - ط ٤ - ١٤٠٧ هـ م.
- الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف: البرهان في أصول الفقه - ت / صلاح محمد - دار الكتب العلمية / بيروت - ط ١ - ١٩٩٧ م.
- ابن الحاجب، أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر المالكي: منتهى الوصول والأمل إلى علمي الأصول والجدل الشهير بالمتنهي الأصولي - مطبعة السعادة / مصر، ط ١ - ١٣٢٦هـ.
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري: المستدرک على الصحيحين - ت / مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية / بيروت - ط ١ - ١٩٩٠ م.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الشافعي: فتح الباري شرح صحيح البخاري - رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي - دار المعرفة / بيروت - ١٣٧٩هـ.
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير - دار الكتب العلمية - ط ١ - ١٩٨٩ م.
- حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري - مكتبة البيان / سوريا - ١٩٩٠ م.
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي: معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود - المطبعة العلمية / حلب - ط ١ - ١٩٣٢ م.
- الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: غريب الحديث - ت / عبد الله الجبوري - مطبعة العاني / بغداد - ط ١ - ١٣٩٧هـ.

- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن: المحصول - ت / طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- الرجراجي، أبو عبد الله الحسين بن علي بن طلحة الشوشاوي: رفع النقاب عن تنقيح الشهاب - ت / أحمد السراج وعبد الرحمن الجبرين - مكتبة الرشد للنشر / الرياض - ط ١ - ٢٠٠٤م.
- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر: البحر المحيط في أصول الفقه - دار الكتبي، ط ١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي: منع الموانع عن جمع الجوامع في أصول الفقه - ت / سعيد بن علي الحميري - دار البشائر / بيروت - ط ١ - ١٩٩٩م.
- السبكي، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي: الإبهاج في شرح المنهاج - دار الكتب العلمية / بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبو داود - ت / محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية / بيروت - د. ط - د. ت.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث - ت / علي حسين علي، مكتبة السنة / مصر، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل: أصول السرخسي - دار المعرفة / بيروت - د. ط - د. ت.
- السمعوني، طاهر بن صالح الجزائري، توجيه النظر إلى أصول النظر - ت / عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية / حلب - ط ١ - ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- السنيكي، زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري: فتح الباقي بشرح ألفية العراقي - ت / عبد اللطيف هميم و ماهر الفحل - دار الكتب العلمية ط ١ - ٢٠٠٢م.
- سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب - ت / عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي / القاهرة - ط ٣ - ١٩٨٨م.
- الشاشي، نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق: أصول الشاشي - دار الكتاب العربي / بيروت - د. ط - د. ت.

- الشنقيطي، عبد الله بن إبراهيم العلوي: نشر البنود على مراقي السعود - تقديم: الداوي ولد سيدي بابا - أحمد رمزي - مطبعة فضالة بالمغرب - د. ط - د. ت.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول - ت / أحمد عزو وعناية - دار الكتاب العربي - ط ١ - ١٩٩٩ م.
- الشيباني، أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد: ت / شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط ١ - ٢٠٠١ م.
- الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف: اللمع في أصول الفقه - دار الكتب العلمية - ط ٢ - ٢٠٠٣ م.
- العلائي، الحافظ خليل بن كيكلي الشافعي: نظم الفرائد لما تضمنه حديث ذي اليمين من الفوائد - ت / كامل شطيبي الراوي - مطبعة الأمة / بغداد - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي: المستصفى - ت / محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.
- الفناري، شمس الدين محمد بن حمزة: فصول البدائع في أصول الشرائع - ت / محمد حسين - دار الكتب العلمية / بيروت - ط ١ - ٢٠٠٦ م.
- القاري، علي بن سلطان محمد الهروي: شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر - ت / محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم / بيروت، د. ط - د. ت.
- القاضي أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي المالكي: القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ت / محمد عبد الله ولد كريم - دار الغرب الإسلامي - ط ١ - ١٩٩٢ م.
- ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد: روضة الناظر وجنة المناظر - مؤسسة الريان للطباعة والنشر - ط ٢ - ٢٠٠٢ م.
- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس: شرح تنقيح الفصول - ت / طه عبد الرؤوف سعد - شركة الطباعة الفنية المتحدة - ط ١ - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس: العقد المنظوم في الخصوص والعموم - ت / أحمد ختم عبد الله - دار الكتيبي - ط ١ - ١٩٩٩ م.

- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، نفائس الأصول في شرح المحصول - ت / عادل عبد الموجود وعلي معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري - المطبعة الكبرى الأميركية / مصر - ط٧-١٣٢٣هـ.
- القشيري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم - ت / محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي / بيروت - ط. د. ط - د. ت.
- القشيري، ابن دقيق العيد، تقي الدين محمد بن علي بن وهب: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام - مطبعة السنة المحمدية - ط. د. ط - د. ت.
- الكرمانى، محمد بن يوسف بن علي: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري - دار إحياء التراث العربي / بيروت، ط١ - ١٩٨١م.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه - ت / محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية / مصر - ط. د. ط - د. ت.
- المارديني، شمس الدين محمد بن عثمان بن علي: الأنجم الزهراء على حل ألفاظ الورقات - ت / عبد الكريم النملة - مكتبة الرشد / الرياض - ط٣-١٩٩٩م.
- ابن مالك، محمد بن عبد الله، الطائي الجبائي: الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة - ت / محمد حسن عواد - دار الجيل / بيروت - ط١ - ١٤١١هـ.
- المرداوي، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان الحنبلي: تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول - ت / عبد الله هاشم، هشام العربي - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية / قطر - ط١ - ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- ابن مفلح، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الحنبلي: أصول الفقه - ت / فهد بن محمد السدحان - مكتبة العبيكان - ط١ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب - دار صادر / بيروت - ط٣-١٤١٤هـ.
- الميداني، عبد الرحمن بن حسن حبنكة دمشقي: البلاغة العربية - دار القلم / دمشق - ط١-١٩٩٦م.

- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: شرح النووي على صحيح مسلم - دار إحياء التراث العربي / بيروت - ط ٢ - ١٣٩٢ هـ.
- أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين بن محمد: العدة في أصول الفقه - ت / أحمد بن علي سير المباركي - ط ٢ - ١٩٩٠ م.

References:

- (Al'athyubi), muhammed Bin Ali Bin Adam: Sharah al'athyubi ala Alfiat Al-suyuti \ Alghurba alatharia library \ sauda arabia, Edition1, 1993AD.
- Al-Asnawi, Jamal Al-din Abu Muhammed Abdul Rahim bin Al-hasan bin Ali: Alkwkab alduri fima yataklaraj ealaa al'usul alnahwia min alfaqhia written by \ muhammad hassan awad -dar ammar - Jordan -Edition1-1405AH.
- Al-Asnawi, Jamal Al-din Abu Muhammed Abdul Rahim bin Al-asan bin Ali: ni-hayat assul sharah menhaj Al-usul -dar al-kutub al- elmia \ bayrut, Edition1 1420AH \ 1999AD.
- Al-isfahani, mahmoud bin Abdul Rahman: bayan almukhtasar sharah mukhtasar abn alhajib - written by \ muhammed mazhar baqa - dar almadani \ saudi arabia \ Edition1 \ 1406AH.
- al-amadi, abu al-hasan Ali bin abi ali: Al-ehkam fi usul Al-ahkam- written by \ abdel-razzeq al-afifi, islamic office \ beirut \ withut printing -without numbering.
- Amir haj abu abdullah muhammed bin muhammed: altaqrir wa althbir - dar al-kutub al-elmia \ Edition2 \ 1403AH-1983AD.
- Al-aiji, adhod addin, Abdul Rahman bin ahmed: sharah adhod ala mukhtasir abn alhajib- written by \ fadi nasif wa tariq yahyaa, dar al- kutub al- elmia \ beirut \ Edition1 \ 142ah \ 2000AD.
- Al-bukhari, abu abdullah muhammed bin ismaeel -sahih al-bukhari - wirtten by \ muhammed zuhair bin nasser, dar touq al-najat, Edition 1 \ 1422AH.
- Al-bazdawi, fakhr aleslam, Ali bin muhammed bin al-husin: usul al-bazdawi (printed at the top of al-bukhari's disclosure pages).
- Ebn battal, abu Al-hasan Ali bin khalaf bin abdul malik: sharah sahih al-bukhari li - Ebn battal - wirtten by \ abu tamim yasser ibn ibrahim, al-rushd library \ saudi arabia, EDition 2 \ 1423AH \ 2003AD.
- Al-tirmitdi, abu issa muhammed bin issa: sunan al-tirmitdi - wirtten by \ ahmed mohammed shaker and mohammed fouad abdel-baqi - mustafa al-babi al-halabi library \ egypt- Edition 2- 1975AD.
- al-Taftazani, saad eddin masoud bin omer: sharah altalwih ala altawdih - sabih library \ egypt \ without printing \ without numbering.
- tammam hassan omar: Arabic Language: Meaning and Composition - alam al-kutub \ Edition 5 \ 2006AD.

- Al-jorjani, ali bin muhammed bin ali: Definitions - wirtten by \ a group of scho-ares under the supervision of the publisher, dar al-kutub al-elmia \ beirut, Edi-tion 1 \ 1403AH \ 1983AD.
- Al-gohary, abu nasr ismail bin hammad: Al-sehah, taj allugha wa sehah alarabia -wirtten by \ ahmed abdel ghafour attar - dar al-alam lilmalayin \ beirut - Edi-tion 4 \ 1407AH \ 1987AD.
- Al-juwieyni, Abu Al-maali abdul malik bin abduallah bin youssef: Al- borhan fi Usul Alfiqh- wirtten by \ salah mohammed - dar al-kutub al-elmia \ beirut- Edi-ton 1 \ 1997AD.
- ibn Al-hajib, abu omar jamal Al-din othman bin omar bin abi bakr al-maliki: Al - montaha Al - usuli _ al-saada bress \ egypt, Edition1 \ 1326AH.
- Al-hakim, Abu abduallah muhammed bin abduallah bin muhammed al-naisab-oori: al-mustadrak ala al-sahihin - wirtten by \ mustafa abdel qader atta - dar Al-kutub Al-elmia \ beirut -Edition 1 \ 1990AD.
- ibn Hajar Al-aseqalani, abu al-fadl ahmed bin Ali bin hajar al-shafiei: fath al-bari sharh Sahih Al-bukhari-no.of his books, chapters and hadiths: muhammed fouad abd al-baqi - dar al-maarefa \ beirut - 1379AH.
- ibn Hajar Al-aseqalani, abu al-fadl ahmed bin ali bin muhammed: altalkhis al-habir fi takhrij 'ahadithalrrafieii alkabir _ dar al-kutub al-almia \ Edition1 \ 1989AD.
- Hamza muhammed qasim: manar alqari sharah mukhtasir sahih albakhari - al-bayan library \ syria - 1990AD.
- Al-khatabi, abu sulaiman hamad bin muhammed bin ibrahim al-busti: maealim alsann: sharah sunan 'abi dawud - sientific press \ aleppo \ Edition 1 \ 1932AD.
- Al-dinour, abu muhammed abduallah bin muslim bin qutaybah: ghareeb alhad-ith - wirtten by \ abduallah al-jubbouri - al-aani press \ baghdad - Edition 1 \ 1397AH.
- Al-razi, Abu abduallah muhammad bin omar bin Al-hasan: almahswl -wirtten by \ taha jaber al-alwani, Al-risala foundation \ Edition 3 \ 1418AH \ 1997AD.
- Al-Rajraji, abu abduallah Al-husein bin Ali bin talha al-shoshawi: rafae alniqab ean tanqih alshihab -wirtten by \ ahmed al-sarraj and abdu rahman al-jabreen \ al-rushd publishing library \ riyadh -EDition 1 \ 2004AD.
- Al-zarkeshi, abu abduallah muhammed bin abduallah bin bahader: albahr almuhit fi 'usul alfaqih - Dar Al-katbi, \ Edition 1 \ 1414AH \ 1994AD.

- Al-sobki, Taj al-din abd al-wahheb bin Ali bin abdul al-kafi: mane almawanie ean jame aljawamie fi 'usul alfaqih - wirtten by Saeed bin Ali Al-Hemiari - dar al-bashair \ beirut - Edition 1 \ 1999AD.
- Al-sobky, taqi al-din abu al-hasan ali bin abdul kafi: aleibhaj fi sharh al-menhaj -dar al-kutub Al-elmia \ beirut, 1416 AH \ 1995AD.
- Al-sijistani, abu dawud sulaiman bin Al-ashaath: sunan abu dawood - wirtten by \ muhammed muhyi al-din abdel hamid - modern library (almaktaba alas-ria) beirut - without printing \ without nnumbering.
- Al-sakhawi, Shams al-din muhammed bin abd al-rahman bin muhammed: fath al-mughith: sharh alfiat alhadith - wirtten by \ Ali hussein ali, library of sunnah \ egypt, Edition 1 \ 1424AH \ 2003AD.
- Al-sarakhsi, muhammed bin ahmed bin 'abi sahl: Usul Al-sarakhsi - dar al-maarefa \ beirut \ without printing |without nnumbering.
- Al-sameuni, taheer bin saleh al-jazaeri: tawjih alnazar 'iilaa 'usul alnazar -wirtten by \ abdel fattah abu ghoddah, islamic publlications library \ aleppo \ Edition 1 \ 1416AH \ 1995AD.
- Al-sunaiki, zainuddin abu yahya zakaria bin muhammed bin zakaria Al-ansari: ath al-baqi: sharh alfiat aleiraqi -wirtten by \ abdel-latif hamim and maher al-fahl - dar al-kutub al-elmia \ Edition 1 \ 2002AD.
- Sibawayh, abu beshr amr bin othman bin qanbar:the BOOK -wirtten by \ abdel salam haroun- al-khanji library \ cairo- Edition 3 \ 1988AD.
- Al-Shashi, nizamuddin abu Ali ahmed bin muhammed bin ishaq: Usul Al-shashi - dar al-kitab al-arabi \ beirut - without printing \ without numbering.
- al-shanqeeti, abdullah bin ibrahim al-alawi: nashr albnud ala maraqi alsueud - presented by: al-dai weld sisi baba - ahmed ramzy - fadal press in morocco - without printing - withot numbering.
- Al-shawkani, muhammed bin Ali bin muhammed: irshad alfuhul ala tahqiq al-haqi min eilm al-usul - written by \ ahmed izzo enaya - dar al-kitab al-arabi - Edition 1 \ 1999AD.
- Al-shaibani, ahmed bin hanbl: musnad al- imam ahmed: written by shuaib al'arnawuwat, adil murshid and others, al-risala fondation, Edition 1, 2001AD.
- al-shirazi, abu ishaq ibrahim bin Ali bin youssef: allomae fi 'usul alfaqih - dar alutub al-elmia -Editon 2 \ 2003AD.

- Al-allai, al-hafiz khalil bin kikeldi al-shafi'i: nazm al-farayid lema tadamanah hadith dhi al-yadayn min alfawayid -written by \ kamel shatib al-rawi - al-ummah press \ baghdad - 1406AH -1986AD.
- Al-ghazali, abu hamid muhammed al-tusi: Al-mustasfa - written by \ muham-mad abd al-shafi, dar al-kutub al-elmia, Edition 1 \ 1413AH \ 1993AD.
- Al-fanari, shamsal-din muhammed bin hamzah: fusul albadayie fi usul al-shraaye -written by \ muhammed hussein - dar al-kutub al-elmia \ beirut - Edition 1 - 2006AD.
- Al-qari, Ali bin sultan muhammed al-harwi: sharh nukhbat alfikr fi mustalahat ahl al-athar - written by \ muhammed nizar tamim and haitham nizar tamim, dar alarqam \ beirut, without printing \ without numbering.
- Al-qadi abu bakr bin al-arabi muhammed bin abdullah al-mo'afari al-eshbili al-maliki: al-qabas in explaining the muwatta malik bin anas - written by muhammed abdullah waleed karim - dar al-gharb al-islami -Edition 1 - 1992AD.
- ibn qudamah, muwaffaq al-din abdullah bin ahmed bin muhammed: rawdat al-nazer wa jonnat al-munazer - al-rayyan institution for printing and publishing - Edition 2- \ 2002AD.
- Al-qarafi abu al-abbas shihab al-din ahmed bin idris: Sharh Tanqeh Alfusol-written by \ taha abdul-raouf saad-united techical printing company - Edition 1 \ 1393AH \ 1973AD.
- al-qarafi, shihab al-din ahmed bin idris: al-eqd al-manzum fi alkhusus wa al-umum -written by \ ahmed khatm abd allah - dar al-ketbi - Edition 1 - \ 1999AD.
- Al-qarafi, shihab al-din ahmed bin idris: nafais al-usul fi sharh al-mahsoul - wirtten by \ adel abd al-mawjoud and ali moawad, library of nizar mustafa al-baz Edition 1 \ 1416AH \ 1995AD.
- Al-qastalani, ahmed bin muhammed bin abi bakr: Ershad Alsari: sharh sahih al-bukhari - al-kubra al-amiria press \ egypt - Edition 7 \ 1323AH.
- Al-qushairi, abu al-hassan muslim bin al-hajjaj: sahih muslim - written by \ mohammad fouad abdel-baqi - arab heritage revival house \ beirut - without printing \ without numbering.
- al-qushairi, ibn daqeeq al-eid, taqi al-din muhammed bin Ali bin wahb: Ehkam Al-ahkam sharh Omdat Alahkam- al-sunna al-muhammadiyah printind press - without printing - without numbering.

- Al-kirmani, muhammed bin yusif bin Ali: alkwakeb addarari fi sharh sahih al-bukhari - arab heritage revival house - beirut, Edition 1 \ 1981AD.
- ibn majah, muhammed bin yazid al-qazwini: sunan ibn majah - written by \ mohamed fuoad abdel-baqi - arab books revival house \ egypt - without printing - without numbering.
- Al-mardini, shams al-din muhammed bin othman bin Ali: al-anjum al-zaherat ala halli al-faz al-waraqat - writin by \ abdul karim al-namlah - al-rushd library \ riyadh -Edition 3 \ 1999AD.
- ibn malik, muhammed bin abduallah, al-taai al-jiani: al'alfaz al-mukhtalifat fi al-maeani al-mutalifa - written by \ muhammad hassan awad -dar al-jeel \ beirut - Edition 1 \ 1411AH.
- Al-mardawy, Alaa al-din abu al-hasan Ali bin sulaiman al-hanbali: tahrir al-manqul wa tahdhib elm al-usul = written by \ abduallah hashem, hisham al-arabi - ministry of awqaf and islamic affairs \ qatar - Edition 1 \ 1434AH \ 2013AD.
- ibn muflih, abu abduallah, shams al-din muhammed bin mufrij al-maqdisi al-hanbali: Usul Alfiqh - written by \ fahd bin muhammed al-sadhan - al-obeikan library - Edition 1 \ 1420AH \ 1999AD.
- ibn manzoor, muhammed bin makram: the tongue of the arabs - dar sader \ beirut - Edition 3 \ 1414AH.
- Al-midani, abdel-rahman bin hasan habnaka al-dimashqi: arabic rhetoric - dar al-qalam \ damascus - Edition 1- 1996AD.
- al-nawawi, abu zakaria yahya bin sharaf: sharah alnawawiu ealaa sahih muslim (explanation of al-nawawi by sahih muslim) - arab heritage revival house \ beirut - Edition 2 \ 1392AH.
- Abu yalaa al-farra, muhammed ibn ELHussein ibn muhammed: al-odah fi Usul Alfiqh- written by \ ahmed bin Ali sir al-mubaraki - Edition 2 \ 1990AD.

تقديم المفضول على الفاضل في
باب أفعال المكلفين ، أسبابه وضوابطه:
دراسة تأصيلية تطبيقية

**Preceding the Subordinate over the Superior,
its Reasons and Regulations:
a Foundational and Applicational Study**

أ. آمنة نزار قاسم الشيخ
جامعة الشارقة الإمارات العربية المتحدة

Amna Nezar Kasem Al Shaikh
University of Sharjah - United Arab Emirates

<https://doi.org/10.47798/awuj.2020.i60.03>



Abstract

The research mainly adopts the descriptive / deductive methodology. It employs a realistic, juristic approach into attaining a balanced view of what's "honorable" vs "the Virtuous" through explaining the reasons of preferring the virtuous to the "honorable" deed in the original concept of Islamic legislation. The research attributes this to the mechanics of the text itself; which means that the text states the utter preference of the virtuous either as mandatory or optional, depending occasional circumstances such as time or place obligations. Reasons can also include if the honorable is associated with an evident sin, breaching of worshiping or corruption. Same applies if it is connected with potential hardship. On the other hand, of the virtuous is preferred if it is believed to be coupled with a preponderant interest such as sound worshiping and righteousness.

The research then states three other factors governing the preference process, namely: the verification of the legitimacy of judgment, the binary relationship of the Mufti and the fatwa seeker, in addition to the emergency of the situation.

The research concludes to the importance played by the reality of Fatwa situation in deciding what to prefer. It also recommends more investigations of those Fatawa in future studies.

Keywords: The Honorable, The Virtuous, The best, The preference, Preferring, Interest, The reality, Balance.

ملخص البحث

تعدّ هذه الدراسة (تقديم المفضول على الفاضل) المبنية على المنهج الوصفي الاستنباطي، من الدراسات الخادمة لفقهِ الواقع القائم على آليّة الموازنة والتنسيق بين الاقتضاءين الأصلي والتبعي. وتسعى إلى تبيين مسألة عدول المكلف عن الفاضل المفضل في ميزان الشرع إلى المفضول في ميزانه الأفضل بحقه، وقد بينت أنه يرجع إلى أربعة أسباب: الخصوصية النصّية، وفيه أنّ النصّ يُلمي تقديم المفضول عنده على وجه الوجوب أو الندب. والعوامل الظرفيّة، وفيه أنّ الزمان والمكان يُميلان على المكلف العمل بالمفضول لضيق الحيز مع اتّساع حيز الفاضل. واقتران الفاضل بمفسدة راجحة، وهي العجز عن أدائه، أو صعوبة الإتيان به، أو لزوم الإخلال بالعبادة إذا تعيّن، وكونه ذريعة إلى مفسدة أكبر، وغير ذلك من المفاسد. واقتران المفضول بمصلحة راجحة، كزيادة الانتفاع بالعبادة، ومناسبة المفضول المقام كمقام البرّ ومقام القدوة وغيرهما.. ثمّ بعد بسط الأسباب سيّقت جملة من الضوابط التي تحكم عمليّة التفضيل، ومنها التحقق من ثبوت مشروعية الحكم، وازدواجيّة تحقيق المناط بين المفتي والسائل، والتنبيه على هذا العارض الطارئ، وغير ذلك.. وخلصت الدراسة إلى نتائج أهمّها أنّ معيار الأفضليّة يحكمه واقع المرء، وأوصت بالعناية بهذا النوع من الفقهِ في رصيد المفتي، وضبطه أكثر من خلال الدراسات المعمّقة.

الكلمات المفتاحيّة: الفاضل - المفضول - الأفضل - التفضيل - التقديم - المصلحة - الواقع - الموازنة.

المقدمة

الحمدُ لله ذي الآلاء والنِّعم، والصَّلَاة والسَّلَام على أكملِ خلقِ الله في المحاسِنِ والشَّيَمِ، المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وأزواجه وأصحابه ومن اتَّبَعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعدُ، لما كان الشرع الحكيم قد بذل للمكلفين مصالحَ شتى، وكان يحضُّ على المصالح الراجحة اختياراً وعملاً، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزُّمَر: ٥٥]، كان خليقاً بالمسلم أن يتَّبِع إرشادَ مربِّيه، ومن «السَّعادة أن يختار المرء لنفسه المواظبة على أفضل الأعمال فأفضلها، بحيث لا يُضَيِّع بذلك ما هو أولى بالتقديم منه»^(١).

ولا يُقال عن المصلحة مصلحةٌ إلا بعد اختبار كُنْهها ووضعها في منظور الشرع، ولا تُختار إلا بعد معرفة مرتبتها بين أشباهها، ولا يُعمَل بها إلا بعد معرفة وجه مناسبتها للمحل الذي تنزَّل عليه، فمدار العمل بها التحقيق في محلِّها، وإنَّ المأل الذي هو نتيجة تنزيل الأحكام معتبرٌ في كلِّ حال، لأنَّ أحوال المكلفين في تغير، وهذا التغير على نطاق الفرد والجماعة.

إشكال الدراسة: كيف يُترك الفاضل ويُفتى بالمفضول؟ ويتفرَّع عنه أسئلة هي: ما المراد بالفاضل والمفضول؟ وأين تقع هذه المسألة؟ وما أسبابها؟ وما ضوابطها؟

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة إلى بيان هذا المنحى الاستثنائي، وتفعيل فقه الموازنة في الواقع، وإلى ضبط عمليات الانتقال في الأداء.

١- العزَّ بن عبدالسَّلَام: قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، تحقيق نزيه حمَّاد وعثمان ضميرية، دار القلم بدمشق ٢٠٠٨م، ١/ ٢٥.

نطاق الدراسة وشرط الباحثة فيها: جعلتها في مجال أفعال المكلفين ومراتب أجناس العبادات، فيخرج بذلك غيرهما من المعلومات كالتفاضل بين الأعلام.

وشرطي فيها: الفعل الجائز المشروع في أصله، من الأقوال والأفعال، الفاضل والمفضول منها، أما ما كان غير مشروع -أي محرماً لذاته- وأبيح للضرورة فمحلّه قاعدة (الضرورات تبيح المحظورات)، ويلحقه ما كان من قبيل الرخص الشرعية فمحلّه حيث محلّه، واستثنيته اعتداداً بجعل الإمام الشاطبي الرخصة فيما شرع لعذر شاق^(١)، ومثلها الرخص الفقهية^(٢)، ويتنسب إلى الأخيرة ما كان غير مشروع -أي محرماً لغيره- وأبيح للمصلحة الراجحة، وهو مبحث موسوم باسم قاعدة (فتح الذرائع)، ولا يدخل عموماً ما كان في مضمار الأدلة، كترجيح الدليل المرجوح على الدليل الراجح إذ ذا محلّه (ترجيح ما جرى به العمل) أو (العمل بالقول الشاذ لمصلحة ناهضة معتبرة شرعاً). واعتمدت قول الذي جعل المكروه في جنس المشروعات^(٣) من حيث هو مساوٍ للمباح في التخيير بين الفعل والتترك، مع زيادة الثواب على ترك الفعل. ويجدر التنبيه إلى أن المفضول مفضول في اعتقاد من يأخذ به، ولعله فاضل عند غيره، وآراء العلماء تختلف في تفضيل جنس عبادة على أخرى لاختلاف طرائق استلالهم^(٤).

- ١- الشاطبي: الموافقات، تحقيق مشهور آل سلمان، دار ابن عثان بالخبر بالسعودية، ط١، ١٩٩٧م، ١/ ٤٦٧.
- ٢- وهي كما عرفها مجمع الفقه الإسلامي الدولي في دورته الثامنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م المعقودة ببروناي، قرار رقم ٧٠: "ما جاء من الاجتهادات المذهبية مبيحاً لأمر في مقابلة اجتهادات أخرى تحظره"، من الموقع الرسمي للمجمع، <http://www.iifa-aifa.org/>، ١٩٥٠.html.
- ٣- انظر: الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تعليق عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي بالرياض، ط١، ٢٠٠٣م، ١/ ١٦٣-١٦٤. والنووي: المجموع، مكتبة الإرشاد بجدة، د.ت، ٢/ ١٢٥-١٢٦.
- ٤- ذكر القرافي نحو عشرين قاعدة في التفضيل بين المعلومات عموماً، راجع: القرافي: الفروق، عناية خليل المنصور، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٩٩٨م، ٢/ ٣٧٣ وما بعدها.

الدراسات السابقة والإضافة المعرفية: في هذا الموضوع إفراد أكاديمي متخصص وحيد لأستاذنا د. قطب الريسوني، وسمه باسم: (الإفتاء بالمفضول: دراسة تأصيلية في ضوء مقاصد الشريعة)، ونشرته مجلة الشريعة بالكويت، ديسمبر ٢٠١٨، مج ٣٣، ع ١١٥، في أربعين صفحة. والحق أنني شرعت بالكتابة في هذا الموضوع بإشادة منه وفي آن لم يكن بحثه منشوراً بعد، فتزامنت الكتابتان، ولم أقع على بحثه إلا يوم الثلاثاء ٢٨-٥-٢٠١٩ م. هذا، وقد جعله الأستاذ في أربعة مباحث: بيان التأصيل الشرعي للإفتاء بالمفضول، ومسوغاته، وضوابطه، ومقاصده. وقد أجاد جداً في التأصيل والتفريع، ورباً على ما لدي في مبحثه الأخير وهو إجلاء المعالم المقاصدية استقلالاً.

إلا أنني -تطفلاً- آخذ عليه أنه:

١- قيد المسألة بأنها فتوى، وظهر هذا من اسم البحث وتجلى في التعريف والضوابط وطيات البحث جملةً. والحق أن المسألة ليست كلها فتوى وإن كان الإفتاء طريقاً واسعاً فيها، والأستاذ نفسه أتى بأمثلة هي أحكام تُعرف من غير استفتاء، مفت. بل أليق بالمسألة أن تكون من مفردات الاجتهاد التنزيلي (تحقيق المناط)، ومن أجود التعريفات للأخير: «بذل الوُسع في تطبيق المعنى المراد الذي وقف عليه المجتهد من الأدلة الشرعية، وتنزيله إلى جزئيات الواقع»، قال صاحب التعريف: «ومن مميزات هذا التعريف أنه... لا يقصر عمل التحقيق على المجتهدين وأصحاب الملكات الراسخة فحسب، لذا لم يأت ذكر المجتهدين إلا في سياق فهم المراد من الشارع، وهذا يتماشى مع ما ذكره الشاطبي من أن هذا الاجتهاد يعم المكلفين على اختلاف مراتبهم في الفهم»^(١).

١- نجم الدين الزنكي، القواعد الأساسية لفقه التطبيق: مقارنة تأسيسية لمعالم الاجتهاد التحقيقي من منظور أصولي، مجلة الشريعة، جامعة الكويت، مج ٣١، ع ١٠٥، يونيو ٢٠١٦ م، من ٤٤٩ إلى ٤٩٢، صفحة ٤٥٥-٤٥٦.

٢- لم ينصّ على إخراج التفضيل بين الأعلام والمعلومات من دائرة بحثه، بل كل الذي قال في نطاق بحثه إنه يتناول الأعمال والأفعال ويخرج من ذلك الروايات المذهبية والأقوال الفقهية، وماذا عن التفاضل بين أولياء الأمور والقضاة والذي يتنازعون محلاً؟

٣- لم يتطرق البتة إلى معايير معرفة الفاضل لتمييز عن المفضول، إنما كان يأتي بالمفضول على أنه مسلّم به، وهذا الذي حاولت استدراكه في المبحث الأوّل، فبيّنت التفاضل والفاضل والمفضول وكيف يُعرّف.

٤- رغم تأصيله البديع لأسباب الإفتاء بالمفضول إلا أنه اقتصر على الأسباب الخاصّة، مع وجود أسباب عامّة فوقها، وهذا ما حاولت بيانه في فقرة مستقلّة.

ثم هذا الموضوع ينطوي في فلك فقه الأولويات، لكنّ التفضيل أخصّ لأنّه منحى استثنائيّ، أمّا الأولويات فمسارٌ أصليّ محوره الرّئيس تقدّم الفاضل على المفضول، فإنّ قامت الدواعي المعتبرة فذاك الجزء الاستثنائي هو مبحث التّفضيل، وفي التّفضيل: يرجع الفضل إلى الفاضل بعد ذهاب المناسبة والعارض الطارئ، خلافاً للأولويات ففيه يبقى على أصله في غالب أحواله، ولذلك، فداحة الخطأ في الأولويات أكبر من فداحته في التّفضيل، لأنّ الأوّل يتعلّق بمجموع الأمّة ومجالاتها وسياساتها، والثاني مناطه أفعال آحاد المكلفين، واشتركا في أصل الخطورة.

خطة الدراسة: جعلتها في ثلاثة مباحث وخاتمة: المبحث الأوّل في بيان أصول المسألة. الثاني في أسباب العُدول عن الفاضل إلى المفضول، وهي عامّة وخاصّة. الثالث في ضوابط العمل بالمفضول.

منهج الدراسة: أتبع فيها المنهج الوصفي من خلال الوقوف على مظان هذا العدول وملاحظة عبارات العلماء، والمنهج الاستنباطي من خلال استلال مادة التفضيل وما كان من إشارات ضابطة لهذا المنحى ومقاصد بما يناسب المقام على وجه الإيجاز.

المبحث الأول: أصول مسألة التفضيل

وفيه بيان المفردات ثم بيان مبنى المسألة.

المطلب الأول: بيان مصطلحات العنوان إفراداً وجملةً.

أولاً: الفاضل: اسم فاعل لذي الفضل، وقد يكون بمعنى الأفضل، إشارة إلى انفراده بالوصف وانقطاع المشارك له فيه^(١). وجعلت هذا الوصف سمة لما قدّم الشرع نوعه في جنسه.

ثانياً: المفضول: اسم مفعول، معناه: الذي فضله غيره^(٢). وجعلت هذا الوصف مقابل الفاضل، أي ما رغب به الشارع ثانياً. ولا يشترط ذم الشارع إياه على وجه التنزه وموافقة الأولى حتى يكون مفضولاً، بل هو غير الفاضل من جنسه بصفة عامة.

ثالثاً: التقديم: ضد التأخير، مصدر (قدّم) فهو مُقدّم بفعل مُقدّم، ومن معانيه النسبة إلى الشيء، أي نسبة الفعل إلى القَدَم والقُدْمة والتقدّم أي السبقة في الأمر، وكذلك فعل (تقدّم)، وهو يدلّ على المُطاوعة^(٣). وفي أسماء الله تعالى (المقدّم)، قال الزجاج: «هو الذي يقدّم ما يجب تقديمه من شيء حكماً وفعلاً،

١- يُنظر: الفيومي: المصباح المنير، مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٧م، ٢٧١-٢٧٢.

٢- ابن منظور: لسان العرب. دار صادر في بيروت، د.ت، مادة (ف ض ل).

٣- ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك، ومعه منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بصيدا، ٢٠١٦م، ٥٥٥/٢.

على [نحو أو مشيئة] ما أحبّ وكيف أحبّ»^(١). يُستفاد مما سبق أنّ القُدْمة إما أن تكون بصفةٍ تعرض للفعل فتجعله سابقاً، وإما بتقديمٍ مقدّم له، وكلاهما ينطبق على الفاضل والمفضول لكن باختلاف المقدّم، فالأوّل مقدّمٌ بترتيب الشارع، والثاني مقدّمٌ بما ينسجم مع ذوق الشارع، لمصلحة قائمة معتبرة. وكون الفعل مقدّمًا يعني أنّه هو الذي عليه العمل وبه الاعتداد في ذلك المحلّ. والتّقديم هو عمل التفضيل.

رابعاً: حرف (على): في أصل وضعه وأكثر استعماله بمعنى الاستعلاء^(٢)، ويفترّع عنه معنى الإلزام^(٣). وتقديم أحد الفعلين يعني علوّ منزلته على الآخر لدواعٍ اقتضى ذلك، وأحياناً يلزم التقدّم الوجوب، وأحياناً لا يلزم مع قيام معنى القُدْمة.

خامساً: الأفضل: اسم أفعل التفضيل، ويعني ترجيح شيء على شيء مع اشتراكهما في أصل الفضل^(٤). وحيثُ استعماله المفارقة والموازنة، وجعلت هذا الوصف سمةً المتقدّم من بين الفعلين المتعارضين والأصلح منهما للمحلّ، لأنه ملّقى الحكم بمحلّه، وبه يتحقق المقصود.

واستعملت مادة (فضل) وليس (رجح) لأنّ الأخير غالباً ما يُستعمل في مضمار الأدلّة. ولم أستعمل لفظ (الأصلح) وهو مناسب، لأنّ مسألتي جزئية ولفظ المصلحة لفظ أصولي غوّاص. وكذلك جرياً على ألفاظ العلماء في هذه المسألة.

- ١- الزجاج: تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق أحمد الدقاق، دار المأمون للتراث بدمشق، ط ٥، ١٩٨٦م، ٥٩.
- ٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ / ٢٥. وابن هشام، الأنصاري: تهذيب شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ومعه شرح غاية الأرب، لمحمد بن محمد ديب حمزة، دار قتيبة ببيروت ودمشق، ط ١، ١٩٩١م، ٢٩١.
- ٣- السرخسي: الأصول، تحقيق أبي الوفا الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية بالهند، ١ / ٢٢١.
- ٤- يُنظر: المصباح المنير ٢٧١-٢٧٢. ولسان العرب، مادة ربا. ومنحة الجليل (على حاشية شرح ابن عقيل) ١٦٣ / ٢.

وبعد بيان كل مفردة على حدة، يمكن تعريف (تقديم المفصول على الفاضل) بأنه: إيثاُر ترك أعلى الفعلين حسب ترتيب الشرع، والعمل بالأدنى، استثناءً، لمصلحة راجحة تعلقت بالأخير^(١).

المطلب الثاني: أصول المسألة:

الأصل الأول: كل مشروع هو في نفسه شريف فاضل، لأن الله تعالى لا يُشرع إلا فضيلةً. فإن تعارض فاضلان وتعذر الجمع بينهما قُدم الأعلى منهما لأنه مقتضى صنيع العقلاء، وقد مدح الشرع المتفتين إلى المصالح العليا، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]، وعاتب من يعدل عن الفاضل إلى الأدنى، فعلى لسان سيدنا موسى (عليه السلام): ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

الأصل الثاني: التفاضل من العاديّات، فلا يوجد قانون عقلي صارم يُحتكم إليه اطراداً، وقد فضلت الأنبياء بعضها على بعض، وفضلت الملائكة بعضها على بعض، وفضلت أمة على أمة، وكذا سائر الكائنات، ففضلت المساجد الثلاثة على سائر المساجد، وفضلت ليلة القدر على سائر الليالي، وكذا شأن أجناس العبادات غالباً^(٢)، كقراءة القرآن خير الذكر، والذكر أفضل من الدعاء.

١- على نسج تعريف ابن العربي لمصطلح الاستحسان، قال: "الاستحسان: إيثاُر ترك مقتضى الدليل على طريق الاستثناء والترخص، لمعارضة ما يعارض به في بعض مقتضياته"، نقله عنه الشاطبي: الاعتصام، تحقيق مشهور آل سلمان، مكتبة التوحيد بالمنامة، ٢٠٠٠م، ٣/ ٦٥.

٢- قلت "غالباً" لأن بعض الأعمال لا يُعلم أيها تزيد فضلاً على الأخرى، مثاله ما روى الشيخان أن النبي (ﷺ) قال يوم الأحزاب: «لا يُصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك. فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم «فلم يعنف واحداً منهم». رواه البخاري في صحيحه: أبواب صلاة الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب راجباً وإيماءً (٩٤٦)، واللفظ له. ومسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين المتعارضين (١٧٧٠ / ٦٩). وسكوت النبي (ﷺ) دل في الظاهر على تساويهما في الفضل، وكلاهما صواب؛ إذ كل مجتهد في الظنيات مُصِيبٌ والحكم يتبع الظن، وهو ما استقر عليه قول الغزالي، وبنى رأيه على أن الإثم وألخظاً متلازمان، يُنظر الغزالي: المستصفي، تحقيق محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ٢/ ٣٩٨، ٤١٠.

والسؤال المُلقى بنفسه في ظلال هذا السياق: كيف يُعرَف أعلى الفاضلين؟ إن معايير التفضيل «من حيث النظر إلى كلٍّ من الفعلين مجردًا»^(١) لا تُخصي، لكن من أبرزها: النظر من جهة أصالة تشريعه تعبديّ هو أو اجتهاديّ، فما ورد عن الشّرع أرفع درجةً ممّا يصحّ الاجتهاد به في جنسه، كالدُّعاء المأثور أفضل من المرتجل. ثمّ النظر من حيث رتبة الفعل في الكليات الثلاث، فالشّرع لا شكّ يفضل مقومات الحياة على نوافلها. ثمّ النظر من حيث الحكم التكليفي، فصيام الفرض أرفع درجة من صيام التطوّع^(٢). وسنة النبي (ﷺ) هي الفاضلة، وهي ما واظب عليه النبي (ﷺ) أي: الهدى الغالب، لا ما فعله مرّة أو مرّتين للتعليم أو لبيان الجائزيّة أو ما جاء على صيغة (لولا أن أشقّ عليكم لأمرتكم بكذا)، إلا إن كان فعله لا يتكرر^(٣) كالحجّ فهو حينئذٍ الفاضل.

أمّا تراتب المطلوبات بتراتب المصالح والمفاسد^(٤) كمّا وحجمًا فمعياريّ غير منضبط، لأنّ المصالح والمفاسد في المطلوبات لا يعلم حقيقتها إلاّ مُنزلهَا، لكن يدلّ على رُتَب المصالح والمفاسد ما ترتّب عليها من الفضائل أو الرذائل في الدُّنيا والجزاء في الآخرة، إذ كلُّ فاضل على غيره زاد الشّرع من الجزاء المرتجى منه، ومرجعيّة هذا: الحديث القدسيّ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»^(٥).

- ١- ابن قيمّ الجوزيّة: الوابل الصّيب، تحقيق عبدالرحمن قائد، دار عالم الفوائد بمكّة المكرّمة، د.ت، ٢٣١ بزيادة يسيرة.
- ٢- قواعد الأحكام ١ / ٦٢. والفروق ٢ / ٣٥٤.
- ٣- ابن تيمية: شرح العمدة، تحقيق صالح الحسن، مكتبة العبيكان بالرياض، ط١، ١٩٩٣م، ٦ / ٤٩٩.
- ٤- قواعد الأحكام ١ / ٢٩.
- ٥- رواه البخاريّ في صحيحه: كتاب الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢). وأرجعه إلى هذا الحديث العزّ في قواعده ١ / ٤٤. ولا يطرد ما قاله، فالقاء السّلام سنّة، وردّه واجب، لكنّ أجر إلقاء السّلام أكبر، لأنّه إفشاء معنىّ نبويّ، ولأنّه يبدأ فيأخذ مثل أجر المنتفع بفعله.

وكذا يدل على رتبة المصلحة أثرها في الكتلة الاجتماعية، وهذا معيار نافع جداً.

الأصل الثالث: التفضيل نظراً ليس اجتهادياً، بل «باختيار الربّ تعالى لمن يشاء على من يشاء، ولما يشاء على ما يشاء»^(١)، فلا النصب ولا المشقة معيارين للتقديم، وربّ عبادة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان، وعبادة ثقيلة على الإنسان خفيفة في الميزان^(٢).

الأصل الرابع: الحكم المشروع - الفاضل في نفسه أو الفاضل على غيره بتفضيل الشرع - لا ينكمش على نفسه، بل يدخل ساحة أفعال المكلفين (التطبيق)، فإن طبّق المشروع الفاضل في نفسه فإمّا أن يصير فاضلاً أيضاً على غيره فيكون هو الفاضل الأفضل، وإمّا أن يقلّ الفاضل فضلاً عن غيره في المكان الذي استعمل فيه فيكون مفضولاً، وهذا بحسب المناسبة، وهي في تغير، ولذلك قال الشاطبي: «التقديم في الترتيب يقتضي رفع المزية، ولا يقتضي اتّصاف المؤخر بالصدّ، لا قليلاً ولا كثيراً»^(٣)، ولا يلتفت إلى مدح الشرع لغيره من جنسه بأن يترك المناسب ويُعمل بالمدوح لأجل الثواب «لأنّه لا يلزم من ذكر الفضيلة حصول الرجحان بالأفضلية»^(٤)، وليس هذا التفضيل العارض يخرم القاعدة، بل هو منحى استثنائي لتيسير حصول مقصود الشرع من وراء الحكم، بل إنّه ليضاهي محبة الشرع لما فضله محبته تطبيق العبد مراده حسب استطاعته، قال (ﷺ): «عليكم من الأعمال ما تطيقون»^(٥).

١- الفروق ٢ / ٣٧٢.

٢- قواعد الأحكام ١ / ٤٥-٥٠، ٦٢، ٧٠.

٣- الموافقات ٢ / ٦٠.

٤- قواعد الأحكام ١ / ٥٥.

٥- رواه الشيخان، البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل (٦٤٦٥). ومسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب فضيلة العمل الدائم (٧٨٢ / ٢١٥)، واللفظ له.

المبحث الثاني: أسباب تقديم المفضول على الفاضل

إنَّ تقديم المفضول على الفاضل ليس ضرباً من الجدَل، بل له أسباب معتبرة، وقبل الأسباب الخاصّة أذكر الأسباب العامّة التي تؤثر في انفتاح كثير من المناطات على استئناف التّحقيق، وهذه الأسباب كائنة في أصل الوضع ولا مُفسّر لها سوى معنى الابتلاء، لكنّ تقبل أن تكون محلّ تعهّد من قِبَل المودعين، وقد تُهمَل.

المطلب الأوّل: الأسباب العامّة المقتضية تقديم المفضول على الفاضل:

أولاً: اختلاف عزائم المكلفين وهممهم وصبرهم، وهذه قريرة الجبلة ويمكن تعهدها بالتحسين، قال القفال الشاشي: «إنَّ الله تعالى خلق الخلق في دار المحنة، ففاوت بين طبائعهم واختلافهم وعقولهم وهممهم، بعد أن أراح العلة في إعطاء المكلفين ما [تهم]»^(١) الحاجة إليه فيما كلفوه، إذ الامتحان لا يتحقق مع تساوي الممتحنين... ولما امتحنهم جلّ وعزّ أجرى الأمر في امتحانهم وسياستهم على ما رُكب في طبائعهم»^(٢). وألح إليها الشاطبي فقال: «الرخصة لتفاوت المكلفين في الصبر... فربّ صعبٍ يسهل لموافقة الغرض، وسهلٍ يصعب لمخالفته»^(٣).

ثانياً: اختلاف قدرتهم وطاقتهم، فقد تكون لدى المرء همّة لكنّ قدرته البدنية أو الماليّة لا ترقى إلى الفاضل، ويلحق هذا اختلاف أحوالهم.

وهذان السببان لائحان بقوله (ﷺ): «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خيرٍ»^(٤)، قال القاضي عياض: «القوة هنا المحمودة يحتمل أنّها في الطاعة من شدة البدن وصلابة الأُسْرِ، فيكون أكثر عملاً، وقد

١- في المطبوع: "بهم"، والذي أثبتّه يؤيّده السياق.

٢- القفال الشاشي الكبير: محاسن الشريعة، عناية محمد سمك، دار الكتب العلميّة ببيروت، ط١، ٢٠٠٧م، ٣١.

٣- الموافقات ١/ ٥٠٨، ٥١٠.

٤- رواه مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز (٢٦٦٤ / ٣٤).

تكون القوّة هنا في المنّة^(١) وعزيمة النفس، فيكون أقدم على العدو في الجهاد وأشدّ عزيمة في تغيير المناكير، أو تكون القوّة في المال والغنى، فيكون أكثر نفقة في سبيل الخير وأقلّ ميلاً إلى طلب الدنيا^(٢).

ثالثاً: اختلاف معارفهم ودرجات وعيهم، وكلّما تشبّع المرء معرفةً بأوجه لطف التشريع مع سؤال المولى التقوى والهمة، كان أنشط على العبادات.

رابعاً: اختلاف هيئات العبادات وتفاوتها في قدر الجهد المبذول في أدائها.

المطلب الثاني: الأسباب الخاصّة المقتضية تقديم المفضول على الفاضل:

الفرع الأوّل: الخصوصيّة النصيّة، أي أنّ العمل بالمفضول من إملاء النصّ، وجوباً أو ندباً، ومن أمثلته:

مسألة: تفضيل التسبيح في الركوع والسجود على قراءة القرآن الكريم فيهما، بل القراءة فيهما منهياً عنها عند فقهاء الأمصار^(٣). وكذا التسميع والتحميد في محلّهما أفضل من القراءة، وكذا التشهد، وكذلك قول المصلّي بين السجدين «رب اغفر لي»^(٤)، وكذا الذكر عقيب السلام من الصلاة، وكذا إجابة المؤذن، إذ كلها أوقات مخصوصة^(٥).

- ١- المنّة: القوّة، وخصّه بعضهم بقوّة القلب. لسان العرب، مادة من.
- ٢- القاضي عياض: إكمال المعلم، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء بالمنصورة، ط ١، ١٩٩٨م، ٨ / ١٥٧ بتصرف.
- ٣- ابن رشد الحفيد: بداية المجتهد، دار الفكر، د.ت، ١ / ٩٣.
- ٤- رواه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، أبواب الركوع والسجود، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده (٨٧٤) وسكت عنه، وقد صرح أبو داود في رسالته إلى أهل مكة وغيرهم في وصف سنّته، تحقيق محمّد الصباغ، المكتب الإسلامي ببيروت، ط ٤، ١٩٩٧م، ٧٠: «وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح»، قال ابن حجر في النكت على كتاب ابن الصّلاح، تحقيق ربيع المدخلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط ١، ١٩٨٤م، ٤٣٢، يشرح عبارة أبي داود هذه: «والصّالح يجوز أن يكون صحيحاً وأن يكون حسناً، فالاحتياط أن يحكم عليه بالحسن». ورواه النسائي في سننه الصغرى: كتاب التطبيق، باب الدعاء بين السجدين (١١٤٥) وسكت عنه، وسكوته دليل أن لا علة في الحديث عنده، قاله ابن حجر في نتائج الأفكار، تحقيق حمدي عبدالمجيد، دار ابن كثير بدمشق، ط ٢، ١٩٩٥م، ٤٠٣ / ١.
- ٥- يُنظر: قواعد الأحكام ١ / ٢٤٤، ٢٥٤. والوايل الصيّب ٢٣١.

وقد يُعترض بأن الإفتاء بالمفضول من إملاء الواقع، وهذا اقتضاء تبعي، ومعلوم أن إملاء النص إملاءً أصلياً، فكيف يُفزع هذا؟ أو كيف يُملئ النص اقتضاءً تبعياً؟ وجوابه أن الشريعة وإن كانت أحكامها على الجملة ونازلة على العموم، لكن كثيراً من الأحكام شرع لأُسئلة المكلفين وإجابة عن إشكالات واقعية، فتكون قد نزلت مراعيةً تلك الخصوصية، وجمعت بين التقرير الشرعي والنظر الواقعي.

الفرع الثاني: العوامل الظرفية، وهي ذات «أثر بالغ في تشكيل علة الحكم، برهان ذلك اختلاف نتائج التطبيق باختلاف ملابساته»^(١).

والظروف ظرفان: زمني ومكاني.

أولاً: الظرف الزمني: «قد يتقدم المفضول على الفاضل بالزمان عند اتساع وقت الفاضل بحيث لا يُخاف فوت الفاضل»^(٢)، ولهذا أمثلته:

مسألة: تقديم الأذان، والإقامة، والسُنن، والرواتب على الفرائض أوائل الأوقات^(٣)، ذكره العزّ، وتعقبه سراج الدين البلقيني فقال: «ما مثل به من الأولين وما بعده لتقديم الفاضل على المفضول لا يصح، وإنما ذلك من باب السُنن المتقدمة، لا من باب تقديم المفضول»^(٤)، ولعل كليهما مُصيب لكن اختلفت العبارات، فالشرع لما قدّم السُنّة التي هي أدنى من الواجب رتبةً قدّمها لمصلحة استحضار الخشوع، كالتابع يتقدّم متبوعه ليزيح ما قد يعترض خطوه، صوتاً له، وكذلك شأن غير الفريضة والفريضة، وفضلها في حينها أنّها مُعينة على الفاضل،

١- محمد فتحي الدريني: بحوث مقارنة في الفقه الإسلامي وأصوله، مؤسّسة الرسالة ببيروت، ط١، ١٩٩٤م، ١/٢٤ بتصرف يسير.

٢- قواعد الأحكام ١/١٢٤ بتصرف.

٣- قواعد الأحكام ١/١٢٤.

٤- البلقيني: الفوائد الجسام على قواعد ابن عبد السلام، تحقيق محمد منيار، وزارة الأوقاف بقطر، ط١، ٢٠١٣م، ١٩٢.

بشرط ألا يفوت الفاضل.

مسألة: تقديم حمدلة العاطس وتشميته وكذا ردّ السّلام المسنون على إجابة المؤذّن وأثناء قراءة القرآن، لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضول والعود إلى الفاضل، ما لو اشتغل بالإجابة والقراءة لفاتته مصلحة الآخرين^(١)، هذا مع الاحتراز من الوقوع في قبيح كأن يقف في منتصف كلمة الشهادة.

مسألة: تقديم صلاة الكسوف على فريضة الوقت إن حدث أول الوقت^(٢).

مسألة: تقديم التيمم على الوضوء لصلاة الجنائز أو العيدين إن خيف فواتها بطلب الماء لوضوء الصلاة، وهو مذهب بعض السلف^(٣).

ثانياً: الظرف المكاني: ويتقدّم المفضول إن كان يفوت بفوات المكان، فكما أنّ في الوقت ضيقاً واتساعاً، فكذلك في المكان ضيقٌ واتساعٌ، فبعض العبادات تؤدّى في كلّ مكانٍ يليق، وبعضها عيّن لها حيّز ضيق، مثالها:

مسألة: تقديم صلاة البيت أعني الطّواف على الصّلاة ذات الرُّكوع والسُّجود بحقّ الآفاقيّ الذي لا يتسنّى له دخول مكة أيّ وقت شاء^(٤).

الفرع الثالث: اقتران الفاضل بمفسدة راجحة، فإنّ «الشرع يجعل المصلحة المرجوحة - عند تعذر الوصول إلى الراجحة أو عند مشقّة الوصول إلى الراجحة - بدلاً من المصلحة الراجحة»^(٥)، و«طلبُ الشرع للتخفيف حيث طلبه ليس من جهة كونه رخصة، بل من جهة كون العزيمة لا يُقدّر عليها، أو كونها تؤدّي

١- يُنظر قواعد الأحكام ١/ ١٢٤. والوايل الصيّب ٢٣٥.

٢- ابن قدامة المقدسي: الكافي، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر بالقاهرة، ط ١، ١٩٩٧م، ١/ ٥٣١.

٣- الطحاوي: شرح معاني الآثار، تحقيق محمد زهري النجار وآخر، عالم الكتب ببيروت، ط ١، ١٩٩٤م، ٨٦/ ١.

٤- المجموع ٨/ ٧٨. وابن عثيمين: منظومة أصول الفقه وقواعده، دار ابن الجوزي بالدّمّام، ط ٣، ٢٠١٣م، ٣٢٦.

٥- قواعد الأحكام ١/ ٨٧-٨٨.

إلى الإخلال بأمر من أمور الدين أو الدنيا، فالطلب: من حيث النهي عن الإخلال، لا من حيث العمل بنفس الرخصة»^(١).

[البند الأول] العجز عن الإتيان بالفاضل: والعجز حرجٌ نفسيّ، والحرج ضرر، والضرر مرفوع في الشريعة، فيصير «العملُ المفضولُ أفضلُ بحسب حال الشخص المعين، لكونه عاجزاً عن الأفضل»^(٢)، ومن أمثلته:

مسألة: امرؤ ليس لديه قدرةٌ ذهنيّةٌ على حفظ القرآن الكريم، وكلما همّ بالحفظ اعترضه ضعفٌ ذاكرته أو ضيق وقته عن الاستظهار والمراجعة، فيشقّ ذلك على نفسه، فهذا يُرشد إلى أنّ الأفضل بحقه قراءة القرآن من المصحف واغتنام النظر إليه، والتأمل في رسمه ومعانيه، وأنّ النظر في المصحف عبادةٌ وشفاء، كلُّ ذلك يُسليّه ويجدّد في نفسه الهمة على الطاعة.

[البند الثاني] مشقة الإتيان بالفاضل: قد يستطيع المرء الإتيان بالفاضل، لكن بصعوبة، وهي راجعةٌ إلى قدرته البدنية أو النفسية، ومثاله:

مسألة: الصبر على الأذى غير المفوّت للضروريّ فاضلٌ، لكنّ الناس تتفاوت في الصبر والتحمل، فلو أنّ امرأً يؤذيه جاره في عادةً يفعلها، وهو يسكت عنه لكن قلبه يُشحن بالحنق، فسكوته ليس فاضلاً، بل هو نافذة على أمراض القلب، فالأفضل بحقه أن يُفصح له، لأنّ الله تعالى قال: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، فإن كان قد أرخص له أن يدعوه عليه^(٣)، فأولى أن يُصارحه وإن جهاراً أو يُحكّم ذا جاه.

[البند الثالث] لزوم الإخلال بالعبادة إن تعين الفاضل: يتشوّف الشرع إلى

١- الموافقات ١/ ٤٨٩.

٢- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، عناية عبدالرحمن قاسم، مجلّع الملك فهد ٢٠٠٣-٢٠٠٤م، ٢٤/ ١٩٨.

٣- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة بالرياض، ط٢، ١٩٩٩م، ٢/ ٤٤٢.

وقوع العبادات على تمام وجهها وعلى الدوام، وهو مع ذلك يمنع مادة الخلل ما أمكن، فإن لزم من فعل الفاضل إخلال في ركن العبادة وليس هذا الخلل يحصل بالمفصول، تعين «التسهيل بالعمل بالمرجوح ومخالفة الراجح»^(١).

مسألة: الصلاة أول الوقت من أفضل الأعمال وهي تؤدى غالباً في جماعة لأن الجماعة تنفي التأخير بقيامها، وتأخير الصلاة عن أول وقتها تأخيراً غير فاحش ولا على الدوام: خلاف الأولى، وتعمد الرجل ترك الجماعة على الدوام ريبه وشبهه، نعم لم يقل الفقهاء الأربعة إنها شرط صحة لكن الحنفية أوجبوها^(٢)، لكن قد يكون تأخير الصلاة إلى قبل وقت الكراهة التحريمية وأداؤها فرداً أو مسبقاً بحق بعض الناس في بعض الأحيان أفضل، من ذلك:

- تؤخر الصلاة عن أول وقتها أو يفوت بعض الجماعة بكل مشوش يؤخر الحاكم الحكم بمثله، لكن ليس أي تشويش لأن المرء قلما يصفو له ذهن بل التشويش الذي يرفع جنس الخشوع ويذهل المصلي فيسجد قبل أن يركع، كإفراط الظم والجوع، واضطراب النفس من الركض إلى الجماعة أو تحسس الجلد لمن يمشي في الحر، وتعكر المزاج بالغضب الأصم، ويؤخر الحاقن والحاقب صلاتهما حتى يرفعا ما بهما، لقوله (ﷺ): «لا صلاة بحضرة الطعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان»^(٣)، ومثله انشغال فكر المصلي بحذائه الذي وضعه خلفه، أو أي مال له في مكان عام، ففي هذه الأحوال، تُزال مادة التشويش ثم تقام الصلاة^(٤).

١- الإحكام للآمدي ١ / ١٧٧.

٢- الكاساني: بدائع الصنائع، دار الكتب العلمية ببيروت، ط٢، ١٩٨٦م. ١ / ١٥٥.

٣- رواه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يُريد أكله في الحال وكراهة الصلاة مع مدافعة الأخبثين (٦٧ / ٥٦٠).

٤- يُنظر: قواعد الأحكام ١ / ٥٤، ٣٧٠. والموافقات ١ / ٤٨٩. وعلاء الدين عابدين: الهدية العلائية، تعليق محمد سعيد برهاني، مكتبة الإمام الأوزاعي بدمشق، ط٦، ٢٠٠٥م. ٩٤.

ويُقابل هذا: أن تُؤخَّر الجماعةُ، فهل يصلي المرء منفردًا أو ينتظر الجماعة؟ رجَّح الإمام النوويُّ استحباب التأخير إلى الجماعة لفضلها، وقيده بضابطٍ مهمٍّ وهو ألا «يفحش التأخير»^(١).

وهذا على الجزء ولا يُحمَل على العموم، ويجوز للفرد ما لا يجوز للجماعة، وإلا كان مطيِّةً إلى التَّساهل في شأن الشعيرة.

[البند الرابع] تنبيه غير المنتبه إلى مادّة الفساد: لا شك أن من أرفع أوصاف الأمة الإسلامية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن أحياناً يكون السكوت عن المنكر عين المصلحة، كما مرَّ فاسق مطموس الذكر، يدعو إلى أفكار سافلة، أو كأغنية جديدة فيها من البليّة ما فيها، فالإنكار حينئذٍ جهاراً مُنكراً، بل خيراً للدّاعية أن يلتزم الصمت لئلا يدعو إلى الشرِّ من حيث لا يدري. قال سيّدنا عمر (رضي الله عنه): «إنَّ لله عبادةً يُميتون الباطلَ بهجره، ويُحيون الحقَّ بذكِّه»^(٢)، وقال الإمام مسلم (رحمه الله): «الإعراض عن القولِ المُطرحِ أُخرى لِإِماتته وإِخمالِ ذِكْرِ قائله، وأجدرُ أن لا يكون ذلك تنبيهاً لِلجَهالِ عليه»^(٣)، والهجْرُ من ضروبِ الزَّجرِ، ولِلإمام السيوطي رسالة نفيسة محقّقة مطبوعة باسم (الزَّجرُ بالهجر).

الفرع الرابع: اقتران المفضول بمصلحة راجحة على وجه القطع أو الظنِّ الغالب.

[البند الأوّل] عموم المصلحة:

مسألة: تقبيل سيّدنا عبد الله بن حُدافة (رضي الله عنه) رأس ملك الروم، وليس هذا من ضروب المصالح الضرورية، لأنَّ النَّفسَ غيرُ مهدّدةٍ بالقتل، بل معرّضةٌ لِلحبسِ،

١- النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المطبعة المصرية بالأزهر، ط١، ١٩٢٩-١٩٣٠م، ١٤٧/٥-١٤٨.

٢- أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، دار الكتب العلميّة ببيروت، ط١، ١٩٨٨م، ١/٥٥.

٣- قال هذا في مقدّمة صحيحه، مكتبة الرُّشد بالرياض، ٢٠٠١م، ١/٢٨.

والقتلُ مظنونٌ، وتقبيل رأس الكافرين لا يحرم ضروريَّةً، بل هو فعل لا يُخالف عقيدة الإسلام، بل المتأمل في سبب هذا يجد أن ملك الروم من فرط إعجابه بابن حذافة (رضي الله عنه) سأله تقبيل رأسه، فهذا إغزاز للإسلام في حقيقة الأمر لا إذلالٌ له، وبه تحققت مصلحة فك أسرى المسلمين^(١).

[البند الثاني] رعاية المقام:

مسألة: مقام الحزم: تصافرت الأحاديث على فضل تأخير الوتر إلى وقت السحر، وهو هديُّ النبي (صلى الله عليه وسلم) الغالب، فهو الفاضل، لكن الإيتار أول الليل جائز لما روت السيدة عائشة (رضي الله عنها): «كُلَّ اللَّيْلِ أُوتِرَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)»^(٢) فهذه الرواية صريحة بوقوع الوتر من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في جميع أجزاء الليل، وكان سيّدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) «إذا أراد أن يأتي فراشه أوتر، وكان سيّدنا عمر (رضي الله عنه) يوتر آخر الليل»^(٣)، فعمل سيّدنا عمر (رضي الله عنه) بالعزم، وعمل سيّدنا أبو بكر (رضي الله عنه) بالحزم^(٤).

مسألة: مقام الصبر والتحمل: يتفاوت المكلفون أهل العزائم العالية في كلفهم بإرضاء الله تعالى، والشارع حين كلف العباد كلفهم بالعبادات الجارية على عمومهم، ففيه عن الوصال وعمّا يُضني البدن حدّ الإرهاق الشديد، لكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يُواصل^(٥)، و«كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه»^(٦)،

- ١- ذكر القصة: ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر بالقاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م، ٦/ ٩٨-٩٩. ويُنظر: الموافقات ١/ ٥٠١.
- ٢- رواه البخاري في صحيحه: أبواب الوتر، باب ساعات الوتر (٩٩٦).
- ٣- رواه عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي عن أبيه عن الإمام مالك في الموطأ: كتاب الصلاة، الأمر بالوتر (٣١٩).
- ٤- يُنظر: ابن عبد البر: الاستذكار، دار قتيبة بدمشق وبيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ٥/ ٢٧٦.
- ٥- رواه الشيخان، البخاري في صحيحه: كتاب الصوم، باب الوصال (١٩٦١). ومسلم في صحيحه: كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم (١١٠٢/ ٥٥).
- ٦- رواه الشيخان، البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن الكريم، باب (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) (٤٨٣٧)، واللفظ له. ومسلم في صحيحه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (٢٨٢٠/ ٨١).

ولأجل ذلك:

- أجاز الإمام مالك (رضي الله عنه) صيام الدهر^(١).
- أجاز بعض السادة من الصحابة كعثمان وعائشة وأسامة بن زيد (رضي الله عنهم) صيام يوم عرفة للحاج، ووافقهم بعض التابعين، مع أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يصمه، فعن أم الفضل زوج العباس (رضي الله عنهما): «أن ناسًا تماروا عندها يوم عرفة في صوم النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فأرسلت إليه بقَدَحِ لبن وهو واقف على بعيره «فشربه»^(٢). وإنما كره صيامه للحاج كثير من الصحابة والتابعين اقتداءً بفعل الشارع الذي لم يتكرر، ولأن الحاج مرغَّب في التكثير من العبادة، والصوم يُضعفه. لكن المجيزين رأوا أن الحاج إن لم يضعف عن العبادة فله أن يصوم، وكأنهم حملوا فعل النبي صلى الله عليه وسلم على قدرة العامة وأنه لو صام لوجب، واستخلصوا علة عدم الصوم وهي الاستعانة بالفطر على العبادة، فإن لم تحصل علة المنع - وهي الضعف - عاد الحكم إلى أصله وهو استحباب صوم عرفة للجميع^(٣).

مسألة: مقام البرِّ والتَّوقير: الإيثار في القُرْبَاتِ مكروه^(٤)، لأنه يشبه أن يكون «المؤثر قد أعرض عن القربة بلا داع»^(٥)، إلا أنه «إذا عارض تلك القربة ما هو أفضل

١- الموافقات ٢/ ٢٤٣.

٢- رواه البخاري في صحيحه: كتاب الصوم، باب صوم يوم عرفة (١٩٨٨).

٣- يُنظر: ابن بطال: شرح صحيح البخاري، تحقيق ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد بالرياض، د.ت، ٤/ ١٣٣-١٣٤. والماوردي: الحاوي الكبير، تحقيق علي معوض وآخر، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٩٤م، ٣/ ٤٧٢-٤٧٣.

٤- قواعد الأحكام ١/ ٢٥٩. وابن نجيم: الأشباه والنظائر، عناية زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ١٠١.

٥- ابن عابدين: رد المحتار المعروف بحاشية ابن عابدين، تحقيق عادل عبدالموجود وآخر، دار عالم الكتب بالرياض، ٢٠٠٣م، ٢/ ٣١١.

منها كاحترام العلم والأشياخ»^(١) كإيثار التلميذ شيخه بالقيام بالصف الأول في الصلاة، فحينئذ لا يُكرهه، وإن ساعَ الإيثار بالقربة للأشياخ لفضلهم على التلميذ بالتعليم والتأديب، فأولى أن تكون للأبوين لفضلهما على ولدهما بالوجود.

مسألة: مقام الاحتجاج والاستدلال: ومنه أن «سورة الصمد تعدل ثلث القرآن، ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواثيق، والطلاق، والخلع، والعِدَد ونحوها، بل هذه الآيات في وقتها وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص»^(٢).

مسألة: مقام القدوة، كأن يُفعل المفضول للتنبية على مصلحة مغمورة: فإخفاء الصدقة أسلم للقلب، قال تعالى: ﴿إِنْ بُدُوا أَلْصَدَقَاتِ فَنِعْمَتًا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُوْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، وفي الآية لائح إباحة للإبداء، وهو أفضل بحق «من يأمن الرِّياء، ومن يُقتدى به، لما فيه من سدِّ خلة الفقراء مع مصلحة الاقتداء، فيكون قد نفع الفقراء بصدقته وبتسببه إلى تصدق الأغنياء عليهم، ونفع الأغنياء بتسببه إلى اقتدائهم به في نفع الفقراء»^(٣).

ونظيره مدح المرء نفسه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩]، فهو في أصله قبيح، لكن قد مدح رسول الله (ﷺ) نفسه وهو أبو المحاسن فقال: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مُشفع»^(٤)، فضابط مدح المرء نفسه: قيام الحاجة إلى ذلك، «مثل أن يكون خاطبًا إلى قوم فيرغبهم في نكاحه، أو حاملاً فيُعرف بأهليته للولايات الشرعيّة والمناصب الدينيّة ليقوم بما فرضَ عليه عينا أو كفايةً، كقول سيدنا يوسف

١- حاشية ابن عابدين ٢ / ٣١٠-٣١١.

٢- الوابل الصيب ٢٣٤.

٣- قواعد الأحكام ١ / ٢١٥.

٤- رواه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا (ﷺ) على جميع الخلائق (٣ / ٢٢٧٨).

عليه السلام: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾ [يوسف: ٥٥]. وقد يمدح المرء نفسه ليقتردى به فيما مدح به نفسه، كقول عثمان (رضي الله عنه): «[ما فعلت بيدي كذا ولا كذا]... منذ بايعت بها رسول الله (ﷺ)»^(١). وهذا مختص بالأقوياء الذين يأمنون على أنفسهم الافتخار والتسميع، ويقتردى بأمثالهم»^(٢).

مسألة: مقام الإصلاح: لا سيما فيما شأنه حرج وله هيبته في النفوس، ومثاله:

- عدول النبي (ﷺ) عن إعادة الكعبة على البناء الإبراهيمي، فقد روت السيدة عائشة (رضي الله عنها) مرفوعاً: «لولا حادثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة، ولجعلتها على أساس إبراهيم، فإن قريشاً حين بنت الكعبة استقصرت، ولجعلت لها خلفاً»^(٣). وإنما ترك ذلك لأن قريشاً كانت تعظم شأن الكعبة جداً، فخشي (ﷺ) أن يظنوا -لقرب عهدهم بالإسلام- أنه غير بناءها ليحوّل أنظار العرب إليه، وقال الإمام ابن حجر: «ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة، ومنه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولاً ما لم يكن حراماً»^(٤). وهذا المثال يدخل في فرع اقتران الفاضل بمفسدة.

١- رواه ابن ماجه في سننه: كتاب الطهارة، باب كراهة مس الذكر باليمين والاستنجاء باليمين (٣٠٧). قال علاء الدين مغلطي: شرح سنن ابن ماجه، عناية كامل عويضة، مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة المكرمة، ط ١، ١٩٩٩ م، ٩٥: «هذا أثر ضعيف...».

٢- قواعد الأحكام ٢/ ٣٤٦.

٣- رواه الشيخان، البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه (١٢٦). ومسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها (٣٩٨ / ١٣٣٣)، واللفظ له.

٤- فتح الباري ١/ ٢٢٥.

- مثال واقعي: تعامل أستاذنا نجم الدين الزنكي مع أهل مدينته السليمانية، ذلك أنهم تعرّضوا لموقف^(١) نشأ عنه ردّة فعل عنيفة إزاء كلّ من يذكر رأياً يخالف المذهب الشافعي، ويسّر الله للأستاذ نجم الدين تدرّيس الفقه في مسجد المحوي^(٢)، وكانت تعرّض له مسائل خلافية، ولعلّ المذهب الآخر راجح أو فيه تيسير، وقد أدرك تعصّب الحاضرين ولم يكن يريد أن يهدم ثقتهم به لتشوّفه إلى حلّ هذا التعصّب، فكان لا يذكر الرأي الآخر أولاً، بل يحوم ويدنو حتّى يُشير من طرف خفيّ إليه دون أن يُنكروا عليه، ولم يزل كذلك حتّى استساغوا الخلاف، والشاهد أنّ مداراة أهل التعصّب حميدة رجاءً لإصلاحهم.

مسألة: مقام الضرورة: وهذا إن تعارضت ضرورتان وربت إحداهما على الأخرى لخطورة أثرها مع إمكان تدارك الأخرى، مثاله أنّه قد يكون تأخير الصلاة عن وقتها في حالاتٍ خاصّة أفضلّ دون مؤاخذاة:

- الطيب يؤخّر الصلاة لأخر الوقت لأجل إجراء العملية الجراحية، إن كان في تأخير العملية فوات حياة المعالج.
- الجندي يؤخّر الصلاة لأجل العملية العسكرية إن كان مأموراً من قبل القائد التقّي بأداء مهمّة عاجلة، لأنّ مقصد حفظ الدولة ودفع العدو المداهم مقصد

١- وهو - كما قال الأستاذ - أنّه "ظهر في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي شباب يدعون إلى نيل مذهب الشافعي في السليمانية والعودة إلى الكتاب والسنة مباشرة... ولذلك كان ذكر رأي خلاف اليهود فيها يعد تمرداً، ولا شك أن ذلك الفكر كان مُعيّناً للتفكير الفقهي المتوازن ولأصل مذهب الشافعي (رحمه الله)، غير أن الحكمة ضالّة المؤمن، ولذلك كنا نلتمسها ما أمكن لإعادة التوازن المطلوب إلى التفكير الفقهي في المدينة، مع الحرص كل الحرص على الحفاظ على هوية المذهب الشافعي في نفوس الكرد، لأنّه المذهب الذي صانهم إلى يوم الناس هذا من الزيف وخلاف السنة... أما الآن فهناك انفتاح كبير لدى علمائنا مع الحفاظ على رونق مذهب الشافعي...". كتبه جواباً عن سؤال سألته إياه، عبر البريد، تاريخ ٦-١٢-٢٠١٧م.

٢- مسجد في السليمانية، في كردستان العراق، نسبة إلى العالم الذي كان يدرّس فيه - رحمه الله -، ذكره الأستاذ.

رفيع ، ولذلك لم يُعاتب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الذين اختاروا الصلاة في بني قريظة وقد فاتتهم الظهر أو العصر^(١).

وهذا مقيّد بفوات المصلحة الضرورية الراجحة إن أقيمت الصلاة بالهيئة الأصلية، لكن إن استطاع المشغول أن يقيم الصلاة ولو بغير تمام الأركان فلا يجوز بحقه التأخير عن الوقت، وهو ما أوما إليه الإمام البخاري (رضي الله عنه) في ترجمة حديث يوم الأحزاب ضمن أبواب صلاة الخوف، قال: «باب صلاة الطالب والمطلوب ركبًا وإيماء»، استدلالاً على أن الذين صلوا في الطريق صلوا إيماءً على رحلهم، وقال ابن بطال: «لو وُجد في بعض طرق الحديث أن الذين صلوا في الطريق صلوا ركبناً لكان بيننا في الاستدلال، ولما لم يُوجد ذلك احتمل أن يكون لما أمرهم النبي (ﷺ) بتأخير العصر إلى بني قريظة، وقد علم بالوحي أنهم لا يأتونها إلا بعد مغيب الشمس، ووقت العصر فرض، فاستدل أنه كما ساغ للذين صلوا ببني قريظة ترك الوقت وهو فرض ولم يعنفهم النبي (ﷺ)، وكذلك سوغ للطالب أن يصلّي في الوقت ركباً بالإيماء، ويكون تركه للرُكوع والسُّجود المفترض كترك الذين صلوا ببني قريظة الوقت الذي هو فرض، وكان ذلك قبل نزول صلاة الخوف، قاله المهلب»^(٢).

مسألة: مقام الحاجة: وهو الملتمس من صنع سيدنا جابر (رضي الله عنه)، قال: «هلك أبي وترك سبع بنات - أو تسع بنات -، فتزوجت امرأة ثيباً، فقال لي رسول الله (ﷺ): «تزوجت يا جابر؟» فقلت: نعم، فقال: «بكرًا أم ثيبًا؟» قلت: بل ثيبًا، قال: «فهلأ جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضحكها وتضحكك؟» فقلت له: إن عبد الله هلك وترك بنات، وإني كرهت أن أجيئن بثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن

١- تقدّم تخريج الحديث، وهو في الصحيحين.

٢- شرح ابن بطال على صحيح البخاري ٢/ ٥٤٤-٥٤٥، وشرح المهلب مفقود. ويراجع: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، عناية محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، د.ت، ٢/ ٤٣٦-٤٣٧.

وَتُصَلِّحُهُنَّ، فقال: «بارك الله لك» أو قال: «خيرًا»^(١)، فالمستحبّ نكاح البكر وبهذا تُرجم حديث مسلم، لكن قد يقوم الداعي على غير هذا لأجل مصلحة أحقّ بالتقديم من مجرد كون الأخرى بكرًا، كما في حديث جابر (رضي الله عنه)، وقد تزوّجها لأجل أخواته، وهو من قبيل عَوْنِ المرأةِ زَوْجَهَا فِي وَلَدِهِ كما تُرجم البخاريّ للحديث، «وليس هو بواجب ولكنه من حُسنِ الصّحبةِ وجميلِ المعاشرةِ، ومن سِيرِ صالحاتِ النِّساءِ وذواتِ الفضلِ منهن مع أزواجهن»^(٢).

[البند الثالث] فاعليّة الأثر: قد يكون تقديم المفضول على الفاضل لأجل عاقبته الحميدة وأثره المشهود، «وإنّما يكون الترجيح بقوة الأثر»^(٣)، من ذلك:

مسألة: زيادة الانتفاع به: فقد «يكون العمل المفضول أفضل بحسب حال الشخص المعين... لكون محبته واهتمامه وانتفاعه بالمفضول أكثر، فيكون أفضل بحقه لما يقترن به من مزيد عمله وإرادته وانتفاعه»^(٤). ولقد عني الشارح الحكيم بمعنى محبة المرء للعبادة، لسابق علمه أنّ الإنسان بحكم بشريّته يميلّ المقدورات المكررات، فنوع أشكال العبادات لطفًا وجودًا، وإن كان قد نوع الهيئات لتجديد الهمم، فلا غرابة في أن يُرخص للمرء الانتقال إلى وجه آخر من الفعل إن قام ما يسبّب «الانقطاع عن الاستباق إلى الخير، والسّامة والملل، والتنفير عن الدُّخول في العبادة، وكرهية العمل وترك الدوام»^(٥)، ومن هذا الباب:

-
- ١- رواه الشيخان، البخاريّ في صحيحه: كتاب النِّفقات، باب عَوْنِ المرأةِ زَوْجَهَا فِي وَلَدِهِ (٥٣٦٧)، واللفظ له. ومسلم في صحيحه: كتاب الرِّضاع، باب استحباب نكاح البكر (٥٨/٧١٥).
 - ٢- شرح ابن بطال ٧/٥٤٥.
 - ٣- أصول السرخسي ٢/٢٠٣.
 - ٤- مجموع الفتاوى ٢٤/١٩٨.
 - ٥- الموافقات ١/٥٢٤.

- الذِّكْرُ لبعض الناس في بعض الأوقات يصيرُ أفضل من قراءة القرآن التي لا تتجاوز حناجرهم، والقراءة لبعضهم في بعض الأوقات تصير أفضل من صلاة النافلة التي لا حظ لهم منها غير الحركات، والأفضلية لكمال الانتفاع به، لا لأنه في جنسه أفضل. قال ابن القيم: «وهكذا الأذكار المقيّدة بمحالٍ مخصوصة أفضل من القراءة^(١) المطلقة، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة، اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن، مثاله أن يتفكر في ذنوبه فيُحدث له توبة واستغفارًا، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن، فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصّنه. وقد يعرض للعبد حاجةٌ ضروريةٌ إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكر لم يحضر قلبه فيها، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء لها اجتمع قلبه كله على الله وأحدث له تضرعًا وخشوعًا، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء - والحالة هذه - أنفع له، وإن كان كلُّ من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجرًا^(٢).

- تغميض المصلي عينه في قيامه في أصله مكروه، لكن إن أدّى إلى مصلحة جلب الخشوع وصراف التشتت، فهو أفضل وأوفق^(٣).

مسألة: جمع الكلمة وحفظ «اتفاق القلوب»^(٤)، ولأجل وحدة الصف يُترك الفاضل إلى المفضول، تنبيهًا على خطورة شق الصف، ومن الأمثلة على ذلك:

- ١- كذا نصّه، ولعلّه سبق قلم، ومراده: الأذكار، والجمله التي بعدها توضّح مراده.
- ٢- الوابل الصيب ٢٣١-٢٣٢ باختصار.
- ٣- شرح العمدة ٣/ ٧٣، وابن قيم الجوزية: زاد المعاد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٢٧، ١٩٩٤م، ١/ ٢٩٤. والهدية العلائية ٩٣.
- ٤- شرح العمدة ٦/ ٤٩٩.

- توزيع النبي (ﷺ) غنائم غزوة حُنين في قريش وقبائل العرب وعدم إعطاء الأنصار شيئاً منها^(١)، والشاهد أن النبي (ﷺ) لم يوزع الغنائم على المقاتلين جميعهم، بل ترك الأنصار الذين هم خيرة القوم، وأعطى الذين إيمانهم ضعيف «لُعاة من الدنيا» تأليفاً لهم، ثم بذل (ﷺ) للأنصار أحسن الغنائم وهي منها أن يكون منهم، (رضي الله عنهم) وأرضاهم.

[البند الرابع] التعليم ودفع الاشتباه.

مسألة: بيان الوجه للجائز: فقد يُترك الفاضل ويُختار المفصول للتعليم^(٢)، وكان عليه الصلاة والسلام «في الأفعال الشرعية التي تتكرر، يواظب غالباً على فعل الشيء على أكمل الوجوه وأتمها، وذلك ليتعلم منه من لا يعلم، وليصححوا أفعالهم حسب أفعاله»^(٣)، فإنه نبي كامل يسعى بأتمه نحو الكمال، غير أنه ربما عمد إلى الترخُّص على مرأى من الناس لبيان الوجه للجائز رحمةً بهم، مثاله:

- صلاة النبي (ﷺ) آخر الوقت^(٤).

- اتباع المأموم إمامه إذا صلى جالساً لمرض استدلالاً بحديث «إنما جعل الإمام

١- في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري (ﷺ) (١١٧٣٠). وابن أبي شيبة في مصنفه: كتاب المغازي، غزوة حُنين وما جاء فيها (٣٦٩٩٧). قال الهيثمي في مجمع الزوائد، دار الكتاب العربي ببيروت، د.ت، ١٠ / ٣٠: «رواه أحمد، ورجالهما رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع». وقد ذكره ابن حجر ابن إسحاق في المرتبة الرابعة من المدلسين، وهم «من اتفق على أنه لا يُحتج بشيء من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع»، ابن حجر العسقلاني: تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، تحقيق عبدالغفار البنداري وغيره، دار الكتب العلمية ببيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ٢٤، ١٣٢.

٢- ابن قدامة المقدسي: المغني، تحقيق عبدالله التركي وآخر، دار عالم الكتب بالرياض، ط٣، ١٩٩٧م، ٣ / ٦١. وشرح العمدة ٦ / ٣٦٣.

٣- الأشقر، محمد سليمان: أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالاتها على الأحكام الشرعية، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط٥، ١٩٩٦م، ١ / ٧٦.

٤- رواه النسائي في سننه من حديث جابر: كتاب المواقيت، باب آخر وقت العصر (٥١٣)، وسكت عنه. وقال الترمذي في جامعه: أبواب الصلاة، باب ما جاء في مواقيت الصلاة عن النبي (ﷺ)، عقب حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) (١٥٠): «وقال محمد -[أي البخاري]-: أصح شيء في المواقيت حديث جابر عن النبي (ﷺ)».

لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبَّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا»^(١)، «وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا»^(٢)، وروى السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) «صَلَّى فِي بَيْتِهِ وَهُوَ شَاكٌ، فَصَلَّى جَالِسًا وَصَلَّى وَرَاءَهُ قَوْمٌ قِيَامًا، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ اجْلِسُوا»^(٣)، مع أَنَّ «الْقَوْمَاتِ أَفْضَلَ مِنَ الْجَلْسَاتِ، لِأَنَّ صَلَاةَ الْقَاعِدِ عَلَى النُّصْفِ مِنْ صَلَاةِ الْقَائِمِ»^(٤)، لَكِنَّهُ (ﷺ) إِنَّمَا «صَلَّى قَاعِدًا لِيُبَيِّنَ الْجَوَازَ»^(٥). وهذه من أفراد المذهب الحنبلي، ومذهبهم أنه لا يصحَّ اتِّمَامُ الْقَادِرِ عَلَى الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ بِالْمُؤَمِّئِ وَلَا الْقَادِرِ عَلَى الْقِيَامِ بِالْعَاجِزِ عَنْهُ إِلَّا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ وَبِثَلَاثَةِ شُرَائِطٍ: أَنْ يَكُونَ إِمَامًا حَيًّا، وَأَنْ يَكُونَ مَرُضُهُ مِمَّا يُرْجَى زَوَالُهُ، وَأَنْ يَكُونَ قَدْ ابْتَدَأَ الصَّلَاةَ بِهِمْ جَالِسًا^(٦)، وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ قَدَامَةَ: «وَيُسْتَحَبُّ لِلْإِمَامِ إِذَا مَرِضَ وَعَجِزَ عَنِ الْقِيَامِ أَنْ يَسْتَخْلَفَ، لِأَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي صِحَّةِ إِمَامَتِهِ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْخِلَافِ»^(٧).

مسألة: دفع اشتباه عدم المشروعية: قد يحصل في بلد المداومة على أداء عبادة ما على هيئة ما، فيتوهم بعضهم له أنها أوحده الوجوه وأن غيرها بدعة، حينئذ يقوم الداعي إلى إعلامهم بسعة الشريعة واستيعاب تلك العبادة هيئات مختلفة، وعدم انحصارها في تلك الهيئة التي ألفتها العين، وأن في كل نوع عبادة

- ١- رواه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة: باب الصلاة في السطوح والمنبر والخشب (٣٧٨).
- ٢- رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان [والجماعة]: باب إنما جعل الإمام ليؤتم به (٦٨٨). والمتن الجامع عند مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب صلاة النبي (ﷺ) في مرضه وخلفه أبو بكر (رضي الله عنه) (٨٩ / ٤١٧).
- ٣- رواه الشيخان، البخاري في صحيحه: أبواب تقصير الصلاة: باب صلاة القاعد (١١١٣)، واللفظ له. ومسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب اتمام المأموم بالإمام (٨٢ / ٤١٢).
- ٤- قواعد الأحكام ١ / ٢٤٥.
- ٥- المغني لابن قدامة ٣ / ٦١.
- ٦- يُنظر: الكلوذاني: الهداية، تحقيق عبداللطيف هميم وماهر الفحل، مؤسسة غراس بالكويت، ١٤، ٢٠٠٤م، ١٠٠. والمغني لابن قدامة ٣ / ٦٠-٦٤.
- ٧- المغني لابن قدامة ٣ / ٦٠.

مصلحةً خاصّةً وإن كانت مرجوحة الدليل عند بعضهم. وأرى من الواجبات الكفائيّة الانتصاب إلى فعل المرجوح الجائر، بالحكمة واللين؛ إحياءً للسنة. ومن ذلك فعل سنة الزوائد بقدر يفهم منه ثبوتها لا على وجه المشروعيّة، لكن على وجه الشرعيّة، كما كان يفعل سيّدنا ابن عمر - رضي الله عنهما - ويقول: «وإن لم يقصده لكنّ نفس فعله حسنٌ على أيّ وجه كان»^(١)، خلافاً لأبيه سيّدنا عمر الذي كان يرى أنّ مشاركته (ﷺ) في صورة الفعل من غير موافقة له في مقصده ليس متابعةً. ووفق الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - بين القولين، فرخص في ذلك إذا كان شيئاً يسيراً، ونهى عنه إذا كثّر^(٢).

مسألة: دفع الاشتباه بين الوجوب والسنيّة: إنّ العناية بفعل المندوبات أمرٌ حميد، قال الله تعالى فيما يرويه سيّدنا الرسول (ﷺ) عنه: «وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه»^(٣)، فهذا حضٌّ على إقام الفرائض وتكثير النوافل، لكن الملام على من يخلط بين مراتب العبادات ولا يعطي المرتبة حقّها، بأن:

- يؤدّي النوافل ويُجحف بالفروض، ولا يفعله تقيّاً، لأنّ الأصل في النوافل أن تُعين على أداء الواجبات.

- يجعل السنن واجباتٍ ويغلظ القول على من يتركها أحياناً.

- يلزم نفسه بها حدّ الإصر والتعذيب والحرَج.

وكل هذا منشؤه الجهل بحُكم العبادَة ورُتبتهَا، لذلك كان علماء الأمة

١- أصول السرخسي ٢ / ٨٩.

٢- ابن تيمية: الاعتصام بالكتاب والسنة، عناية عبدالسلام عبدالكريم، دار الفتوح الإسلامية بالقاهرة، ط ١، ١٩٩٥ م، ٨٥ بتصرّف. وهذه مسألة خلافية يذكرها العلماء في حجّة فعل النبي (ﷺ) الذي لم يظهر فيه قصد القرية.

٣- رواه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢).

يعمدون إلى ترك بعض المندوبات أحياناً إذا كان إظهار المواظبة عليها ذريعةً إلى اعتقاد العامة سنيتها أو وجوبها، اقتداءً بالمعلم الأول (ﷺ)، وفي الترك أو بيان أصل حكمها^(١) حل لهذا الاضطراب الفكري الخطير. ومن الأمثلة على ذلك:

- ترك النبي (ﷺ) صلاة التراويح وتعليله ذلك بقوله: «لم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنني خشيت أن تُفرض عليكم»^(٢)، فإنه لو واظب عليها لفهموا أنها واجبة.

- ترك شيخ الإسلام أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) الأضحية، فعن أبي سريحة (رضي الله عنه): «أنهما كانا لا يُضحيان مخافة أن يعتقد الناس وجوبها»^(٣).

- كراهة الإمام مالك (رضي الله عنه) إتباع رمضان بصوم ستة أيام من شوال مخافة أن يعتقد العامة فرضيتها^(٤).

وهذا كله مقيّد بعارض الاشتباه.

-
- ١- وأن المندوب مطلوب الفعل على الجزء، وقد يجب على الكل.
 - ٢- رواه الشيخان، البخاري في صحيحه: كتاب التهجّد، باب تحريض النبي على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب (١١٢٩). ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب التّرجيب في قيام رمضان وهو التراويح (١٧٧/٧٦١). واللفظ عنهما واحد.
 - ٣- رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار: كتاب الصيد والذبايح والأضاحي، باب من نحر يوم النحر قبل أن ينحر الإمام (٦٢١١). وعبد الرزاق الصنعاني في مصنّفه: كتاب المناسك، باب الضحايا (٨١٩٣). والإمام الشافعي في الأمّ بلاغا ٣/٥٨٤. وقال ابن حجر: "وهو في سنن سعيد بن منصور عن أبي مسعود بسند صحيح"، ابن حجر العسقلاني: التخليص الحبير، عناية حسن عباس، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٩٩٥م، ٤/٢٦٥.
 - ٤- الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي ٢/٣٣١.

المبحث الثالث: ضوابط العمل بالمفضول

بعد معرفة أسباب العدول عن الفاضل إلى المفضول، ينبغي بيان الضوابط التي تُدير سير عملية التفضيل، وهي على مرحلتين: مرحلة الفهم والتنسيق بين الحكم ومحله، ومرحلة التطبيق.

المطلب الأول: ضوابط النظر التفضيلي:

أولاً: أن تثبت مشروعية الفاضل والمفضول كليهما بالكتاب والسنة وبالرد إليهما وبعمل الصحابة (رضي الله عنهم).

ثانياً: أن يتحقق تراحم المصلحتين مع عدم إمكان الجمع بين الصورتين، فإما هذه وإما هذه، فيُنقل النظر حينئذٍ من ذات المصلحة إلى محلّ تنزيلها.

ثالثاً: أن يكون مناط الفعل - أي مصلحته - غير منحسم، بأن يكون الفعل ممّا يقبل الكينونة في إحدى كفتي ميزان التفاضل، فيكون له نظيرٌ وبدلٌ مشروع في الكفة الأخرى، ويتعلق بالمرء تعلق المصالح بحالها، فإن زالت المصلحة أو كانت لتقع لكن وقوعاً مختلاً لم يصحّ أن يفرغ المحلّ عن الحكم، فيُعدّل حينئذٍ إلى مصلحةٍ أخرى. وبهذا تخرج الأفعال التي لها وجه واحد فقط: الوجود أو عدم الوجود، كالتوحيد، وأمّهات الفضائل كالصدق، وفرضية الصلاة، من جهة الوجود، والشرك وأمّهات الرذائل كالخيانة والعدوان، من جهة عدم الوجود، فلا تُخترَم معانيها في حين أبداً إلا بصورة طارئة نصّ عليها الشارع، لأنّ المصالح هذه مجزومٌ بها جزماً لا يأذن بالعدول عنها إلى غيرها، وخطورتها تكمن أنّها من مُحكمات الدين.

رابعاً: أن ينظر في المسألة تقيُّ خبيراً بالملايسات. والسؤال: من ينظر؟ صاحب المسألة أم المفتي؟ وهي مسألة عند العلماء باسم (من يحقق المناط؟)^(١)، وحاصل القول إن «الرخصة إضافية، بمعنى أن كلَّ أحدٍ في الأخذ بها فقيه نفسه ما لم يُحدِّد فيها حدُّ شرعيُّ فيوقف عنده»^(٢)، فلا يُستغنى عن أحدهما فيما تعلق بالحدِّ الشرعيِّ، لأنَّ المفتي وإن لم يُوجَّه إليه (خطاب الشارع إلى المستفتي في نفسه)، لكنَّه يُعيَّنه على الاختيار والتقدير، مع بيان وجه اللطف ومعاني المصالح، فعملية تحقيق المناط إذاً ثنائية الأطراف: صاحب المسألة الذي يشرح الملايسات ويعرضها، والمفتي الذي يشرِّحها وينظر ويشير، لأنَّ المفتي وحده لا يعلم الخصوصية، والفراصة نافعة لكنَّها لا تعيَّن سبب الانتقال، والسائل وحده لا يفقه التفضيل الشرعيِّ، وإنما جعل الفقيه التقيُّ طرفاً ليقطع مادَّة الحيلة، فإنَّ بعض من يسأل يسأل عن كسل أو تتبُّعاً للترخيص أو كلفاً بالحركات دون المعاني المعتبرة، وفي (اتهام النيات) تفصيل طويل. والعبرة ليست بالشخص بل بالصفة، ولذلك قد يكون المرء مفتي نفسه، إن كان صاحب المسألة وتوافرت فيه صفة الفقاهة وزكاء السريرة.

خامساً: أن يكون وجه الانتقال سائغاً، بأن تكون المصلحة والحاجة حقيقيةً، وتلك المفسدة غير متوهمة، ويُعرَف هذا باستيعاب أركان المسألة وحال صاحبها.

سادساً: أن يُتحقَّق من أيلولة هذا الانتقال وانتظامه واستقامته، إذ ليس كلَّ انتقال هو صحيحاً لمجرد قيام عامل الانتقال، فالمفضول يتعدَّد كما أنَّ الأحوال تتعدَّد، والمفضول نفسه يتفاوت، وهذا الضابط يدخل أيضاً في مرحلة التطبيق، وهو مهمٌّ في قطع مادَّة الحيل.

١- يراجع مثلاً: فريد الأنصاري: المصطلح الأصولي عند الشاطبي، معهد الدراسات المصطلحية بفاس، ط ١، ٢٠٠٤م، ٣٦٧ وما بعدها. وابن بيه: تنبيه المراجع على تأصيل فقه الواقع، دار الموطأ، ط ١، ٢٠١٤م، ٧٦ وما بعدها.

٢- الموافقات ١/ ٤٨٤، ٤٨٥.

سابعاً: أن يحترز المنتقل إلى المفضول إذا كان قد شرع بالفاضل وكان الفاضل يقبل التجزيء والترك = يحترز من أن يترك الفاضل تركاً قبيحاً، لأن الانتقال إلى المفضول مقيّد بعدم الإساءة إلى الفاضل في ذاته.

ثامناً: ألا ينتقل إلى مفضول المفضول إن كان المفضول مقدوراً عليه، لأنه لم ينتقل عن الفاضل إلا بعد عدم القدرة عليه، فيراعى البديل المناسب.

تاسعاً: ألا يكون فعل المفضول سبباً في فوات الفاضل بحق الجماعة لا على الجزء ولا على الكل. فإذا تعلق أداء الفاضل بمصلحة الجماعة فينبغي عند انتقال الفرد إلى المفضول ألا يؤثر هدرًا في المصلحة العامة، أي أن يصح أداء الفاضل على الكفاية والكل فرضاً، وعلى العين والجزء ندباً، كصلاة الجماعة كونها من شعائر الدين، وإغاثة الملهوف كونها من أوصاف الشريعة، وقد يتركها الفرد لمصالح شخصية أشد حاجة إليها، فهذا يصح بشرط أن لا يكون من جميع المكلفين وإلا عدّ هذا تمالؤاً واستعمالاً للرخصة على غير وجهها.

عاشراً: ألا يُمنع المفضول أو يوجب الفاضل سياسةً، أي بأمر الحاكم أو القاضي المسلمين الراشدين التقيين. فلا يسوغ لأحد أن يعترض على تأخير الظهر والعصر والعشاء نصف ساعة تقريباً لأجل أن الفضيلة أول الوقت!

المطلب الثاني: ضوابط العمل، واحترازات التطبيق:

أولاً: عدم إطباق المجتمع على فعل المفضول.

ثانياً: إشاعة الفاضل مع عدم إغفال شأن المفضول، ففي كل خير، وهذا المعنى مأخوذ من قول سيدنا رسول الله محمد (ﷺ): «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»^(١)، فقوله «وفي كل خير» إرشاد إلى

١ - تقدّم تخريجه، وهو في صحيح مسلم.

أَنَّ مَنْ فَاضَلَ بَيْنَ الْأَعْمَالِ أَوْ الْأَجْناسِ عَمومًا فَعَلِيهِ أَنْ يَذْكَرَ وَجْهَ التَّفْضِيلِ وَجِهَتَهُ، وَيَحْتَرِزُ بِذِكْرِ الْفَضْلِ الْمَشْتَرِكِ بَيْنَ الْفَاضِلِ وَالْمَفْضُولِ لئَلَّا يَتَطَرَّقَ الْقَدْحُ إِلَى الْمَفْضُولِ فَيُحْتَقَرَّ أَوْ يُتْرَكَ أَوْ يُنْكَرَ عَلَى الْآخِذِ بِهِ^(١).

ثالثًا: تنبيه المنتقل وإفهامه نُكْتةُ المسألة ووجهَ العدول عن الفاضل، وأنَّ العدول عن الفاضل إنما هو رُخْصَةٌ خَاصَّةٌ مُوقَّتَةٌ - عدا ما كان لخصوصية فيه - ، وأنَّ العَرَضَ زائل والأصل باق، لأنَّ «الرُّخْصَةَ تَرْجِعُ إِلَى الْعَزِيمَةِ إِنْ زَالَ الْعُذْرُ»^(٢)، فمتى رجع الفاضل فعلاً مناسباً عاد إليه وتُركَ المفضول. فإن لم يُعرَفْ أَنَّ ذَلِكَ يَتَنَوَّعُ بِتَنَوُّعِ الْأَحْوَالِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَعْمَالِ فَإِنَّهُ سَيَقَعُ فِي الْاضْطِرَابِ لَا شَكَّ، فَإِذَا أَنْ يَنْتَحِيَ مِنْهُ الرُّكُونُ مُطْلَقًا وَالْمِيلُ إِلَى الْأَخْفِ وَالتَّعَلُّلُ بِفَاضِلِيَّتِهِ فِي نَفْسِهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى إِطْلَاقِهِ «ذَرِيعَةً إِلَى انْحِلَالِ عِزَائِمِ الْمَكْلُفِينَ فِي التَّعَبُّدِ عَلَى الْإِطْلَاقِ»^(٣)، وَإِذَا أَنْ يَنْتَحِيَ مِنْهُ التَّعَصُّبُ وَالخَلْطُ بَيْنَ مَرَاتِبِ الْعِبَادَاتِ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ بِقَوْلِهِ: «فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ إِذَا اعْتَقَدَ اسْتِحْبَابَ فِعْلٍ وَرَجَحَانَهُ يَحْفَظُ عَلَيْهِ مَا لَا يُحَافِظُ عَلَى الْوَاجِبَاتِ، حَتَّى يَخْرُجَ بِهِ الْأَمْرُ إِلَى الْهَوَى وَالتَّعَصُّبِ، وَالْوَاجِبُ أَنْ يُعْطَى كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَيُوسَّعَ مَا وَسَّعَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ (ﷺ)»^(٤).

- ١- عبدالرحمن السَّعْدِي: بهجة قلوب الأبرار، وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض، ط٤، ٢٠٠٢م، ٢٤-٢٥.
- ٢- الموافقات ١ / ٤٦٨. وسميته رخصة تجوزًا، دون المعنى الأصولي له.
- ٣- الموافقات ١ / ٥٠٧.
- ٤- مجموع الفتاوى ٢٤ / ١٩٩.

الخاتمة

- الحمد لله أولاً وآخرًا، وبعدُ ثانيةً، يمكن صياغة نتائج الدراسة فيما يأتي:
- مبحث التّفْضيل من مفردات فقه الواقع القائم على آليّة الموازنة والتنسيق بين الاقتضائين الأصلي والتبعي.
 - يكاد يكون أكثر المباحث ملاءمةً لاستيعاب هذا المبحث: مبحث فقه البدائل.
 - من فوائد التّفْضيل: إعمال فقه الدليل وتفعيله في واقع المكلفين، بتقريب الدين إلى أذهان الناس بكيفٍ لا يُحسُّوا به أنّ التكليف إصرٌ، بل رحمة وخير، وهذا يكون بثقة الناس بعلمائهم.
 - هذا المبحث يؤكّد يسرَ الشريعة وصلاحتها وإصلاحها لكلّ زمان ومكان واستيعابها لأجناس التغيّرات والتنوّعات وما يطرأ من حوادث.
 - تتأيد بالبحث فكرة أهميّة معرفة المكلف العامّي بالمقاصد، وأنّها ضرورية لقطع مادّة الحيلة.
 - أرى أنّ من الواجبات الكفائية الانتصاب لإقامة السنن المهجورة والهيئات الصحيحة الثابتة التي لم تألفها عين العامّة.
 - ترجع أسباب العدول عن الفاضل إلى المفضول إلى أربعة أسباب ينبغي التحقيق فيها قبل الحكم بالمفضول:
 - الخصوصية النصّية، وفيه أنّ النصّ يُملي تقديم المفضول عنده على وجه الوجوب أو الندب.
 - العوامل الظرفيّة، وفيه أنّ الزّمان والمكان يُمليان على المكلف العمل بالمفضول لضيق حيّزه مع اتّساع حيّز الفاضل.

اقتران الفاضل بمفسدة راجحة، كالعجز عن أدائه، أو صعوبة الإتيان به، أو لزوم الإخلال بالعبادة إذا تعين، وكونه ذريعةً إلى مفسدة أكبر، وغير ذلك من المفاسد.

اقتران المفضول بمصلحة راجحة، كزيادة الانتفاع بالعبادة، ومناسبة المفضول للمقام كمقام البرِّ ومقام القدوة وغيرهما.

وتوصي الدراسة بالآتي:

- تحقيق الكلام في السنن النبوية التي لم يُقصد بها وجه القربة وتقريبها من الوجه السنِّي التشريعي والعمل على إحيائها.

تَبَت المصادر والمراجع، مرتَّب هجائياً

- الأمدِّي، أبو الحسن (ت ٦٣١هـ): الإحكام في أصول الأحكام، تعليق عبد الرزاق عفيفي. دار الصميعي بالرياض، ط ١، ٢٠٠٣م.
- أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وغيره. مؤسسة الرسالة بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- الأشقر، محمد سليمان (ت ١٤٣٠هـ): أفعال الرسول (ﷺ) ودلالاتها على الأحكام الشرعية. مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٩٩٦م.
- الأصفهاني، أبو نعيم (ت ٤٣٠هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. دار الكتب العلميّة بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.
- البخاري، أبو عبدالله (ت ٢٥٦هـ): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه، عناية محمد زهير الناصر. دار طوق النجاة، مُصوّر عن النسخة اليونانية المطبوعة بالمطبعة الأميرية ببولاق بمصر ١٨٩٤م.
- ابن بطّال، القرطبي (ت ٤٤٩هـ): شرح صحيح البخاري، تحقيق ياسر إبراهيم. مكتبة الرشد بالرياض، د.ت.
- البلقيني، سراج الدين (ت ٨٠٥هـ): الفوائد الجسام على قواعد ابن عبدالسلام، تحقيق محمد يحيى منيار. وزارة الأوقاف بقطر، ط ١، ٢٠١٣م.
- ابن بيّه، عبدالله بن محفوظ: تنبيه المراجع على تأصيل فقه الواقع. دار الموطأ، طبعة خاصّة لمنتدى تعزيز السّلم في المجتمعات المسلمة في الإمارات، ط ١، ٢٠١٤م.
- الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ): الجامع الصحيح، عناية أحمد شاکر ومحمد فؤاد عبدالباقي. مطبعة مصطفى الحلبي بمصر، ط ٢، ١٩٧٥م.
- ابن تيمية، تقي الدين الحرّاني (ت ٧٢٨هـ):
- الاعتصام بالكتاب والسنة، عناية عبدالسلام عبدالكريم. دار الفتوح الإسلامية

- بالقاهرة، ط١، ١٩٩٥ م.
- شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة، تحقيق صالح الحسن. مكتبة العبيكان بالرياض، ط١، ١٩٩٣ م.
- مجموع الفتاوى، عناية عبدالرحمن بن قاسم. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م.
- الجزري، مجد الدين بن الأثير (ت٦٠٦هـ): جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط. مكتبة الحلواني ومكتبة دار البيان، ١٩٦٩ م.
- الحاكم، أبو عبدالله النيسابوري (ت٤٠٥هـ): المستدرک على الصحيحين، وعليه تعليقات الذهبي (ت٧٤٨هـ) في التلخيص، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠ م.
- ابن حجر، شهاب الدين العسقلاني (ت٨٥٢هـ):
- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية. دار هجر بالقاهرة، ط١، ٢٠٠٨ م.
- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، تحقيق عبدالغفار البنداري وغيره. دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٧ م.
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، عناية حسن عباس. مؤسسة قرطبة، ط١، ١٩٩٥ م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، عناية محمد فؤاد عبدالباقي. المكتبة السلفية، د.د.
- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، تحقيق حمدي عبدالمجيد. دار ابن كثير بدمشق وبيروت، ط٢، ١٩٩٥ م.
- النكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق ربيع بن هادي المدخلي. عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ودار الراية، ط١، ١٩٨٤ م.

- أبو داود، السَّجِسْتَانِي (ت ٢٧٥هـ):
 - رسالة أبي داود إلى أهل مكة وغيرهم في وصف سننه، تحقيق محمد لطفي الصَّبَاغ. المكتب الإسلامي ببيروت ودمشق وعمَّان، ط٤، ١٩٩٧ م.
 - السُّنَن. دار الرِّسَالَة الْعَالِمِيَّة بِدَمَشَق، ط١، ٢٠٠٩ م.
 - الدُّرَيْنِي، مُحَمَّد فَتْحِي (ت ١٤٣٥هـ): بحوث مقارنة في الفقه الإسلامي وأصوله. مؤسَّسَة الرِّسَالَة، ط١، ١٩٩٤ م.
 - ابن رُشْد، أَبُو الْوَلِيد الْحَفِيد (ت ٥٩٥هـ): بداية المجتهد ونهاية المقتصد. دار الفِكر، د.ت.
 - الزَّجَّاج، أَبُو إِسْحَاق (ت ٣١١هـ): تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق أحمد يوسف الدقاق. دار المأمون للتراث بدمشق وبيروت، ط٥، ١٩٨٦ م.
 - الزَّيْلَعِي، جَمَال الدِّين (ت ٧٦٢هـ): نصب الرِّايَة لِأَحَادِيثِ الْهَدَايَة، تحقيق مُحَمَّد عَوَامَة. مؤسَّسَة الرِّبَّانِ ببيروت، ط١، ١٩٩٧ م.
 - السَّرْحَسِي، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ (ت ٤٩٠هـ): الأصول، تحقيق أبي الوفاء الأفغاني. لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد الدكن في الهند، د.ت.
 - السَّعْدِي، عَبْد الرَّحْمَنُ بْنُ نَاصِرٍ (ت ١٣٧٦هـ): بهجة قلوب الأبرار في شرح جوامع الأخبار. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالرياض، ط٤، ٢٠٠٢ م.
- الشاطبي، أبو إسحاق (ت ٧٩٠هـ):
 - الاعتصام، تحقيق مشهور آل سلمان. مكتبة التوحيد بالمنامة، ٢٠٠٠ م.
 - الموافقات، تحقيق مشهور آل سلمان. دار ابن عفَّان بِالْحُبَيْرِ، ط١، ١٩٩٧ م.
 - الشَّافِعِي، مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسِ الْمَطَّلِبِي (ت ٢٠٤هـ): الأمِّ، تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب. دار الوفاء بالمنصورة، ط١، ٢٠٠١ م.
 - ابن أبي شيبه، أبو بكر (ت ٢٣٥هـ): المصنَّف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت. مكتبة الرشد بالرياض، ط١، ١٩٨٨ م.

- الصنعاني، عبدالرزاق (ت٢١١هـ): المصنّف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي (ت١٤١٢هـ). المكتب الإسلامي ببيروت، بموافقة المجلس العلمي بالهند، ط٢، ١٩٨٣م.
- الطحاوي، أبو جعفر (ت٣٢١هـ): شرح معاني الآثار، تحقيق محمد زهري النّجار ومحمد سيد جاد الحقّ. عالم الكتب ببيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- ابن عابدين، محمّد أمين (ت١٢٥٢هـ): ردّ المُحتار على الدرّ المُختار شرح تنوير الأبصار، المعروف بحاشية ابن عابدين، تحقيق عادل عبدالموجود وعلي معوّض. دار عالم الكتب بالرياض، بموافقة دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٣م.
- عابدين، علاء الدين (ت١٣٠٦هـ): الهدية العلائقية، تعليق محمد سعيد برهاني (ت١٣٨٦هـ). مكتبة الإمام الأوزاعي بدمشق، ط٦، ٢٠٠٥م.
- ابن عبدالبرّ، أبو عمّر الأندلسيّ (ت٤٦٣هـ): الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمّنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كلّه بالإيجاز والاختصار. دار قتيبة بدمشق وبيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- ابن عثيمين، محمد صالح (ت١٤٢١هـ): منظومة أصول الفقه وقواعده. دار ابن الجوزي بالدمّام، ط٣، ٢٠١٣م.
- العزّ بن عبدالسّلام، عبدالعزيز السّلمي (ت٦٦٠هـ): قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، تحقيق نزيه حمّاد وعثمان ضميريّة. دار القلم بدمشق، ٢٠٠٨م.
- ابن عقيل، العقيلي المصريّ (ت٧٦٩هـ): شرح ألفية ابن مالك، ومعه منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، لمحمد محيي الدين عبدالحميد. المكتبة العصريّة بصيدا، ٢٠١٦م.
- عياض القاضي، اليحصبي (ت٥٤٤هـ): إكمال المُعلّم بفوائد مُسلم، تحقيق يحيى إسماعيل. دار الوفاء بالمنصورة بمصر، ط١، ١٩٩٨م.
- الغزالي، أبو حامد (ت٥٠٥هـ): المستصفى، تحقيق محمد سليمان الأشقر. مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٧م.
- فريد الأنصاري (ت١٤٣٠هـ): المصطلح الأصولي عند الشاطبي. معهد الدّراسات المصطلحيّة بفاس، ط١، ٢٠٠٤م.

- الفيومي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. مكتبة لبنان ببيروت، ١٩٨٧ م.
- ابن قدامة المقدسي، موفق الدين (ت ٦٢٠هـ):
 - الكافي، تحقيق عبدالله التركي بالتعاون مع مركز هجر. دار هجر بالقاهرة، ط١، ١٩٩٧ م.
 - المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق عبدالله التركي وعبدالفتاح محمد الحلو. دار عالم الكتب بالرياض، ط٣، ١٩٩٧ م.
 - القرافي، شهاب الدين (ت ٦٨٤هـ): الفروق (أنوار البروق في أنواع الفروق)، عناية خليل المنصور. دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨ م.
 - القفال الكبير، أبو بكر الشاشي (ت ٣٦٥هـ): محاسن الشريعة في فروع الشافعية، عناية محمد علي سمك. دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٧ م.
- ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ):
 - زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة في بيروت ومكتبة المنار الإسلامية بالكويت، ط٢٧، ١٩٩٤ م.
 - الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، تحقيق عبدالرحمن حسن قائد. دار عالم الفوائد بمكة المكرمة، د.ت.
 - الكاساني، علاء الدين (ت ٥٨٧هـ): بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. دار الكتب العلمية، مصورة عن طبعة دار الحديث، ط٢، ١٩٨٦ م.
 - ابن كثير، الدمشقي (ت ٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي محمد السلامة. دار طيبة بالرياض، ط٢، ١٩٩٩ م.
 - الكلوذاني، أبو الخطّاب (ت ٥١٠هـ): الهداية على مذهب الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق عبداللطيف هميم وماهر ياسين الفحل. مؤسسة غراس بالكويت، ط١، ٢٠٠٤ م.
 - ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ): السنن، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. دار الفكر ببيروت، د.ت.

- مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ): الموطأ، من رواية يحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق بشار معروف عواد. دار الغرب الإسلامي بيروت، ط ٢، ١٩٩٧ م.
- الماوردي، أبو الحسن (ت ٤٥٠هـ): الحاوي الكبير، تحقيق علي معوض وعادل عبدالموجود. دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٤ م.
- محمد تقي العثماني: أصول الإفتاء وآدابه. دار القلم بدمشق، ط ١، ٢٠١٤ م.
- محمد الخضر حسين (ت ١٣٧٧هـ): الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان. دار نهضة مصر بالقاهرة، ١٩٩٩ م.
- مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ). مكتبة الرشد بالرياض، ٢٠٠١ م.
- مغلطاي، علاء الدين (ت ٧٦٢هـ): شرح سنن ابن ماجه، عناية كامل عويضة. مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة المكرمة والرياض، ط ١، ١٩٩٩ م.
- ابن منظور، جمال الدين المصري (ت ٧١١هـ): لسان العرب. دار صادر بيروت، د.ت.
- نجم الدين قادر كريم الزنكي: القواعد الأساسية لفقه التطبيق: مقارنة تأسيسية لمعالم الاجتهاد التحقيقي من منظور أصولي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، مج ٣١، ع ١٠٥، يونيو ٢٠١٦ م، من ٤٤٩ إلى ٤٩٢.
- ابن نجيم، زين الدين الحنفي (ت ٩٧٠هـ): الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، عناية زكريا عميرات. دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٦ م.
- النسائي، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ): السنن الصغرى (المجتبى)، عناية عبدالفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط ٢، ١٩٨٦ م.
- النووي، محيي الدين (ت ٦٧٦هـ):
- المجموع، واستأنفه السبكي الأب (ت ٧٥٦هـ) من كتاب البيوع من باب الربا إلى الرد بالعيب، وأتمه وحققه محمد نجيب المطيعي (١٤٠٤هـ). مكتبة الإرشاد بجدة، د.ت.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. المطبعة المصرية بالأزهر، ط ١، ١٩٢٩ - ١٩٣٠ م.
- ابن هشام، الأنصاري المصري (ت ٧٦١هـ): تهذيب شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ومعه شرح غاية الأرب، لمحمد بن محمد ديب حمزة. دار قتيبة ببيروت ودمشق، ط ١، ١٩٩١ م.
- الهيثمي، نور الدين (ت ٨٠٧هـ): مَجْمَعُ الزوائد ومنيع الفوائد. دار الكتاب العربي ببيروت، د.ت.
- قرارات مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة الثامنة، بروناي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م، <http://www.iifa-aifi.org/html.1950/>.

Sources and References:

- Al Amadi, Abu Al Hassan (631 AH). Neatness in Fundamentals of Judgments. Annotated by Abed Al Rzaq Afifi. Riyadh: Dar Al Sumaimi, 2003.1st edition.
- Bin Hanbal, Ahmed (241 AH). The Reference. Shoib Arnaaout et al (eds). Beirut: Al Reslah Coop,2001. 1st edition.
- Al Ashqar, Mohamed Suliman (430 AH) Prophet Mohamed Deeds and their Influence on Saharia Provisions. Al Reslah Coop,1996. 5th edition.
- Al Asfahani, Abu Naeem. Helyat Al Awlyiaa Wa Tabaqat Al Asfiyaa. Beirut: Dar Al Kotb Al Elmyia, 1988. 1st edition.
- Al Bukhari, Abu Abed Allah (256 AH). The Concise Reference to Prophet Mohamed's Sunnah. Mohamed Zuhair Al Nasir. Dar Taweq Al Najah. (A duplicated copy from the Amiri Publication House, Boulaq, Egypt, 1894).
- Bin Battal, Al Qurtubi (449 AH). Saheeh Al Bukhari: An Analysis. Yasser Ibrahim (ed). Rhyadh: Al Roshed PH. Any edition.
- Al Bolqini, Siraj Al Din (805 AH). Al Fawaed Al Jissam Ala Qawaed Bin Abed Al Sallam. Mohamed Yahia (ed). Ministry of Endowments, Qatar, 2013. 1st edition.
- Bin Beeih, Abed Allah Bin Mahfouz. Rooting the Reality of Jurisprudence: A Reference Synopsis. Dar Al Mawtee (Special Edition for The Peace Forum in Muslim Societies, UAE). 2014. 1ST edition.
- Al Turmuzhi, Abu Eissa. AlJamee Al Saheeh. Ahmed Shaker et al (eds). Egypt: Mostafa Al Bab Al Halabi PH,1975. 2nd edition.
- Abed Salam Abed Al Kareem(ed). Committing to Quran and Sunnah. Cairo: Dar Al Fotouh Al Islamyia, 1995. 2nd edition.
- Saleh Al Hssan (ed). The Correct Explanation of the Rituals of Hajj and Immrah. Riyadh: Al Oubikan Bookshop, 1993. 1ST edition.
- Abed Al Rhman Bin Qassem. Majmou Al Fatwa. Medina: King Fahed Complex for The Publication of Quran 2003-4.
- Al Jarzi, Mjid Al Din Bin Al Atheer (606 AH). Jamee Al Ousool Fi Ahdeeth Prophet Mohamed (PBUH). Al Halwani and Dar Al Bayan PH, 1969.
- Al Hakem, Abu Abed Allah Al Nissabori (405 AH). Al Mostadrak Ala Al Saheehayen (With annotations of Al Dhabhi 748 AH). Mostafa Abed Al Qader Attah, Dar Al Kotob Al Elmyia,1990. 1st edition.

- Al Esabah fi Tmeez Al Saahaba. Abed Allah Bin Abed Al Mohsen Al Turki (ed). In collaboration with Hajr Islamic and Arabic Studies Centre. Cairo: Hajr Centre, 2008. 1st edition.
- Tareef Ahl Al Taqdees bi Marateb Al Moawsofeen bil Tdless. Abed Al Ghafar Al Bendari et al. Dar Al Kotb Al Elmyia, 1987. 2nd edition.
- Editing Al Rafi's Talks: A synopsis. Hassan Abbas (ed). Qurtoba Corp, 1995.1st edition.
- Fateh Al Bari Shareh Saheeh Al Bukhari. Mohamed Foaad Abed Al Baqi. Salafi Bookshop. Any edition.
- Conclusions in Editing Athzar Verses. Hamdy Abed Al Majeed. Damscus & Beriut: Dar Bin Katheer, 1995. 2nd edition.
- Jokes on Ibn Al Saleh's Book. Rabee Ben Hadi Al Mudkhali. Al Medina: Deanship of Research: Islamic University & Al Rewaya PH, 1984. 1ST edition.
- Abi Dawood's Letter to Mecca People and others on the descriptions of his rules. Mohamed Lutfi Al Sabagh. The Islamic Bureau Beirut, Damascus & Amman, 1997.4th edition.
- Al Sunnan. Dar Al Resalah Al Elmiya, Damascus, 2009. 1st edition.
- Al Durini, Mohamed Fathi (1435 AH). Comparative research in islamic jurisprudence and its rules. Al Resalah Coop, 1994.1st edition.
- Ibn Rushod, Ab Al Waleed Al Hfeed(595 AH) The Beginnings for the Hard-working and The goals of the Frugals. Dar Al Fikr. Any edition.
- Al Zajjaj, Abu Ishaq (311 AH). Explaining the Holy Names of Allah. Ahmed Yousof Al Daqqaq. Al Mammoun Heritage: Damascus and Beriut, 1985. 5th edition.
- Al Zeliei, Jamal Al Din (762 AH). Naseb Al Raya Li Ahadeth Al Hedaya. Mohamed Awama (ed). Beirut: Al Rayan Coop, 1997. 1st edition.
- Al Sarkhasi, Abu Bakr Ahmed bin Abi Sahl (490 AH). The Origins. Abi Al Wafaa Al Afghani (ed). Committee for The Revival of Numani Knowledge, Haydar Abbad. Any edition.
- Al Saddi, Abed Al Rhman Bin Naseer (1376 AH). Bahjat Quloob Al Abrar fi Shareh Jawanee Al Akhbar. Ministry of Islamic Affairs and Endowments, Riyadh, 2002. 4th edition.
- Al Shatebi, Abu Isacc (790 AH)

- Al Eeitisam. Mashour Al Salman. Manama: Al Tawheed Bookshop:2000.
- Agreements. Mashhour Al Salman (ed). Al Khobar: Bin Affan Bookshop, 1997.1st edition.
- Al Shafiee, Mohamed bin Idrees Al Matlabi (204 AH). The Mother. Refaat Fawzi Abed Al Mottalaeb (ed). Al Mansoura: Dar Al Waffa, 2001. 1st edition.
- Bin Abi Shaiba, Abu Bakr. The Classified in Hadeeth and Effects.Kamal Yousef Al Hout (ed). Reyadh: Al Roshed Bookshop, 1988. 1st edition.
- Al Sanaanni, Abed Al Razeq (211 AH). The Classified. Habib Al Rahman Al Azami 1412 AH (ed). Beirut: Islamic Bureau (as approved by The Science Complex, India), 1983. 2nd edition.
- Al Tahawi, Abu Jafar (321 AH). Shareh Manni Al Aathar. Mohamed Zahri Al Njjar et al (eds). Beirut: Bookworld,1994. 1st edition.
- Ibn Abdeen, Mohamed Amin. Rad Al Mohtar Ala Al Dorrar Al Mokhtar Shareh Tanweer Al Absar (Bin Abdeen Annex).Adel Abed Al Mawjood et al (eds). Reyadh: Bookworld,2003. (as approved by Dar Al Kotob Al Elmiya).
- Abdeen, Alla Al Din (1306 AH). The Allai Gift. Mohamed Saeed Burhani 1386 AH (ed). Damascus: Al Emam Al Awzai, 2005. 6th edition.
- Ibn Abed Al Barr, Abu Ummar Al Andalusi (463 AH). Al Istizkar Al Jamee li Mazahab Fiqhaa Al Amsaar wa Ulmaa Al Aqttar fima Tadamanhu Al Mawtee min Maani Al Raei Wa Al Aathar wa Shareh Zalek Kolho Bi Al IJAZ wa Al Ikhtisar. Damascus and Beirut: Qutiba PH, 1992. 1st edition.
- Ibn Uthmaneen, Mohamed Saleh (1421 AH). Fundamentals of Fiqh and its Rules. Dammam: Bin Al Jouzi PH, 2013. 3rd edition.
- Al Ezz Bin Abed Al Salam et al (660 AH). The Rules of Provisions in People's Reform. Nazeeh Hammad et al (eds). Damascus: Dar Al Qalam, 2008.
- Bin Aqeel, Aqeeli Al Masri (769 AH). An Explanation of Bin Malek Alfya. (with an preface by Ibn Al Jaleel). Mohamed Muhi Abed Al Hameed (ed). Sayda: The Modern Library, 2016.
- Ayydh Al Qadi, Al Yahsabi (544 AH). Ikmal al Moalem Bi Fawaed Muslim. Yahya Ismail (ed). Mansoura Egypt: Dar Al Wafaa, 1998. 1st edition.
- Al Ghazali, Abu Hamed. The Elected. Mohamed Suliman Al Ashqar (ed). Al Resala Coop, 1997. 1st edition.
- Al Ansari Fareed (1430 AH). Al Shatbi's Fundamental Concepts. Faas: Institute for Canonical Studies, 2004. 1st edition.

- Al Fayoumi, Abu Abbas (770 AH). Al Musbah Al Munir Fi Ghareeb Al Shareh Al Kabeer. Beirut: Lebanon Bookshop, 1987.
- Al Kafi. Abed Allah Al Turki (ed) in collaboration with Hajr Centre, Cairo, 1997. 1st edition.
- Al Mughni Fi Fiqh Al Emam Ahmed Bin Hanbal Al Shibani. Abed Allah Al Turki et al (eds). Riyadh: Bookworld, 1997. 3rd edition.
- Al Qarafi, Shehab Al Din (684 AH). Al Forouq : Anwar Al Borouk fi Anwaa Al Forouq. Khalil Al Mansour (ed). Dar Al Ktob Al Elmyia, 1998. 1st edition.
- Al Qafal Al Kabeer, Abu Bakr Al Shashi (365 AH). Mahasen Al Shareea Fi Frou Al Shafeeia. Mohamed Ali Samak.). Dar Al Ktob Al Elmyia, 2007. 1st edition.
- Zad Al Maad fi Hadi Khayer Al Ebad. Shoeb Al Aarnaoot et al (eds). Beirut: Al Resala Coop in collaboration with Al Manar Islmaic Bookshop, Kuwait, 1994. 27th edition.
- Al Wabel Al Sayyeb Fi Rafee Al Kalam Al Tayeb. Abed Al Rahman Hassan Qaed (ed). Mecca: Dar Elm Al Fadeed. Any edition.
- Al Kasanni, Alaa Al Din (587 AH). Baddae Al Sanae fi Tarteeb Al Sharee. Dar Al Ktob Al Elmyia,1886. 2nd edition.
- Bin Katheer Al Damashqi (774 AH). Explaining Holy Quran. Sami Mohamed Al Salama (ed). Riyadh, 1999. 2nd edition.
- Al Kalwazani, Abu Al Khatab (510 AH). Al Hedaya Ala Mzhab Al Imam Abi Abed Allah Ahmed Bin Hanbal Al Shebani. Abed Al Latif Hameem et al (eds). Kuwait: Gheras Coop,2004. 1st edition.
- Malek Bin Annas (179AH). Al Mawtee (as narrated by Yahia Bin Yahia Al Laithi 244 AH). Bashar Marouf Awwad. Beirut: Dar Al Ghareb Al Islami, 1997. 2nd edition.
- Bin Maja, Mohamed Bin Yazzed Al Qazweeni (237 AH). Al Sunnan. Mohamed Abed Al Baqi (ed). Beirut: Dar Al Fikr, 1997. 2nd edition.
- Al Mawardi, Abu Hassan (450 AH). Al Hawi Al Kabeer. Ali Moawad et al (eds). Dar Al Ktob Al Elmyia,1994. 1st edition.
- Mohamed, Taqi Al Outhmani. The Fundametals of Fatawa. Damascus: Dar Al Qalam,2014. 1st edition.
- Mohamed Al Khedr Hussain (1377 AH). Islamic Sharyia as Valid for All Ages. Egypt: Dar Nahdat Masr, 1999.

- Muslim Bin Hajjaj (261 AH). Al Masnad Al Saheeh Al Mukhtasar Bi Naql Al Adel An Al Adel Ila Rasoul Allah Salla Allah Alehi Wa Sallam. Riyadh: Al Rushed Bookshop, 2001.
- Mughlati, Alla Al Din (762 AH). Explaining Bin Maja's Sunnan. Kamel Ouida (ed). Mecca and Riyadh: Nizar Bookshop, 1999. 1st edition.
- Bin Manzoor, Jamel Al Din Al Msri (711 AH). Lisan Al Arab. Beirut: any edition.
- Najam Al Din Qader Kareem Al Zanki. The Fundamental Rules of the Practice of Fiqh: A comparative Analysis of Real Ijtihad from A fundamental Perspective. Kuwait University: Shareeia and Islamic Studies Journal. Vol 31. June 2016. pp 449-92.
- Bin Najeem, Zein Al Din Al Hanafi (970 AH). The Similarites and the Analogies from the perspective of Abi Hanifa Al Noaman. Zakarya Umerat (ed). Dar Al Kotob Al Elmyia, 1996. 1st edition.
- Al Nissaei, Ahmed Bin Shoeeb (303 AH). Al Sunnan Al Sughra. Abed Al Fattah Abu Ghadda. Aleppo: Islamic publications, 1986. 2nd edition.
- The Collective (as annexed by Al Subki The Father and edited by Mohamed Njeeb Al Muteei 1404 AH). Jeddah. Any edition.
- Al Minhaj: Shreh Saheh Muslim Bin Hajaj. Egyptian Printshop.1929-1930. 1st edition.
- Bin Hisham, Al Ansari Al Masri (761 AH). Tahdeeb Shoudour Al Zahab fi Marefat Kalam Al Arab. Beirut and Damascus, 1991. 1st edition.
- Al Haithami, Nour Al Din. (807). Majmaa Al Zawed Wa Manbaa Al Fawaed. Beirut: Dar Al Kitab Al Arabi. Any edition.
- Decisions of International Complex of Muslim Fiqh. 8th edition. Brunai 1414 AH/ 1993 . <http://www.iifa-aifi.org/1950.html>.

حديث القرآن عن تبليغ الرسل
- عليهم السلام - دراسة موضوعية

**Speech of the Holly Qur'an about
Reporting in the Apostles - peace be upon them -
Using Objective Approach**

د. منذر مازن عودة المسيعدين
جامعة الملك فيصل - المملكة العربية السعودية

Dr. Monther Mazin Odeh ALmusidin
King Faisal University - Saudi Arabia

<https://doi.org/10.47798/awuj.2020.i60.04>



Abstract

This study deals with the holy Qur'an's speech about Messengers proclaiming (Peace Be Upon Them/ PBUT): An objective study. It spots light on the terminological and linguistical concept of the term "Al-Tableegh" / Proclaim and its derivations mentioned in the Qur'an with clearing out its judgments and benefits. It also talks about Messengers (PBUT) and the concept proclaiming basing on the inductive and analytical approach.

One of its most important outcomes is: the term "Al-Balaagh" lexically means: delivering and hitting the targets whereas terminologically means: Messenger proclaiming /fulfilling His divine mission that Allah revealed it to Him (as Holy Books, Rules, Principles and Regulations) to his people. The word "Al-Balaagh"/proclaim with its derivations were mentioned in Al-Maki Era more than Al-Madani Era in order to figure out that Allah sent the prophet to give Glad Tidings and to Warn (sinners) in a moral and sensory matters. And that Allah commanded His Messengers (PBUT) to proclaim the divine message accurately, without addition, deletion, alteration, changing or hiding. Messengers (PBUT) had done this without any rewards from their people, but rather they sought the reward only from God.

Keywords: Proclaim, Divine Messages, Noah, Judgment, Reward.

ملخص البحث

هذه الدراسة تتناول حديث القرآن الكريم عن تبليغ الرسل - عليهم السلام - دراسة موضوعية، حيث تهدف إلى التعرف على معنى التبليغ في اللغة والاصطلاح، واشتقاقاته في القرآن الكريم، ثم بيان حكمه وفوائده، والحديث عن الرسل والتبليغ، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي، والتحليلي.

وكان من أبرز نتائجها: أن البلاغ في اللغة هو: الإيصال، والانتهاء إلى المقصد، أما في الاصطلاح فهو أن يقوم الرسول بتوصيل ما أوحاه الله إليه من كتب وشرائع إلى قومه، وقد جاء ذكر لفظ البلاغ ومشتقاته في العهد المكي أكثر من العهد المدني، واستعمل في الأمور المعنوية والحسية.

حيث جعل الله التبليغ واجباً على رسله، فقد قام الرسل جميعاً بتبليغ ما أمرهم الله به، ولم يسألوا أقوامهم الأجر، وإنما ابتغوا الأجر من الله وحده، ثم ختمت الدراسة بخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: بلغ، رسالات، نوح، حكم، الأجر.

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد -
 ﷺ - وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واتبع نهجه وسار على دربه، وعلى
 التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

لقد أرسل الله تعالى الرسل - عليهم السلام - إلى أقوامهم، وأوحى إلى
 بعضهم بكتب وشرائع، وأمرهم بتبليغ ذلك إلى أقوامهم، فبلغوا ما أمروا به من
 غير تقصير، وصبروا على ما لاقوه من أذى، حتى أن بعضهم قد قتل في سبيل
 تبليغ دعوته التي كلف بها.

ولما كانت مهمة التبليغ في غاية الدقة، أحببت أن أفرد لها بدراسة مستقلة، وقد
 سميتها بـ «حديث القرآن عن تبليغ الرسل - عليهم السلام - دراسة موضوعية»،
 وفي الختام أسأل الله تعالى أن يتقبلها مني، وأن ينفع بها عباده، إنه سميع مجيب.
 مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ١ - ما المقصود بالتبليغ؟
- ٢ - ما اشتقاقات لفظ بلغ الواردة في القرآن الكريم؟
- ٣ - ما حكم التبليغ؟
- ٤ - ما فوائد التبليغ؟
- ٥ - هل بلغ الرسل - عليهم السلام - ما أمرهم الله به؟

٦- هل طلب الرسل-عليهم السلام- الأجر من أقوامهم مقابل هذا التبليغ؟
أهمية الدراسة:

تظهر أهمية هذه الدراسة في أنها ترفد المكتبة الإسلامية بدراسة توضح معنى التبليغ، مع بيان اشتقاقته في القرآن الكريم، وذكر حكمه وفوائده، مع توضيح كيفية تبليغ الرسل-عليهم السلام- شرائع الله- تعالى- إلى أقوامهم.
أهداف الدراسة:

- ١- بيان معنى التبليغ واشتقاقته وحكمه وفوائده.
 - ٢- التعرف على كيفية تبليغ الرسل-عليهم السلام- لشرائع الله تعالى.
 - ٣- بيان أن الرسل-عليهم السلام- لم يطلبوا الأجر من أقوامهم مقابل هذا التبليغ.
- منهجية الدراسة:

قامت هذه الدراسة على المناهج الآتية:

- ١- المنهج الاستقرائي إذ قام الباحث باستقراء القرآن الكريم، وكتب السنة؛ لجمع الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة التي تتعلق بموضوع الدراسة، ومن ثم ترتيبها حسب مقتضيات البحث العلمي.
 - ٢- المنهج التحليلي والذي سيقوم الباحث من خلاله بتحليل ودراسة النتائج التي توصل إليها من استقراء المادة العلمية.
- الدراسات السابقة:

من خلال البحث والاستقصاء لم يجد الباحث-على حد اطلاعه-أحدا

أفرد هذا الموضوع «حديث القرآن عن تبليغ الرسل-عليهم السلام-دراسة موضوعية» بدراسة مستقلة، لكن كتب تفسير القرآن الكريم قد تطرقت إلى تفسير الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الدراسة، وثمة بعض المواقع على الشبكة العنكبوتية قد أشارت إلى بعض مفردات الدراسة.

خطة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة في مقدمةٍ وتمهيدٍ ومبحثين، وخاتمةٍ وقائمةٍ بالمصادر والمراجع .

المقدمة وفيها مشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، ومنهجية الدراسة، والدراسات السابقة، وخطتها.

التمهيد ويتضمن: تعريف التبليغ، والاستعمال القرآني له، وحُكمه، وفوائده، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التبليغ في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: الاستعمال القرآني للفعل بلغ ومشتقاته.

المطلب الثالث: حُكم التبليغ.

المطلب الرابع: فوائد التبليغ.

المبحث الأول: الرسل-عليهم السلام- والتبليغ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التبليغ ووظيفة الرسل عليهم السلام.

المطلب الثاني: عدم أخذ الأجر الرسل-عليهم السلام- والسؤال عنه على

تبليغهم الدعوة إلى عبادة الله تعالى.

المبحث الثاني: الرسول - ﷺ - والتبليغ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أمرُ الله تعالى لرسوله بالتبليغ، ومهمته ﷺ.

المطلب الثاني: القرآن الكريم بلاغ للناس.

الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد ويتضمن تعريف التبليغ، والاستعمال القرآني له، وحكمه، وفوائده،

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التبليغ في اللغة والاصطلاح:

أولاً: تعريف التبليغ في اللغة:

مصدر بَلَّغٌ يَبْلُغُ تَبْلِيغًا، وهو مضعف بَلَّغٌ الذي يعني: «الوصول إلى الشيء، ومن هذا الباب قولهم: بلغتُ المكان إذا وصلتُ إليه، وقد تسمى المشاركة بلوغًا بحكم المقاربة، والبُلُغَةُ: ما يُتَبَلَّغُ به من عيش كأنه يراد أنه يبلغ رتبة الكثير إذا رضي وقنع، والبلاغة: التي يُمدح بها الفصيحُ اللسان؛ لأنه يبلغ بها ما يريد، ولي في هذا بلاغ أي: كفاية»^(١).

والبلاغُ والبُلُوغُ هو: الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى زمانًا كان أو مكانًا أو أمرًا من الأمور^(٢)، والإبلاغ: الإيصال وكذلك التبليغ، إلا أن التبليغ يلاحظ فيه الكثرة في المبلغ، وفي أصل الفعل، والاسم منه البلاغ، ومن هذا بَلَّغْتُ الرسالة،

١- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م، باب: بلغ، ١ / ٣٠١-٣٠٢.

٢- ينظر: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط ١، (د.ت)، باب: بلغ، ١ / ١٤٤.

وبالغ فلان في أمري إذا لم يقصر فيه، وتبَلَّغْتُ به العلة إذا اشتدت، والبلاغة: الفصاحة، وبَلَّغَ فلان: إذا صار بليغاً^(١).

ثانياً: تعريف التبليغ في الاصطلاح:

من خلال الاستعمال اللغوي لهذا اللفظ، نلاحظ أن استعماله يكون في الأمور المعنوية و الحسية، وأنه جاء في القرآن الكريم متعلقاً بما أمر الله - عز وجل - به رسله - عليهم السلام - أن يوصلوه لأقوامهم، وعليه يكون التبليغ في الاصطلاح: هو أن يقوم الرسول - ﷺ - بتوصيل ما أوحاه الله - عز وجل - إليه من كتب وشرائع لمن أرسل اليهم، بحيث يبين ما أمره الله تعالى به ولا يخفي منه شيئاً، ولا يكتمه بأي حال من الأحوال، مهما كانت الظروف المحيطة به، ويمكن أن يطلق التبليغ في الاصطلاح أيضاً: على أن يقوم حملة العلم الشرعي من أمة النبي - ﷺ - بتوصيل أمور الشريعة وتعاليم الإسلام إلى من لم تصله دون إخفاء أو كتمان.

المطلب الثاني: الاستعمال القرآني للفعل بلغ ومشتقاته:

جاءت مادة بَلَّغَ ومشتقاته في القرآن الكريم في ستة وسبعين موضعاً من القرآن الكريم^(٢)، وذلك في ست وثلاثين سورة قرآنية، منها أربعة وعشرون سورة مكية، واثنتا عشرة سورة مدنية، وقد كان استعمال هذه الاشتقاقات في القرآن المكي أكثر منها في القرآن المدني، وأنه «بلغ» يستعمل في الأمور المعنوية والحسية، فمن هذا الاستعمال يتبين أن البلاغ واجب محتوم على النبي - ﷺ - وعلى من جاء

١- ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٨٧م، ٤/ ١٣١٦. وأيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت)، ١/ ٣٣.

٢- ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٣٦٤هـ، ص ١٣٤-١٣٥.

وتعالى ذلك باللام والنون في قوله «لتبيننه»^(١)، ويقول جل وعلا: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢)، وهذه الآية تدل على أنه يجب على النبي -ﷺ- أن يبلغ ما أنزله الله تعالى إليه.

ويقول الرسول -ﷺ-: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٣)، ففي هذا الحديث يحث النبي -ﷺ- المسلمين على التبليغ عنه -ﷺ-، وكذلك يقول -ﷺ-: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا يَعْلَمُهُ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»^(٤)، وهذا الحديث يدل على أنه من سئل عن علم يعلمه فكتمه، ألجمه الله تعالى يوم القيامة بليجाम من نار.

فالعلم إذا سئل عن علم يتعلق بالبينات والهدى وجب عليه تبليغه؛ للآيات والأحاديث السابقة الذكر، وإذا قصد كتمانها فإنه يكون عندئذ عاصيا لله تعالى، وإذا لم يقصد كتمانها لا يلزمه التبليغ إذا علم أنه مع غيره، ولا يجوز تعليم الكافر القرآن والعلم حتى يسلم، ولا المبتدع الجدال والحجاج؛ ليجادل به أهل الحق، وكذلك لا يجوز تعليم الناس ما لا تبلغه عقولهم، أو ما فيه فتنة لهم، لما ورد

١- ينظر: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ١١٢/٤.

٢- سورة المائدة، الآية: ٦٧.

٣- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -ﷺ- وسننه وأيامه تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، ١٧٠/٤، حديث رقم ٣٤٦١.

٤- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، باب: مسند أبي هريرة، حديث رقم ١٠٥٩٧، ١٦/٣٥١. والحديث صححه الألباني، ينظر: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، (د.ت)، حديث رقم ٦٥١٧، ١١١١/٢.

- المقصود بالوعاءين: نوعين من العلم، والوعاء هو ما يحفظ فيه الشيء، والوعاء الذي نشره هو ما فيه أحكام الدين، أما الوعاء الذي لم ينشره، فهو ما يتضمن أخبار الفتن، وذكر أسماء المنافقين والمرتدين، وغير ذلك.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: «حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلوات الله عليه - وعاءين: فأما أحدهما فبثته، وأما الآخرُ فلو بثته قُطِعَ هذا البلعوم»^(١)، ونحو ذلك مما ليس له علاقة بالبينات والهدى^(٢).

المطلب الرابع: فوائد التبليغ:

- لتبليغ الرسل - عليهم السلام - رسالات ربهم فوائد، وهذه الفوائد هي:
- ١ - أن التبليغ هو الطريقة الأساسية في نشر رسالة النبي - صلوات الله عليه - في شتى أرجاء المعمورة.
 - ٢ - يعد التبليغ حجة على الكافرين الذين رفضوا الدخول في الإسلام عنادا واستكبارا، وبشرى للمتقين الذين استجابوا لرسول صلوات الله عليه.
 - ٣ - التبليغ يعود بالنفع على المبلِّغ، والأجر على المبلِّغ.
 - ٤ - التبليغ هو وسيلة من وسائل نشر المعرفة بالقرآن الكريم، وبسنة النبي صلوات الله عليه.
 - ٥ - التبليغ يساوي بين الغائب والشاهد، فيتساوى به من شهد ومن لم يشهد.

١ - البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب حفظ العلم، حديث رقم ١٢٠، ١ / ٣٥.

٢ - والقول بعدم جواز تعليم الكافر القرآن والعلم رأي فيه جمود ولا يخدم الدعوة الإسلامية وغير مسلم به في عصرنا الحاضر؛ لأن البلاغ في حقيقته عرض حقائق الدين وهو ضرب من التعليم، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ أَمْنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة التوبة، الآية: ٦.

المبحث الأول: الرسل- عليهم السلام- والتبليغ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التبليغ ووظيفة الرسل عليهم السلام:

الرسل - عليهم السلام - هم سفراء الله تعالى إلى عباده، مهمتهم هي تبليغ الأمانة التي تحملوها إلى من بعثوا إليهم، كما قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾^(١)، أي ما على الرسل إلا التبليغ، فأما الهداية فهي لله تعالى^(٢)، والبلاغ يحتاج إلى الشجاعة وعدم خشية المرسل إليهم، وقد بين سبحانه وتعالى ذلك بقوله: ﴿ الَّذِينَ يَبْلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنُوا بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾^(٣).

وقد ذكر لنا القرآن الكريم أن الرسل الذين بعثهم الله قد بلغوا أقوامهم رسالات الله تعالى، فقد قال سبحانه وتعالى عن نوح - عليه السلام -: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ۖ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٦٠ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦١ أَبْلِغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٤)، والدليل على أن نوحا - عليه السلام - بلغ رسالة الله إلى قومه، هو قول الله تعالى على لسانه - عليه السلام - قال: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾^(٥) ثم ﴿ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾^(٦).

يقول ابن كثير: «واصطفى الله نوحا - عليه السلام -، وجعله أول رسول إلى أهل الأرض، لما عبد الناس الأوثان، وأشركوا في دين الله ما لم يُنزل به سلطانا،

- ١- سورة النحل، الآية: ٣٥.
- ٢- ينظر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٢/ ٥٥٩.
- ٣- سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.
- ٤- سورة الأعراف، الآيات: ٥٩-٦٢.
- ٥- سورة نوح، الآية: ٥.
- ٦- سورة نوح، الآيات: ٨-١٠.

وانتقم له لما طالت مدته بين ظهрани قومه، يدعوهم إلى الله ليلا ونهارا، سرا وجهارا، فلم يزداهم ذلك إلا فرارا، فدعا عليهم، فأغرقهم الله عن آخرهم، ولم ينج منهم إلا من اتبعه على دينه الذي بعثه الله به»^(١).

وكذا هو دا- عليه السلام- الذي أرسله الله تعالى إلى عاد فبلغهم الرسالة، فقد قال سبحانه وتعالى على لسانه- عليه السلام-: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ، وصالحا- عليه السلام- الذي بلغ قومه رسالة ربه، حيث يقول الله مخبرا بذلك: ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ التَّصْحِيحَ ﴿٦٩﴾ ، وشعبيا- عليه السلام- فقد أبلغ قومه ما أرسل به، يقول الله تعالى مبينا ذلك: ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَخَفُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٧٣﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأُ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ .

ويكون الرسول -ﷺ- وأمته يوم القيامة شهداء على الأنبياء بأنهم قد بلغوا رسالات ربهم لأقوامهم، وبأن أقوامهم بلغوا بذلك، وقد صح عن النبي -ﷺ-، أنه قال: «يُجَاءُ بَنُو حَامِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، فَتَسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَّغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكُمْ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُجَاءُ بِكُمْ، فَتَشْهَدُونَ»، ثم قرأ رسول الله ﷺ وكذلك جعلناكم أمة وسطا- قال: عدلا - لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا^(٥)»^(٦).

- ١- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، دمشق، ط ٣، ١٩٩٩م، ٣٣/٢.
- ٢- سورة الأعراف، الآية: ٦٧-٦٨.
- ٣- سورة الأعراف، الآية: ٧٩.
- ٤- سورة الأعراف، الآية: ٩٢-٩٣.
- ٥- سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
- ٦- البخاري، الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا»، ١٠٧/٩، حديث رقم ٧٣٤٩.

يقول النسفي عند تفسيره لهذه الآية: «روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالب الله الأنبياء البينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم، فيؤتى بأمة محمد - عليه السلام - فيشهدون فتقول: الأمم من أين عرفتم، فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد - عليه السلام - فيسأل عن حال أمته فيزيكهم ويشهد بعد التهم»^(١)، -أي: يشهد للأنبياء السابقين بأنهم نصحوا أقوامهم وبلغوهم رسالات ربهم-^(٢).

المطلب الثاني: عدم أخذ الأجر الرسل - عليهم السلام - والسؤال عنه على تبليغهم الدعوة إلى عبادة الله تعالى:

من الثوابت التي قامت عليها دعوة الأنبياء - عليهم السلام - عدم أخذهم الأجر مقابل تبليغهم ما أمرهم الله تعالى به، وعدم سؤالهم عنه - الأجر -، ولذلك أخبرنا القرآن الكريم أن الرسل - عليهم السلام - بينوا لأقوامهم أنهم لا يبتغون الأجر على دعوتهم إلى عبادة الله تعالى، إذ يقول سبحانه وتعالى مخبراً عن دعوة نوح - عليه السلام - قومه إلى عبادة الله وحده قائلاً: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾^(٣)، فما من رسول إلا وقال هذه الكلمة ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٤).

وهذا هو المنهج الذي سار عليه الدعوة إلى الله - عز وجل - منذ عهد الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى يومنا هذا، أما غيرهم من الدعوة الذين

- ١- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٥٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م، ١/ ١٣٧.
- ٢- ينظر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط ١، ٢٠٠٠م، ٣/ ١٥٠.
- ٣- سورة الشعراء، الآيات: ١٠٥ - ١٠٩.
- ٤- ينظر الآيات الواردة في ذلك في سورة الشعراء من الآية: ١٢٣ - ١٢٨، ١٤٠ - ١٤٥، ١٦٠ - ١٦٤، ١٧٦ - ١٨٠.

يتطلعون إلى المنفعة الدنيوية من المال والجاه والسلطان وغيرها، فهؤلاء ينطبق عليهم قول النبي - ﷺ -: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١).

لذلك فإن النار يوم القيامة أول ما تسعر في قارئ القرآن المرائي، والمجاهد المرائي، والمنفق المرائي، فهؤلاء لا يبتغون الأجر من الله تعالى، وإنما يقصدون الرياء والسمعة، ومدح الناس لهم في الدنيا، فقد قال النبي - ﷺ -: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأْتِي بِهِ فَعَرَفَهُ نَعْمُهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمَلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنَّ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلِمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأْتِي بِهِ فَعَرَفَهُ نَعْمُهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمَلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلِمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأْتِي بِهِ فَعَرَفَهُ نَعْمُهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمَلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يَنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(٢).

ومن هذا المنطلق فإنه لا بد للدعاة إلى الله أن يسلكوا منهج الأنبياء بحيث يبتغون الأجر من الله وليس من الناس، ويقصدون الإخلاص في دعوتهم إلى

١- جزء من حديث رواه الإمام البخاري «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَىٰ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»، ينظر: البخاري، الصحيح، كتاب بدء الكوحي، باب بدء الوحي، ١/ ٢٢، حديث رقم ٧.

٢- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - ﷺ -، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦م، ، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، ٣ / ١٥١٣، حديث رقم ١٩٠٥.

عبادة الله، ولا يقصدون الرياء والسمعة ومنافع الدنيا الفانية.

وقد ذكر العلماء^(١) أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾^(٢) «يدل على عدم جواز أخذ الأجر على التعليم؛ لأنه يدل على لزوم إظهار العلم، وترك كتمانها، ولن يستحق إنسان أجرا على عمل يلزمه أداؤه، وقد جاء هذا الحكم مصرّحا به في آية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣)، فثبت بذلك بطلان أخذ الأجر على تعليم القرآن وعلوم الدين، غير أن المتأخرين لما رأوا تهاون الناس، وعدم اكتراثهم لأمر التعليم الديني، وانصرافهم إلى الاشتغال بمتاع الحياة الدنيا، ورأوا أن ذلك يصرف الناس عن أن يعنوا بتعلم القرآن والعلوم الدينية فينعدم حفظه القرآن، وتضيع العلوم، وليس في الناس مع كثرة مشاغل الحياة ما يلجئهم إلى الانقطاع لهذه المهام أباحوا أخذ الأجر^(٤).

المبحث الثاني: الرسول - ﷺ - والتبليغ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أمر الله تعالى لرسوله بالتبليغ، ومهمته ﷺ:

أولاً: أمر الله تعالى لرسوله - ﷺ - بالتبليغ.

أرسل الله تعالى نبيه محمداً - ﷺ - إلى الناس كافة، وأمره بتبليغ ما أوحاه إليه، حيث يقول سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه - ﷺ -: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

١- ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٢٣٤-٢٣٥.

٢- سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

٣- سورة البقرة، الآية: ١٧٤.

٤- محمد علي السائيس، تفسير آيات الأحكام، تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٢م، ١/ ٤٩، بتصرف يسير في النص.

الْكَافِرِينَ ﴿١﴾، وقد بَلَغَ النبي - ﷺ - ما أمره الله به من الوحي المتلو وغير المتلو، وشهد صحابته - رضوان الله عليهم - على ذلك، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي بكرة - رضى الله عنه -، أنه قال: «خطبنا رسول الله - ﷺ -، في حجة الوداع، فقال: أَلَا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بِلْدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَد - ثَلَاثًا ٢)».

والبلاغ يكون بتلاوة النصوص المتلوة التي أوحاها الله تعالى إلى رسوله - ﷺ - من غير زيادة ولا نقصان ٣)، كما قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ ٤)، أما إذا كان الموحى به ليس نصًا متلوًا فيكون بلاغه ببيان الأوامر والنواهي والمعاني التي تضمنها وأوحاها الله تعالى إلى رسوله - ﷺ - كما جاءت من غير تبديل ولا تغيير ٥).

لذلك فإن النبي - ﷺ - لم يكتف شيئا مما أمره الله تعالى بتبليغه للناس، فقد ورد عن مسروق عن عائشة - رضي الله عنهما -، أنها قالت: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنْ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَتَمَ شَيْئًا مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَدْ كَذَبَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» ٦).

- ١- سورة المائدة، الآية: ٦٧.
- ٢- مسلم، الصحيح، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأموال والأعراض، ٤ / ٢١٥٤، حديث رقم ٢٨٠٠.
- ٣- والبلاغ المين يقتضي تدخلا من المبلغ: بإيضاح الغامض، وبيان المحكم من المتشابه، والناسخ والمنسوخ، وحمل الخاص على العام، والمقيد على المطلق، والمفصل على المجمل، فالنبي - ﷺ - لم يكتف بقراءة القرآن، بل فسره، حيث وضح الوحي المتلو وغيره.
- ٤- سورة البقرة، الآية: ١٥١.
- ٥- ينظر: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ١ / ٢٦٦.
- ٦- البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، ٦ / ٥٢، حديث رقم ٤٦١٢.

يقول ابن كثير عند تفسيره للآية السابقة: «يقول تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمداً - ﷺ - باسم الرسالة، وأمره بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وقام به أتم القيام»^(١).

وقد أمر الرسول - ﷺ - أمته بالتبليغ عنه، فقد قال - ﷺ -: «بلغوا عني ولو آية»^(٢)، وقال - ﷺ -: «مخاطبا صحابته - رضوان الله عليهم - في خطبة حجة الوداع: «لِيُبْلِغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبْلَغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ»^(٣)، هذا وقد بلغ الصحابة - رضوان الله عليهم - عن النبي - ﷺ - ولم يكتموا شيئا.

ثانياً: مهمة الرسول - ﷺ - هي التبليغ:

هذا وقد جاءت العديد من الآيات القرآنية التي تبين أن مهمة النبي - ﷺ - هي التبليغ، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾^(٧)، وقوله تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْغُ﴾^(٨).

فالآيات السابقة الذكر تدل على أن مهمة النبي - ﷺ - هي التبليغ، وأنه مكلف بتبليغ ما أمره الله تعالى به، وليس عليه بعد ذلك هداية الناس أو ضلالهم، وإنما ذلك بيد الله وحده، فهو سبحانه الذي سوف يحاسبهم على أعمالهم إن خيراً فخييراً، وإن شراً فشرراً، والقصر الوارد في الآيات هو قصر إضافي، ولا يمنع أن

١- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/ ١٥٠.

٢- البخاري، الصحيح، ٤/ ١٧٠، حديث رقم ٣٤٦١.

٣- جزء من حديث أبي بكره - ﷺ - السابق، ينظر: هامش رقم ٢، صفحة رقم ٢١.

٤- سورة آل عمران، الآية: ٢٠.

٥- سورة المائدة، الآية: ٩٢.

٦- سورة المائدة، الآية: ٩٩.

٧- سورة الرعد، الآية: ٤٠.

٨- سورة الشورى، الآية: ٤٨.

يكون النبي ﷺ - مكلفاً بأمرٍ آخر غير التبليغ كالعبادة وغيرها.

وعن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه -، أن رسول الله - ﷺ - قال: «إِنَّمَا أَنَا مُبَلِّغٌ وَاللَّهُ يَهْدِي وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي»^(١).

يقول ابن عاشور: «ومضمونها- الآيات- إغذار الناس؛ لأن الرسول قد بلغ إليهم ما أراد الله منهم، فلا عذر لهم في التقصير، والمنة لله ولرسوله فيما أرشدهم إليه من خير، والقصر ليس بحقيقي، بل هو إضافي؛ لأن على الرسول أموراً أخرى غير البلاغ مثل: التعبد لله تعالى، والخروج إلى الجهاد، والتكاليف التي كلفه الله بها مثل قيام الليل»^(٢).

ويقول الله تعالى مخاطباً رسوله - ﷺ - أن يقول لقومه: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾^(٣) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا^(٤) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا^(٥)، يقول السمرقندي في تفسيره لهذه الآية: «قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً يعني: لا أقدر لكم خذلاناً ولا هداية، وقوله تعالى: قل إني لن يجيرني من الله أحد يعني: لن يمنعني من عذاب الله أحد إن عصيته، ولن أجد من دونه ملتحداً يعني: ملجأً ولا مفراً. إلا بلاغاً من الله ورسالاته يعني: فذلك الذي يجيرني من عذاب الله ويقال في الآية تقديم، ومعناه قل: لا أملك لكم ضراً إلا أن أبلغكم رسالات ربي، يعني: ليس بيدي شيء من الضر والنفع والهداية، إلا بتبليغ الرسالة»^(٤).

- ١- ابن حنبل، المسند، باب: حديث معاوية بن أبي سفيان، ج ٢٨، ص ١٣٣، حديث رقم ١٦٩٣٦ والحديث صححه الألباني، ينظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ١/ ٤٦٣، حديث رقم ٢٣٤٧.
- ٢- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية، تونس، ط ١، ١٩٨٢، ٧/ ٦١.
- ٣- سورة الجن، الآية: ٢١-٢٣.
- ٤- نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)، بحر العلوم، دار الكتب العلمية، دمشق، ط ١، ١٩٩٣م، ٢/ ٥٠٧.

لذلك جاءت النصوص القرآنية تذكر صفة بلاغ الرسول - ﷺ - بأنه بلاغ مبين وواضح، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلِّغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾^(٢)، وقال جل وعلا: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلِّغُ الْمُبِينُ ﴾^(٣)، وقال سبحانه: ﴿ وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ ﴾^(٤)، وقد قام الرسول - ﷺ - بتبيين وتوضيح معاني ما أنزل إليه من القرآن، واستجاب لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾^(٥)، فالسنة النبوية مبينة ومفسرة للقرآن الكريم.

والرسول - ﷺ - لم يترك باباً من أبواب الخير إلا وبينه، ولا باباً من أبواب الشر إلا وحذر منه^(٦)، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -، قال: رأيت النبي - ﷺ - يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلني لا أحج بعد حجتي هذه^(٧)، وقد نصت آيات القرآن الكريم على أن الغاية من بعثة النبي - ﷺ - هي البيان، فقد قال تعالى: ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكُتَّابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكُتَّابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾^(٨).

١- سورة المائدة، الآية: ٩٢.

٢- سورة الرعد، الآية: ٤٠.

٣- سورة النحل، الآية: ٨٢.

٤- سورة العنكبوت، الآية: ١٨.

٥- سورة النحل، الآية: ٤٤.

٦- محمد سيد (ت ١٤٣٢هـ)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٧م، ١٤ / ٤٣١.

٧- مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راجباً، ٥ / ٩٤٣، حديث رقم ٣١٠.

٨- سورة المائدة، الآية: ١٥.

قال البغوي في تفسيره: «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا، محمد - صلى الله عليه وسلم -، يبين لكم أعلام الهدى وشرائع الدين، على فترة من الرسل، أي: انقطاع من الرسل»^(١).

ويقول الرازي في تفسيره لهذه الآية: «في قوله يبين لكم وجهان: الأول: أن يُقَدَّرَ المَبِينُ، وعلى هذا التقدير ففيه وجهان: أحدهما: أن يكون ذلك المبين هو الدين والشرائع، وإنما حسن حذفه لأن كل أحد يعلم أن الرسول إنما أرسل لبيان الشرائع، وثانيها: أن يكون التقدير يبين لكم ما كنتم تخفون، وإنما حسن حذفه لتقدم ذكره، والوجه الثاني: أن لا يُقَدَّرَ المَبِينُ، ويكون المعنى يبين لكم البيان، وحذف المفعول أكمل لأنه على هذا التقدير يصير أعم فائدة»^(٢).

هذا وتضمن بيان النبي - ﷺ - للناس: التبشير بعواقب الأمور المأمور بها والمحمودة، والإنذار من عواقب الأمور المحرمة والمذمومة، مع عدم سؤال الأجر وطلبه من الناس، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٥٦ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝٥٧ ﴾^(٣).

يقول الماتريدي: «لكنه في حق الرسالة لم يرسله إلا لبشارة ونذارة، أي: لم يرسلك حافظاً، ولا وكيلاً، ولا مسلطاً عليهم، بل أرسلك لتبليغ الرسالة إليهم، ثم البشارة والنذارة؛ وهما أمران يكونان في عواقب الأمور، البشارة تكون عاقبة كل محبوب ومحمود، والنذارة عاقبة كل فعل مكروه ومذموم»^(٤).

- ١- أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٢ / ٣٣.
- ٢- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب «التفسير الكبير»، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، ١١ / ٣٣٠.
- ٣- سورة الفرقان، الآيات: ٥٦-٥٧.
- ٤- محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تأويلات أهل السنة «تفسير الماتريدي»، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٧ / ١٢٥.

المطلب الثاني: القرآن الكريم بلاغ للناس:

القرآن الكريم هو بلاغ للناس بلغة الرسول - ﷺ - من الله سبحانه وتعالى، وهو إنذار بما فيه من العظات والعبر والعرض لألوان العذاب وصنوف الشقاء لأهل الإجرام والشر والفساد، وقد جاء هذا الكتاب بالحجج والبراهين للدعوة إلى توحيد الخالق سبحانه وتعالى^(١)، حيث قال جل جلاله: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(٢)، وهذا الكتاب الكريم هو بلاغ لقوم عابدين، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عٰبِدِينَ ﴾^(٣)، فهؤلاء القوم «يتبلغون به في الوصول إلى ربهم، وإلى دار كرامته، فأوصلهم إلى أجل المطالب، وأفضل الرغائب. وليس للعابدين، الذين هم أشرف الخلق، وراءه غاية، لأنه الكفيل بمعرفة ربهم، بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وبالإخبار بالغيوب الصادقة، وبالدعوة لحقائق الإيمان، وشواهد الإيقان، المبين للمأمورات كلها، والمنهيات جميعها، المعرف بعيوب النفس والعمل، والطرق التي ينبغي سلوكها في دقيق الدين وجليله، والتحذير من طرق الشيطان، وبيان مداخله على الإنسان، فمن لم يغنه القرآن، فلا أغناه الله، ومن لا يكفيه، فلا كفاه الله»^(٤).

ولذلك من بلغه هذا القرآن من إنس وجان وأسود وأبيض وعرب وعجم فهو نذير له، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَبَيْتَكُمْ لَنَشْهَدُنَّ أَنَّ مَعَ اللَّهِ الْهَةَ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾^(٥).

- ١- ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٧/ ١١٢. جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري (ت ١٤٣٩هـ)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٥٥، ٢٠٠٣م، ٣/ ٦٣.
- ٢- سورة إبراهيم، الآية: ٥٢.
- ٣- سورة الأنبياء، الآية: ١٠٦.
- ٤- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠م، ١/ ٥٢٢.
- ٥- سورة الأنعام، الآية: ١٩.

قال مجاهد: «فهو - صلوات الله وسلامه عليه - رسول الله إلى جميع الثقيلين: الإنس والجن، مبلغا لهم عن الله، ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز»^(١).

ملحق يبين صيغ ومشتقات بَلَّغَ، وعدد مرات ورودها في القرآن الكريم:

م	صيغة التعبير	المفردة	عدد ذكرها	تحديد موضع المفردة في السورة القرآنية
١	مصدر	الْبَلَّغُ	١١	آل عمران ٢٠ / المائدة ٩٢ / المائدة ٩٩ / الرعد ٤٠ / النحل ٣٥ / النحل ٨٢ / النور ٥٤ / العنكبوت ١٨ / يس ١٧ / الشورى ٤٨ / التغابن ١٢
٢	اسم فاعل	الْبَالِغَةُ	١	الأنعام ١٤٩
٣	فعل ماضٍ	أَبْلَغُوا	١	الجن ٢٨
٤	فعل مضارع	أَبْلَغُكُمْ	٢	الأعراف ٦٢، ٦٨ / الأحقاف ٢٣
٥	فعل ماضٍ	أَبْلَغْتَكُمْ	٣	الأعراف ٩٣، ٧٩ / هود ٥٧
٦	فعل مضارع	أَبْلَغْ	١	الكهف ٦٠
٧	فعل مضارع	أَبْلَغْ	١	غافر ٣٦
٨	فعل مضارع	أَبْلَغْهُ	١	التوبة ٦
٩	اسم فاعل	بَالِغٌ	٢	المائدة ٩٥ / الطلاق ٣
١٠	اسم فاعل	بَالِغَةٌ	٢	القمره ٥ / القلم ٣٩
١١	اسم فاعل	بَالِغُهُ	١	الأعراف ١٣٥
١٢	اسم فاعل	بَالِغِيهِ	١	النحل ٧
١٣	اسم فاعل	بِالِغِيهِ	١	غافر ٥٦

١- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦/١.

الرعد ١٤	١	بِبَالِغِهِ	اسم فاعل	١٤
الجن ٢٣	١	بِلَاغًا	مصدر	١٥
ابراهيم ٥٢ / الأحقاف ٣٥	٢	بِلَاغٌ	مصدر	١٦
الأنعام ١٩ / يوسف ٢٢ / الكهف ٩٣، ٩٠، ٨٦ / النور ٥٩ / القصص ١٤ / الصافات ١٠٢ / الأحقاف ١٥	١٠	بَلَّغَ	فعل ماضٍ	١٧
المائدة ٦٧	١	بَلِّغْ	فعل أمر	١٨
الكهف ٦١	١	بَلَّغَا	فعل ماضٍ	١٩
الواقعة ٨٣ / القيامة ٢٦	٢	بَلَّغَتْ	فعل ماضٍ	٢٠
المائدة ٦٧	١	بَلَّغَتْ	فعل ماضٍ	٢١
الكهف ٧٦	١	بَلَّغَتْ	فعل ماضٍ	٢٢
مريم ٨	١	بَلَّغَتْ	فعل ماضٍ	٢٣
الأحزاب ١٠	١	وَبَلَّغَتْ	فعل ماضٍ	٢٤
آل عمران ٤٠	١	بَلَّغْنِي	فعل ماضٍ	٢٥
النساء ٦ / سبأ ٤٥	٢	بَلَّغُوا	فعل ماضٍ	٢٦
البقرة ٢٣٤ / الطلاق ٢	٢	بَلَّغْنَ	فعل ماضٍ	٢٧
النساء ٦٣	١	بَلِّغَا	صيغة مبالغة	٢٨
الإسراء ٣٧	١	تَبَلَّغْ	فعل مضارع	٢٩
البقرة ٢٣٢، ٢٣١	٢	فَبَلَّغْنَ	فعل ماضٍ	٣٠

٣١	مصدر	كَبَلَاغًا	١	الأنبياء ١٠٦
٣٢	فعل مضارع	يَبْلُغُ	٥	البقرة ٢٣٥، ١٩٦ / الأنعام ١٥٢ / الإسراء ٣٤ / الفتح ٢٥
٣٣	فعل مضارع	لِيَبْلُغَ	١	الرعد ١٤
٣٤	مصدر ميمي	مَبْلُغُهُمْ	١	النجم ٣٠
٣٥	فعل ماضٍ	وَبَلَّغْنَا	١	الأنعام ٢٨
٣٦	فعل مضارع	لَتَبْلُغُوا	٢	الحج ٥ / غافر ٦٧
٣٧	فعل مضارع	وَلَتَبْلُغُوا	٢	غافر ٨٠، ٦٧
٣٨	فعل مضارع	يَبْلُغَا	١	الكهف ٨٢
٣٩	فعل مضارع	يَبْلُغَنَّ	١	الإسراء ٢٣
٤٠	فعل مضارع	يَبْلُغُوا	١	النور ٥٨
٤١	فعل مضارع	يَبْلُغُونَ	١	الأحزاب ٣٩

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج:

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد: فبعد أن منَّ الله عليَّ بإتمام هذا البحث، أسأله تعالى أن يكون خالصاً لوجهه، وأن يتقبله مني، وقد خلص هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١- البلاغ في اللغة هو: الإيصال، والانتهاء إلى المقصد، أما في الاصطلاح فهو أن يقوم الرسول بتوصيل ما أوحاه الله إليه من كتب وشرائع إلى قومه.

٢- جاء ذكر لفظ البلاغ ومشتقاته في العهد المكي أكثر من العهد المدني؛ من أجل التعريف بهذه الرسالة التي جاء بها النبي - ﷺ -، فالرسول جاء مبشراً ونذيراً، وقد استعمل في الأمور المعنوية والحسية.

٣- جعل الله تعالى التبليغ واجبا على رسله - عليهم السلام -، حيث قام الرسل - عليهم السلام - جميعا بتبليغ ما أمرهم الله تعالى به، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تحريف ولا تبديل، ولم يكتموا من ذلك شيئا.

٤- لم يسأل الرسل - عليهم السلام - الأجر من أقوامهم، مقابل تبليغهم شرائع الله تعالى، وإنما ابتغوا الأجر من الله تعالى وحده.

٥- أن النبوة اصطفاء واختيار من الله تعالى يودعها في أناس يكونون قادرين على حمل رسالاته وتبليغها إلى الناس على أحسن وجه دون أدنى تقصير أو إهمال.

٦- أظهرت الدراسة أن العلماء الأوائل قد حرموا أخذ الأجر على التبليغ والدعوة، أما المتأخرون فقد أباحوا ذلك؛ بسبب انشغال الناس بالدنيا.

ثانيا: التوصيات:

يوصي الباحث بالآتي:

- ١- على الدعاة أن يسلكوا منهج الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام - في تبليغهم لشرائع الله تعالى، بحيث يكونوا مبشرين لا منفرين، وأن يبتغوا الأجر من الله وحده.
- ٢- ضرورة عقد المؤتمرات والمنتديات العلمية التي تناقش موضوع مناهج الأنبياء-عليهم السلام- في كيفية تبليغهم لشرائع الله تعالى.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م.
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، دمشق، ط ٣، ١٩٩٩ م.
- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط ١، (د.ت).
- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ.
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١ م.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤ م.
- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب «التفسير الكبير»، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
- أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٨٧ م.

- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: محمد عبدالسلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٧٩ م.
- الألباني أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم (ت ١٤٢٠هـ)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، (د.ت).
- أيوب بن موسى الحسيني القرظي الكفوي أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت).
- الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري (ت ١٤٣٩هـ)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٥، ٢٠٠٣ م.
- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية، تونس، ط ١، ١٩٨٢.
- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ - وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- محمد بن محمد بن محمود أبو منصور المتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تأويلات أهل السنة «تفسير المتريدي»، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥ م.
- محمد سيد طنطاوي (ت ١٤٣٢هـ)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٧ م.

- محمد علي السائس، تفسير آيات الأحكام، تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط ٥، ٢٠٠٢ م.
- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٣٦٤ هـ.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - ﷺ -، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦ م.
- نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)، بحر العلوم، دار الكتب العلمية، دمشق، ط ١، ١٩٩٣ م.

Sources and References:

- Abu Al-Barakat Abdullah bin Ahmed bin Mahmoud Hafez al-Din al-Nasafi (d. 710 AH), Perceptions of the download and the facts of interpretation, investigation: Youssef Ali Bedaiwi, Dar Al-Kalam al-Tayyib, Beirut, 1st edition, 1998 AD.
- Abu al-Fida , Ismail bin Omar bin Katheer al-Qurashi al-Basri and then al-Dimashqi (d. 774 AH), The Great Interpretation of the Qur'an, Achieved by: Sami bin Muhammad Salama, Thebes House for Publishing and Distribution, Damascus, 3rd edition, 1999 AD.
- Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad known as Ragheb al-Isfahani (d. 502 AH), Vocabulary in Gharib Al-Qur'an, Achieved by: Safwan Adnan Al-Daoudi, Dar Al-Qalam, Damascus, 1st edition, (D.T).
- Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan, the Andalusian religion (d. 745 AH), the surrounding sea in the interpretation, an investigation: Sidqi Muhammad Jameel, Dar Al-Fikr, Beirut, 2nd edition, 1420 AH.
- Abu Abdullah Ahmed bin Muhammad bin Hanbal bin Hilal bin Asad al-Shaibani (d. 241 AH), Al-Misnad, investigation: Shoaib Al-Arnaoot, Al-Risala Foundation, Damascus, I 1,1421 AH-2001 AD.
- Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin AbiBakr bin Farah al-Ansari al-Khazraji, Shams al-Din al-Qurtubi (d. 671 AH), The Compiler of the Rulings of the Qur'an, Investigation: Ahmad al-Bardouni and Ibrahim Atfish, Dar al-Kutub al-Masriya, Cairo, 2nd edition, 1384 AH-1964 CE.
- Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Al-Taymi Al-Razi, nicknamed Fakhruddin Al-Razi (d. 606 AH), The Keys to the Unseen "The Great Interpretation", The Arab Heritage Revival House, Beirut, 3rd floor, 1420 AH.
- Abu Muhammad al-Husayn ibnMas`udibn Muhammad ibn al-Fur` al-Baghawi al-Shafi'i (d. 510 AH), milestones of the download, by: Abd al-Razzaq al-Mahdi, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, i.11420 AH.
- Abu Muhammad Abdul Haq Bin Ghaleb Bin Abdul Rahman Bin Tammam Bin Attiya Al-Andalus Al-Muharbi (d. 542 AH), the brief editor on the interpretation of the dear book, investigation: Abdul Salam Abdul Shafi Muhammad, House of Scientific Books, Beirut, i 1, 1422 AH.
- Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Gohary Al-Farabi (d. 393 AH), Al-Sahah, "The Crown of Language," and "Sahih Al-Arabia", Dar Al-Alam for Millions, Beirut, edition 4,1987 m.

- Ahmad bin Faris bin Zakaria al-Qazwini al-Razi Abu al-Husayn (d. 395 AH), Language Standards, Investigation: Muhammad Abd al-Salam Harun, Dar al-Fikr, Beirut, 1st edition, 1979 AD.
- Al-Albani Abu Abd al-Rahman Muhammad Nasir al-Din ibn al-Hajj Noah ibn-Najati ibn Adam (d. 1420 AH), Sahih al-Jami` al-Saghir and its Increases, Islamic Office, (D.T.).
- Ayoub bin Musa al-Husseini al-Quraimi al-Kafawi Abu al-Waqqa al-Hanafi (d. 1094 AH), Colleges Glossary of Terms and Linguistic Differences, Achievement: Adnan Darwish, Al-Risala Foundation, Beirut, (D.T).
- Al-Jazaeri, Jaber bin Musa bin Abd al-Qadir bin Jaber Abu Bakr al-Jazaeri (d. 1439 AH), the easiest explanations for the words of the Most High, The Library of Science and Governance, Medina, 5th edition, 2003 AD.
- Jamal al-Din Abu al-Faraj Abdul Rahman bin Ali bin Muhammad al-Jawzi (d. 597 AH), increased the path in the science of interpretation, investigation: Abdul Razzaq al-Mahdi, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, I 1, 1422 AH.
- Abdul Rahman bin Nasser bin Abdullah Al-Saadi (d. 1376 AH), Facilitating the Holy, the Most Merciful, in interpreting the words of Mannan, investigation: Abdul-Rahman bin Mualla Al-Luhaig, Al-Risala Foundation, 1st edition, 2000 AD.
- Muhammad Al-Taher Bin Ashour, Editing and Enlightenment "Editing the Good Meaning and Enlightening the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book", Al-Tunis Al-Tunis, Tunis, I 1, 1982.
- Muhammad bin Ismail Abu Abdullah Al-Bukhari Al-Jaafi (d. 256 AH), the correct true short guide of the matters of the Messenger of God - may God's prayers and peace be upon him - his Sunnah and his days, investigation: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, Dar Touq Al-Najat, Beirut, i 1, 1422 AH.
- Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghaleb al-Amali Abu Ja`far al-Tabari (d. 310 AH), Al-Bayan Mosque on the interpretation of the Qur'an, an investigation: Ahmed Muhammad Shakir, the Al-Resala Foundation, Damascus, 1st edition, 2000 AD.
- Muhammad bin Muhammad bin Mahmoud Abu Mansour al-Matridi (d. 333 AH), The Interpretations of Ahl al-Sunnah, "Interpretation of al-Matiridi," Achievement: Majdi Basalum, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, 1st edition, 2005 AD.
- Muhammad Sayyid Tantawi (d. 1432 AH), the mediating interpretation of the Holy Qur'an, Nahdet Misr House for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, 2nd edition, 1997 AD.

- Muhammad Ali Al-Sayes, Interpretation of Ayat Al-Ahkam, Investigation: NajjiSwaidan, The Modern Library for Printing and Publishing, Cairo, Ed. 5,2002 AD.
- Mohamed Fouad Abdel-Baqi, the indexed dictionary of the words of the Noble Qur'an, Dar Al-Hadith, Cairo, i 1, 1364 AH.
- Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hassan Al-Qushairi Al-Nisaboori (d. 261 AH), the correct short guide for transferring justice from justice to the Messenger of God - may God's prayers and peace be upon him-, investigation: Muhammad FouadAbd Al-Baqi, the Arab Heritage Revival House, Beirut, 2nd edition, 1996 AD.
- Nasr bin Muhammad bin Ahmed bin Ibrahim al-Samarqandi (d. 373 AH), Bahr al-Ulum, Dar Al-Kutub Al-Alami, Damascus, 1st edition, 1993 AD.

دور القراءات القرآنية الشاذة
في توجيه ما خرج عن القاعدة
اللغوية عند ابن جني

**The Role of Abnormal Qur'anic Readings in
Guiding what went outside
the Linguistic Base of Ibn Jenni**

د. حسين مصطفى غوانمة

جامعة العلوم الإسلامية العالمية – المملكة الأردنية الهاشمية

Dr. Hussein Mustafa Ghawanmeh

The World Islamic Sciences and Education University
The Hashemite Kingdom of Jordan

<https://doi.org/10.47798/awuj.2020.i60.05>



Abstract

The purpose of this research is to uncover the impact of the less common Qiraat of Quran in building up new linguistic structure or its endorsement by Ibn Jennie. It is illuminated by what is needed for reading; the Koranic reading had a clear impact in strengthening his linguistic positions if he agrees and in the veto of linguistic rules if he violates

The descriptive method was used to prove the purpose of this research. We followed the Qur'anic readings and found them to be an important evidence for which the linguistic rule was developed by Ibn Jennie

Keywords: Qur'anic readings, anomalous, linguistic base, protest, impact.

ملخص البحث

غرض هذا البحث الكشف عن أثر القراءات القرآنية الشاذة في بناء القواعد اللغوية أو تأييدها عند ابن جنبي، وهو من أبرز اللغويين المتقدمين الذين وضعوا القاعدة اللغوية وأسسوا لها، وكيف وظّف القراءات في دعم بعض الآراء اللغوية، فوافق وخالف، واستحسن واستدرك، وهو في كل ذلك يستضيء بما يحتاج له من القراءة؛ فكان للقراءة القرآنية الأثر الواضح في تدعيم مواقفه اللغوية إذا وافق، وفي نقض قواعد لغوية إذا خالف.

وقد استخدمت المنهج الوصفي لإثبات غرض هذا البحث، فتتبعت القراءات القرآنية فوجدتها من الشواهد الهامة التي وضعت لأجلها القاعدة اللغوية عند ابن جنبي، أو كانت داعمة للقاعدة اللغوية التي وضعها، وكان للقراءات القرآنية الشاذة أثر في ترجيحاته، وبيان فساد بعض القواعد، واستبعاد بعض الوجوه.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية الشاذة، القاعدة اللغوية، الاحتجاج، الأثر.

المقدمة

تغني كتب الاحتجاج للقراءات الدراسات اللغوية غناء عظيمًا، ومعلوم أنّ كثيراً من أعلام اللغة كانوا قراءً، وأعلام القراءات لهم قدم راسخة في اللغة، وما عليك إلا أن تتصفح كتب الطبقات، وتقرأ في تراجم هؤلاء وأولئك، ليستبين لك بوضوح صدق هذه القضية.

فركّز أكثر من ألف في الاحتجاج للقراءات على ما كان صحيحًا متواترًا منها، غير أنّ ابن جني في كتابه المحتسب آثر أن يحتج للشاذ من القراءات؛ لأنّ أحدًا لم يكتب في الاحتجاج له - على حدّ قوله - وقصد بتأليفه أن يري وجه قوة ما يسمى الآن شاذًا، وأنّه ضارب في الصحة.

فكان ابن جني يعرض القراءة، ويذكر من قرأ بها، ثم يرجع في أمرها إلى اللغة، يلتمس لها شاهدًا فيرويه، أو نظيرًا فيقيسها عليه، أو لهجة فيردها إليها، أو وجهًا يطمئن إليه، مستفيدًا من خبرته اللغوية، وكثرة محفوظه من شواهد العربية نظمًا ونثرًا، ومستأنسًا بسماعه ممن يثق بهم من الأعراب وعلماء اللغة وشعرائها.

وجاء هذا البحث ليسهم في الكشف عن أثر القراءات في بناء القاعدة اللغوية أو تأييدها عند ابن جني في كتاب المحتسب، وكيف توصل إليها، وبيان موقفه من القراءات باستخدام المنهج الوصفي.

وكانت الأسباب التي دعت إلى ذلك هي أن القراءات القرآنية الشاذة أصل في اللغة وحجة عليها، وليست خطأ أو خارجة على اللغة، فكان المراد بيان دورها في تقعيد اللغة أو مدى تأييدها للقاعدة اللغوية عند علم من أعلام التقعيد اللغوي هو ابن جني.

لذلك كان كتاب المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها هو المصدر الأساسي لهذا البحث.

- أما الدراسات السابقة لهذا البحث ، فهي تختلف في غرضها ، إذ كانت :
- التوجيه النحوي للقراءات الشاذة في المحتسب: غانم الحسناوي.
 - التوجيه النحوي لابن جني للقراءات الشاذة في كتاب المحتسب: عبد المنعم الدليمي.
 - التوجيه النحوي للقراءات القرآنية الشاذة في كتاب المحتسب لابن جني: حسناء العنزي.

جاءت هذه الدراسات للحدوث عن القراءات التي تحتمل وجهًا من الإعراب في أبواب المنصوبات والمرفوعات والتوابع والمجرورات، وعن القراءات التي تحتمل أكثر من إعراب بوساطة التأويل، وبيان القراءات التي وجهها ابن جني توجيهًا نحويًا، كذلك للحدوث عن التوجيهات النحوية للقراءات في الأساليب النحوية المختلفة؛ الاستفهام والتعجب والنفي.

- الاحتجاج بالقراءات القرآنية الشاذة وتوجيهها فقهياً ونحويًا وصرفياً (المحتسب لابن جني أمودجًا): آسية نوال، رسالة ماجستير، جامعة امحمد بوقرة- الجزائر، لعام ٢٠١٤ / ٢٠١٥.

فقد تناولت الدراسة عودة الفقهاء إلى القراءات الشاذة واستنباط الأحكام الفقهية منها، وكذلك احتجاج علماء النحو واللغة بها، وتوجيههم لها. فقد ركزت على حجية القراءات الشاذة وأثرها في استنباط الأحكام الفقهية، باستخدام نماذج لقراءات شاذة محتج بها في الأحكام الفقهية. وركزت كذلك على القراءات الشاذة وتوجيهها نحويًا وصرفياً، تناولت فيها نماذج لقراءات شاذة من آيات مختارة احتج لها ابن جني ووجهها نحويًا وصرفياً ودلاليًا. وبذلك فهي تغاير دراستنا التي تدور حول إبراز أثر القراءات القرآنية الشاذة في صناعة القاعدة اللغوية أو تأييدها.

- القراءات القرآنية التي قامت على قاعدة نحوية: ميسون علاوي، رسالة ماجستير، الجامعة الهاشمية - الأردن، لعام ٢٠١٩.

فتتبع فيها الباحثة ما تيسر جمعه من القراءات الشاذة، وأوضحت فيها معنى الشذوذ، كما نقلت شروط القراءات المتواترة الصحيحة، وقارنت هذه الشواهد مع الضرورة الشعرية في فصل، ومع قواعد النحاة في فصل، وقسمتها هنا على أساس الموقع الإعرابي (المرفوعات والمنصوبات والمجرورات والمجزومات)، ومع لهجات العرب في فصل، وكان النحو والدلالة والمقارنة بين القراءات المتواترة والشاذة حاضرًا في الفصول كلها؛ لأن الرسالة تدور في فلك النحو والدلالة. وهي بذلك بعيدة عن بحثنا في فكرتها وأسلوبها ومنهجها ومادتها.

لقد كان للقراءات القرآنية الأثر البالغ في الدرس اللغوي العربي، فجمعت القراءات ونسبت إلى قارئها كما فعل ابن مجاهد (ت ٣٢٤)^(١)، ثم عكف علماء العربية على التأليف في توجيه تلك القراءات، وبيان انسجامها مع علوم العربية صوتًا وصرافًا ونحوًا ودلالة، وبيان مدى موافقتها للقياس، ومواءمتها لكلام العرب الفصحاء، فكان جل ما أُلّف في توجيه القراءات المتواترة دون الشاذة، حتى جاء ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) وأفرد كتابًا في الاحتجاج للقراءات الشاذة دون غيرها، وغرضه من هذا الكتاب كما يقول: "لكن غرضنا منه أن نري وجه قوة ما يسمى الآن شاذًا، وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه، أخذ من سمت العربية مهلة ميدانه؛ لئلا يرى مري أن العدول عنه إنما هو غض منه، أو تهمة له"^(٢).

١- بدأ ابن مجاهد بذكر توجيه القراءات في سورة الفاتحة من كتابه «السبعة»، ووجه كل خلاف بعد عزوه إلى قارئه؛ إلا أنه أمسك عن ذلك بعد انتهائه من الكلام في خلافاً سورة الفاتحة مخافة التطويل وثقل الكتاب. انظر، ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ): كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط ٢، ١٤٠٠هـ، ص ١١٢.

٢- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ): المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٣٣/١.

ومنهج ابن جني الذي سار عليه في كتابه واضح، حيث إنه يعرض القراءة، ويذكر من قرأ بها، ثم يرجع في أمرها إلى اللغة، يلتمس لها شاهداً فيرويه، أو نظيراً فيقيسها عليه، أو لهجة فيردها إليها ويؤنسها بها، أو تأويلاً أو توجيهاً فيعرضه في قصد وإجمال، أو تفصيل واقتنان، على حسب ما يقتضيه المقام، ويتطلبه الكشف عن وجه الرأي في القراءة^(١).

فما جاء من كلام العرب موافقاً للقراءة إنما هو القليل الذي خالف القاعدة الأشمل والأعم التي ارتضاها علماء اللغة، فتوجيه ما خرج عن القاعدة اللغوية أو خالفها وجاء بالندرة أو القلة ويقوم على القراءة الشاذة لم يغير في القاعدة الأعم والأشمل.

بناء القاعدة اللغوية أو تأييدها:

الغرض هنا الكشف عن أثر القراءات القرآنية الشاذة في بناء القواعد اللغوية أو تأييدها عند ابن جني في كتابه المحتسب، وكيف وظف القراءات في دعم بعض الآراء، وترجيح بعضها على بعض، بل وفساد بعض الآراء أحياناً. والقادم يعرض شيئاً مما وقفت عليه، يبين ما أجمل أعلاه، ويكشف ما توصل إليه الباحث، فمن ذلك:

أولاً: العرب إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه.

فقد كان للقراءات الواردة في [جبريل] في ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة: (البقرة ٩٧) وتعدد وجوهها الأثر في تأييد هذا الأصل اللغوي، حيث قال: «ومن ذلك قراءة يحيى بن يعمر: «جبرئيل» مشددة اللام، بوزن جبرعل، وعنه أيضاً

١- انظر، السابق: ١٢/١.

وعن فياض بن غزوان: «جَبْرَائِيل» بوزن جَبْرَاعِيل، بهمزة بعد الألف، وبهذا الوزن من غير همز بياءين عن الأعمش، و«مِكايل» من غير همز أيضاً ممدود، وقرأ «مِكَيْل» بوزن ميكعل ابن هرمرز الأعرج، وابن محيصن.

قال أبو الفتح: «أما على الجملة، فقد ذكرنا في كتابنا هذا وفي غيره من كتبنا: أن العرب إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه^(١).

وهذا الذي ذكره ابن جنبي يؤيد ما قرره ابن السراج (ت ٣١٦) في كتابه الأصول في النحو، في باب أبنية ما أعرب من الأعجمية، حيث قال: «وربما أبدلوا الباء لقربها، قال بعضهم: البرند^(٢) والعربُ تخلطُ فيما ليس من كلامها إذا احتاجت إلى النطق به، فإذا حكي لك في الأعجمي خلاف ما العامة عليه، فلا ترينه تخلطاً ممن يرويه^(٣).

ثانياً: المعرفة لا توصف بالنكرة.

فبعد أن ذكر قراءة عيسى الثقفي: [الزانية والزاني] في ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدَةٍ﴾ (النور ٢)، بالنصب. وراح يوجهها، قال: «هذا منصوب بفعل مضمَر أيضاً، أي: اجدلوا الزانية والزاني، فلما أضمَر الفعل الناصب فسره بقوله: ﴿فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدَةٍ﴾. وجاز دخول الفاء في هذا الوجه؛ لأنه موضع أمر، ولا يجوز: زيداً فضربتته؛ لأنه خبر... ولا موضع لقوله تعالى: ﴿فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدَةٍ﴾؛ لأنه تفسير، ولا يكون وصفاً لـ «الزانية» و«الزاني» من حيث كانت المعرفة لا توصف بالنكرة، وكل جملة فهي نكرة. وأيضاً فإن الأمر لا يوصف به كما لا يوصف بالنهاي ولا بالاستفهام؛ لاستبهام كل

١- المحتسب: ١ / ٩٧.

٢- الفرند.

٣- ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ): الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ٣ / ٢٢٤.

واحد من ذلك لعدم الخبر منه. وأيضاً فإن الموصوف لا تعرض بينه وبين صفته الفاء، لا تقول: مررت برجل فيضرب زيداً؛ وذلك لأن الصفة تجري مجرى الجزء من الموصوف، وجزء الشيء لا يعطف على ما مضى منه».

وهذا يؤيد ما قرره سيبويه (ت ١٨٠) في أكثر من موضع في كتابه، حيث قال: «واعلم أن المعرفة لا توصف إلا بمعرفة، كما أن النكرة لا توصف إلا بنكرة»^(١).

ثالثاً: وقوع الواحد موقع الجماعة.

بعد أن ذكر ابن جني قراءة أبي عبد الرحمن في رواية عطاء وقراءة عاصم الجحدري أيضاً: [وملائكته وكتابه] في ﴿ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ- وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ- لَأَنْفِرُوا بَيْنَ أَيْدِيهِ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (البقرة ٢٨٥) على التوحيد. وبين أن المقصود ليس كتاباً واحداً، وإنما هو جنس الكتاب؛ فلكل واحد كتاب، كما دلت عليه الآيات الكثيرة، والأحاديث الشهيرة، قال: «اللفظ لفظ الواحد والمعنى معنى الجنس؛ أي: وكتبه، ومثله قوله سبحانه ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ (الجماثية ٢٩) أي: كتبنا، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ إِنْ سَأَلَ مِنْ رَبِّهِ فَلَا تَكْفُرُ لَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ (الإسراء ١٣)، وقال تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الإسراء ١٤)، فلكل إنسان كتاب، فهي جماعة كما ترى، وقد قال: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾.

ووقوع الواحد موقع الجماعة فاش في اللغة، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ (الحج ٥) أي: أطفالاً^(٢).

وهذه القاعدة اللغوية التي أيدها ابن جني استناداً إلى القراءة كان قد ذكرها

١- انظر، سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر (المتوفى: ١٨٠هـ): الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط، ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ٢/٦، ٢/١٧.

٢- المحتسب: ١/ ٢٠٢

قبل ذلك في كتابه الخصائص حين قال: «وأما قوله^(١):

«فقلنا أسلموا إنا أخوكم فقد برئت من الإحن الصدور فيجوز أن يكون جمع أخ قد حذف نونه للإضافة، ويجوز أن يكون واحداً وقع موقع الجماعة»^(٢).

وقبل ابن جني، ذكر هذه القاعدة السيرافي (ت ٣٦٨) في شرحه على كتاب سيبويه، حيث قال: «تقول: «هذا أظرف فتى»، فيكون بمعنى: أظرف الفتيان، فلما كان الواحد في هذا الموضع يقع موقع الجماعة»^(٣)، فنلاحظ كيف دعمت القراءة هذه القاعدة عند اللغويين، وكيف دلت كثرة نظائرها على انتشارها في اللغة.

رابعاً: الحال ضرب من الخبر.

ذكر ابن جني قراءة الجحدري وابن السمين وأبا حيوة: [أثر رحمة الله، كيف تحيي] في ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الروم ٥٠) وبين أن التأنيث في «تحيي» راجع لأن الأثر والرحمة شيء واحد كما أن الأثر والنعمة شيء واحد إلى أن قال: «وأثر النعمة كأنه هو النعمة، وقوله: ﴿كَيْفَ تُحْيِي﴾ جملة منصوبة الموضع على الحال، حملاً على المعنى لا على اللفظ؛ وذلك أن اللفظ استفهام، والحال ضرب من الخبر، والاستفهام والخبر معنيان متدافعان. وتلخيص كونها حالاً أنه كأنه قال: فانظر إلى أثر رحمة الله محيية للأرض بعد موتها».

وابن جني يدعم بهذا ما ذكره شيخه أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧) حين قال في كتابه المسائل البصريات: «لأن الحال ضرب من الخبر. ألا ترى أنه زيادة في

١- العباس بن مرداس. وهو يخاطب ثقيفاً بعد هزيمتهم مع هوازن في غزوة حنين.
٢- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ): الخصائص، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط، ٤، (د. ت)، ٢/ ٤٢٤.
٣- السيرافي، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (المتوفى: ٣٦٨هـ): شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط، ١، ٢٠٠٨ م، ٣٧٢ / ١.

الخبر، وأنها قد سدت مسد خبر الابتداء في: «ضَرْبِي زَيْدًا قَائِمًا»^(١).

خامساً: ما لا يتعدى قد يتعدى بحرف الجر^(٢)

ذكر ابن جني قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير: [مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهَنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ] في ﴿ وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور ٣٣) وبين جواز تعلق اللام في «لهن» بكل من: «غفور ورحيم»، وهي إن كان يرى أنها أقرب إلى «غفور»؛ لأنها أقرب، ولأنها أقعد في التعدي، غير أن «رحيم» يجوز فيها التعدي أيضاً بسبب اللام فقد قال: «قال أبو الفتح: اللام في «لهن» متعلقة بـ«غفور»؛ لأنها أدنى إليها، ولأن فعولاً أقعد في التعدي من فعيل، فكأنه قال: فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ لَهَنَّ. ويجوز أن تكون أيضاً متعلقة بـ«رحيم»؛ وذلك أن ما لا يتعدى قد يتعدى بحرف الجر، ألا تراك تقول: هذا مارٌّ بزيد أمس، فتعمل اسم الفاعل وهو لما مضى؛ لأن هناك حرف الجر، وإن كنت لا تعديه فتنصب به وهو لما مضى؟ فكذلك يجوز تعلق اللام في «لهن» بنفس «رحيم»، وإن كنت لا تجيز: هذا رحيم زيداً، على مذهب الجماعة غير سيبويه ولأجل اللام في «لهن»^(٣).

ومن هذا يظهر أثر القراءة في تدعيم هذه القاعدة التي نص عليها العديد من العلماء كابن الوراق (ت ٣٨١) حيث قال في كتابه علل النحو: «أثبت بزيد، فلماً أرادوا هذا المعنى أدخلوا الباء، إذ كان (أثبت) يتعدى بحرف الجر»^(٤).

- ١- أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ): المسائل البصريات، تحقيق: د. محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، مطبعة المدني (د. م)، ط، ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ هـ، ١ / ٧٢٤.
- ٢- انظر، الحسنوي، غانم كامل سعود الحسنوي: التوجيه النحوي للقراءات الشاذة في المحتسب، أطروحة دكتوراة، جامعة الكوفة، ١٤٣٠ / ٢٠٠٩، ص ٣٩.
- ٣- المحتسب: ١٠٨ / ٢.
- ٤- ابن الوراق محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (المتوفى: ٣٨١ هـ): علل النحو، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد - الرياض / السعودية ط، ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ص ٣٣٠.

سادساً: الفعل لا يرفع إلا الواحد فاعلاً أو مفعولاً أقيم مقام الفاعل .

ومن ذلك قراءة أبي عبد الرحمن السلمي: [وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ] في: ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ (الأنعام ١٣٧) (١) حيث أورد ابن جني لهذه القراءة تأويلين، نقتصر منهما على الأول، موطن الشاهد فقال: «أحدهما: وهو الوجه؛ أن يكون مرفوعاً بفعل مضمر دل عليه قوله: «زين»؛ كأنه لما قال: زين لكثير من المشركين قتل أولادهم، قيل: من زينه لهم؟ فقيل: زينه لهم شركاءهم، فارتفع الشركاء بفعل مضمر دل عليه «زين»، فهو إذن كقولك: أكل اللحم زيد، وركب الفرس جعفر، وترفع زيدا وجعفرًا بفعل مضمر دل عليه هذا الظاهر، وإياك وأن تقول: أنه ارتفع بهذا الظاهر؛ لأنه هو الفاعل في المعنى لأمرين: أحدهما: أن الفعل لا يرفع إلا الواحد فاعلاً أو مفعولاً أقيم مقام الفاعل، وقد رفع هذا الفعل ما أقيم مقام فاعله وهو «قتل أولادهم»، فلا سبيل له إلى رفع اسم آخر على أنه هو الفاعل في المعنى؛ لأنك إذ انصرفت بالفعل نحو إسنادك إياه إلى المفعول لم يجز أن تتراجع عنه فتسنده إلى الفاعل؛ إذ كان لكل واحد منهما فعل يخصه دون صاحبه، كقولك: ضرب وضرب، وقتل وقتل، وهذا واضح» (٢).

ومن هذا يظهر أثر القراءة في تدعيم هذه القاعدة التي نص عليها العديد من العلماء كابن السراج، حيث قال في كتابه الأصول في النحو: «اعلم: أن كل فعل لا يخلو من أن يكون عاملاً، وأول عمله أن يرفع الفاعل أو المفعول الذي هو حديث عنه نحو: قام زيد وضرب عمرو» (٣).

١- وقرأ الجمهور ﴿زَيْنٌ﴾ مبنياً للفاعل، ونصب ﴿قَتَلَ﴾ مضافاً إلى ﴿أَوْلَادِهِمْ﴾ ورفع ﴿شُرَكَاءَهُمْ﴾ فاعلاً يزين.

٢- المحتسب: ١ / ٢٣٠.

٣- علل النحو: ١ / ٥٤.

سابعاً: إعمال ظاهر اللفظ أولى من تقدير ما ليس بظاهر.

ذكر ابن جنبي قراءة ابن عباس وعبد الله بن عمرو الجحدري وعبد الله بن عبيد بن عمير: [وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَنَّةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] في: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَنَّةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجنائية ١٣) «منة» منصوبة، منونة، ثم ذكر وجه نصبها، وبين أن لقراءتها مرفوعة وجهين، وأن الوجه الثاني أولى لأن فيه إعمال ظاهر اللفظ، فقال: «قال أبو الفتح: أما «منة» فمنصوب على المصدر بما دل عليه قوله تعالى: «وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا»؛ لأن ذلك منه «عز اسمه» منة منها عليهم، فكانه قال: من عليهم منة. ومن نصب وميض البرق من قولهم: تبسمت وميض البرق بنفس تبسمت، لكونه في معنى أو مضت نصب أيضاً «منة» بنفس سخر لكم، على ما مضى. وأما «منة» بالرفع فحمله أبو حاتم على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: ذلك، أو هو «منة»، كذا قال. ويجوز أيضاً عندي أن يكون مرفوعاً بفعله هذا الظاهر، أي: سخر لكم ذلك «منة» كقولك: أحياني إقبالك علي، وسدد أمري حسن رأيك في؛ فتعمل فيه هذا اللفظ الظاهر، ولا تحتاج إلى إبعاد التناول واعتقاده ما ليس بظاهر»^(١).

وهنا يظهر أثر القراءة في تدعيم هذه القاعدة التي نص عليها العديد من العلماء مثل: ابن الوراق في كتابه علل النحو، حيث قال: «فإذا أمكننا أن نحمل الكلام على ظاهره، كان ذلك أولى من التأويل البعيد»^(٢).

ثامناً: كثرة الانحرافات والتخليطات في ألفاظ الأعداد.

قرأ الأعمش: [اثنتا عشرة] في: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ

١- المحتسب: ٢/ ٢٦٢.

٢- علل النحو: ٣٣٠.

أَلْحَجْرُ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴿ (البقرة ٦٠) بفتح الشين، فقد ذكر ابن جني تعدد لغات العرب في ألفاظ العدد، وأنها لا تنضبط على عادة، فقال: «القراءة في ذلك: «عَشْرَةٌ» و«عَشْرَةٌ»، فأما «عَشْرَةٌ» فشاذ، وهي قراءة الأعمش. وعلى الجملة، فينبغي أن يعلم أن ألفاظ العدد قد كثر فيها الانحرافات والتخليطات، ونقضت في كثير منها العادات^(١).

ولم يجد الباحث هذه القاعدة عند غير ابن جني ممن تقدمه، إلا إذا اعتبرناها مما كثر استعماله عندهم، وليس هذا ببعيد.

تاسعاً: أصل وضع المفعول أن يكون فضلة وبعد الفاعل.

قراءة يزيد البربري: [وَعُلِّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا] في: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة ٣١) وجه ابن جني هذه القراءة بأنها على إرادة العناية بالمفعول، فللعرب في عنايتهم بالمفعول أساليب منها تقديم المفعول، فجاءوا به مجيئاً ينافي كونه فضلة، فقالوا: عمرو ضرب زيد، ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا: عمرو ضرب زيد، فحذفوا ضميره ونونوه ولم ينصبوه على ظاهر أمره؛ رغبة به عن صورة الفضلة، ثم إنهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له، وبنوه علي أنه مخصوص به، وألغوا ذكر الفاعل مظهرًا أو مضمراً، فقالوا: ضرب عمرو، فاطرح ذكر الفاعل ألبتة، ولهذا نظائر، ففرض الفاعل هنا ألبتة واعتماد المفعول به ألبتة دليل على ما قلناه، فاعرفه^(٢).

وهنا يظهر أثر القراءة في تدعيم هذه القاعدة التي نص عليها العديد من العلماء مثل: ابن السراج والسيرافي وغيرهما. فقال ابن السراج: «فالاسم

١- المحتسب: ١ / ٨٥.

٢- انظر المحتسب: ١ / ٦٥.

الذي يرتفع بأنه فاعل هو والفعل جملة يستغني عليها السكوت وتمت بها الفائدة للمخاطب، ويتم الكلام به دون مفعول والمفعول فضلة في الكلام^(١).

ومثله عند السيرافي، حيث قال: «والمفعول فضلة في الكلام، ولا يجوز أن تكون الفضلة لازمة لا يجوز إلغاؤها»^(٢).

عاشراً: العرب لما كثر استعماله أشد تغييراً.

تكرر توجيه ابن جني لكثير من القراءات بأنهم (أي العرب) لما كثر استعماله أشد تغييراً، فكثرت عندهم الحذف والقلب والاتباع، تبعاً لهذا الأصل فذكر ابن جني عند توجيهه لقراءة ابن محيصن والأشهب والأعمش: [وكأى] في: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ (آل عمران ١٤٦) بهمزة بعد الكاف ساكنة، وياء بعدها مكسورة خفيفة، ونون بعدها، في وزن كَعْيٍ، أن فيها أربع لغات: كَأْيٍ، وكَاءٍ، وكَأْيٍ - وهي هذه القراءة - وكَاءٍ في وزن كَعْيٍ، ثم بين أصلها الذي كانت عليه وما اعترى هذا الأصل من تغيير إلى أن قال: «ثم إنها لما كثر استعمالها لها تلعبت بها العرب كأشياء يكثر تصرفها فيها لكثرة نطقها بها..»^(٣)

وقد دعم ابن جني بتوجيهه لهذه القراءات ما جاء في كتاب سيبويه، حيث قال تحت باب: «مما خففوا على ألسنتهم وليس بمطرد: «فمن ذلك ست، وإنما أصلها سدس. وإنما دعاهم إلى ذلك حيث كانت مما كثر استعماله في كلامهم»^(٤).

وجاء في الكامل في اللغة والأدب للمبرد (ت ٢٨٥): «وكان يقال لرؤية: كيف أصبحت؟ فيقول: خير عافاك الله. فلم يضم حرف الحذف، ولكنه حذف

١- الأصول في النحو: ١ / ٧٥.

٢- شرح الكتاب: ١ / ٤٢٥.

٣- المحتسب: ١ / ١٧٠ وانظر أيضاً: ١ / ٢٢١

٤- الكتاب: ٤ / ٤٨١

لكثرة الاستعمال»^(١).

أثر القراءة في النقد والترجيح:

لم يكن ابن جني يتقبل كل ما ينقله في كتابه، ولكنه كان ينظر فيه وينقده في تल्प ورطف حيناً، وفي قوة وعنف حيناً آخر، صريحاً واضحاً، وحراً مستقلاً، وعادلاً منصفاً في كل حين، ينشد الحقيقة وينزل على حكمها أنى تكون^(٢).

نقل عن سيبويه و الكسائي والفراء والمبرد وغيرهم واستشهد بكثير من الشواهد، فوافق وخالف، واستحسن واستدرك، وهو في كل ذلك يستضيء بما يحتج له من القراءة؛ فكان للقراءة الأثر الواضح في تدعيم مواقفه إذا وافق، وفي نقض قواعد مخالفه إذا خالف، وفي إظهار حسن ما استحسنته ووجه ما استدركه، كل هذا بثه ابن جني في ثنايا كتابه، غير مبال أكان الحق فيما توصل إليه مع أصحابه من البصريين أم مع الكوفيين؛ فالحق أحق أن يتبع، فلا يليق بمن سمي كتابه "المحتسب" أن يتعصب لهوى.

وهذه بعض النماذج الموضحة لما سلف ذكره:

أولاً: قراءة سعيد بن جبير: [ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسِي] في: ﴿ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة ١٩٩) فقد كان لها الأثر الواضح في بيان فساد من قال: إن لام التعريف إنما تدخل الأعلام للمدح والتعظيم^(٣)، وذلك نحو: العباس، والمظفر، وما جرى مجراهما.

١- المبرد، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ): الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط ٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ٢ / ٧٠.

٢- مقدمة المحتسب: ١ / ١٥.

٣- قال به الفراء والكوفيون، انظر، شرح كتاب سيبويه: ٢ / ٣١٩.

لأن الناسي هنا آدم - عليه السلام - لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (طه ١١٥) فقال: «وجه الدلالة من ذلك: أن قوله «الناسي» إنما يعني به آدم - عليه السلام - فصارت صفة غالبية كالنابغة والصعق، وكذلك الحارث والعباس والحسن والحسين، هي وإن كانت أعلامًا، فإنها تجري مجرى الصفات؛ ولذلك قال الخليل: إنهم جعلوه الشيء بعينه؛ أي: الذي حرث وعبس، فمحمول هذا أن في هذه الأسماء الأعلام التي أصلها الصفات معاني الأفعال؛ ولذلك لحقتها لام المعرفة كما تعرف الصفات، وإذا كان فيها معاني الأفعال، وكانت الأفعال كما تكون مدحًا فكذلك ما تكون ذمًا، فهي تحقق في العلم معنى الصفة، مدحًا كانت الصفة أو ذمًا»^(١).

ثانيًا: قراءة عيسى بن عمر: [على تقوى من الله] في: ﴿أَفَمَن آسَسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ﴾ (التوبة ١٠٩) فقد كان لهذه القراءة أثر في استدراك ابن جنبي على سيبويه، حيث قال: «وكان الأشبه بقدر سيبويه ألا يقف في قياس ذلك، وألا يقول: لا أدري، ولولا أن هذه الحكاية رواها ابن مجاهد ورويناها عن شيخنا أبي بكر لتوقفت فيها. فأما أن يقول سيبويه: لم يقرأ بها أحد فجائر؛ يعني: فيما سمعه؛ لكن لا عذر له في أن يقول: لا أدري؛ لأن قياس ذلك أخف وأسهل على ما شرحنا من كون ألفه للإلحاق»^(٢).

ثالثًا: قراءة سهل بن شعيب النهمي: [جَهْرَةً] في: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يُمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ﴾ (البقرة ٥٥)، و[زَهْرَةً] في: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَرَقَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه ١٣١)، كل شيء في القرآن محررًا، فقد أثرت هذه القراءة في تدعيم رأي الكوفيين وتقويته على رأي أصحابه من البصريين، في كون الحرف الحلقي يجوز

١- المحتسب: ١/ ١١٩.

٢- السابق: ١/ ٣٠٤.

فيه التحريك إذا سبق بمفتوح، قال ابن جنبي: «مذهب أصحابنا في كل شيء من هذا النحو مما فيه حرف حلقي ساكن بعد حرف مفتوح: أنه لا يحرك إلا على أنه لغة فيه؛ كالزَهْرَة والزَهْرَة، والنَّهْر والنَّهْر، والشَّعْر والشَّعْر، فهذه لغات عندهم كالنَّشْر والنَّشْر، والحَلْب والحَلْب، والطرْد والطرْد. ومذهب الكوفيين فيه أنه يحرك الثاني لكونه حرفاً حلقيّاً، فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعه؛ كالبحر والبحر والصخر والصخر، وما أرى القول من بعد إلا معهم، والحق فيه إلا في أيديهم»^(١).

رابعاً: قراءة أبي: [أُنْكَ أَوْ أَنْتَ يُوسُفُ] في: ﴿ قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالِ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ (يوسف ٩٠) فقد أثرت هذه القراءة في ميل ابن جنبي لرأي الكوفيين وتفضيله على رأي أصحابه من البصريين، في امتناع حذف خبر إن إذا كان الاسم معرفة، حيث قال: «ينبغي أن يكون هذا على حذف خبر إن، حتى كأنه قال: أُنْكَ لغير يوسف، أو أنت يوسف؟ فكأنه قال: بل أنت يوسف، فلما خرج مخرج التوقف قال: أنا يوسف، وقد جاء عنهم حذف خبر إن، قال الأعشى:

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مَرْتَحَلًّا وَإِنَّ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَى مَهَلًّا

أراد: إن لنا محلاً، وإن لنا مرتحلاً، فحذف الخبر. والكوفيون لا يجيزون حذف خبر إن إلا إذا كان اسمها نكرة؛ ولهذا وجه حسن عندنا، وإن كان أصحابنا يجيزونه مع المعرفة^(٢).

خامساً: قراءة يعقوب: [وَيْكَ]، يقف عليها، ثم يبتدئ فيقول: [أَنَّهُ] في الموضوعين من قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ

١- السابق: ٨٤ / ١.

٢- المحتسب: ٣٤٩ / ١.

الرِّزْفَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ﴿ (القصص ٨٢).

كان في هذه القراءة استبعاد رأي من جعل [ويكأن] كلمة واحدة؛ لأنّ القراءة على جعلها كلمتين، فقال: «والوجه فيه عندنا الخليل وسيبويه، وهو أن «وَيَ» على قياس مذهبهما اسم سمي به الفعل في الخبر، فكأنه اسم أعجب^(١)، وهذا الذي ارتضاه أئمة التفسير كالإمام البغوي (ت ٥١٠) فقال في تفسير الآية السابقة: «وَقَالَ الْخَلِيلُ: «وَيَ» مَفْصُولَةٌ مِنْ «كَانَ» وَمَعْنَاهَا التَّعَجُّبُ، كَمَا تَقُولُ: وَيَ لَمْ فَعَلْتَ ذَلِكَ! وَذَلِكَ أَنَّ الْقَوْمَ تَدَمَّوْا فَقَالُوا: وَيَ! مُتَدَمِّمِينَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُمْ»^(٢).

منهج ابن جنبي في التوصل إلى القاعدة أو تدعيمها أو نقدها:

يتبين لنا بعد الإجابة عن الأسئلة الآتية منهج ابن جنبي واضحاً جلياً، وهذه الأسئلة هي:

- أولاً: هل كان يستقل بالقراءة لبناء القواعد أو تدعيمها أو نقدها؟
- ثانياً: هل اعتمد على القياس؟
- ثالثاً: هل كان للسمع دور في إثبات ما توصل إليه من نتائج؟

فكان ابن جنبي يعرض القراءة، ويذكر من قرأ بها، ثم يرجع في أمرها إلى اللغة، يلتمس لها شاهداً فيرويه، أو نظيراً فيقيسها عليه، أو لهجة فيردها إليها ويؤنسها بها، أو تأويلاً أو توجيهاً فيجمل، أو يفصل، على حسب ما يقتضيه المقام، ويتطلبه الكشف عن وجه الرأي في القراءة^(٣).

١- السابق: ٢ / ١٥٥.

٢- البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ): تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط، ٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م، ٦ / ٢٢٦.

٣- انظر، المحتسب: ١ / ١٢.

ويتبين لنا أنّ ابن جنّي لم يكن يبني قواعده أو يدعمها اعتماداً على القراءة بشكل مستقل، بل يعضدها بشواهد العربية، وتوجيهات اللغويين، وكان يختار لها، أفضل الوجوه، فكم جَوَزَ للشعر ما لم يجوّزه للقرآن.

فذكر «قراءة يحيى بن يعمر: [جَبْرَيْلٌ] مشددة اللام، بوزن جَبْرَعِل، وعنه أيضاً وعن فياض بن غزوان: [جَبْرَائِيل] بوزن جَبْرَاعِيل، بهمزة بعد الألف، وبهذا الوزن من غير همز بياءين عن الأعمش، و[ميكائيل] من غير همز أيضاً ممدود، وقرأ [ميكئيل] بوزن ميكعل ابن هرمن الأعرج وابن محيصن»^(١).

ولم يكتف بتعدد قراءة الاسم الأعجمي في القراءة؛ ليثبت تخليط العرب فيه، بل عضده بالشواهد من لغة العرب، شعراً ونثراً، فقال: «في ذلك ما أنشدناه أبو علي من قول الراجز:

هل تعرف الدار لأم الخزرج

منها فظلت اليوم كالمرزج

يريد: الذي شرب الزرجون وهي الخمر، وأنه كان قياسه المزرجن؛ من حيث كانت النون في الزرجون أصلية...^(٢).

وكان من منهج ابن جنّي اعتماد القياس، فعليه يقوي ويضعف، ويقبل ويرد، فكم قدم من وجه لأنه أقوى في القياس، من ذلك: «وهمز وعاء بالضم أقيس من همز المكسور الواو؛ فعليه يحسن بل يقول أعاء أخيه»^(٣).

وقال كذلك: «حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه قبل ليس بمستحسن في

١- المحتسب: ٩٧/١.

٢- السابق: ٩٧/١.

٣- المحتسب: ٣٤٨/١.

القياس»^(١)، وقال: «وجه هذه القراءة أقوى في القياس»^(٢).

وكان يكثر من ضم النظير إلى النظير، ومن ذلك احتجاجه لقراءة عاصم الجحدري: [وملائكته وكتابه] في: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (البقرة ٢٨٥) على التوحيد، فذكر لها العديد من النظائر؛ ليؤكد قاعدته من أن الواحد يقع موقع الجمع وهي: «ومثله قوله سبحانه: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ (الجاثية ٢٩).

ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُرْقِهِ﴾ (الإسراء ١٣).

وقال تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الإسراء ١٤)، فلكل إنسان كتاب^(٣).

ومن الجدير بالذكر أن ابن جني كان يعتمد على السماع في تقريراته، مع تأخره عن عصر الرواية، وكان يعتمد في جل سماعه على بني عُقيل، ويبدو أن سبب اختصاصهم بالأخذ والرواية أنهم كانوا بالكوفة والبلاد الفراتية والجزيرة والموصل، هاجروا إليها إثر خلاف بينهم وبين بني تغلب فأجلوهم عن مساكنهم في البحرين^(٤).

وهذه نماذج من سماعه، التي كان لها أثر في دعم نتائجه، وعضد شواهد:

- «وأيضاً فقد أبدلوا الهاء من التاء التي للتأنيث في الوقف، فقالوا: حمزة، وطلحه، وقائمه، وجالسه، وذلك منقاد مطرد في هذه التاء عند الوقف، ويؤكد هذا أن عامة عُقيل فيما لا يزال نتلقاه من أفواها تقول في الفرات:

١- السابق: ٢ / ٢٣٧.

٢- السابق: ٢ / ٢٥١.

٣- السابق: ١ / ٢٠٢.

٤- انظر، القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت) ١ / ٣٩٥.

الفراه، بالهاء في الوصل والوقف»^(١).

- «وأنا أرى في هذا رأي البغداديين في أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثرًا معتدًا معتمدًا؛ فلقد رأيت كثيرًا من عقيل لا أحصيهم يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبدًا لولا حرف الحلق، وهو قول بعضهم: نَحَوَه، يريد: نَحَوَه»^(٢).

- «وسمعت سنة خمس وخمسين غلامًا حدثًا من عقيل ومعه سيف في يده، فقال له بعض الحاضرين وكنا مُصْحَرِينَ: يا أعرابي، سيفك هذا يقطع البطيخ؟ فقال: إي والله وغواربَ الرجال، فنصب الغوارب على ذلك؛ أي: ويقطع غواربَ الرجال»^(٣).

وسياأتي تفصيل الأثر المترتب على القراءات في حالة انعدام الشواهد الداعمة، أو ضعف القياس، أو عند قلة النظر أو عدمه.

هل كان ابن جني يفاضل بين القراءات؟

المفاضلة بين القراءات أو الترجيح بين القراءات مما اختلفت فيه أنظار العلماء، فمنهم من يفضل قراءة على أخرى لأسباب عنده، ومنهم من امتنع عن المفاضلة تعظيمًا للقراءة، فهي سنة وكلها من عند الله، قال أبو حيان (ت ٧٤٥): «وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا غَيْرَ مَرَّةٍ أَنَّا لَا نُرَجِّحُ بَيْنَ الْقُرَاءَاتَيْنِ الْمُتَوَاتِرَتَيْنِ. وَحَكَى أَبُو عَمْرٍو الزَّاهِدُ فِي كِتَابِ الْيَوَاقِيَتِ أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى ثَعْلَبًا كَانَ لَا يَرَى التَّرْجِيحَ بَيْنَ الْقُرَاءَاتِ السَّبْعِ. وَقَالَ: قَالَ ثَعْلَبٌ مِنْ كَلَامِ نَفْسِهِ إِذَا اخْتَلَفَ الْإِعْرَابُ فِي الْقُرْآنِ عَنِ السَّبْعَةِ، لَمْ أَفْضَلْ إِعْرَابًا عَلَى إِعْرَابٍ فِي الْقُرْآنِ إِذَا خَرَجَتْ إِلَى الْكَلَامِ كَلَامِ النَّاسِ فَضَلَّتْ الْأَفْوَى وَنِعَمَ السَّلْفُ لَنَا، أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى كَانَ عَالِمًا بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ

١- المحتسب: ١ / ١٣٠

٢- المحتسب: ١ / ١٦٧

٣- السابق: ١ / ٢١٠

مُتَدَيِّنًا ثَقَّةً»^(١).

ومن الجدير بالذكر أن نفرّق بين نظر الفقهاء والقراء والأصوليين الذين نظروا إلى القراءة وعدّوها وسيلة تعبّد، وطريق تقرب، وشرطاً لصحة الصلاة، ومصدرًا للتشريع والتحريم والتحليل ونظر اللغويين الذين نظروا إلى القراءة نظرة مغايرة، لأنّ هدفهم مختلف، وغايتهم من قبول القراءة ليست العبادة أو الصلاة بها، إنّما هي إثبات حكم لغوي أو بلاغي.

ويرى الباحث أنّ الأمر عند اللغويين أهون منه عند الفقهاء؛ بسبب اختلاف النظرتين، بل إنّ اختيار القراء للقراءة هو نوع مفاضلة والتفاضل ثابت عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، فقد أخبر عن فضل بعض سور القرآن وآيه في غير ما حديث، والقرآن جرى على سنن كلام العرب، وكلام العرب يتفاضل في البلاغة^(٢).

فهل كان ابن جني يفاضل بين القراءات، وما هي معايير التفاضل عنده؟

نعم كان ابن جني يفاضل بين القراءات، ويقوي بعضها على بعض، وكان يستند في ذلك إلى أمور منها:

- قوة الإعراب.
- موافقة القياس.
- موافقة المشهور من لغات العرب.
- قوّة المعنى.

١- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط، ١٤٢٠هـ، ٤ / ٤٥٥.

٢- انظر، الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط، ١، ١٤٣٢هـ، ص ٢٤٤.

بل قد فضل بعض الشاذ على الصحيح المتواتر، استناداً لهذا المعايير، صرح بذلك في مقدمة كتابه، حيث قال: «نعم، وأكثر ما فيه^(١) أن يكون غيره من المجتمع عندهم عليه أقوى منه إعراباً وأنهض قياساً؛ إذ هما جميعاً مرويان مسندان إلى السلف - رضي الله عنهم - فإن كان هذا قادحاً فيه، ومانعاً من الأخذ به؛ فليكونن ما ضعف إعرابه مما قرأ بعض السبعة به هذه حاله، ونحن نعلم مع ذلك ضعف قراءة ابن كثير «ضياء» بهمزتين مكتنفتي الألف، وقراءة ابن عامر: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ﴾ (الأنعام ١٣٧)^(٢).

ومن أمثلة المفاضلة عنده تفضيله قراءة النصب في «قول» على قراءة الرفع في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور ٥١) لأنها أقوى إعراباً، فقال: «أقوى القراءتين إعراباً ما عليه الجماعة من نصب «القول» وذلك أن في شرط اسم كان وخبرها أن يكون اسمها أعرف من خبرها، وقوله «تعالى» ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أعرف من قول المؤمنين^(٣).

ومن الأمثلة أيضاً تفضيله لقراءة «أهبنّا» على «هبنّا» مكان «بعثنا» في قول الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا بُولَاقَ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدًا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (يس ٥٢)، وذلك لأنه أقيس فقال: ومن ذلك قراءة أبي بن كعب: «مَنْ هَبَّنَا مِنْ مَرْقَدَنَا»، يعني أصحاب القبور.

قال أبو الفتح: قد أثبت أبو حاتم عن ابن مسعود: «مَنْ هَبَّنَا»، بالهمزة. وهي أقيس القراءتين. يقال: هَبَّ من نومه، أي: انتبه وأهَبَّتُهُ أنا، أي: أنبهته. قال:

أَلَا أَيُّهَا النَّوَامُ وَيَحْكُمُ هَبُّوا أَسْأَلُكُمْ: هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْحُبُّ

١- يعني الشاذ

٢- المحتسب: ١/ ٣٣.

٣- المحتسب: ٢/ ١١٥.

فأما «هَبْنِي» أي: أيقظني فلم أر لها في اللغة أصلاً، ولعلها لغة قليلة، ولا مرَّ بنا مَهْبُوبٌ، بمعنى مُوقِظٌ، وهي - مع حسن الظنِّ بأبي - مقبولة^(١).

وأما المفاضلة بين القراءات لقوة المعنى فقد كثرت أمثلتها عند ابن جني، وهذا مما يؤكد تلازم الدلالة واللفظ عنده، فهو يقدم المعنى الأقوى الذي يخدم السياق، ويبين المقصد المراد على وجه التحديد، ففي قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (الأحزاب ٦٩) يقوي قراءة جمهور القراء على قراءة ابن مسعود، لأنها تبين وجهة موسى عند الله بخلاف قراءة ابن مسعود التي لا تبين ذلك، فقال: «ومن ذلك قراءة ابن مسعود: «وَكَانَ عَبْدًا لِلَّهِ وَجِيهًا».

قال أبو الفتح: «قراءة الكافة أقوى معنى من هذه القراءة، وذلك أن هذه إنما يُفهم منها أنه عبدٌ لله ولا تُفهم منها وجهته عند من هي؟ أعند الله، أم عند الناس؟ وأما قراءة الجماعة، فإنها تفيد كون وجهته عند الله، وهذا أشرف من القول الأول؛ لإسناد وجهته إلى الله تعالى، وحسبه هذا شرفاً»^(٢).

ومن أمثلة المفاضلة لقوة المعنى قوله: ومن ذلك قراءة أبي حيوة: «مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا»، بتشديد الدال مفتوحة، وبكسر الراء.

قال أبو الفتح: «هذا يفتعلون من الدرس، وهو أقوى معنى من «يدرسونها»؛ وذلك أن افتعل لزيادة التاء فيه أقوى معنى من فعل. ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْنَدِرٌ﴾ (القمر ٤٢) فهو أبلغ معنى من قادر، وهو أشبه بما تقدمه من ذكر الأخذ والعزة. نعم، وفيه أيضاً معنى الكثرة؛ لأنه في معنى يتدارسونها»^(٣).

١- المحتسب: ٢ / ٢١٤.

٢- السابق: ٢ / ١٨٥.

٣- المحتسب: ٢ / ١٩٦.

وهذا الذي توصل إليه الباحث من المفاضلة تبعاً لقوة المعنى كثير عند ابن جني، بحيث يشكل ظاهرة في كتابه^(١).

ردّ القراءة أو تضعيفها وتأييد القاعدة اللغوية:

مرّ معنا سابقاً اختلاف الأنظار في مسألة التفاضل بين القراءات، وبدأ لنا فيه أنّ الأمر ليس بالكبير ما دام أن المفاضلة قد ثبتت عن رسول الله ﷺ كما في الحديث الذي يرويه أبي بن كعب - رضي الله عنه - حيث قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قُلْتُ [اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ] قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»^(٢).

إذا كان الأمر في المفاضلة بين القراءات على ما أسلفنا، فإنّ الأمر في ردّ القراءة أو تضعيفها مختلف؛ إذ كيف يرد الوحي الثابت المنقول بالتواتر عن رسول الله ﷺ عن رب العزة سبحانه وتعالى، وقد اشتدّ نكير العلماء لهذا الصنيع فمن ذلك تشنيع ابن حزم (ت ٤٥٦) على النحاة الذين يردون بعض القراءات، لمخالفتها القياس بزعمهم، ثم هم يثبتون اللغة بما هو دون القراءة، فقال: «وَلَا عَجَبُ أَعْجَبَ مَنْ أَوْجَدَ لِأَمْرِ الْقَيْسِ أَوْ لَزَهْرٍ أَوْ لَجْرِيرٍ أَوْ الْحَطِيبَةِ أَوْ الطَّرْمَاحِ أَوْ لِأَعْرَابِيٍّ أَسْدِيٍّ أَوْ سَلْمِيٍّ أَوْ تَمِيمِيٍّ أَوْ مِنْ سَائِرِ أَوْلَادِ الْعَرَبِ بِوَالِ عَقْبِيهِ لَفْظًا فِي شَعْرٍ أَوْ نَثْرٍ جَعَلَهُ فِي اللُّغَةِ وَقَطَعَ بِهِ وَلَمْ يَعْتَرِضْ فِيهِ ثُمَّ إِذَا وَجَدَ اللَّهُ تَعَالَى خَالِقَ اللُّغَاتِ وَأَهْلَهَا كَلَامًا لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ وَلَا جَعَلَهُ حِجَّةً وَجَعَلَ يَصْرِفُهُ عَنْ وَجْهِهِ وَيَحْرِفُهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَتَحِيلُ فِي إِحَالَتِهِ عَمَّا أَوْقَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِذَا وَجَدَ لِرَسُولِ اللَّهِ

١- انظر مثلاً: ١/١٥٥، ١/٣٦٢، ٢/٣٥٣.

٢- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ): صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (د. ط) (د. ت) ١/٥٥٦.

صلى الله عليه وسلم كلاماً فعل به مثل ذلك»^(١).

والحقيقة أن ابن جنّي قد وقع في شيء من التناقض من حيث يدري أو لا يدري؛ فهو من الناحية النظرية يقرر بأن السماع مقدم على القياس، حتى إنّ السيوطي (ت ٩١١) قد عنون لكلام ابن جنّي ب «ترك القياس بالسماع» ثم نقل كلامه حيث قال: «واعلم أنك إذا أدك القياس إلى شيء ما ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه»^(٢) ثم عقب قائلاً: «وهذا يشبه من أصول الفقه نقض الاجتهاد، إذا بان النص بخلافه»^(٣).

وقد صرح في مقدمة المحتسب بطريقته التي اختطها لنفسه من الاحتجاج للشاذ وعدم رفض شيء منه، فهو عنده صحيح الرواية، فكيف يجوز رده أو رفضه، فقال: «غرضنا منه أن نري وجه قوة ما يسمى الآن شاذاً، وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه»^(٤)، أخذ من سمت العربية مهلة ميدانه؛ لئلا يرى مرى^(٥) أن العدول عنه إنما هو غض منه، أو تهمة له.

ومعاذ الله! وكيف يكون هذا والرواية تنميه إلى رسول الله - ﷺ - والله تعالى يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ، وأخذه هو الأخذ به، فكيف يسوغ مع ذلك أن ترفضه وتجتنبه»^(٦).

١- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ):

الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي - القاهرة (د. ط)، (د. ت) ٣/ ١٠٧.

٢- الخصائص: ١/ ١٢٦.

٣- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ): الاقتراح في أصول

النحو، تحقيق: علاء وعبد الحكيم عطية، دار البيروتية، دمشق، ط، ٢، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م ص ١٦١.

٤- الجران: باطن العنق، وقيل: مُقدم العنق من مذبح البعير إلى منحره، فإذا برک البعير ومدّ عنقه على

الأرض قيل: ألقى جرانه بالأرض. وفي حديث عائشة، رضي الله عنها: حتى ضرب الحق بجرانه،

أرادت أن الحق استقام وقر في قراره، كما أن البعير إذا برک واستراح مدّ جرانه على الأرض أي عنقه.

(لسان العرب «جرن»)

٥- لئلا يرى مرى: لئلا يظن ظان.

٦- المحتسب: ١/ ٣٢.

أما من الناحية العملية، فإن ابن جني قد خالف ما تبناه، فردّ قراءات وضعف أخرى، وهذا ما سيأتي، وزعم أن بعضها يحسن في الشعر ولا يحسن مثلها في القرآن إلى آخر ما قال، ومن ذلك:

ردّه لقراءة الحسن (الشياطون) وحكم بغلطها؛ لأنها عنده مما تداخل فيه الجمعان: السالم، والتكسير، فقال: ومن ذلك قراءة الحسن: ﴿وَمَا نُنزِّلُ بِهِ الشَّيَاطِينَ﴾ (الشعراء ٢١٠).

قال أبو الفتح: «هذا مما يعرض مثله الفصيح، لتداخل الجمعين عليه، وتشابههما عنده... وعلى كل حال ف«الشياطون» غلط»^(١).

ومن ذلك ردّه لقراءة [أَطَّرَهُ] لأنّ الضاد عنده لا تدغم في الطاء، فالضاد من جملة حروف (ضُمَّ شَفْرُ) التي دغم فيها الحروف، أما هي فلا تدغم في غيرها، وهو بذلك يحاكم القراءة المتقدمة التي هي الأصل لما أحدثه اللغويون من معايير متأخرة، قال: ومن ذلك قراءة ابن محيصن: ﴿أَضَطَّرُهُ﴾ (البقرة ١٢٦) يدغم الضاد في الطاء.

قال أبو الفتح: «هذه لغة مردولة، أعني: إدغام الضاد في الطاء؛ وذلك لما فيها من الامتداد والفسو؛ فإنها من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها، ولا تدغم هي فيما يجاورها»^(٢).

ومما ردّه ولم يستحسنه في القرآن قراءة [مُتَّكَأ] في: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَجْدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ (يوسف ٣١) فمثل هذا الإبدال لا يليق عنده بالقرآن الذي طالما قال فيه «أن يُختار له، ولا يختار عليه» وإنما مكانه ضرورة الشعر قال: قال أبو الفتح: أما «مُتَّكَأ» غير مهموز فمبدل من

١- المحتسب: ٢/ ١٣٣.

٢- المحتسب: ١/ ١٠٦.

مُتَّكًا، وهو مفتعل من تَوَكَّاتٍ، كَمُتَّجِهٍ من تَوَجَّهَتْ، ومُتَّعِدٍ من وَعَدَتْ. وهذا الإبدال عندنا لا يجوز في السعة؛ وإنما هو في ضرورة الشعر؛ فلذلك كانت القراءة به ضعيفة^(١).

ومما حكم عليه بأنه ضعيف جدًا قراءة أبي جعفر، ولم يقبل الاتباع الذي حدث فيها؛ لأن حركة الإعراب لا تستهلك لحركة الإتيان إلا على لغة ضعيفة فقال: «من ذلك قراءة أبي جعفر: [ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا] في: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (الأعراف ١١) بضم الهاء.

قال أبو الفتح: «هذا مذهب ضعيف جدًا؛ وذلك أن الملائكة مجرورة، ولا يجوز أن يكون حذف همزة «اسجدوا» وألقى حركتها على الهاء»^(٢).

وكذلك ضعف قراءة الكسائي (بما أنزلنيك) في: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الرَّبِّ لِيُزِيدَكُمْ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَيْنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة ٦٨)؛ لعدم اتفاق الإدغام فيها مع معاييرها التي ارتضاها، فعقد مقارنة بين الإدغام فيها وبين الإدغام في [لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي] في: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (الكهف ٣٨) قال فيها: «ولذلك ضعفت عندنا قراءة الكسائي: «بما أنزلنيك»؛ لأن اللام من أنزل مفتوحة، فلا ينقل عليها كسرة همزة إليك ثم يلتقي المثان متحركين، فيسكن الأول منهما، ويدغم في الثاني كما جعل ذلك في قوله: [لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي]؛ إذ كانت النون من لكن ساكنة فساغت حذف همزة أناء وإلقاء حركتها على النون قبلها، فصارت [لكننا]، فكره التقاء المثليين متحركين، فأسكن الأول منهما وأدغم

١- السابق: ١ / ٣٣٩.

٢- السابق: ١ / ٢٤٠.

في الثاني، فصار لکنّا كما ترى»^(١).

وبعد هذا العرض لأمثلة عارض فيها ابن جني بعض القراءات، وردّها ولم يقبل مثلها في القرآن، حرّی بنا أن نناقش الأسباب التي دعتّه إلى مثل هذا الذي يتعارض مع تعظيمه للقراءة «فالقراءة سنة متبعة»^(٢).

ظهر للباحث عدد من هذه الأسباب، فنذكرها وندلل عليها من كلامه، حتى لا يبقى الأمر محض افتراض:

• الاعتقاد بأن بعض القراء يختار القراءة دون رواية، فعند ذلك لا غضاضة من الرد والتضعيف، فقال في معرض رده لقراءة أبي السمال: [فَحَاسُوا] في: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ (الإسراء ٥)، بالحاء. «وهذا يدل على أن بعض القراءة يتخير بلا رواية، ولذلك نظائر.

ومن ذلك قراءة أبي بن كعب: [لِنُسُوءًا] (الإسراء ٧)، بالتنوين^(٣). وقد ردّ الزركشي (ت ٧٩٤) قول ابن جني بعد أن ساقه فقال: «وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ جَنِّيٍّ غَيْرٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْرَأَ إِلَّا بِالرَّوَايَةِ»^(٤).

• الاحتكام إلى قواعد اللغة التي قعدّها العلماء أو قوانينهم التي سنوها، فما وافق تلك القواعد، وتماشى مع تلك القوانين، فهو المقبول، وما خالف حكم بضعفه أو رده، كما في تضعيفه لقراءة أبي جعفر: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (الأعراف ١١) بضم الهاء.

١- السابق: ١ / ٢٤٢.

٢- المحتسب: ١ / ٢٩٢.

٣- السابق: ٢ / ١٥.

٤- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ، ٣ / ٣٨٨.

- النظر إلى الشائع من اللغات، والغفلة عما سواها، وهذا ما يشير إليه عند ذكره لأكثر من احتمال عند توجيه القراءة كقوله: وأما «شَطْوَةٌ»، بالواو، فلن يخلو أن يكون لغة، أو بدلاً من الهمزة^(١).

الخاتمة

وبعد الفراغ من هذا البحث الذي تناول جانبًا من أثر القراءة الشاذة في
الدرس اللغوي العربي، فإننا نذكر بأبرز النتائج التي توصل إليها:

- كان للقراءات القرآنية الشاذة أثر في بناء القواعد اللغوية أو تأييدها عند ابن جني في كتابه المحتسب، ووظف القراءات في دعم بعض الآراء، وترجيح بعضها على بعض.
- كان ابن جني منصفًا إلى حد كبير؛ فيوافق ويخالف بحسب ما ترجح لديه، فمال إلى آراء الكوفيين في أكثر من موضع.
- كان للقراءات القرآنية الشاذة أثر في ترجيحات ابن جني، وبيان فساد بعض القواعد، واستبعاد بعض الوجوه.
- كان للسمع والقياس دور في إثبات ما توصل إليه من نتائج.
- لم يكن ابن جني يبنّي قواعده أو يدمجها اعتمادًا على القراءة بشكل مستقل، بل يعضدها بشواهد العربية، وتوجيهات اللغويين، وكان يختار لها أفضل الوجوه.
- كان يكثر من ضم النظير إلى النظير، فيذكر للقراءة العديد من النظائر؛ ليؤكد قاعدته.
- كان ابن جني يفاضل بين القراءات، ويقوي بعضها على بعض، وكان يستند في ذلك إلى أمور منها: قوة الإعراب وموافقة القياس وموافقة المشهور من لغات العرب وقوة المعنى.
- ردّ قراءات وضعف أخرى، وعكس ذلك على القاعدة اللغوية، وزعم أنّ بعضها يحسن في الشعر، ولا يحسن مثلها في القرآن.

المصادر والمراجع

- البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ): تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، دار طبية للنشر والتوزيع، ط، ٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ): الخصائص، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط، ٤، (د. ت).
- الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ): الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي - القاهرة (د. ط) (د. ت).
- الحسنائي، غانم كامل سعود الحسنائي: التوجيه النحوي للقراءات الشاذة في المحتسب، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، ١٤٣٠ / ٢٠٠٩.
- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط، ١٤٢٠هـ.
- الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ): الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ): الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط، ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.
- السيرافي، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (المتوفى: ٣٦٨هـ): شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط، ٢٠٠٨، ١ م.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ): الاقتراح في أصول النحو، تحقيق: علاء وعبد الحكيم عطية، دار البيروتية، دمشق، ط ٢، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط ١، ١٤٣٢هـ.
- أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ): المسائل البصريات، تحقيق: د. محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، مطبعة المدني (د. م)، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ هـ.
- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي (المتوفى: ٨٢١هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).
- المبرد، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ): الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط ٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ): كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط ٢، ١٤٠٠هـ.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ): صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (د. ط)، (د. ت).
- ابن الوراق محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (المتوفى: ٣٨١هـ): علل النحو، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد - الرياض / السعودية، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

Sources and references:

- Al-Baghawi, Muhyi al-Sunna, Abu Muhammad al-Husayn ibn Mas`ud al-Baghawi (died: 510 AH): Tafsir al-Baghawi, investigation: Muhammad Abdullah al-Nimr, Thebes House for Publishing and Distribution, I, 4, 1417 AH - 1997 CE.
- Ibn Jenni, Abu Al-Fath Othman Ibn Jenni Al-Mawsali (died: 392 AH): Characteristics, Publisher: The Egyptian General Book Authority, i, 4, (d. T).
- ===== Calculated in explaining the faces of gay readings and clarifying them, Ministry of Awqaf - Supreme Council for Islamic Affairs, I, 1420 AH - 1999 AD.
- Ibn Hazm, Abu Muhammad Ali bin Ahmed bin Saeed bin Hazm Al-Andalusi Al-Qurtubi Al-Dhahiri (died: 456 AH): Chapter on Boredom, Passions, and Bees, Al-Khanji Library - Cairo (Dr. I) (Dr. T).
- Al-Hasnawi, Ghanem Kamel Saud Al-Hasnawi: Grammar Guidance for Abnormal Readings in Al-Muhtaseb, PhD Thesis, University of Kufa, 1430/2009. 5) Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Atheer al-Din al-Andalusi (d. 6) Al-Zarkashi, Muhammad bin Bahadir, Al-Burhan in the Sciences of the Qur'an, an investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Maarefa, Beirut, 1391 AH.
- Ibn al-Sarraj, Abu Bakr Muhammad ibn al-Serri ibn Sahl al-Nahwi known as Ibn al-Sarraj (died: 316 AH): origins in grammar, investigation: Abd al-Hussein al-Fatli, the Foundation of the message, Lebanon, Beirut.
- Sibawayh, Amr bin Othman bin Qanbar Al-Harhi with loyalty, Abu Bishr, nicknamed Sibawayh (died: 180 AH): The book, investigation: Abdul Salam Muhammad Haroun, Al-Khanji Library, Cairo, 3rd edition, 1408 AH-1988 CE.
- Al-Serafi, Abu Saeed Al-Serafi, Al-Hassan bin Abdullah bin Al-Marzban (died: 368 AH): Explanation of the Book of Sibawayh, by: Ahmed Hassan Mahdali, Ali Sayed Ali, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut - Lebanon, i, 1, 2008 AD.
- Al-Suyuti, Abd al-Rahman ibn Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti (died: 911 AH): The Proposal in the Foundations of Grammar, Achievement: Alaa and Abdel-Hakim Attia, Dar Al-Beirut, Damascus, 2nd edition, 1427AH-2006AD. 11) Al-Tayyar, Musaed bin Suleiman bin Nasser Al-Tayyar: The Linguistic Interpretation of the Holy Quran, Dar Al-Jawzi, Cairo, I, 1, 1432 AH. 12) Abu Ali Al-Farsi (d. 377 AH): Optics Issues, investigation: Dr. Muhammad Al-Shater Ahmad Muhammad Ahmad, Al-Madani Press (Dr. AD), i, 1, 1405 AH - 1985 AH.

- Al-Mabrad, Muhammad Ibn Yazid Al-Mabrad, Abu Al-Abbas (died: 285 AH): Al Kamil in Language and Literature, Achievement: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Fikr Al-Arabi - Cairo, I, 3, 1417 AH - 1997 AD.
- Ibn Mujahid, Ahmed bin Musa bin Al-Abbas Al-Tamimi, Abu Bakr bin Mujahid Al-Baghdadi (died: 324 AH): Book of the Seven in the Readings, investigation: Shawky Dhaif, Dar Al-Maaref - Egypt, 2nd edition, 1400 AH.
- Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hassan Al-Qushairi Al-Nisaboori (died: 261 AH): Sahih Muslim, investigation: Muhammad Fouad Abdel Baqi, Arab Heritage Revival House - Beirut (Dr. I), (D.T).
- Ibn al-Warraq Muhammad bin Abdullah bin al-Abbas, Abu al-Hasan, Ibn al-Warraq (died: 381 AH): grammar, investigation: Mahmoud Jassim Muhammad al-Darwish, Al-Rashid Library - Riyadh/Saudi Arabia, I 1, 1420 AH - 1999 AD.

الشبهات التي أثارها عدنان إبراهيم
حول حديث الرسول ﷺ
(خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) والرد عليها

**Suspicious Raised Adnan Ibrahim about
Hadith the Prophet peace and blessings Allah
(if Allah created Adam in his image) and Answering**

د. تھاني جميل بدري

جامعة الحدود الشمالية - المملكة العربية السعودية

Dr. Tahani Jameel badry

Northern Border University - Kingdom of Saudi Arabia

<https://doi.org/10.47798/awuj.2020.i60.06>



Abstract

Sunnah is the second source of Islamic legislation, a fact not challenged or turns naughty only hostile to Allah and his Messenger and the believers, contrary to what the nation's unanimous beforehand and even the hour.

Therefore the search aims to defend this Hadith and push false suspicions, the study revealed the suspicions held by the appellants of a valid hadith response edited in the two authentic narrations (sahihs), by linking what highlights the corruption of the appellant justifications to the suspicions that were previously raised about the hadith with heterogeneity and fallacy in dialogue and, The study recommended clarifying and studying what is being raised about the Sunnah of the suspicion of being pure in the command of Allaah.

Keywords: Suspicions, God created Adam in His picture, respond to suspicions.

ملخص البحث

تعدُّ السنة النبوية الشريفة المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وهذه حقيقة لا يعارضها أو يشغب عليها إلا شقي معاد لله ولرسوله وللمؤمنين، مخالف لما أجمعت عليه الأمة سلفاً وخلقاً حتى قيام الساعة.

ولذلك جاء البحث بعنوان «الشبهات التي أثارها عدنان إبراهيم حول حديث الرسول ﷺ (خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) والرد عليها، بهدف الدفاع عن هذا الحديث ودفع الشبهات الباطلة، مستخدمة المنهج التحليلي والاستقرائي، وتوصّلت الدراسة إلى كشف بطلان ما تمسك به الطاعنون من شبهات لردِّ حديث صحيح مخرج في الصحيحين من خلال توضيح ما يبرز فساد مبررات الطاعنين مع ربط الرد على شكوك الطاعنين بما أثير قديماً من شبهات حول الحديث بتغاير في الألفاظ ومغالطة في الحوار والإقناع، وأوصت الدراسة بتوضيح ودراسة ما يثار حول السنة من الشبهات لبقائها ناصعة بأمر الله تعالى

الكلمات المفتاحية: الشبهات، خلق آدم

على صورته، الرد على الشبهات.

المقدمة

بعث الله نبيه محمداً ﷺ داعياً إلى الهدى وسراجاً منيراً وأيده بالوحي والعصمة، فقد أكمل به الدين، وأتم الرسل وختمهم به، وحفظ الذكر قرآناً وسنة فقال عز من قائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩)، فحفظ القرآن لفظاً ومعنى، وحفظ السنة بأن سخر لها سبل الحفظ ابتداء من عصر الصحابة الكرام والتابعين ومن سار على منهجهم، وعندما تعرضت للتزوير والتحريف والتبديل سخر لها الجهابذة ينفون عنها تأويل المبطلين وتحريف الجاهلين، ولأن معركة الحق والباطل تتجدد في كل عصر وحين؛ فأهل الباطل لا يفترون عن مدافعتهم، لذلك وجهت الطعون والشبهات تجاه السنة النبوية منذ وقوع الفتنة حتى عصرنا الحالي؛ ففي هذا العصر تجد من يقده بالمسلمات الدينية والأحاديث الصحيحة التي أجمع علماء الأمة على تلقيها بالقبول بحجج وشبه واهية يجعلون فيها العقل المخلوق حاكماً على النصوص الشرعية التي لا مدخل للعقل فيها ليتسنى لهم التشكيك والطعن ومن ثم الإطاحة في السنة النبوية وهدم صرحها، وقد رفع لواء الطعن في هذا العصر المستشرقون وأذئابهم لخدمة أغراضهم الخبيثة وصب سمومهم الدفينة على السنة؛ ومن هذا القبيل ما ادّعه عدنان إبراهيم -أحد المعاصرين- على السنة مردداً ومكرراً طعوناً سابقة ومُضيفاً طعوناً أخرى مستندة إلى مخالفة الحديث للعقل والمنطق إقناعاً للخاصة قبل العامة ومن هذه الأحاديث حديث: (خلق الله آدم على صورته فطوله ستون ذراعاً) لذلك أثرت في هذا البحث أن أضع يدي على الشبهة التي أطلقها المشككون انطلاقاً من هذا الحديث؛ للرد عليهم وإبطال شبهتهم وتفنيدها من خلال دراسة الحديث دراسة موضوعية تلتزم الحيادية وتقوم على المنهجية العلمية في العرض والنقد^(١).

١ - تأتي دراسته في الصفحات القادمة (ص: ٨، ٩).

مشكلة البحث:

الشبهات التي رُمي بها هذا الحديث، والردّ عليها.

أسباب اختيار الموضوع:

- الردّ على الشبهات التي أطلقها عدنان إبراهيم في هذا الحديث، وكشف زيغها وبطلانها.

أهمية الموضوع:

تنبثق أهمية هذا البحث في وجوب إبطال شبه المشكّكين في السنّة النبوية المصدر الثاني للتشريع، ووجوب الدّفاع عنها ويتأكد هذا الواجب في حق المختصّين بدراسة علم الحديث الشريف، لتبقى هذه السنّة نقية صافية كما جاءت عن مبلّغها عليه أفضل الصّلاة وأتمّ التسليم.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الرد على الشبهات التي أثيرت حول حديث الرسول ﷺ (خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) والدفاع عنه وذلك بما يأتي:

- عرض ومناقشة ونقد ما تمسّك به عدنان إبراهيم من الشبهات العقلية للتشكيك في حديث الرسول ﷺ (خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ).
- عرض ومناقشة ونقد ما تمسّك به عدنان من إبراهيم من الشبهات المتعلقة بسند الحديث و متنه.
- المقارنة بين الشبهات التي أطلقها عدنان إبراهيم وبين تلك التي أطلقت قديماً في هذا الحديث.

- الردُّ على هذه الشبهات بجمع ما ردّه السابقون على مثل هذه الطعون ردًّا علميًّا، وإضافة ردودٍ جديدةٍ للشبهات المتعلّقة بعلم الأحياء والطب والتي ظهرت في هذه العصور المتأخّرة، من خلال المكتشفات والحقائق العلميّة.

منهج البحث: استخدمت في هذا البحث ثلاثة مناهج:

المنهج الاستقرائي: وذلك بجمع ما أثير حول حديث الرسول ﷺ: (خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ...) من شبهات مشكّكة، أثارها عدنان إبراهيم حول الحديث عبر وسائل الإعلام.

المنهج التحليلي: وذلك بمناقشة ما أثير حول الحديث، بتفنيذ النصوص وعرضها.

المنهج النقدي: والذي يظهر في الرد على الشبهات المثارة حول الحديث.

حدود البحث: يتمثل البحث في الشبهات التي رمي بها حديث الرسول ﷺ خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، والردّ عليها.

الدراسات السابقة:

تكلم العديد من العلماء الأفاضل على الشبهات التي طعنت في الأحاديث النبوية، وألفوا المؤلفات للردّ عليها؛ فالحديث الذي هو موضوع الدراسة عرضه ابن قتيبة، والمعلمي، وقد ردّوا على بعض الشبه التي أطلقها عدنان إبراهيم ومن قبله من المشكّكين، على اختلافهم منهجهم في تناولها من حيث طريقة عرضها واستيفائها، وبعضها لم أجد في الكتب المتقدمة ردًّا عليها وذلك لحدّاثه ظهورها واعتمادها على النظريات المعاصرة، أو لم تخدم طريقة عرضها تفنيذ الشبه بشكل واضح بسبب تناول بعض أجزاء الشبهة؛ فابن قتيبة حلّ التأويلات التي أطلقها عدنان في باب التشبيه فقط ورد عليها، والمعلمي ردّ على الطاعنين فيما

يتعلق بحجم سيدنا آدم- عليه السلام-، أما الشبهات العقلية فلم يتصدى للرد عليها أحد منهما؛ وجاء هذا البحث ليجمع تلك الردود المتفرقة، التي قيلت قديماً وحديثاً، ويُضيف ما استجد واستحدث في جميع تفاصيل شبههم وأجزائها للردّ عليهم في كل عصر وحين.

خطة البحث:

المقدمة، وتحتوي على مشكلة الدراسة، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه التعريف بالسنة وحجيتها ومكانتها، وتخريج الحديث الذي أطلقت عليه الشبهات.

المبحث الأول: شبهات متعلقة بلفظ الحديث وإسناده، ويندرج تحته ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: شبهة تشبيه الخالق بالمخلوقين، والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة استشكال شارح الصحيح (ابن حجر) في شرحه للحديث، والرد عليها.

المطلب الثالث: شبهة متعلقة بالراوي الذي روى هذا الحديث، والردّ عليها.

المبحث الثاني: الشبهات العقلية التي تمسك بها الطاعنون، ويندرج تحته مطلبان.

المطلب الأول: شبهة رد علماء الاحياء للحديث. والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة المشكلة الطبية البدنية التي يخلقها هذا الحديث لو صح. والرد عليها.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد:

التعريف بالسنة وحُجيتها ومكانتها.

قبل الشروع في تفنيد شبهة الطاعنين من أعداء السنة حول الحديث والرد عليها، لابد من التعرض إلى التعريف بالسنة ومكانتها.

السنة:

لغة: الطريقة كما في لسان العرب^(١)، ويسمي العرب الطريق: السنن^(٢).

فالسنة في اللغة: «الطريقة محمودة كانت أو مذمومة، ومنه قوله ﷺ: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعَمَلٌ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرٍ مَنْ عَمَلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَمَلٌ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمَلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ)»^(٣).

اصطلاحًا: تختلف باختلاف فنون أهل العلم:

فأهل الحديث يعرفونها: بأنها «كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها، فبحثوا عن رسول الله ﷺ الإمام الهادي الذي أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة، فنقلوا

١- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، ط: ٣، بيروت: دار صادر، (١٤١٤هـ) ١٣ / ٢٢٦، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، (٢٠١١)، دار الدعوة ٤٥٦ / ١.

٢- أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط: ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م). ٥١٤ / ١.

٣- أخرجه: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، في مسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي. في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ج: ٤، ص ٢٠٥٩، رقم الحديث ١٠١٧

كل ما يتصل به من سيرة وَخُلُقٍ وشمائل وأخبار وأقوال وأفعال، سواء أثبت ذلك حُكْمًا شرعيًّا أم لا»^(١).

«والأصوليون يعرفونها: «ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، فبحثوا عن الرسول المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده»^(٢).

أما عند الفقهاء «ما ثبت عن النبي ﷺ من غير افتراض ولا وجوب»^(٣).

لأنهم بحثوا عن الرسول الذي لا تخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوبًا أو حرمة أو إباحة أو غير ذلك^(٤).

وبعد توضيح اختلاف التعاريف للسنة إلا أن جميع أهل العلم اتفقوا على أن السنة هي المادة المنقولة عن النبي ﷺ، وهي ما شرع الرسول من الدين قولاً أو فعلاً أو تقريراً، وما اختلفت تعاريفهم إلا لاختلاف أغراض العلوم الشرعية التي يدرسونها ويجمعونها وما الهدف الذي يخدمه، فما يهدف إليه الفقيه يختلف عما يهدف إليه المحدث من جمع العلم ودراسته.

مكانة السنة النبوية في الشريعة الإسلامية وحجيتها

إن السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وهذه حقيقة لا يعارضها إلا مخالف لما أجمعت عليه الأمة سلفاً وخلفاً حتى قيام الساعة.

وتتجلاً مكانة السنة النبوية من القرآن من عدة وجوه؛ بأن تكون موافقة له، أو مؤكدة لأحكامه، أو مبيّنة له تفصيلاً للمجمل وتوضيحاً للمشكّل وتخصيصاً

١- المرجع السابق ٦٥، ٦٧.

٢- المرجع السابق ٦٥، ٦٧.

٣- المرجع السابق ٦٦، ٦٧.

٤- المرجع السابق ٦٦، ٦٧.

للعام وتقييداً للمطلق وتبييناً للمبهم، أو أن تأتي بأحكام لم ينصّ عليها القرآن الكريم^(١).

قال الإمام الشوكاني: (إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظّ له في الإسلام)^(٢).

فالرسول -صلى الله عليه وسلم- لا ينطق إلا عن وحي من الله تعالى لقوله ﴿ وَمَا يَطُوقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ۖ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٣ - ٤)، ولا يقول في الدين إلا بما يوحى به الله إليه لقوله: ﴿ وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ ۖ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢)، وطاعته ﷺ فرض على كل مؤمن، ثم إن الله أتبع طاعته بطاعة رسوله وجعل فيها الرحمة لقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٣٢)، ووجه إلى الاحتكام لرسوله ﷺ والرضا والتسليم له، والأخذ عنه وجعلها آية للإيمان لقوله تعالى: ﴿ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۚ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء: ٥٩) فتبين أن هذا الكيان الإسلامي من كتاب وسنة لا يفصل بينهم، وهو الدين الذي ارتضاه ربنا -جلّ وعلا- للناس وبه تستقيم حياتهم وتزدهر.

فأقول من كل هذا تتضح مكانة السنّة النبوية من التشريع الإسلامي وتبرز حجيتها، وأنها من حيث الحجية في منزلة القرآن المجيد وتعتبر الأصل الثاني بعده.

إلا أنه لم يرق لأعداء الإسلام قديماً وحديثاً إلا أن يشككوا المسلمين في دينهم وينالوا منه فوجهوا سهامهم إلى السنة النبوية وذلك لتصورهم صعوبة النيل من

١- الحسين شواط، حجية السنة وتاريخها، ط: ١، حقوق الطبع محفوظة للجامعة الأمريكية العالمية، (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م) ص ٢٠٢.

٢- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، ط: ١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، مصر: دار الكتاب العربي ص ٩٧.

القرآن الكريم فأثاروا شبهةً عدة تحط من قدر السنة بزعمهم وتلغي الاحتجاج بها، ولكن تجلت قدرته -جل وعلا- في امتداد تعهده بتكفل حفظ الذكر إلى يوم القيامة بأن قيض علماء تصدوا لذلك برد أي طعون وجهت إلى السنة فكان من ثمرات هذه المقامات المحموده كل كتاب ألف في سبيل الدفاع عن السنة.

تخريج حديث البحث:

(خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيكَ نَفَرٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحْيُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحْيَتُكَ وَتَحْيِي ذُرِّيَّتَكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَ حَتَّى الْآنَ)^(١).

ولحديث البحث روايات أخرى خرجتها في مواضعها خشية الإطالة والتكرار، ويوجد بأسانيد متصلة في بعض الأجزاء الحديثية والجوامع والمصنفات والصحاح كصحيح ابن حبان، وجامع معمر بن راشد، وعبدالله بن أحمد في السنة، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، وابن خزيمة في «التوحيد»، واللالكائي في «أصول الاعتقاد».

١- مداره: على عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ. أَخْرَجَهُ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَّارِيُّ، فِي الْجَامِعِ الْمُسْنَدِ الصَّحِيحِ الْمُخْتَصَرِ مِنْ أُمُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسُنَنِهِ وَأَيَّامِهِ (صحيح البخاري) دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م. في كتاب الاستئذان، باب بدء السلام ١٥٥٤ ح ٦٢٢٧، ومسلم، الصحيح، كتاب صفة الجنة ونعيم أهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ٤/ ٢١٨٣ ح ٢٨٤١. بمثله. بإسناد متصل: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا

المبحث الأول: الطعن في حديث الرسول ﷺ (أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) من خلال لفظ الحديث وإسناده.

لجأ عدد من المشككين والطاعنين بالسنة إلى أخذ هذا الحديث الشريف وإطلاق الشبهات عليه من جوانب عديدة قديماً وحديثاً للوصول إلى بغيتهم من تشكيك الأمة في أصول شرعها^(١).

فطعنوا في متن الحديث؛ سواء بفهمه العام، أو شرح الشراح له، وتغيير الألفاظ، ودس الحقائق للتمويه وإظهار الباطل، لا سيما وأن هذا الحديث أخرجه الشيخان في صحيحهما اللذين تلقتهما الأمة بالقبول، فالتشكيك بهذا الحديث الموجود في الصحيحين تشكيك بهما، ورد لأحاديثهما ومصداقيتهما.

المطلب الأول: شبهة تشبيه الخالق بالمخلوقين، والرد عليها.

ومما رُمي به هذا الحديث أنه من أحاديث التشبيه وفيها افتراء على الله تعالى فقالوا: رويتم عن النبي ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) والله -تبارك وتعالى- يُجَلُّ عن أن يكون له صورة أو مثال^(٢)، وجاءت هذه الشبهة من قبل النظام المعتزلي وأهل الاعتزال قديماً ركزوا على هذه المسألة من باب أنها تشبيه الخالق بالمخلوق.

وطعن في هذا الحديث في زمننا المعاصر عدنان إبراهيم فقال فيه مقالات كثيرة تنبثق من معتقده بأن ليس كل ما في البخاري ومسلم صحيحاً.

فكان طعنه في الحديث كطعن السابقين في مسألة التشبيه:

١- الحسين شواط، حجية السنة وتاريخها، ١٤٦.
٢- أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تأويل مختلف الحديث، دراسة وتحقيق: نور الله شوكت بيكر، ط١، بيروت: مؤسسة الريان، المكتبة المكية، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). ٥٩٥.

ونص شبهته وكلامه: أن الرسول ﷺ قال: «خلق الله آدم على صورته»، وهنا علامة استفهام كبيرة، وما المقصود؟ صورة الله - عز وجل - أو صورة آدم؟ نحن نرجح على «صورتى»؛ بمعنى على صورة آدم، فآدم لم يترق ولم يتطور في الخلقة، وإلا الشبهة قائمة بما أن همام بن منبه أصله يهودي وأسلم قد يحتمل أن يُراد على صورة الرحمن لأن هذا مكتوب في التوراة، نخلق بشراً على صورتنا، فانتبهوا لأن هذا حديث الصورة، اسمه حديث الصورة، وفي حديث أبي مسعود الأنصاري أيضاً قال النبي ﷺ: (لا تضربه، فإن خلق الله آدم على صورته)^(١)، صرح في بعض الطرق بأنه على صورة الرحمن، وهذا من دسيس الإسرائيليات قال الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، نحن لسنا على شكل الله، الله ليس له هذا الشكل، أعوذ بالله يا أخي..... (نص كلامه من اليوتيوب).

الرد على الشبهة:

تصدى للرد على هذه الشبهة منذ الزمن الماضي في القرن الثالث ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم في مجمل كتابه (تأويل مختلف الحديث)^(٢) الذي ألفه لغرض الدفاع عن سنة المصطفى ﷺ فحلّ التأويلات التي تتعلق بجانب التشبيه والتجسيم.

فقال في مجمل رده: نحن نقول كما قالوا: أن الله تعالى، وله الحمد، يجل عن أن يكون له صورة أو مثال، غير أن الناس ألفوا الشيء وأنسوا به، فسكتوا عنده، وأنكروا مثله، ألا ترى أن الله تعالى يقول في وصفه نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، يريد: ليس كهو شيء، فخرج هذا مخرج كلام العرب.

١- سيأتي تخرج الحديث في موضعه لتعلقه بالرد على الشبهة.

٢- ينظر الرد: ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ٥٩٦ وما بعدها إلى ٦٠٠. وسأورده بإذن الله.

ثمّ طرح ابن قتيبة مسائل التشبيه وأجاب على عدد من التساؤلات على النحو الآتي:

أولاً: مسألة اضطراب الناس في تأويل قول رسول الله ﷺ: (إِنَّهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)، فقال قوم من أصحاب الكلام: أراد خلق آدم على صورة آدم، لم يزد على ذلك، ولو كان المراد هذا، ما كان في الكلام فائدة.

ومن يشكّ في أن الله خلق الإنسان على صورته، والسباع على صورها، والأنعام على صورها؟

وقال قوم: أن الله تعالى خلق آدم على صورة عنده، وهذا لا يجوز، لأن الله -تبارك وتعالى- لا يخلق شيئاً من خلقه على مثال.

ثانياً: وقال قوم في الحديث: (لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)^(١) يريد أن الله خلق آدم على صورة الوجه. وهذا بمنزلة التأويل الأول، لا فائدة فيه. والناس يعلمون أن الله تبارك وتعالى خلق آدم على خلق ولده، ووجه على وجوههم.

ثالثاً: وزاد قوم في الحديث: (أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ يَضْرِبُ وَجْهَ آخَرَ، فَقَالَ: (لَا تَضْرِبْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) أَيَّ صُورَةِ الْمَضْرُوبِ، وَفِي هَذَا الْقَوْلِ مِنَ الْخَلَلِ مَا فِي الْأَوَّلِ).

رابعاً: حمل قوماً على أن زادوا في الحديث، فقالوا: روى ابن عمر عن النبي

١- أخرجه / أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، في السنة، (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، ط: ١، بيروت: المكتب الإسلامي، (١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م). ١/ ٢٢٩، ح ٥١٨. وقال الألباني في ظلال الجنة: «حديث صحيح وإسناده ضعيف وهو مكرر الذي قبله لكنه بلفظ على صورته وهو اللفظ المحفوظ في الحديث من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومن ألفاظه هذا اللفظ أخرجه الأجرى عنه بالحرف الواحد».

ﷺ: (فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خلقَ آدمَ على صُورَةِ الرَّحْمَنِ)^(١)، يريدون أن تكون الهاء في صورته لله جل وعز، وأن ذلك يتبين بأن يجعلوا الرحمن مكان الهاء، (كما تقول: إن الرحمن خلق آدم على صورته، فركبوا قبيحًا من الخطأ.

ثم علق أخيراً بعد هذا الطرح قائلاً: ولم أر في التأويلات شيئاً أقرب من الاطراد، ولا أبعد من الاستكراه من تأويل بعض أهل النظر، فإنه قال فيه: أراد: أن الله - عز وجل - خلق آدم في الجنة على صورته في الأرض. كأن قوماً قالوا: إنَّ آدم كان من طوله في الجنة كذا، ومن حليته كذا، ومن نوره كذا، ومن طيب رائحته كذا لمخالفة ما يكون في الجنة، ما يكون في الدنيا.

واستأنس بحديث ابن عباس: (أن موسى ﷺ ضرب الحجر لبني إسرائيل فتفجّر، وقال: اشربوا يا حمير، فأوحى الله تبارك وتعالى، إليه: عمدت إلى خلق من خلقي، خلقتهم على صورتي، فشبهتهم بالحمير؟! فما برح حتى عوقب)^(٢) هذا معنى الحديث.

ثم عقب بقوله: والذي عندي - والله تعالى أعلم - أن الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع، والعين. وإنما وقع الإلف لذلك لمجيئهما في

١ - أخرجه: أبو بكر بن أبي عاصم في السنة ١/ ٢٢٨، ح ٥١٧. وقال الألباني في ظلال الجنة: «إسناده ضعيف ورجاله ثقات كلهم رجال البخاري، وعلته عنعن حبيب بن أبي ثابت فإنه كان يدلس، وكذلك الأعمش وقد خولف في إسناده من قبل سفيان الثوري، فقال: عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَرْسَلَهُ.

٢ - وعلق القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء (المتوفى: ٤٥٨هـ)، في إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، الكويت: دار إيلاف الدولية، ١/ ٩٧ ح ٨٥، بعد ذكره لهذا الحديث بسنده المروي عن ابن عباس فرواه بلفظ: (قال: غضب موسى على قومه في بعض ما كانوا يسألونه، فلما نزل الحجر، قال: اشربوا يا حمير، فأوحى الله إليه: تعمد إلى عبيد من عبيدي خلقتهم على مثل صورتي فتقول: اشربوا يا حمير، قال: فما برح حتى أصابته عقوبة) أعلم أنه يجب أن يحمل قوله فإن ابن آدم، وإن وجه ابن آدم خلق على صورة الرحمن المراد به: آدم، فحذف المضاف وهو آدم وأقام المضاف إليه وهو ابن آدم مقامه، وقد جاء القرآن بهذا قال تعالى في سورة الكهف: ٣٧: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ وتقديره: خلق أبك آدم من تراب ثم أنشأك من نظفة وكذلك قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَأَرْبَابٍ فِيهَا وَارَبٌ اللَّهُ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ سورة الحج وتقديره: خلق أباكم آدم من تراب ثم أنشأكم من نظفة.

القرآن، ووقعت الوحشة من هذه، لأنها لم تأت في القرآن. ونحن نوّمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية، ولا حدًّا^(١).

الخلاصة: وبهذا القول الذي توصل إليه ابن قتيبة - رحمه الله - أرى أنه ذهب مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات وذلك بعدم القول بكيفيتها إنما الإيمان بها على طريقة السلف في باب الأسماء والصفات أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل، فنثبت ما أثبتته الله لنفسه وننفي ما نفى الله عن نفسه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل^(٢).

المطلب الثاني: استشكال شارح الصحيح (ابن حجر) في شرحه للحديث، والرد عليها.

طعن في حديث البحث بشبهة تنص على أن شارح صحيح البخاري ابن حجر في كتابه فتح الباري - شرح صحيح البخاري - استشكل عليه فهمه، ولم يستطع إتمام الشرح ومضى لغيره من الأحاديث.

فقال أبو رية في كتابه أضواء على السنة المحمدية، في أثناء كلامه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يأخذ من كعب الأخبار ويجالسه ويحدثه، وذكر الحديث، ثم قال: «وقد انتقد هذا الحديث من إحدى نواحيه ابن حجر في الفتح فقال ويشكل على هذا من الآن الآثار للأمم السالفة كديار عاد وثمود فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة في الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب الذي ذكره أبو

١- ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ٥٩٦ وما بعدها إلى ٦٠٠.

٢- محمد بن عبد الرحمن الخميس، شرح الرسالة التدمرية، دار أطلس الخضراء، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص ٧١.

هريرة، وأنكر مالك هذا الحديث^(١).

وقال عدنان إبراهيم أيضاً أن الحافظ ابن حجر عندما شرح الحديث استشكل عليه هو نفسه، فقال^(٢): «وهذا من المرات المعدودة في فتح الباري استشكل شيئاً بخصوص هذا الحديث، الحديث نفسه أشكل عليه، كيف؟ قال هذا الحديث بظاهره يُخالف ما عُرفَ وروى من آثار الأقوام البائدة كمساكن ثمود، انظروا إلى ابن حجر، فابن حجر عقلية علمية هنا، وفي أيامه لم يُوجد علم الجيولوجيا ولا هذه الأشياء، ولكن هكذا بعقل علمي وبمنهج علمي قال مساكن ثمود موجودة وأبنية لهم في الحجر وفي غير هذا، ثم قال واضح من مساكنهم ومن آثارهم أنهم لم يكونوا أعظم منا ولا أطول منا، أي أنهم كانوا مثلنا، مثلما نقول الآن المومياءات المصرية في طولنا وأحياناً أقصر قليلاً منا، هذا نفس الشيء، نفس الطول البشري الذي يصل إلى مائة وستين أو مائة وسبعين أو مائة وخمسة وخمسين سنتيمتراً، هذا أمر عادي وهو موجود من آلاف السنين، أي من ألاف السنين، فابن حجر يقول حتى مساكن ثمود تُؤكّد أنهم كانوا في مثل قاماتنا، على أن المسافة بينهم وبين أيهم آدم أدنى من المسافة التي بينهم وبيننا، هل فهمتم كيف؟ هذه عقلية علمية، ثم قال الحافظ بن حجر ولم يقع لي إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال ومضى».

الردّ على الشبهة: عندما أتصدى للردّ على هذه الشبهة لا بدّ من ذكر شرح الحافظ ابن حجر للحديث بتمامه في كتابه الفتح^(٣) فقال:

١- محمود أبو رية، أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، ط: ٦، القاهرة: دار المعارف، ١٨٢، ١٨١. وتام كلام أبو رية: ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة، أن خلقَ الله آدمَ على صورته، وهذا الكلام قد جاء في الإصحاح الأول من التوراة (العهد القديم) ونصه هناك: وخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، وعلق عليه في الحاشية بذكر روايات الحديث فقال: وطوله أي آدم ستون ذراعاً، وفي رواية على صورة الرحمن.

٢- سأورد كلام عدنان إبراهيم بوضوح من البوتوب.

٣- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، ٦ / ٣٦٧.

«(كل من يدخل الجنة على صورة آدم) أي على صفته، وهذا يدل على أن صفات النقص من سواد وغيره تنتفي عند دخول الجنة».

ثم فسر قوله ﷺ: (وطوله ستون ذراعاً) وإثبات الواو فيه لئلا يتوهم أن قوله «طوله» تفسير لقوله «على صورة آدم»، وعلى هذا فقوله (وطوله إلخ) من الخاص بعد العام، وأورد عدداً الروايات في شرحه، أولها: ما عند أحمد^(١) من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً (كان طول آدم ستين ذراعاً في سبعة أذرع).

وثانيها: ما روي عن عبدالرزاق^(٢) من وجه آخر مرفوعاً (أن آدم لما أهبط كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء فحطه الله إلى ستين ذراعاً)، وعقب ابن حجر فقال: فظاهره أنه كان مفرط الطول في ابتداء خلقه وظاهر الحديث الصحيح أنه خلق في ابتداء الأمر على طول ستين ذراعاً وهو المعتمد.

١- أخرجه: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، في المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: ١، مؤسسة الرسالة، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م). مسند أبو هريرة ١٤ / ٢١٠ ح ٨٥٢٤. ولفظه: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مُرْدًا بِيضًا جَعَادًا مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ: سَبْعِينَ ذِرَاعًا فِي سَبْعَةِ أَذْرَعٍ». وقال محققو المسند (شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد): «حديث حسن بطرقه وشواهدة دون قوله: في سبعة أذرع».

٢- أخرجه: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، في المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: ٢، بيروت: المكتب الإسلامي، (١٤٠٣هـ) ٥ / ٩١ ح ٩٠٩٠٠ مقطوعاً على عطاء بن أبي رباح، ولم أقف عليه مرفوعاً كما ذكر الحافظ. وتماهه: (لَمَّا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ كَانَ رَجُلَاهُ فِي الْأَرْضِ وَرَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ، يَسْمَعُ كَلَامَ أَهْلِ السَّمَاءِ وَدُعَاءَهُمْ، فَانْسَ إِلَيْهِمْ، فَهَابَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُ حَتَّى شَكَتْ إِلَى اللَّهِ فِي دُعَائِهَا وَفِي صَلَاتِهَا فَأَخْفَضَهُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَمَّا فَقَدَ مَا كَانَ يَسْمَعُ مِنْهُمْ اسْتَوْحَشَ، حَتَّى شَكَى إِلَى اللَّهِ فِي دُعَائِهِ وَفِي صَلَاتِهِ، فَوَجَّهَهُ إِلَى مَكَّةَ، فَكَانَ مَوْضِعَ قَدَمِهِ قَرْيَةً، وَخَطْوَتَهُ مَفَازَةً حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَكَّةَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ يَأْقُوتَةَ مِنْ يَأْقُوتِ الْجَنَّةِ، فَكَانَتْ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ الْآنَ، فَلَمَّ يَزَلْ يُطَافُ بِهِ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ الطُّوفَانَ فَرَفَعَتْ تِلْكَ الْيَأْقُوتَةَ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ فَبَنَاهُ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾).

وثالثها: وما روي عن ابن أبي حاتم بإسناد حسن عن أبي بن كعب مرفوعاً:
(أن الله خلق آدم رجلاً طويلاً كثيراً شعر الرأس كأنه نخلة سحوق)^(١).

قوله: (فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن) أي أن كل قرن يكون نشأته في
الطول أقصر من القرن الذي قبله فانتهى تناقص الطول إلى هذه الأمة واستقر
الأمر على ذلك.

هذا كل ما جاء من شرحه:

- فهل يوجد ما يخلق إشكالاً من قبل الحافظ ابن حجر؟
- فكل ما فعله هو توضيح الحديث والتحقق من معانيه.

وما نقل من كلام عنه في كتابه فهو موجود فعلاً وليس من كلام الحافظ
ابن حجر نفسه وإنما نقلًا عن ابن التين^(٢) الذي قال: (فلم يزل الخلق ينقص) أي
كما يزيد الشخص شيئاً فشيئاً ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين ولا اليومين، حتى
إذا كثرت الأيام تبين فذلك هذا الحكم في النقص، ويشكل على هذا ما يوجد
الآن من آثار الأمم السابقة كديار ثمود فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن
مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق، ولا شك أن عهدهم قديم

١- أخرجه: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني
النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، في المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى
عبد القادر عطا، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م). كتاب التفسير ٢/ ٢٨٨ ح
٣٠٣٨. فقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وقال الذهبي في التلخيص: «صحيح».
قال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، في جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير
بعلبكي، ط: ١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م. ١/ ٥٣٢: نخلة سحوق: طويلة وأجمع سحوق.
٢- فله كتاب اسمه (المخبر الفصيح الجامع لفوائد مسند البخاري الصحيح)، وقد ذكرت الباحثة هدى
محمد عبدالرحمن آل عبد الجبار، في استدراقات الحافظ ابن حجر الحديثية في فتح الباري، كلية
الدراسات العليا، الرياض: جامعة الملك سعود، (١٤٢٥هـ) ص ٦، أنه مفقود. وابن التين هو عبد
الواحد بن التين السفاقي المغربي المحدث المالكي، له شرح الجامع الصحيح للبخاري في مجلدات.
هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباتي البغدادي،
(المتوفى: ١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١، أعادت طبعه
بالأوفست، بيروت: دار إحياء التراث العربي. ١/ ٦٣٥.

وأن الزمان الذي بينهم وبين آدم دون الزمان الذي بينهم وبين أول هذه الأمة. وعقب ابن حجر بقوله: «ولم يظهر لي إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال»، بعد أن شرح وفسر اللفظ بما يوضح المعنى ويرتضيه في شرحه أولاً، وما هو مشكل.

والإشكال^(١) ليس من ابن حجر إنما من قول ابن التين فالحافظ ابن حجر في شرحه لفتح الباري نقل من ابن التين - وقد سبقه في شرح صحيح البخاري - أقوالاً كثيرة، وكان يعقب عليه أحياناً في مواضع^(٢)، فلو ارتضاه وفهمه ابن حجر لم يشكل عليه، إلا أنه في هذا الموطن لم يردّ عليه بل سرد قوله ثم ذكر رأيه في شرح ابن التين بأنه إشكال إذ كان هذا القول صواباً.

وعلى فرض أن الحافظ ابن حجر استشكل هذه المسألة فقد ردّ المعلمي اليماني على ما طعن به أبو رية وهو ما طعن به نفسه عدنان لردّ الحديث والتشكيك فيه.

فقال المعلمي: «لم يتحقق بحجة قاطعة كم مضى للجنس البشري منذ خلق آدم؟ وما في التوراة لا يعتمد عليه، وقد يكون خلق ستين ذراعاً فلما أهبط إلى الأرض نقص من طوله دفعة واحدة ليناسب حال الأرض إلا أنه بقي أطول مما عليه الناس الآن بقليل ثم لم يزل ذلك القليل يتناقص في الجملة. والله أعلم وفي فتح

١- قال ابن قتيبة: «سمي مُشكلاً: لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله، ثم قد يقال لما غمض وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة مشكل». ينظر: تأويل مشكل القرآن، لأبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، لبنان: دار الكتب العلمية، ص ٦٨. وعرف محمد بزمول المشكل: «بأنه الأحاديث المقبولة التي يشبه معناها، ويلتبس، فيشعر بحسب الظاهر بالتضاد أو التناقض، سواء كان ذلك بين حديث وحديث أو الحديث نفسه، أو حديث وآية، أو الحديث وأصل شرعي أو أمر عقلي أو عادي». ينظر له: علم مختلف الحديث ومشكلة، موقع الدكتور بجامعة أم القرى (كتبه وأبحاثه)، <https://uqu.edu.sa/mobazmool/>، ٢٩٧٧٨ ص ١٥.

٢- وكان يرد عليه في مواطن كثير مثل رده عليه عندما قال لصنيع البخاري لا يناسب التبويب، ١٠ / ٢٦٢، وفي ذكره لقوله وقول الداودي وتقويته لقول الداودي ١٠ / ٢٣٠، وفي رده للضبط الذي ضبطه للفظ ١٠ / ٢٢٧. وغيرها كثير. ومما يُذكر هنا أنني وقفت في ملتقى أهل الحديث على أن أحد طلاب جامعة الزيتونة قد سجل رسالة عن ابن التين السفاقي الخبير الفصيح، وكان مشرفه يصغر عليه لتبعية المواطن التي رد بها ابن حجر على ابن التين ونقده.

الباري (روى ابن أبي حاتم بإسناد حسن عن أبي بن كعب مرفوعاً: إن الله خلق آدم رجلاً طويلاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق)^(١)، وبالنسبة لإنكاره على مالك هذا الحديث، فلم يذكر أبو رية مصدره إن كان له مصدر، إلا أن الذهبي نقل عن ابن القاسم سألت مالكاً عمّن حدث بالحديث: الذين قالوا: إن الله خلق آدم على صورته)^(٢)، فأنكر مالك ذلك إنكاراً شديداً ونهى أن يحدث بها أحد، فقيل له: إن ناساً من أهل العلم يتحدثون به، فقال: من هو؟ قيل ابن عجلان، عن أبي الزناد، قال: لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الأشياء، ولم يكن عالماً، وذكر أبا الزناد، فقال: لم يزل عاملاً لهؤلاء حتى مات^(٣).

فقال الذهبي: «أنكر مالك ذلك، لأنه لم يثبت عنده، ولا اتصل به، فهو معذور، كما أن صاحبي الصحيحين معذوران في إخراج الحديث لثبوت سندهما»^(٤).

ومما يدل على أن الذهبي لم ينكر ذلك، والتمس لمالك أنه لم تصله أسانيد الروايات. مما يؤيد شدة التحري في القبول والاعتماد في قبول الروايات على عدلة الناقلين فهذا المعول عليه فصيانة الحجة والمحافظة عليها من التبديل والخطأ بعدالة حاملها وحرصهم، فعندما انتفت العدالة حرفت التوراة والإنجيل مع أن اليهود والنصارى كانوا يكتبونها^(٥).

١- سبق تخريجه ص ١٤.

٢- وعدد من الأحاديث وهي الحديث الذي جاء: (أن الله يكشف عن ساقه)، (وأنه يدخل يده في جهنم حتى يخرج من أراد) وليست لها علاقة بالحديث الذي أثبت حول الشبهة. ينظر المصدر السابق.

٣- عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني (المتوفى: ١٣٨٦هـ)، الأنوار الكاشفة لما في كتاب «أضواء على السنة» من الزلل والتضليل والمجازفة، بيروت: عالم الكتب، المطبعة السلفية ومكبتها، (١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م) ١٨٧.

٤- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، القاهرة: دار الحديث، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ٧/ ١٨٣.

وبهذا يتضح زيف ما تمسك به الطاعنون في الحديث برميهم استشكال ابن حجر عليه عندما شرحه في الفتح، وإن سلم بالإشكال فردّ المعلمي شافٍ فأحوال اللجنة لا تقاس بأوضاع الدنيا فهي من الأمور الغيبية المسلم بها، والحديث يوضح أن الله تعالى أمر آدم بالسلام على الملائكة فحاله كان في الجنة، وإنكار مالك الذي ذكره أبو رية مع أنه لم يذكر مصدره الذي نقل منه إنكار مالك، لو ثبت وصح على قول الذهبي أنه أنكر لأنه لم يقف عليه ولم يثبت عنده والبخاري ومسلم جمعا الأحاديث بعد مالك ولا يتوقع من أي شخص أن يجمع كل ما له علاقة بالعلم الذي يشتغل عليه فما يفوته يحضر غيره وما يحضره يفت غيره وهذا طبع البشر في النقص وعدم الكمال ففوق كل ذي علم عليم.

المطلب الثالث: شبهة متعلّقة بالراوي الذي روى هذا الحديث، والرّد عليها.

طعن أيضًا الدكتور عدنان إبراهيم في الحديث بأن راوي هذا الحديث كان يهوديًا ثم أسلم فقال من جملة ما وجّه من كلام: حديث مخرج في الصحيحين برواية همام بن منبه^(١) وهو أخ لوهب بن منبه كلاهما كانا يهوديين وأسلما، وتابع

١- همام بن منبه اليماني، أبو عقبة الصنعاني الابنابي، أخو وهب بن منبه، ومعمل بن منبه، وغيلان بن منبه، وكان أكبر من وهب، ويُقال: إن وهبا كان الأكبر، صاحب تلك الصحيفة التي كتبها عن أبي هريرة وهي نحو من مائة وأربعين حديثًا. قال أحمد بن حنبل: كان يغزو، وكان يشتري الكتب لأخيه، فجالس أبا هريرة بالمدينة، وعاش حتى أدرك ظهور المسودة وسقط حاجباه على عينيه من الكبر. قال ابن معين: «همام بن منبه ثقة». ووثقه ابن شاهين، وابن حجر، وقال الذهبي: صدوق. ينظر: ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، ابن أبي حاتم الرازي (المتوفى: ٣٢٧هـ)، في الجرح والتعديل، ط: ١، بحيدر آباد الدكن - الهند: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٢٧١هـ - ١٩٥٢ م). ١٠٧/٩ ترجمة ٤٥٣. أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداد البغدادي، المعروف بـ ابن شاهين (المتوفى: ٣٨٥هـ)، في تاريخ أسماء الثقات، تحقيق: صبحي السامرائي، ط: ١، الكويت: الدار السلفية (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م). ٢٥١ ترجمة ١٥٣٨.

أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط: ١، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٠هـ، ٣٠/٢٩٨ ترجمة ٦٦٠. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، في الكاشف=

طعنه. ثم قال: وإلا فالشبهة قائمة بما أن همام بن منبه أصله يهودي وأسلم.

الردّ عليه: همام بن منبه، عالم جليل فضيل من رواة الكتب الستة، أخرج له البخاري في صحيحه ما يقارب ثلاثاً وسبعين رواية^(١)، وما مصدره بأن راوي الحديث وأخاه كانا يهوديين وأسلموا، فلم تكتب أو تنبه كتب التراجم على ذلك بأنّ كليهما أو راوي الحديث يهودي وأسلم، فقال المعلمي في كتاب الأنوار الكاشفة^(٢): «وأما وهب بن منبه فولد في الإسلام سنة ٣٤هـ وأدرك بعض الصحابة ولم يعرف أن أحداً منهم سمع منه أو حكى عنه وإنما يحكى عنه من بعدهم».

وكان وهب بن منبه متعهد بيت المال في زمن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: «فمرة كتب له «إني فقدت من بيت مال اليمن دنائير». فكتب إليه عمر: «أما بعد فإني لست أتهم دينك ولا أمانتك ولكنني أتهم تضييعك وتفريطك وإنما أنا حجيج المسلمين في مالهم وإنما لأشحمهم فاحلف لهم والسلام»^(٣).

= في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة، أحمد محمد نمر الخطيب، ط: ١، جدة: مؤسسة علوم القرآن - دار القبة للثقافة الإسلامية، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) ٢ / ٣٣٩ ترجمة رقم ٥٩٨٤. وله سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ٣١٢ / ٥.

أحمد بن علي بن محمد بن أحمد أبو الفضل بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، في تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط: ١، سوريا: دار الرشيد، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م). ص ٦٦٧ ترجمة ٧٣١٧.

يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، الحنبلي، ابن المبرد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم، تحقيق وتعليق: الدكتورة روجية عبد الرحمن السويفي، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م). ١٦٥ ترجمة رقم ١١٠٨.

١- جمعها وحصرتها من كتاب صحيح البخاري وهي الأحاديث التالية: ١٣٥، ٢٣٧، ٢٧٨، ٢٠٧٣، ٢٤٠٠، ٢٤٣٢، ٣٢٤٥، ٣١٢٤، ٧٤٩٨، ٢٠٣٦، ٦٦٢٥، ٦٠٦٤، ٦٦٠٩، ٥١٩٢، ٤٦٤١، ٦٥٩٩، ٦٢٢٧، ٣٣٢٦، ٥٩٤٤، ٥٧٤٠، ٥٣٦٠، ٥٢٢٣، ٥١٥٧، ٤٩٧٥، ٤٨٥٠، ٤٧١٣، ٥٧٥، ٧٢٢، ٤٢، ١١٣، ٢١٩، ٣٢١، ٤١٦، ٢٥٥٢، ٣٠٢٩، ٣٤٠٢، ٣٤٠٣، ٤٤٧٩، ٤٦٤١، ٦٢٣١، ٦٦٢٤، ٧٤٩٣، ٧٤٧٧، ٧٤١٩، ٧٢٢٨، ٧٠٧٢، ٧٠٢٢، ٦٩٥٧، ٦٩٥٤، ٤٦٣٦، ٤٣٧٥، ٤٠٧٣، ٣٦٠٩، ٣٥٩٠، ٣٤٧٢، ٣٤٤٤، ٣٤١٧، ٣٤٠٧، ٣٣٩٩، ٣٣٩١، ٣٣٣٠، ٣٠٢٧، ٢٩٨٩، ٢٨٩١، ٢٧٠٧، ٢٥٥٩، ٢٦٧٤، ٢٠٦٦، ٢٠٥٥، ١٩٦٦، ١٩٢٦، ٧٢٢، ٤١٦.

٢- ص ٩٧.

٣- عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري (المتوفى: ٢١٤هـ)، سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق: أحمد عبيد، ط: ٦، بيروت: عالم الكتب، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، ص ٦٥.

الخلاصة: لم أقف على أحد من ادعى عدنان إبراهيم أنه قال أو ذكر أو ترجم بأن همامًا كان يهوديًا وأسلم، بل ذكره المحدثون في الثقات، وأثنوا عليه، وهو صاحب الصحيفة التي بها أكثر من مائة وأربعين حديثًا عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فلماذا الظلم والتشكيك بأمور غير صحيحة؟!

وأخوه وهب لا علاقة له بالحديث، فكيف أدخله في الطعن الذي تسلح به تجاه الحديث؟

وقد تابع همام غيره عن أبي هريرة، كسعید بن المسيب، وللحديث شواهد أخرى عن أبي بن كعب، ورواية مقطوعة عن عطاء بن أبي رباح، فلم ينفرد بالحديث مما يدفع عنه الشك والظن والخطأ في الرواية وأنها من دسيس الإسرائيليات مما يؤكد ظلم عدنان لراوي الحديث.

المبحث الثاني: الشبهات العقلية التي تمسك بها الطاعنون.

هذه الطريقة التي لجأ إليها الطاعنون في السنة قديمًا وحديثًا لتشكيك الأمة في أصول دينها بتركيزهم على الاتجاه العقلي المعاصر، وهو «الذي يقدم العقل في الجملة على نصوص الشرع عند توهم التعارض، ويدعو إلى التجديد والنظر في الأحكام الشرعية حسب مقتضيات العصر الحديث»^(١)، وذلك بهدف إقامة المشكلات حول الأحاديث بوصفها الأصل الثاني للشرع، فالتدافع بين الحق والباطل سنة إلهية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: ٤٠)، أيضًا عرفت الاتجاهات العقلية المعاصرة بأنها «التوجه الفكري الذي لا يقبل المعاني الدينية إلا إذا كانت مطابقة للمبادئ العقلية وتقديمتها

١ - سعد بن بجاد بن مصلح العتيبي، موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي، ط: ٢، الرياض: مركز الفكر المعاصر، دار الوعي للنشر والتوزيع، (١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م). ص ٩.

على نصوص الشرع»^(١).

فطريقة العقلانيين يفضلون سلوك الطريق الأسهل في النصوص التي قد تشكل على عقولهم بإنكار الأمر برّمته، والرمي بأقوال عشرات المفسرين عرض الحائط من أجل إثبات الدعاوى العريضة الزائفة الحالية من أي مستند علمي أو تاريخي^(٢)، ويرجع هذا الاستشكال في فهم النصوص لأسباب عديدة ذكرها البيانوني في بحثه (أسباب استشكال متن الحديث النبوي)^(٣)، من أهمها الأسباب المتعلقة بالقارئ أو السامع:

– تفاوت المدارك واختلاف الطبائع^(٤):

قال المعلمي: «واعلم أنّ الناس تختلف مداركهم وأفهامهم وآراؤهم ولا سيما في ما يتعلق بالأمر الدينية والغيبية لقصور علم الناس في جانب علم الله تعالى وحكمته، ولهذا كان في القرآن آيات كثيرة يستشكلها كثير من الناس وقد ألفت في ذلك كتب وكذلك استشكل كثير من الناس كثيراً من الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ، منها ما هو رواية كبار الصحابة أو عدد منهم، وبهذا يتبين أن استشكال النص لا يعني بطلانه، ووجود النصوص التي يستشكل ظاهرها لم يقع في الكتاب والسنة عفوًا وإنما هو أمر مقصود شرعًا ليلو الله تعالى ما في النفوس ويمتحن ما في الصدور، ويسر للعلماء أبواباً من الجهاد يرفعهم الله به درجات»^(٥).

فهذا التفاوت هو سنة الله في البشرية، وقد علمه الرسول ﷺ وراعاه فكان

- ١- مضايي بنت سليمان البسام، موقف الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر من قضايا الولاء والبراء، دراسة عقدية، رسالة ماجستير مقدمة لكلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية ١٤٢٥هـ، ١٤٢٦هـ، ص ٢١.
- ٢- محمد رمضان أحمد رضاني، الاتجاهات العقلية المعاصرة في دراسة مشكل الحديث النبوي تحليلًا ونقدًا، ط: ١، الرياض: دار رسالة البيان، (١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م). ص ١٤٦.
- ٣- ص ٨٨ وما بعدها.
- ٤- ص ٨٨.
- ٥- المعلمي، الأنوار الكاشفة، ٢٢٣.

ينزل الناس منازلهم ويكلمهم على قدر عقولهم.

– تنوع العقيدة والمذهب^(١):

ولا يخفى ما للمنهج العقدي والمذهبي الذي يتبناه الباحث ويصدر عنه في أقواله وأفعاله من أثر في فهم النصوص وتفسيرها، فالاتجاه العقدي والمذهبي للباحث يتحكم في وجود الإشكال ودرجته، فما يستشكله الأثرية أو أهل الحديث يختلف عما يستشكله المعتزلة، وما يستشكله أصحاب المذهب الظاهري ربما يختلف عما يستشكله غيرهم من اصحاب المذاهب الأخرى، وهكذا.

وكم يتأول المتأولون النصوص من غير داع إلى ذلك سوى داعي منهجهم الاعتقادي الخاطيء الذين يحافظون عليه، ويفكرون به ويسيروا في ضوئه.

وقد سلك عدنان إبراهيم في ردِّ أحاديث الصحيحين هذا المسلك فقد ردَّ حديث الرسول ﷺ: (أن الله خلق آدم على صورته..). بناء على العقل البشري وتصوره! لأن الطريقة هذه أئجح طريقة للتشكيك في الأحاديث من وجه نظر كل من أراد التخلص من السنة.

ويتلخص ردّه للحديث من هذا الجانب في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: رد علماء الأحياء للحديث.

نص الشبهة التي ردّها بها عدنان الحديث:

«هذا الحديث لو سمعه أي عالم متمرس في علم الأحياء سيردهُ مباشرةً، ويقول: أنتم قوم تهرفون بما لا تعرفون، هل تعرفون لماذا؟ سأوضح هذا، ربما

١- فتح الدين محمد أبو الفتح بيانوني، أسباب استشكل متن الحديث وأوجه دراسة استقرائية، مجلة العلوم الشرعية، مجلة علمية فصلية محكمة، العدد السابع عشر، الرياض: جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ، ص ٩٠.

ذكرت هذا مرة والأُن سأسبسطه تماماً، يوجد قانون في علم الأحياء يقول الزيادة في وزن الجسم الحي - المخلوق الحي المتعضي Organism - تتناسب طردياً مع مكعب - ليس مع مربع وإنما مع مكعب - الزيادة في أبعاده الخطية، وطبعاً الأبعاد الخطية يتحصل منها الحجم، وهذا أمر معروف، أي الحجم في الفراغ بمعنى ما تحتله البنية في الفراغ، ولكن الزيادة التي يكتسبها الجسم والهيكل العظمي بالذات - مقطع العظم - لمقاومة الثقل والوزن تتناسب مع مربع الزيادة - مع مربع وليس مكعب - في أبعاده الخطية، احفظوا هذا القانون لأنه قانون علمي صارم، ولكي نكون واضحين سوف نقول الآن: آدم خلقه الله وطوله ستون ذراعاً، الذراع إما أن تكون ذراعاً شرعية وإما أن تكون ذراعاً هاشمية، الذراع الشرعية أربعة وعشرون إصبغاً، أي تساوي وتُعاذل ثمانية وأربعين سنتيمتراً، سوف نقول تُعاذل خمسين، والذراع الشرعية اثنان وثلاثون إصبغاً، تُعاذل أربعة وستين سنتيمتراً، سوف نقول تُعاذل خمسة وستين، فهكذا في المتوسط كان طول آدم ثلاثين متراً، هذا في المتوسط بين الذراع الهاشمية والذراع الشرعية، إذن ثلاثون متراً، تقريباً أزيد منا بنحو عشرين مرة بجبر هذه الكسور، فالآن آدم مُضعف حجمه عشرين ضعفاً عنا، نحن نتحدث عن الطول الآن، كم سيتضاعف وزنه؟ التناسب هنا مع المكعب، فسنقول عشرون في عشرين في عشرين، أي ثمانية آلاف مرة، هيكله العظمي كم سيتضاعف لكي يحتمل هذا الثقل الزائد مع المربع وليس مع المكعب؟ عشرون في عشرين، أي أربعمئة مرة، إذن أربعمئة مرة والوزن ثمانية آلاف مرة ومن ثم حتماً يقول لك أي عالم في البيولوجي Biology مستحيل أن يخلق هذا الخلق على الكوكب الأرضي لأنه سينهار مباشرة تحت ثقله ووزنه بالقانون، ولذلك هذا الأفلام التي نحضرها تشوه حتي الفهم العلمي مثل كينج كونج Kong King، وهو أضعف - أي أعظم - من الغوريلا مائة مرة، وهذا كلام فارغ ومستحيل، مائة مرة حجمه عن حجم الغوريلا فمائة في مائة في مائة

يكون وزنه أثقل من الغوريلا مليون مرة، ولكن الهيكل العظمي الذي عنده مائة في مائة، أي عشرة آلاف، عشرة آلاف في مُقابل مليون سوف يكون هذا مُستحيلًا وسينهار مباشرةً، ولذلك هذا خيال علمي - Fiction Science - وكلام فارغ وفانتازيا Fantasy، ففي علم البيولوجي Biology احفظوا هذا القانون».

الرد على الشبهة:

ردَّ عدنان الحديث بناء على وصف حجم سيدنا آدم وجاء بكلام كثير مبنيًا على العقل البشري، متناسيًا اعترافًا من أحد المشتغلين بالعلوم المادية «بأن علم الإنسان هو أصعب العلوم جميعًا، وأن ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الإنسان ما زال غير كافٍ وأن معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية في الغالب.

فقال: «لقد استبدلت الآن البيئة التي صاغت جسم أجدادنا وروحهم خلال ملايين الأعوام بيئة أخرى، وقد حدثت هذه الثورة الصامتة دون أن يفطن إليها أحد تقريبًا، ومع أننا لم ندرك أهميتها فإنها إحدى الأحداث الهامة في تاريخ البشرية لأن أي تبديل في ظروف جميع الكائنات الحية يزعجها حتمًا بشكل عميق الأثر، ومن ثم يجب علينا أن نستوثق من مدى التغير الذي فرضه العلم على طريقة حياة أجدادنا، وحياتنا تبعًا لذلك»^(١).

فبيولوجية الأرض سابقًا تختلف عن الزمن الحالي كالبشر الذين حملتهم الأرض في كل زمان، فمثلًا قلب الإنسان الحالي في الغالب هل يعاني من مشكلات إذا وصل لسن الستين؟ بينما في العهد القديم كانت أعمار البشرية تصل إلى مئات الأعوام فسيدنا نوح وهو بعد آدم عاش تسعمائة وخمسين عامًا فهل من البشر الآن على الأرض يعيش كالسابقين؟

١ - ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، تعريب: شفيق أسعد فريد، مكتبة المعرفة، بيروت، ط: ٣ ١٩٨٠م، ص ١٩، ٢٤، ٢٥ «بتصرف يسير».

قياسًا فكل زمن يختلف عن ما قبله بناء على اختلاف بيولوجية الأرض.

فشتان في قياس الأطوال والأوزان بين زمانين مختلفين، وما سلك عدنان إبراهيم هذا المسلك إلا ليشكك في الحديث بطريق العقل بتصوير باطل الأركان.

وأساسًا العلماء لم يجزموا بطول سيدنا آدم في الدنيا كما جاء في الحديث إنما كان في الجنة وأحوال الجنة لا تقاس على أحوال الدنيا، (ينظر المبحث الأول من البحث).

المطلب الثاني: المشكلة الطبية البدنية التي يخلقها هذا الحديث لو صح في رأي المشكك.

نص شبهته التي رد بها الحديث:

«توجد مشكلة طبية أخرى يعرفها دارسو الطب ووظائف الأعضاء - الفسيولوجي - Physiology - فما هي؟ القلب مُشكّله علميًا أن حجمه أصغر من أن يمد أنسجة الجسم كلها بالدماء حين يضخ، هو - سبحانه الله - أصغر من هذا، ليس كالكبد وهو أعظم الأعضاء، عضو صغير نسبيًا إلى حد بعيد، لكن القلب - هذه بحكمة الله وبتقدير الله - يعوض هذا النقص في حجمه بمطاطية ومرونة الشرايين، ولذلك بهذا الحجم الصغير يمكن أن يمد هذا الجسم، لكن انتبهوا إلى الشيء الخطير، كل كيلو جرام زائد في الوزن يقتضي أن ينشئ الجسم عدة كيلو مترات من الشرايين الجديدة، ومن هنا خطورة السمنة على صحة الإنسان وعلى قلبه، والأخطر من هذا - ارجعوا إلى قانون التريبع وقانون التكميب - أنه إذا كان آدم أعظم حجمًا منا بعشرين مرة فإذن هو أثقل وزنًا منا بثمانية آلاف مرة، وطبييًا مستحيل أن يوجد هذا المخلوق على كوكب الأرض وأن قلبه - وقد تضاعف كما قلنا لكم أربعمئة مرة فقط - يستطيع أن يغذي وزنًا

آلاف مرة، وطبيياً تضاعف ثمانية آلاف مرة، هذا مستحيل طبيياً، أنا أتحدث لكم بأصول علمية، وطبعاً بعض الناس لا يعينهم لا علم ولا قانون، يقولون لك لا لأن النبي قاله، لكن يا أخي الكريم ويا أخي الحبيب قال لك أن النبي قال هذا؟ النبي ﷺ حاشاه أن يقول شيئاً غير صحيح، لأننا نؤمن بأنه نبي من عند الله، لا يكذب على الله، والله لو أوحى إليه لا يوحى إليه إلا بما هو حق، فمحال أن يوحى إليه بشيء ويكون باطلاً.

وفي نهاية كلامه على هذا الحديث النبوي يكمل فيقول على كل حال الكلام طويل^(١) في هذا الحديث فتركه ونذهب إلى حديث آخر.

الرد على الشبهة:

كما أوضحت في المطلب السابق بأن إبطال الحديث والتشكيك فيه بناء على كبر حجم سيدنا آدم باطل فجسم الإنسان وعمره وطوله تختلف باختلاف الأرض التي يعيش عليها.

أضيف في الرد على الشبهة ما يأتي:

أولاً: العقل لا يحكم على الوحي فالعقل علم المخلوق والوحي علم الخالق.

قال ابن القيم الجوزية: «الأنبياء لم تأت بما يخالف صريح العقل البتة وإنما جاءت بما لا يدركه العقل فما جاءت به الرسل مع العقل ثلاثة أقسام لا رابع لهما البتة:

قسم شهد به العقل والفطرة، وقسم يشهد بجملته ولا يهتدى لتفصيله، وقسم ليس في العقل قوة إدراكه، وأما القسم الرابع وهو ما يحيله العقل الصريح

١ - قصد في تركه الآن والرجوع إليه في حال وجود أمور أخرى تجعله يردده ويشكك فيه فهذا طبع من يشير الشبهة ويرمى بها.

ويشهد ببطلانه فالرسل بريئون منه وإن ظن كثير من الجهال المدعين للعلم والمعرفة أن بعض ما جاءت به الرسل يكون من هذا القسم فهذا إما لجهله بما جاءت به وإما لجهله بحكم العقل أو لهما»^(١).

ويقول أيضًا: «ومن الأدب معه أن لا يستشكل قوله، بل تستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نصّه بل تُهدر الأقيسة وتلقي لنصوصه، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولاً، نعم هو مجهول، وعين الصواب معزول، ولا يوقف قبول ما جاء به ﷺ على موافقه أحد، فكل ذلك من قلة الأدب معه ﷺ وهو عين الجرأة»^(٢).

قال قوام السنة الأصبهاني^(٣): لا نعارض سنة النبي ﷺ بالمعقول لأن الدين إنما هو الانقياد والتسليم دون الرد إلى ما يوجهه العقل، لأن العقل ما يؤدي إلى قبول السنة فأما ما يؤدي إلى إبطالها فهو جهل لا عقل.

فيوجد من الأمور التي لا يتصورها العقل لكنها حقيقة كحادثة الإسراء والمعراج؛ فأسري برسول ﷺ من مكانه لبيت المقدس في ليلة واحدة وهذا مما لا يتصوره العقل في ذلك الوقت حيث كان السفر لبيت المقدس يأخذ أياماً وأياماً، قال شارح كتاب التوحيد من صحيح البخاري في حديث الإسراء والمعراج.

والجواب عما اعترض عليه فيه: «الحق أنّهما وقعا يقظة لا مناماً، وأن ذلك ﷺ

١- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط: ١، دمشق: دار البيان، (١٣٩١هـ - ١٩٧١م). ص ٢٦٤.

٢- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط: ٣، بيروت: دار الكتاب العربي، (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م). ٣٦٨ / ٢.

٣- إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، الحجّة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، ط: ٢، الرياض: دار الراجعية، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) ٥٤٩ / ٢.

بدنه وروحه، وهو قول جمهور أهل السنة، والدليل قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِزَيْدٍ مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١)، والتسبيح إنما يكون عند الأمور العظيمة والآيات الباهرة، ولو كان منامًا لم يكن فيه كبير أمر؛ لأنه لا يستنكر، ومما يدل على ذلك إنكار كفار قريش له، وتعظيمهم إياه، واستبعادهم وقوعه، حتى ارتد بسبب ذلك بعض من أسلم، ولو كان منامًا لم ينكره^(١).

وقال محمد رشيد رضا مؤكداً على بطلان قياس إدراك العقل على النصوص النبوية: أن كل ما أخبر به الوحي عن عالم الغيب لا يقاس على عالم الشهادة ولا يشترط في قبوله موافقة سنن هذا العالم وعاداته، ومعجزة الإسراء والمعراج من الخوارق الروحانية الغيبية، وليست من المحال الذي يقول علماء الكلام إن قدرة الله لا تتعلق به، وقد فصلنا مسألة الخوارق في التفسير مراراً آخرها تفسير هذا العام، وبيننا فيها أن ما ظهر للبشر في هذا القرن من عجائب الكهرباء وغيرها قد قرب إلى العقول كل ما كانت تستبعده من المعجزات وأمور الغيب^(٢).

ثانياً: من ينكر الأحاديث ويردّها بالعقل والأدلة العلمية لا بُدَّ له أن يغوص في المعاني ويجمع بين كل العلوم التي تساعد على فهم الحديث.

التعامل مع نصوص عمومًا يحتاج إلى تخصص، وذلك لأن التعامل مع هذا النوع من النصوص نقدًا وتأويلًا يحتاج إلى استجماع عدة علوم ومعارف^(٣).

قال النووي وهو يتحدث عن الأحاديث التي ظاهرها التعارض: «وإنما يقوم بذلك غالبًا الأئمة الجامعون بين الحديث والفقه والأصوليون المتمكنون في ذلك

١- عبد الله بن محمد الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، ط: ١، المدينة المنورة: مكتبة الدار ١٤٤٥هـ، ٢/٤٤٥.

٢- محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) وغيره من المؤلفين، مجلة المنار، (كاملة ٣٥ مجلداً)، ٣٢/٧٣٥.

٣- محمد رضاني، الاتجاهات العقلية المعاصرة في دراسة مشكل الحديث النبوي تحليلاً ونقدًا، ٣٠٦.

الغائصون على المعاني الدقيقة الرائضون أنفسهم في ذلك»^(١).

وقال السيوطي: «ومن جمع ما ذكرنا من الحديث والفقه، والأصول، والغوص على المعاني الدقيقة، لا يشكل عليه من ذلك إلا النادر في الأحيان»^(٢).

وأكد لطفي زعير في كتابه التعارض في الحديث على ضرورة الاختصاص حيث يقول: «من المعروف أن لكل علم قواعده وأصوله وجزئياته وفروعه، ومن أراد أن يدخل مجالاً ما، عليه أن يحكم قواعده وأصوله، ويدرك جزئياته وفروعه، حتى يكون كلامه على بصيرة، وخصه فيه عن علم ومعرفة، وبهذا يكون من أهل الاختصاص»^(٣).

وقال ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل: «فالقضايا تتفاوت في الجلاء والخفاء لتفاوت تصورها كما تتفاوت لتفاوت الأذهان»^(٤).

فاستخدام مناهج القراءة والنقد الغربيين، ثم استدعاؤها من قبل الخطاب العقلاني المعاصر، ثم توظيفها في استنتاج دلالات النصوص النبوية، بشكل يختلف تماماً عن سنن القراءة الإسلامية التي أسسها المسلمون عبر التاريخ، وأسهمت هذه المناهج في حصول كثير من الإشكالات الدلالية لدى منظري هذا الخطاب عند محاولاتهم تفهم النص النبوي، خاصة ما تعلق منه بقضايا الغيب كأخبار المعجزات، والجنة والنار، والملائكة والشياطين، والفتن والملاحم وأشراط

١- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط: ٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ، ١ / ٣٥.

٢- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفارياي، ط: ٦، الرياض: دار طيبة (١٤٢٣هـ). ٦٥٢ / ٢.

٣- لطفي بن محمد الزغير، التعارض في الحديث، ط: ١، الرياض: مكتبة العبيكان، (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م). ص ٤١٩.

٤- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحنبلي الدمشقي الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، ط: ٢، المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤١١هـ - ١٩٩١م)، ٣١ / ١.

الساعة وغيرها^(١)، حتى إنَّ عبد المجيد الشرفي وصفه بأنه من العلوم النقلية المحضة، فلا مجال فيه لإعمال العقل، وما على المسلم إلا التصديق بالأحاديث التي أجمعت الأمة على قبولها^(٢).

وأكد بسام الجمل بوصفه لعلم الحديث عندما وصف الوحي أيضًا؛ أنَّ النَّصَّ النَّبوي معقوليته الخاصَّة تختلف دون شك عن معقوليتنا الحديثة والمعاصرة، وهذا ما قام به محمد أركون حينما دعا إلى فهم الوحي بوصفه ظاهرةً لغوية ثقافية^(٣).

واعلموا -رحمكم الله- أنَّ المعلمي أبان وأوضح في كتابه الأنوار الكاشفة؛ أنَّ المحدثين راعوا ذلك في أربعة مواطن: عند السماع، وعند التحديث، وعند الحكم على الرواة، وعند الحكم على الأحاديث، فالمثبتون إذا سمعوا خبراً تمتنع صحته أو تبعد لم يكتبوه ولم يحفظوه، فإنَّ حفظوه لم يحدثوا به، فإنَّ ظهرت مصلحة لذكره ذكره مع القدر فيه وفي الراوي الذي عليه تبعته، وقال أيضًا: وقد عرف الأئمة الذين صححوا الأحاديث، أنَّ منها أحاديث تثقل على بعض المتكلمين ونحوهم، ولكنهم وجدوها موافقة للعقل المعتد به في الدين، مستكملة شرائط الصحة الأخرى، وفوق ذلك وجدوا في القرآن آيات كثيرة توافقها أو تلاقيها، أو هي من قبيلها، قد ثقلت هي أيضًا على المتكلمين، وقد علموا أنَّ النبي ﷺ كان يدين بالقرآن ويقتدي به، فمن المعقول جدًّا أنَّ يجيء في كلامه نحو ما في القرآن من تلك الآيات^(٤).

فلا يحكم العقل على السنَّة كما قال الشاطبي: «إنَّ الصَّحابة ومن بعدهم لم يعارضوا ما جاء في السنن بآرائهم، علموا معناه أو جهلوه، جرى لهم على

- ١- محمد رمضان، الاتجاهات العقلية المعاصرة في دراسة مشكل الحديث النبوي تحليلًا ونقدًا، ٣١٩.
- ٢- عبد المجيد الشرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ط: ٢، بيروت: دار الطليعة، (٢٠٠٨م). ص ١٨١.
- ٣- بسام الجمل، أسباب النزول، ط: ١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، المؤسسة العربية للتحديث الفكري، (٢٠٠٥م) ص ٢٤٨.
- ٤- ص ٦، ٧.

معهودهم أو لاً»^(١).

وبعد هذا البيان والتّحقيق يتّضح أن استشكال عدنان إبراهيم على الحديث بدعوى مخالفته للعقل تنبثق الحقيقة بأن ما ادعى عدنان إبراهيم مخالفته للعقل؛ حقيقة لا يخالف إلا العقل البشري المتفاوت في فهم النصوص الشرعية، ولا يرجع ذلك لقاعدة ثابتة، بل هو مجرد التمسك بحجج لا أصل لها من القوة في ردّ كلام المصطفى ﷺ، كما قال - الله تعالى - في وصف حال المشركين المكذبين بالدين: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (يونس: ٣٩).

١ - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط: ١، السعودية: دار ابن عفان، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م). ٨٥٠.

الخاتمة

وفي الختام لا يسعني إلا أن أسجل أهم النتائج وهي كالآتي:

أولاً: هياً الله تعالى في كل زمن وعصر من يدافع عن دينه ويعلى كلمته وينصر رسوله ﷺ.

ثانياً: ما تسمك به المشككون من الحجج في رأيهم، دعوة قديمة حديثة متجددة مع تغاير في الألفاظ والأسلوب وكثرة مغالطة في الحوار.

ثالثاً: أنجح الطرق والسبل للتشكيك في الأحاديث من وجهة نظر المشكك هي اللجوء إلى العقل في الأمور التي لا يتصورها.

رابعاً: العقل لا يحكم على الدين ولا يقاس عليه بأي حال من الأحوال وبهذا يتبين بطلان شبهات العقلانيين جميعها على الأحاديث النبوية، فالعقل قاصر عن أسرار قدرة الله فكيف يردّ به الوحي؟

خامساً: زيف الشبهة وبطلانها التي أثارها عدنان إبراهيم من دعوى تشبيه حديث الصورة الخالق بالخلقين، فمذهب أهل السنة أن الله يصف نفسه ما يشاء فإذا ثبت ذلك في النص الصحيح فالواجب التسليم من غير تكييف ولا تعطيل ولا تجسيم، وليس كمثلته شيء سبحانه.

سادساً: ردّ دعوى عدنان إبراهيم بأن ابن حجر استشكل حديث الصورة، فالعبارات التي نقلها ليست لابن حجر، وكل الذي جاء به في ذلك الموضوع هو توضيح الحديث والتحقق من معانيه.

سابعاً: ردّ العلماء المحققون كالمعلمي على أن شبهة خلق آدم ستون ذراعاً غير معقولة؛ بأنه قد يكون ذلك الخلق في الجنة، ثم أخذ يتناقص شيئاً فشيئاً بعد نزول آدم - عليه السلام - إلى الأرض.

ثامناً: بطلان دعوى عدنان ابراهيم بأن وهب بن منبه يهودي وأن روايته من الإسرائيليات الموضوعية؛ حيث تبين من دراسة أقوال العلماء فيه زيف هذه الدعوى وأنه إمام جليل له جهده في رواية السنّة وحفظها.

سادساً: علم الإنسان من أصعب العلوم. ذلك المخلوق الذي لا يعلم بأسراره إلا الله الواحد الأحد، لذلك لا تعدّ النظريات التي يقول بها علماء الأحياء والتي تتغير في كل زمن وجيل حقائق ثابتة نقيس عليه سرّاً من أسرار هذا الكون، لذلك تردّ دعوى ابراهيم عدنان باستدلّاله على أنه حديثٌ مناقض لعلم الأحياء.

سابعاً: تردّ الشبهات العقلية باستخدام المنهج القياسي فعمر الإنسان الذي يتغير من زمان لزمان، يقاس على اختلاف تكوين جسده من زمان لزمان آخر.

ومن أهم التوصيات:

- الحثّ على الاهتمام، وبذل الجهد الكبير في توضيح الشبهات ودراستها التي تثار حول السنة تحديداً فهي المصدر الثاني للدين بكافة اللغات.
- الكتابة في الشبهات والرد بطريقة صحيحة على من يدعى فسادها وبطلانها، وأخص بذلك الشبهات العقلية التي تثار على الأحاديث.
- التمسك بالسنة في كل ما يتصل بأمر حياتنا وتربية الجيل الناشئ على ذلك. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله، والحمد لله أولاً وآخراً.

فهرس المصادر والمراجع

- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط: ١، السعودية: دار ابن عفان، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، السنة، (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، ط: ١، بيروت: المكتب الإسلامي، (١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م).
- أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: ٢، بيروت: المكتب الإسلامي، (١٤٠٣هـ).
- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط: ١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.
- أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط: ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أздаذ البغدادي، المعروف بابن شاهين (المتوفى: ٣٨٥هـ)، تاريخ أسماء الثقات، تحقيق: صبحي السامرائي، ط: ١، الكويت: الدار السلفية، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط: ٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: ١، مؤسسة الرسالة، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م).

- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م..
- أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الخنظلي، ابن أبي حاتم الرازي (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل، ط: ١، بحيدر آباد الدكن - الهند: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م).
- أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تأويل مختلف الحديث، دراسة وتحقيق: نور الله شوكت بيكر، ط: ١، بيروت: مؤسسة الريان، المكتبة المكية، (١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م).
- أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، لبنان: دار الكتب العلمية.
- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.
- أحمد بن علي بن محمد بن أحمد أبو الفضل بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط: ١، سوريا: دار الرشيد، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي، (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١، أعادت طبعه بالأوفست، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، ط: ٢، الرياض: دار الراجعية، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
- ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، تعريب: شفيق أسعد فريد، مكتبة المعرف، بيروت، ط: ٣، ١٩٨٠م.

- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحنبلي الدمشقي الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، ط: ٢، المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤١١هـ - ١٩٩١م).
- د. بسام الجمل، أسباب النزول، ط: ١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، المؤسسة العربية للتحديث الفكري، (٢٠٠٥م).
- د. سعد بن بجاد بن مصلح العتيبي، موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي، ط: ٢، الرياض: مركز الفكر المعاصر، دار الوعي للنشر والتوزيع، (١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م).
- د. عبد المجيد الشرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ط: ٢، بيروت: دار الطليعة، (٢٠٠٨م).
- د. فتح الدين محمد أبو الفتح بيانوني، أسباب استشكال متن الحديث وأوجه دراسة استقرائية، مجلة العلوم الشرعية، مجلة علمية فصلية محكمة، العدد السابع عشر، الرياض: جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ.
- د. لطفي بن محمد الزغير، التعارض في الحديث، ط: ١، الرياض: مكتبة العبيكان، (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م).
- الدكتور الحسين شواط، حجية السنة وتاريخها، ط: ١، حقوق الطبع محفوظة للجامعة الأمريكية العالمية، (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م).
- الدكتور محمد عمر سالم بازمول، علم مختلف الحديث ومشكله، موقع الدكتور بجامعة أم القرى (كتبه وأبحاثه)، <https://uqu.edu.sa/mobazmool/29778>.
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة، أحمد محمد نمر الخطيب، ط: ١، جدة: مؤسسة علوم القرآن - دار القبلة للثقافة الإسلامية، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، القاهرة: دار الحديث، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط: ٦، الرياض: دار طيبة (١٤٢٣هـ).
- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: ١، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني (المتوفى: ١٣٨٦هـ)، الأنوار الكاشفة لما في كتاب «أضواء على السنة» من الزلل والتضليل والمجازفة، بيروت: عالم الكتب، المطبعة السلفية ومكبتها، (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)
- عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري (المتوفى: ٢١٤هـ)، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق: أحمد عبيد، ط: ٦، بيروت: عالم الكتب، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- عبد الله بن محمد الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، ط: ١، المدينة المنورة: مكتبة الدار ١٤٠٥هـ.
- القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء (المتوفى: ٤٥٨هـ)، إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، الكويت: دار إيلاف الدولية.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط (٢+١)، دار الدعوة.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط: ١، دمشق: دار البيان، (١٣٩١هـ - ١٩٧١م).
- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط: ٣، بيروت: دار الكتاب العربي، (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

- محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي، (المتوفى: ٣٥٤هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ط: ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
- محمد بن عبد الرحمن الخميس، شرح الرسالة التدمرية، دار أطلس الخضراء، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، ط: ١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، مصر: دار الكتاب العربي.
- محمد بن محمد أبو شهبة، دفاع عن السنة ورد شبهة المستشرقين والكتاب المعاصرين وبيان الشبهة الواردة على السنة قديماً وحديثاً وردّها ردّاً علمياً صحيحاً، يليه الرد على من ينكر حجية السنة، لعبد الخالق عبد الغني، مكتبة السنة (١٩٨٩م).
- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفرقي (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، ط: ٣، بيروت: دار صادر، (١٤١٤هـ).
- محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، مجلة المنار، وغيره من المؤلفين، (كاملة ٣٥ مجلداً).
- محمد رمضان أحمد رضاني، الاتجاهات العقلية المعاصرة في دراسة مشكل الحديث النبوي تحليلاً ونقداً، ط: ١، الرياض: دار رسالة البيان، (١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م).
- محمود أبو رية، أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، ط: ٦، القاهرة: دار المعارف.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، مسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- مضايي بنت سليمان البسام، موقف الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر من قضايا الولاء والبراء، دراسة عقدية، رسالة ماجستير مقدمة لكلية التربية، الرياض: جامعة الملك سعود (١٤٢٥هـ - ١٤٢٦هـ).

- هدى محمد عبدالرحمن آل عبد الجبار، استدراقات الحافظ ابن حجر الحديثية في فتح الباري، كلية الدراسات العليا، الرياض: جامعة الملك سعود، (١٤٢٥هـ).
- يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، الحنبلي، ابن المبرّد (المتوفى: ٩٠٩هـ)، بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم، تحقيق وتعليق: الدكتورة روية عبد الرحمن السويفي، ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م).
- يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط: ١، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٠هـ.

Resources s and References

- Al-Shatby, Ibrahim bin Musa bin Mohammed Allkhmi Al-Gernadi (died: 790 AH),”Al-Etisam”. Verified by: Salim bin Eid Al- Hilali, 1st Edition, Saudi Arabia: Dar Ibn Affan, (1412 – 1992 AH).
- Al Shaibani, Abu Bakr bin Abi Asim, Ahmed bin Amr bin Al Dhahak bin Makhlid (died: 287 AH), The Sunnah, “The Shadows of Paradise in the Verification of the Sunnah”. Written by: Muhammad Nasir al-Din al-Albani), 1st edition, Beirut: The Islamic Office, (1400 AH. 1980 AD).
- Al-Sana`ani, Abu Bakr Abd Al-Razzaq Bin Hammam Bin Nafi Al-Humairi Al-Yamani (Passed away: 211 AH).” Compiler”. Edited by: Habib Al-Rahman Al-Azhami, 2nd edition, Beirut: The Islamic Office, (1403 AH).
- Al-Azdi, Abu Bakr Muhammad bin Al-Hassan bin Duraid (Passed away: 321 AH), "Jamhara fi 'l-Lughah" edited by: Ramzi Munir Baalbaki, 1st edition, Beirut: Dar Al-Alam Al-Malayn, 1987 AD.
- Al-Anbari, Abu Bakr Muhammad bin Al-Qasim (died: 328 AH), “Al-Zahir fi Al-Ma’ani fi al-Ma’ani Kalimat Al-nas”. Edited by Dr. Hatem Saleh Al-Damen, 1st Edition, and Beirut: Al-Resalah Institution, (1412 AH -1992 AD).
- Al-Baghdadi, Abu Hafs Omar bin Ahmed bin Othman bin Ahmed bin Muhammad bin Ayyub bin Azdad, known as Ibn Shaheen (died: 385 AH), “History of Asma al-Thiqaat”. Edited by: Subhi al-Samarrai, i: 1, Kuwait: Dar al-Salafiya, (1404 AH - 1984 AD).
- Nawawi, Abu Zakaria Muhyiddin Yahya bin Sharaf Al- (died: 676 AH), “Al- Minhaj Sharh Sahih Muslim Ibn Al-Hajjaj”, 2nd edition, Beirut: House of Revival of Arab Heritage, 1392 AH.
- Al-Shaibani, Abu Abdullah Ahmad bin Muhammad bin Hanbal bin Hilal bin Asad (died: 241 AH),
- “Al- Musnad”, edited by: Shuaib Al-Arnaout - Adel Murshid, and others, verified by: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, 1st edition, Al-Resalah Institution, (1421 AH - 2001 AD).
- Al-Nisaburi , Abu Abdullah al-Hakim Muhammad bin Abdullah bin Muhammad bin Hamdawiya bin Na'im bin al-Hakam al-Dhabi al-Tahmani, known as Ibn Al-Biah (died: 405 AH), “Al-Mustadrak on al-Sahihin” , edited by : Mustafa Abd al-Qadir Atta, 1st edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya , (1411 AH - 1990 AD).
- Al-Bukhari , Abu Abdullah Muhammad ibn Ismail, “Abridged Collection of Authentic Hadith with Connected Chains regarding Matters Pertaining to the

Prophet”, His practices and His Times (Sahih Al-Bukhari) Dar Ibn Katheer, Damascus, Beirut, First Edition, 1423 AH, 2002 AD.

- Al – Razi, Abu Mohammed Abdul Rahman bin Mohammed bin Idris bin Mundhir al - Tamimi, Alhandala, Ibn Abi Hatim (died: 327 AH), "al-jarh wa al-ta'dil ", 1st edition, Hyderabad Deccan - India: The edition of the Council of the Department of the Ottoman Knowledge, Beirut: Dar AL-Ma'arif (1271 AH 1952 AD).
- Al-Dinuri, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim Ibn Qutaybah (died: 276 AH), "Interpretation of Various Hadiths", Study and Investigation of: Nour Allah Shawkat Baker, 1st Edition, Beirut: Al-Rayyan Foundation, Meccan Library, (1429 AH - 2008 AD).
- Al-Dinuri, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim Ibn Qutaybah (died: 276 AH), "Interpretation of the Qur'an problems", edited by: Ibrahim Shams al-Din, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
- Al-Asqalani, Ahmed bin Ali bin Hajar Abu al-Fadl al-Shafi'i al-, "Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhari "; directed, corrected and supervised by the publication: Moheb al-Din al-Khatib, with the comments of the scholar: Abdul Aziz bin Abdullah bin Baz, numbered of his books, chapters and his hadiths: Muhammad Fuad Abdul-Baqi. Beirut: Dar al-Ma'arifah, 1379 AH.
- Ahmed bin Ali bin Muhammad bin Ahmed Abu al-Fadl bin Hajar al-Asqalani (died: 852 AH), "Taqrīb al-Tahdhīb", verified by: Muhammad Awamah, 1st edition, Syria: Dar al-Rashid, (1406 AH - 1986 AD).
- Al-Baghdadi, Ismail bin Muhammed Amin bin Mir Salim al-Babani (died: 1399 AH), "Hadiat Alearifin 'asma' Almualafin wathar Almusanafin,"carefully printed by the Glorious Knowledge Agency in its splendid publication, Istinbul, 1951, reprinted in offset , Beirut: Dar Revival of Arab Heritage.
- Al-Asbahani, Ismail bin Muhammad bin al-Fadl bin Ali al-Qurashi al-Talihi al-Taymi, Abu al-Qasim, Known as "Qawam al-Sunnah" (died: 535 AH), "Alhujat fi Bayan Almahajat Washarah Eqidat 'ahl Alsana", edited by: Muhammad bin Rabi 'bin Hadi Omair al-Madkhali, 2nd edition, Riyadh: Dar Arraya, (1419 AH - 1999 AD).
- Alexis Carrel, "Man, the Unknown", Arabization: Asad Shafiq Farid, Almuraf Library, Beirut, 3rd edition, 1980 AD.
- Al-Harrani, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad bin Abd al-Halim bin Abd al-Salam bin Abdullah bin Abi al-Qasim bin Muhammad Ibn Taymiyyah al-Hanbali al-Dimashqi (died: 728 AH), "Dar' taearud Aleaql Walnaql", verified by: Dr. Muhammad Rashad Salem, 2nd edition, Kingdom of Saudi Arabia: Imam Muhammad bin Saud Islamic University, (1411 AH - 1991 AD).

- El-Gamal, Bassam, "Causes of Descent", 1st edition, Casablanca: The Arab Cultural Center, The Arab Foundation for Intellectual Modernization, (2005 AD).
- Al-Otaibi, Saad bin Bajad bin Musleh, "The Position of the Contemporary Islamic Rational Trend on the Legal Text", 2nd edition, Riyadh: Center for Contemporary Thought, Dar El waai for Publishing and Distribution, (1434 AH, 2013 AD).
- Al-Sharafi, Abd Al-Majid, "Islam between the message and history", 2nd edition, Beirut: Dar Al-Tale'ah, (2008 AD).
- Abu Al-Fath Bayanouni, Fath al-Din Muhammad, "Asbāb Istishkāl matn al-Hadīth wa Awjuhuh: Dirasah Istiqrā'iyah". "Problematic Hadīths: Reasons and Aspects", Al-'Ulūm Al-Shar'iyah, a peer-reviewed quarterly scholarly journal, vol 17, Riyadh: Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1431 AH.
- Al-Zughayer, Lotfi Bin Muhammad, "Contradiction in Hadith", 1st edition, Riyadh: Al-Obeikan Library, (1428 AH, 2008 AD).
- Shawat, Al-Hussein, "Authenticity of the Sunnah and its History", 1st edition, Copyright reserved to the American International University, (1425 AH, 2004 AD).
- Bazmoul, Muhammad Omar Salem, "The Science of Different Hadith and its Problem", the doctor's website at Umm Al-Qura University (his books and research), <https://uqu.edu.sa/mobazmool/29778>.
- Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad bin Othman bin Qaimaz (died: 748 AH), "Alkashif fi Maerifat man lah Riwayat fi Alkutub Alst", Edited by: Muhammad Awamah, Ahmad Muhammad Nimer Al-Khatib, 1st edition, Jeddah: The Qur'an Sciences Foundation - Al Qibla House for Islamic Culture, (1413 AH - 1992 AD)
- Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad bin Othman bin Qaimaz (died: 748 AH), "Biography of the Nobles", Cairo: Dar al-Hadith, (1427 AH-2006AD).
- Al-Suyuti, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din (died: 911 AH), "Tadrib al-Rawi Fi Shareh Taqrib al-Nawawi", verified by: Abu Qutaiba Nazar Muhammad Al-Faryabi, 6th Edition, Riyadh: Dar Taibah (1423 AH).
- Al-Saadi, Abd al-Rahman bin Nasser bin Abdullah (died: 1376 AH), "Tayseer al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam Almanan", edited by: Abd al-Rahman bin Mualla al-Luhaq, 1st edition, Beirut: Al-Ressala Institution. (1420 AH-2000 AD)

- Al-Yamani, Abd al-Rahman bin Yahya bin Ali al-Muallami (died: 1386 AH), "Al-anwar Alkashifat Lamaa fi Kitab Adwa Ealaa Alsana min Alzulul Waltadlil Wal-mujazafa "; Beirut: Alam Al Kotob , the Salafist Press and Library, (1406 AH / 1986 AD)
- Abu Muhammad al-Masri , Abdullah bin Abdul Hakam bin Ayn bin Laith bin Rafi (died: 214 AH), "The Biography of Omar bin Abdul Aziz based on The Narration of Imam Malik bin Anas and his companions", edited by : Ahmed Ubayd, 6th edition, Beirut: Alam Al Kotob, (1404 AH - 1984 AD).
- Al-Ghunaiman, Abdullah bin Muhammad, "Explanation of Kitab Al-Tawheed from Sahih Al-Bukhari ", 1st edition, Al-Madinah Al-Munawwarah: Al- Dar Library 1405 AH.
- Al-Fura, Al-Qadi Abu Ya'la Muhammad bin Al-Hussein bin Muhammad bin Khalaf (died: 458 AH), "libtal Altaawilat Li'akhbar Alsfat", edited by: Muhammad bin Hamad al-Hamoud al-Najdi, Kuwait: Elaf International House.
- Academy of the Arabic Language in Cairo, Ibrahim Mustafa, Ahmed Al-Zayat, Hamed Abdel Qader, Muhammad Al-Najjar, "Al- Waseet Lexicon (1 + 2)", Dar Al-Da`wah".
- Al-Jawziya, Muhammad bin Abi Bakr bin Ayyub bin Saad Shams al-Din Ibn Qayyim (died: 751 AH), "Tuhf al-Mawdood Bi Ahkam al-Mawdid", edited by: Abd al-Qadir al-Arna'out, 1st edition, Damascus: Dar al-Bayan, (1391 AH - 1971 AD).
- Al-Jawziya, Muhammad bin Abi Bakr bin Ayyub bin Saad Shams al-Din Ibn Qayyim (died: 751 AH), "Madarij Alssalikin Bayn Manazil 'Iiaak Naebud Wa'iaak Nastaein", edited by: Muhammad al-Mu'tasim Billah al-Baghdadi, 3rd edition, Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, (1416 AH - 1996 AD).
- Al-Basti, Muhammad bin Habban bin Ahmad bin Habban bin Muadh bin Mu'adh, al-Tamimi, Abu Hatim, al-Darami, (died: 354 AH)," Al'iihsan fi Taqrib Sahih abn Habban", arranged by: Al-Amir Ala al-Din Ali bin Balban al-Farisi (died: 739 AH) He investigated it and produced his hadiths and commented on it: Shuaib Al-Arnaout, 1st edition, Beirut: Al-Resallah Foundation , (1408 AH 1988 AD).
- Al-Khamis, Muhammad ibn Abd al-Rahman, "Sharah Alrisalat Altadmuria", Dar Atlas al-Khadraa, 1425 AH / 2004 AD.
- AL-Yemeni, Muhammad bin Ali bin Muhammad bin Abdullah al-Shawkani (died: 1250 AH), "'Iirshad Alfuhul 'Iilaya Tahqiq Alhaqi min Eilm Al'usul", verified by: Sheikh Ahmed Ezzo Inaya, Damascus - Kafr Batna, presented to him: Sheikh

Khalil Al-Mays and Dr. Wali al-Din Salih Farfour , 1st edition : (1419 AH - 1999 AD), Egypt: Dar Al-Kitab AlArabi.

- Abu Shahba, Muhammad bin Muhammad, “Difae ean Alsanat Waradi Shabat Almustashriqin Walkitab Almueasirin Wabayyan Alshabat Alwaridat Ealaa Alsanat Qdyma Whdythaan Waraduha Rdaan Elmyaan Shyhaan”, followed by the response to those who deny the authenticity of the Sunnah, by Abd al-Khaleq Abd al-Ghani, The Sunnah Library (1989 AD).
- Ibn Manzur , Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din al-Ansari al-Afriqi (died: 711 AH), "Tongue of Arabs", 3rd edition, Beirut: Dar Sader, (1414 AH).
- Reda, Muhammad Rashid bin Ali (died: 1354 AH), Al-Manar Journal, and other authors, (complete 35 volumes).
- Ramdhani, Muhammad Ramadan Ahmad, "Contemporary Mental Trends in the Analysis and Criticism of the Problem of the Prophetic Hadith", 1st edition, Riyadh: Dar Risalah al-Bayan, (1439 AH, 2018 AD).
- Mahmoud Abu Rayyah, “Spotlight on the Muhammadiyah Sunnah or Defense of Hadith”, 1st edition, Cairo: Dar Al Maarif.
- Al-Nisaburi, Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri (died: 261 AH), “Musnad Al-Sahih Al-Muqtasar”, Edited by: Mohamed Fouad Abdel-Baqi, Beirut: Arab Heritage Revival House.
- Madawi Bint Sulaiman Al-Bassam, “Mawqif Alaitijah Aleaqalii Al’iislami Almueasir min Qadaya Alwala' Walbara”, a creed study, master's dissertation submitted to the College of Education, Riyadh: King Saud University (1425 AH, 1426 AH).
- Al Abdul-Jabbar,Hoda Muhammad Abd al-Rahman,” Aistidrakat Alhafiz Ibn Hajar Alhadithiat fi Fath Albari”, College of Graduate Studies, Riyadh: King Saud University, (1425 AH).
- Al-Salihi,Yusuf bin Hassan bin Ahmed bin Hassan bin Abd al-Hadi, Jamal al-Din, al-Hanbali, Ibn al-Mubarrad (died: 909 AH), “bahr aldamm fymn takalam fih al'imam 'ahmad bimadah 'aw dhim”, verified by: Dr. Rouhiya Abd al-Rahman al-Swaify, ed 1st edition , Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya (1413 AH - 1992 AD).
- Al-Mazi ,Yusef bin Abdul Rahman bin Yusef, Abu Al-Hajjaj, Jamal Al-Din Ibn Al-Zaki Abi Muhammad Al-Qudai Al-Kalbi (died: 742 AH), “Tahdheeb Al-Kamal fi 'Asma' Alrijal”,edited by: Dr. Bashar Awad.

علاقة الزمان بالحدث في
القصيدة الجاهليّة

**The Relationship between Time and Event
in the Pre-Islamic (Jahily) Poem**

د. رائد رشيد الحاج حسن
وزارة التربية والتعليم - دبي - الإمارات العربيّة المتّحدة

Dr. Raed Rashīd Al-Hajj Hassan
Ministry of Education - Dubai - United Arab Emirates

<https://doi.org/10.47798/awuj.2020.i60.07>



Abstract

The study investigated the connections between the time settings and the historical events that occurred during those periods. In any dramatic work, it is known that the time element is dependent upon the internal perspective of the characters. One technique of temporal narration focused upon the usage of retrospective narration or flashback, which changes the time perspective of a character and presents a story within a story. The study also attempts the influence of such technique on the narrative structure as exemplified in three different poetic models: Imru 'al-Qais, al-Nabigha al-Dhibiyi, al-Asha and others.

Another technique (ellipses) utilizes was placing time gaps in the narrative to increase the pace of the events of the story to eliminate less important events. This was a commonly used technique to move a story along and maintain interest. When narrative descriptions are drawn out too long, the flow of the story slows down and loses momentum.

Keywords: Pre-Islamic (Jahily) Poem, Narration Elements, retrospective narration, narrative event, ellipses, dramatic story.

ملخص البحث

يشكّل الزمان عنصراً مهماً من العناصر القصصية في القصيدة الجاهلية، إلى جانب المكان والشخصيات والحدث والحوار والصراع، ويسعى هذا البحث إلى دراسة علاقة الزمان بالحدث من خلال تحديد الزمن في القصّة الشعرية، وإظهار تأثيره في الحدث القصصي في نماذج شعرية مختلفة لشعراء مشهورين من أمثال امرئ القيس والنابغة الذبياني والأعشى وغيرهم، وكذلك من المقلّين مثل قيس بن الحداية.

ويسعى البحث إلى توضيح تقنية السرد الاسترجاعي الذي يعني أي حدث أو مشهد سابق على الزمن الذي يصفه العمل الأدبي، كما يهدف إلى إبراز دور تقنية الحذف في تسريع السرد القصصي، فهو يحيل على مدّة زمنية لا يوافقها حيناً في النصّ الأدبي، فيتخطى الشاعر من خلالها الأحداث غير المهمة بالنسبة إلى القصّة الدرامية.

الكلمات المفتاحية: القصيدة الجاهلية، العناصر القصصية، السرد الاسترجاعي، الحدث القصصي، الحذف، القصّة الدرامية.

المقدمة

يحاول هذا البحث أن يقدم قراءةً جديدةً في الشعر الجاهليّ تنطلق من أن القصيدة الجاهليّة يمكن النظر إليها كقصّة دراميةٍ بعناصرها المختلفة التي يبرز فيها عنصر الصراع، لكن الإشكاليّة الأساسيّة فيه تتمثّل في أن أغلب النقاد ينظرون إلى القصيدة الجاهليّة على أنها غنائيّةٌ بكاملها، بينما يرى الباحث أن الأجناس الأدبيّة تختلط ضمن القصيدة الواحدة، فالشاعر الجاهليّ يتكئ على الحكاية أو القصّة أحياناً، فهو ينتقل من الوصف إلى الحوار إلى رواية الحدث، وكأننا أمام إنتاج أدبيّ يقارب النصّ المعاصر.

وهذه الإشكاليّة من أهم الأسباب التي دفعتني لكتابة هذا البحث بعد أن اطّلت على عددٍ من الدراسات التي صدرت حديثاً، وأذكر منها: (البناء الدراميّ في الشعر القديم) للدكتور عماد حسيب، وكذلك دراسة الدكتور أمجد لطفي العجّان (البناء الدراميّ في الشعر الجاهليّ - شعر امرئ القيس نموذجاً) وغيرها من الدراسات.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة علاقة الزمان بالحدث في القصيدة الجاهليّة، دون أن يغفل العناصر الأخرى المتمثلة في الشخصيات والمكان والحوار والصراع. وقد تمّ تقسيمه إلى ثلاثة مباحث تناولت في الأول منها الزمن في القصّة الشعريّة، ودرست في ثانيها تقنية السرد الاسترجاعيّ التي تمثّل حكايةً جديدةً داخل الحكاية الأصليّة، وفي ثالثها درست تقنية الحذف أو الفجوة، وهي تقنيةٌ تفيد في اقتصاد السرد وتسريع حركته. واعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليلي في دراسة نصوص الشعر الجاهليّ. وفي نهاية البحث أعددت قائمة بالمصادر والمراجع التي عدت إليها وأفدت منها.

أولاً: الزمن في القصة الشعرية:

إنَّ للقصة عامَّةً زماناً ومكاناً واقعيين أو تخيليين، يتتابعان في مجرى الأحداث، ويتوازيان كخطين، فلا يمكن لأحدهما أن يستقلَّ عن الآخر؛ لأنهما وليدا واقعة لا تجري في فراغ. وتحدثتْ الدكتورة نبيلة إبراهيم عن تجربة الإنسان مع الزمان والمكان، فترى أنَّها «تعتمد إلى حدٍّ كبير على ميل الحسِّ الإنسانيِّ نحو الزمان أو المكان، فإذا كان الإنسان أكثر ميلاً لمراقبة الأشياء في حركة الزمن المستمرة، فإننا نتحدث عن الحسِّ الزمنيِّ عند الكاتب، وإذا مال الكاتب إلى إيقاف حركة الزمن ليعايش الأشياء في امتداداتها المكانية وعلاقاتها بالأشياء الأخرى المتجاورة وغير المتجاورة من ناحية، ثمَّ بموقف الكاتب النفسيِّ من ناحية أخرى، فإنَّنا نتحدث عن معاشته للامتداد المكانيِّ»^(١).

وفي القصة الدرامية يمكن لأحداث كثيرة أن تجري في وقت واحد، ولكنَّ الخطاب ملزَّمٌ بأن يقدمها مرتبةً ترتيباً متتالياً، يأتي الواحد منها بعد الآخر «وليس من الضروري - من وجهة نظر النقد - أن تتطابق أحداث القصة مع الترتيب الطبيعي لأحداثها، لأنَّ الراوي لا يستطيع أبداً أن يروي عدداً من الأحداث في آن واحد»^(٢). لذا ينبغي التمييز بين زمنين في القصة «زمن القصة، وزمن السرد»^(٣).

وزمن القصة هو المدة التي استغرقتها الأحداث كما حصلت فعلاً في الواقع، أمَّا زمن السرد فيتمثَّل في الزمن الذي يستغرقه الشاعر في السرد. ويعرَّف بأنه «زمنٌ حاضرٌ تحديداً يبدأ بلحظة بدء النطق، وينتهي لحظة توقف الشاعر»^(٤).

- ١- إبراهيم، نبيلة: فنَّ القصص بين النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة، د - ت ص ١٦٠. ويُنظر: معجم النقد الأدبي الحديث. ص ١٦١.
- ٢- لفته، ضياء غني: البنية السردية في شعر الصعاليك، دار الحامد، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٠م، ص ٨٥.
- ٣- لحمداني، حميد: بنية النص السرد، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية. ١٩٩٣م، ص ٧٣.
- ٤- أبو ديب، كمال الرؤى المقنعة؛ نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م. ص ٦٠٦.

ويشير إلى ذلك مؤلفاً نظرية الأدب: «زمن الحكاية هو مجموع الفترة التي تستغرقها القصة، غير أن زمن السرد هو الذي يتناسب مع (البنية السردية) إنه زمن القراءة أو (زمن التجربة)، وهو زمن يسيطر عليه طبعاً الروائي الذي يطوي السنين بجمل قليلة»^(١). ويرى بعض النقاد أنه: «عندما لا يتطابق نظام السرد مع نظام القصة، فإننا نقول: إن الراوي يولد مفارقات سردية»^(٢)، ويرى فتحي النصري أن «وضوح الزمنية في النص يتيح لنا تبين تسلسل أحداث القصة، ولعل من مظاهر هذا الوضوح في الزمنية وفرة القرائن اللغوية الدالة على الزمن»^(٣)

وقد ظهر عنصر الزمان واضحاً في أغلب المشاهد الدرامية التي تناولناها، فالزمان في قصة الثور الوحشي يستغرق ليلةً وصباح اليوم الذي يليه، وغالباً ما يكون ذلك في فصل الشتاء حيث الأمطار والبرد. أما قصة الحمار الوحشي فيكون عنصر الزمان فيها أطول نسبياً، حيث يستغرق فصلاً كاملاً، إذ تبدأ في فصل الربيع، وتنتهي في فصل الصيف عند اشتداد الحرّ.

ومما تجدر الإشارة إليه أن عنصر الزمان والمكان - في بعض الأحيان - يمكن تلّمسهما بطريقة استدلالية من قرائن أخرى، فامرؤ القيس غالباً ما يخرج إلى الصيد، وما تزال الطيور في أوكارها، فنستدلُّ على أن خروجه كان ليلاً، وقبل أن ينبج الصباح، لأن الطيور لا تكون في أوكارها إلا في الليل، وهو في هذا المشهد قبل ظهور الصباح كان يعيش حالة صراع مع الزمن نفسه متمثلاً بالليل الذي أرقه كثيراً فلم يعرف للنوم سبيلاً، يقول:

١- رينه ويليك، وأوستن وارين: نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، ١٩٨٥، ص ٢٢٩.

٢- لحمداني، حميد: بنية السرد الشعري: ص ٧٤.

٣- النصري، فتحي: السرد في الشعر العربي الحديث؛ في شعرية القصيدة السردية، الشركة التونسية للنشر، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٢٣.

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله
فقلتُ له لما تَطَى بَصْلبه
ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ
فيالك من ليلٍ كأنَّ نجومه
كأنَّ الثريا عُلقتُ من مصامها
وقد أعتدي والطيْرُ في وكناتها
مكرٌّ مفرٌّ مقبلٌ مدبرٌ معاً
عليَّ بأنواعِ الهمومِ لبيتلي
وأردفَ أعجازاً وناءً بكلِّكَلِ
بُصبحٍ وما الإصباحُ منكُ بأمثلِ
بكلِّ مُغارِ الفتلِ شُدَّتْ بيذبلِ
بأمراسٍ كتَّانٍ إلى صمِّ جندَلِ
بمنجَرِدِ قَيْدِ الأوابِدِ هيكلِ
كجلمودِ صخرٍ حطَّه السيلُ من عَلِ^(١)

الصراع الدرامي في هذا المشهد لم يحدث بين شخصين أو بطلين، يحاول كلُّ منهما الانتصار على الآخر، وإنما وقع بين الشاعر والزمن نفسه، بين الشاعر الذي أحاطت به الهموم من كلِّ جانب، وبين الليل الذي بدا ثابتاً لا يتزحزح، ويبدو من خلال هذه الأبيات أن الليل خرج منتصراً، فحركة الزمن تكاد تكون متوقفة، حيث غطى بظلامه على عيني الشاعر، وحجب الرؤية عنهما، وهذا زاد في معاناة الشاعر الذي لم يجد وسيلة للمواجهة سوى الصبر، ويلجأ الشاعر إلى الحوار الدرامي علَّه يجد فيه سبيلاً للخلاص من همومه، ففي الوقت الذي بدا فيه الليل قوياً جاثماً على صدر الشاعر، طلب إليه الشاعر أن يزول، ويفسح المجال للصبح كي يظهر، إذ اعتقد الشاعر أن الصباح سيخفف من همومه، ليقرّر في البيت نفسه أن همَّ الصبح يماثل همَّ الليل (وما الإصباح منكُ بأمثل).

١- امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط٥، ١٩٩٠م، ص ١٨-١٩. سدوله: ستوره. بجوزه: بوسطه. ناء بكلكل: نهض بصدرة. انجلي: انكشف. المغار: الشديد الفتل. يذبل: اسم جبل. المصام: مكانها الذي لا تبرح منه. الأمراس: جمع مرس، وهو الحبل. الوكنات: المواضع التي تأوي إليها الطيور. المنجرد: الفرس القصير الشعر. الأوابد: الوحش. الهيكل: الفرس الضخم.

لم يجد الشاعر بدءاً من محاورة الليل وهو في أوج قوته وجبروته، كأنه الجمل الجاثم بصدرة على جسد الشاعر، ليعود مرة ثانية ويؤكد خسارته للمواجهة، فنجوم الليل ثبتت في أماكنها لا تبرحها، وكأنها ربطت بحبال قوية في جبل يذبل، وبدت الثريا ثابتة في مكانها أيضاً، وكأنها قد ربطت بحبال من كتان إلى حجارة صلبة، وقد علق الدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد على ذلك بقول: «كل هذه الصور تعكس هذا التوتر النفسي الذي كان يطبق على الشاعر، وهو توترٌ حمله على أن يتمنى زوال هذا الليل ترقباً لما قد يحمله إليه النهار من أمل، ولكنه عاد فتشكك في أن يكون هذا الصبح الذي يتمنى مجيئه جديداً يغيّر حياته»^(١).

إن هذا الثبات في الزمن وعدم تحركه زاد في توتر الشاعر - البطل، فتوقفت الأحداث الدرامية بتوقف الزمن، ولجأ الشاعر إلى الوصف في مرحلة ثبات الزمن، لكن الشاعر بدأ بحل عقدة ثبات الزمن بظهور الصباح، فما إن لاحت خيوط الفجر الأولى حتى انطلق الشاعر في مغامرة الصيد على صهوة حصانه، حتى قبل أن تخرج الطيور من أعشاشها، فأخيراً تحرك الزمن حركته الطبيعية، وطلع الصباح، ومع طلوعه تحركت الأحداث باستخدام حصانه السريع، فالشاعر لا يريد أن يخسر معركة الصراع مع الزمن، فبطء الحركة في الليل قابله سرعتها الهائلة في الصباح، فالوحوش السريعة بدت واقفة أمام سرعة الحصان الذي تراه يكرُّ ويفرُّ في اللحظة نفسها، وهذا دليل على شدة نشاطه.

أراد الشاعر من خلال هذا الصراع بين حركتي الليل والصباح أن يخرج منتصراً، وكان له ما أراد بخروجه المبكر إلى الصيد.

ولا يكاد الزمن عند النابغة الذبياني يختلف عن الزمن عند امرئ القيس، حيث يقول:

١- محمد، إبراهيم عبد الرحمن: قضايا الشعر في النقد العربي، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٨١م، ص٧١.

كليني لهم يا أميمة ناصبٍ وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكبِ
تطاول حتى قلتُ ليس بمنقضٍ وليس الذي يرمى النجومَ بأيِّ
وصدرٍ أراح الليلُ عازبَ همِّه تضاعفَ فيه الحزنُ من كلِّ جانبٍ^(١)

حركة الزمن عند النابغة الذبياني تبدو بطيئةً جداً، فهو يطلب إلى زوجته أميمة أن تتركه يصارع همومه وآلامه من جهة، وليله الذي استطال ولا يكاد ينقضي، ويبدو أن هذا الليل وعاء للهموم والأحزان التي اجتمعت على الشاعر، ويبدو أن عنصر الزمن لعب دوراً درامياً في التأثير بنفس الشاعر الذي تضاعفت أحزانه فيه.

ويظلُّ للزمن في الأعمال السردية أهمية قصوى، وقد أواه النقد قديماً وحديثاً عنايةً ملحوظة؛ لأن الزمن هو الإيقاع الذي يضبط أحداث الحياة، والشاهد الحيُّ على مصير شخصياتها، والعنصر الفعال الذي يغذي حركة الصراع^(٢). فالنصُّ غالباً ما يتضمَّن أفعالاً لأشخاص أو أحداثاً يضطربون فيها، وهذه الأفعال والأحداث تمرُّ في مراحل زمنية من العمر، ومن ثمَّ فإنَّ هذه الأحداث حين تصاغ في نصٍّ لا تأخذ شكلاً ثابتاً بقدر ما يحددها السياق، وغالباً ما يفتتح الشاعر النصَّ بحسب تسلسل الحكاية زمنياً، أي بدايتها فوسطها فنهايتها، ومن الممكن تقطيعه عبر أزمنا متأخرة أو متقدمة على حاضر النص، ومن ثمَّ يمكن استرجاع شرائحه المتقطعة أو تكرارها بحسب متطلبات السياق. وهذا يعني أن سرد الأحداث أو الأفعال أو المواقف قد صيغت من بداية الحدث أو وسطه أو نهايته. ويظهر ذلك في مشهد الصيد عند زهير بن أبي سلمى:

١- النابغة الذبياني: ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٨٥م، ص ٤٠-٤١. وقوله: أراح الليل عازب همه: أي كان همه عازباً بالنهار، لأنه يتعلل نهاره بالنظر والشغل، فيقل همّه، فإذا هو أمسى انفراد بحاله، ولم ير شيئاً يتعلل به، فيردَّ الليل عليه همه.
٢- يُنظر: عثمان، عبد الفتاح: بناء الرواية، دار التقدم، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٥٤.

إذا ما غَدَوْنَا نَبْتَغِي الصَّيْدَ مَرَّةً متى نَرَهُ فَإِنَّا لَا نُخَاتِلُهُ
 فِينَا نُبْغِي الصَّيْدَ جَاءَ غُلَامُنَا يَدِبُّ وَيُخْفِي شَخْصَهُ وَيَضَائِلُهُ
 فَقَالَ: شِيَاهُ رَاتِعَاتٌ بِقَفْرَةٍ مُسْتَأْسِدٍ الْقُرْيَانِ حُوٌّ مَسَائِلُهُ
 ثَلَاثٌ كَأَقْوَاسِ السَّرَّاءِ وَمِسْحَلٌ قَدْ اخْضَرَ مِنْ لَسِّ الْغَمِيرِ جَحَافِلُهُ
 وَقَدْ حَرَّمَ الطَّرَادُ عَنْهُ جِحَاشُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسُهُ وَحَلَائِلُهُ
 فَقَالَ أَمِيرِي: مَا تَرَى رَأْيِي مَا نَرَى أَنْخِتِلُهُ عَنْ نَفْسِهِ أَمْ نُصَاوِلُهُ
 فَبِتْنَا عُرَاءَةً عِنْدَ رَأْسِ جَوَادِنَا يُزَاوِلُنَا عَنْ نَفْسِهِ وَنُزَاوِلُهُ
 وَنَضْرِبُهُ حَتَّى اطْمَأَنَّ قَدَالُهُ وَلَمْ يَطْمَنَّ قَلْبُهُ وَخَصَائِلُهُ
 وَمُلْجِمُنَا مَا إِنْ يِنَالُ قَدَالُهُ وَلَا قَدَمَاهُ الْأَرْضَ إِلَّا أَنَامِلُهُ
 فَلَايَا بِلَايِي مَا حَمَلْنَا وَلِيدَنَا عَلَى ظَهْرِ مَحْبُوكٍ ظَمَاءٍ مَفَاصِلُهُ
 وَقَلْتُ لَهُ: سَدِّدْ وَأَبْصِرْ طَرِيقَهُ وَمَا هُوَ فِيهِ عَنْ وَصَاتِي شَاغِلُهُ
 وَقَلْتُ: تَعَلَّمْ أَنْ لِلصَّيْدِ غِرَّةً وَإِلَّا تُضَيِّعْهَا فَإِنَّكَ قَاتِلُهُ
 فَتَبَعَ آثَارَ الشِّيَاهِ وَلِيدُنَا كَشُؤْبُوبٍ غَيْثٍ يَحْفَشُ الْأَكْمَ وَابِلُهُ^(١)

١- ابن أبي سلمى، زهير: شرح شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، إعادة ط، ١٩٩٦م، ص ٤٩-٥٣. نبتغي الصيد: نريده. المستأسد: ما طال من النبت وقوي. القرين: مجاري الماء من الرياض، واحدها قري. الحو: ذات النبات الشديد الخضرة. المسائل: حيث يسيل الماء إلى الرياض. المسحل: الحمار الوحشي. السراء: شجر تتخذ منه القسي. اللس: الأخذ بمقدم الفم. الغمير: نبت أخضر قد غمره نبت آخر أطول منه. الجحافل: جمع جحفلة، وهي الشفة. الطراد: الصيادون. الحلائل: جمع حليلة، وهي زوج الرجل. نختله: نخادعه. نساوله: نجاهره. الشياه: بقر الوحش. الوليد: الغلام. الشؤبوب: الدفعة من المطر. يحفش الأكم: يكثر سيل الأكم حتى يستخرج ما فيها.

يقدم زهيرُ قصّته، ويكثر من عرض تفاصيلها التي تتفاعل فيها بطولته مع بطولة جواده ورفاقه وغلّامه، ومع البطولات الثانوية التي نهضت بها حمر الوحش وبقر الوحش وغيرها من حيوان الصيد.

بدأ الشاعر قصته بتحديد زمان بدايتها في الصباح الباكر، حيث خرج طالباً الصيد، وفي تلك الأثناء جاءه غلامه الذي ذهب يستطلع الحيوانات الوحشية، وتتسارع الأحداث مع عودة الغلام متخفياً يدبُّ في مشيه في حرص شديد، ويضائل شخصه، ويحاول جاهداً أن يداريه عن العيون، حتى لا تحس حمر الوحش بقدمه، وأخبر أصحابه بوجود قطع من البقر الوحشي وحمر الوحش، وحدد لهم موضع الصيد في روض مربع بين صفوف تلك الجحافل من الأتّن والحمر التي سارت عبر المروج الخضراء.

ويكاد زمن السرد يتوقف بسبب الحوار الذي يدور بين شخوص ثلاثة: زهير الشخصية الرئيسية في هذا المشهد، والغلام الذي ذهب يستطلع قطع الحيوان الوحشي، ويتعرف على منطقة الصيد، ثم يعود بالأخبار إليهم، والشخصية الثالثة هي مشيرهم في الصيد.

ويؤدي الغلام دوره في تسريع حركة السرد من خلال تسارع الأحداث المرافقة لحركته، إذ عاد لينبئهم بوجود الحمار الوحشي وحيداً مع أنه بعد أن تمكّن الصيادون من صغاره، واستطاع هذا الغلام أن يرى اللون الأخضر على شفتي الحمار الذي تناول النبات الأخضر الطري، ونقل مشاهداته إلى زهير وصاحبه، وهنا يدور الحوار بينهما في طريقة الصيد، وتبادلا الرأي بين الصيد حيلة وخداعاً، وبين الصيد مصاولةً وجهرًا، واستقرا على الصيد عدواً إليه، فأقبلوا على الجواد يعدونه للأمر الذي اتفقوا عليه.

ويؤكد زهير من جهةٍ أخرى نشاط الفرس وحيويته، ومدافعتة لمعالجيه، وبرز العناء الذي أصابهم في حمل الغلام على صهوته «فلاياً بلائياً ما حملنا وليدنا»، كما يبرز الحوار والنقاش الذي دار بين الغلام وبينه، حين أخذ يرسم لنا صورة الوصيّة التي بلغها لهذا الغلام المدرب الذي يؤدّي مهنته بمهارة فائقة، كي يتمكن من تحقيق غايته، مستخدماً الهيئات الجسديّة، كقوله عن الغلام: «يَدِبُّ وَيُخْفِي شَخْصَهُ وَيُضَائِلُهُ»، وهي صورةٌ حركيّةٌ تصوّر الحذر البالغ والحيلة الشديدة في مثل هذه المواقف والهيئات النفسيّة لأصحابه حين بدؤوا يروّضون الفرس، وحالة القلق تسيطر عليهم لشدة حرصهم على الصيد والحصول عليه، وقد انتقلت الحالة النفسيّة إلى الفرس نفسه، فبدأ قلقاً وأخذ يعالج مدافعتهم، ويعالجون إجمامه، حتى اطمأنّ ظهره، ولكن قلبه لم يطمئنّ بعد، ولم تهدأ أعصابه بسبب شدّة نشاطه، وهذا ما أتعبهم وهم يحملون الغلام على ظهره، وصوّر الحالة النفسيّة للغلام المشغول عن وصايا الشاعر بما يخالج نفسه من المخاوف وما ينتظره من صراع «وما هوَ فيهٍ عن وَصَاتِي شَاغِلُهُ»، إلى غير ذلك من الصفات التي تفصح عن طبع الرزاة والتعقل عند الشاعر، والتي كان الحوار وسيلته إليها، فالحوار يكشف عن الشخصيّات بمظهره الداخلي والخارجي، والإسهام في بناء الحدث ونموّه، فضلاً عن التلاحم بين عناصر العمل القصصي، وكذلك يصعد الحوار من وتيرة الصراع بنوعيه الداخلي والخارجي.

ويكمل زهير قصته مقدّمًا الحلّ بعد أن تشابكت الأحداث، فيقول:

نَظَرْتُ إِلَيْهِ نَظْرَةً فَرَائِئُهُ	على كلِّ حالٍ مرّةً هو حامِلُهُ
يُثْرَنَ الحِصَى فِي وَجْهِهِ وَهُوَ لَاحِقٌ	سِرَاعٌ تَوَالِيهِ صِيَابٌ أَوَائِلُهُ
فَرَدَّ عَلَيْنَا العَيْرَ مِنْ دُونِ إلفِهِ	على رُغْمِهِ يَدْمَى نَسَاهُ وفَائِلُهُ

فَرَحْنَا بِهِ يَنْضُو الْجِيَادَ عَشِيَّةً مَخْضَبَةً أُرْسَاغُهُ وَعَوَامِلُهُ^(١)

تابع زهير فرسه بالوصف من خلال هذا المشهد، وفي أثناء مطاردة حمار الوحش، فالفرس لفرط نشاطه وشدة عدوه وقوة اندفاعه ينتقل بالغلام من حال إلى حال، يقصد إلى الصيد حيناً كي يطعمه فيه، ويميل عنه حيناً آخر إلى درجة اليأس منه، ويجمع حيناً ثالثاً حتى يخيل إليه الهلاك، على أن حدة الفرس لم تفتّر، ونشاطه لم يقل، فقد ظلّ يطارد جماعة الوحش التي ولت ممعنةً بالفرار، وبدأ الحصى يتطاير إلى وجهه وقدميه، فتخضبت قدماه بدماؤه من كثرة الحصى الذي ضربهما لشدة سرعته.

لقد بدا الشاعر شديد الإعجاب بفرسه، يكاد يذهب وحده بنصف القصة، وحرص على متابعتها بأدق حركاته، وكلما انصرف عنه لداعية أو خطرة عابرة رجع إليه بسرعة، فهو الذي يوجه أحداث القصة، والشخصيات تتحرك من أجله، وتتسارع حركة الزمن مع تسارع الأحداث وانتهاء الصراع، وتصل القصة الدرامية إلى مرحلة حل العقدة برمية نافذة في جوف الحمار يأتي بعدها انتصار الصياد، وكأن هذه النهاية جاءت لتحقيق الأسترخاء النفسي للشاعر بعد توتر عصبي طيلة فترة الانتظار والترقب. ويسترخي بعدها الغلام ورفاقه، وكذلك فرسه، ويهدأ التوتر والانفعال، وهنا تنتهي أحداث القصة نهاية مفرحة للشاعر ورفاقه.

خضع زمن القصة للتتابع المنطقي للأحداث، وتقيد السرد بهذا التتابع المنطقي في هذه القصيدة، فقد ابتدأ السرد بما يطابق زمن القصة. ومن الضروري الإشارة إلى أن هذا التقيد في السرد غير ملزم للشاعر؛ لأن أحداث القصة تكون متداخلة.

١- شرح شعر زهير بن أبي سلمى: ص ٥٤-٥٥. سراعٌ توأله: يعني رجليه وعجزه. صياب: جمع صائب، قاصد. أوائله: يده وصدرة. إلفه: أتانه. النسا والفائل: عرقان في الفخذ. ينضو الجياد: أي ينسلخ منها ويتقدمها. عوامله: قوائمه.

ثانياً: السرد الاسترجاعي:

الاسترجاع تقنية فنية يستخدمها الكاتب في عمله الأدبي، ويعني أي حدث أو مشهد يقع في زمن سابق على الزمن الذي يصفه العمل الأدبي، فغالباً ما يسير الخطُّ الزمنيُّ في شكله المألوف في اتجاه واحد من الماضي إلى الحاضر فالمستقبل، أمّا خطُّ الزمن الذي يستخدم تقنية الاسترجاع فإنه يسير في اتجاه عكسيٍّ من النقطة الزمنية التي يصفها العمل إلى ما قبلها، بمعنى أنه يعود إلى الوراء. ويرى جينيت أن «كل استرجاع، بالقياس إلى الحكاية التي يندرج فيها، حكاية ثانية زمنياً، تابعة للأولى»^(١). وهناك عدة أسباب تدعو الكاتب لاستخدام هذه التقنية، ومنها توضيح بعض الأحداث المهمة التي لها أثرٌ كبيرٌ في سير أحداث القصة، أو لتعميق إحساس معين يعيشه بطل القصة في تلك اللحظة، أو لبيان مفارقة صارخة بين الزمنين في تأثيرهما على الشخصيات.

ويعمد الشاعر الجاهليُّ إلى استخدام تقنية السرد الاسترجاعي في قصيدته التي تتضمن مشاهد درامية، خصوصاً إذا كان ذلك الشاعر متقدماً في السن، ويؤيد هذا الرأي ما ذهب إليه أستاذنا الدكتور عبد الرزاق الخشروم، حيث يقول: «ولا يكاد شعرٌ جاهليٌّ قيل في الشيخوخة أن يذكر أيام الصبا والشباب، ولكن هذا لا يمنع من وجود نماذج من البشر تناول فيها شعراؤها مرحلة الشباب أكثر من غيرهم، وهذا يتبع حرارة الحياة في نفس إنسان ما، وتمسكه بها أكثر من غيره، وربما إصراره على التمسك بها وعلى رفض الاستسلام للعجز»^(٢).

ولعلنا لا نبتعد كثيراً إذا رأينا أن ذلك يوافق ما نذهب إليه في عرض العناصر

١- جينيت، جيرار: خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ١٩٩٧م، ص ٦٠.

٢- الخشروم، عبد الرزاق: الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ١٩٨٢م، ص ٢٦٧.

الدرامية في القصيدة الجاهلية، فالشاعر عبيد بن الأبرص الذي تقدمت به السنون تلقى طلب الطلاق من زوجته، فبدأ يوظف تقنية الاسترجاع ليذكرها بأيام الشباب:

تلك عرسِي غَضِبِي تَريدُ زِيالي أَلِيبِنِ تَريدُ أَمَ لِدَلالِ
 إِنْ يَكُنْ طِبُّكَ الفِراقُ فلا أَحـ فِلا أَنْ تَعطِفي صَدورَ الجِمالِ
 أو يَكُنْ طِبُّكَ الدَلالَ فَلوُ في سالفِ الدَهرِ والليالي الخوالي
 ذاكَ إِذْ أَنْتِ كالمَهاةِ وَإِذْ آ تيكِ نَشوانَ مُرخِيا أَذيالي
 فدعي مَطَّ حَاجِبِيكَ وعِشي مَعنا بالرجاءِ والتأمالِ
 زَعَمَتْ أَنني كبرتُ وَأني قَلَّ مالي وَضَنَّ عَنِّي المَوالِي
 وصحا باطلي وَأصبحتُ شِخا لا يُواتي أمثالها أمثالي
 أَنْ رَأَنتي تَغيرَ اللَّونِ مِنِّي وعلا الشيبَ مَفرِقي وَقذالي
 فارفضي العاذلينَ واقنِي حِياءَ لا يَكونوا عَلَيكِ خَطَّ مِثالِ
 وَحَظُّ مَمانِعِيشُ فلا تَدُ هَبْ بِكَ التُّرَّهاتُ في الأَحوالِ^(١)

يدور الحوار بين الشاعر وزوجته حول الفارق الزمني في العمر بينهما بطريقة غير مباشرة، فلا يلجأ إلى الصيغة المعروفة بـ(قال، قالت، قلت)، وإنما يلجأ إلى عرض موقف كل منهما من الآخر، فيذكر الشاعر أن سبب غضب زوجته، وطلبها

١- ديوان عبيد بن الأبرص: تحقيق وشرح حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٥٧م، ص ١٠٦-١٠٨. عرسي: زوجي. الزبال: المفارقة. البين: الفراق. الدلال: التحاشي والتمنع على المحب. الطب: العادة. الخوالي: جمع خالية، الماضية. المهاة: البقرة الوحشية. النشوان: السكران. ضن: بخل. الموالى: جمع مولى، وهو الصديق والجار والقريب. المفرق: موضع افتراق الشعر، أي وسط الرأس. القذال: ما بين الأذنين إلى مؤخر الرأس.

الطلاق، هو كبر سنه وقلة ماله، فيسترجع لها أيام الشباب عليها ترجع عما تريد أن تذهب إليه. فدار بينهما حواراً طويلاً، أعرب فيه الشاعر عن دوافع غضبها بعد أن قدم لها تساؤلاً حول ذلك: أعن كراهية بسبب كبر السن أم هي الرغبة في إظهار الدلال والتمنع على الشاعر؟ والشاعر يحدثنا عن الدلال جاهلاً أو متجاهلاً الحقيقة الأساسية التي من أجلها طلبت زوجته الطلاق، وإن كانت تريد الطلاق فهذا أمرٌ قد مضى أوانه، وقد كان عرض الشاعر لموقفها وتحليل سلوكها كما يراه سبباً في التحاور معها، فتوجه إليها بالخطاب التهكمي الساخر، طالباً منها التوقف عن هذا السلوك العابث واستهانتها به في (مطّ حاجبيها) ورفضها للعيش معه، وفي مزاعمها حول كبره، واشتداد فقره، وانصراف الأصدقاء عنه، وضمنهم بمواساته، وأنه بذلك غدا لا يناسبها، ولا ترغب في الاستمرار معه.

يطلب الشاعر منها أن تصغي لصوت العقل، فلا تختلق الأسباب لهجره، ويحاول إقناعها بضرورة بقائها في بيتها، ويحذرهما من الوقوع تحت تأثير الوشاة ولوم اللائمين الذين يزينون لها مسألة هدم بيتها، وتنغيص حياتها.

ويوزع الشاعر لغة الحوار بما يتناسب مع الموقف بين حديث بضمير الغائب، فهي غضبي تريد فراقه، وزعمت أنه قد كبر، إلى لغة الخطاب: «إن يكن طُبُّكَ الفراق، أن تعظي، أو يكن طُبُّكَ الدلال» إلى عرض ذكريات الماضي مستخدماً تقنية الاسترجاع من خلال نفس الدرجة من الصياغة «إذ أنتِ كالمهاة» إلى تداعي صيغ الأمر التهكمية الساخرة، «فدعي مطّ حاجبيك وعيشي» إلى ما عرضه من مزاعمها الباطلة «زعمت أنني كبرت»، ولذلك يعود إلى لغة الأمر في مجال النصيح والإرشاد: «فارضي العاذلين، واقني حياء، ولا تذهب بك الترهات في الأهوال». ويطول نفس الشاعر ويستمر في استخدام تقنية الاسترجاع، وكأنه يدخل في حكاية جديدة مختلفة عن الحكاية الأصلية، وبزمنين مختلفين لكل

منهما، وذلك عندما قدّم لها جانباً من ذكرياته ولهوه أيام الشباب، متصراً على شيخوخته، فذكر لها مغامراته مع النساء، ودعم بها موقفه:

ولقد أدخُلَ الحِباءَ على مهٍ ضومةِ الكَشْحِ طَفْلَةَ كَالغُزَالِ
فتعاطيتُ جيدها ثمَّ مالتُ مَيْلَانَ الكَثِيبِ بَيْنَ الرِّمَالِ
ثمَّ قالت: فِدَى لِنَفْسِكَ نَفْسِي وفداءً لِمَالِ أَهْلِكَ مَالِي^(١)

والشاعر يتخذ من الحوار أداةً فنيّةً في إبراز أفكاره، سواء أكان ما يعرضه منها في إطار تجربة واقعيةٍ يعكسها سلوك زوجته، أم تجاوز ذلك إلى معاودة الماضي واسترجاع الذكريات، من خلال مغامرة، أو مغامرات مع غيرها من الفتيات في شبابه، حيث إنَّ «الحنين إلى الماضي محاولةٌ للانعتاق من وطأة الحاضر، وهو غربة عن الواقع، فحين يشعر المرء أن حياته قد قست عليه، فإنه يجد متنفساً بالهروب منها إلى الماضي»^(٢). وهذا كان حال الشاعر عبيد بن الأبرص في استرجاعه مغامراته السابقة.

ويلجأ عبيد بن الأبرص إلى استخدام تقنية السرد الاسترجاعي في قصيدةٍ مشابهة في موضوعها، حيث يقول:

ألا عَتَبْتُ عَلَيَّ اليَوْمَ عِرْسِي وَقَد هَبَّتْ بِلِيلٍ تَشْتَكِينِي
فَقالتُ لي كَبَرْتُ فَقَلْتُ حَقًّا لَقَدْ أَخَلَفْتُ حِينًا بَعْدَ حِينِ
تُرِينِي آيَةَ الإِعْراضِ مِنْهَا وَفَظَّتْ فِي المَقالَةِ بَعْدَ لِينِ
وَمَطَّتْ حاجِبِها أَنْ رَأَتْنِي كَبَرْتُ وَأَنْ قَدِ ابْيَضَّتْ قُرُونِي

١- ديوان عبيد بن الأبرص: ص ١١٠. الحياء: الخيمة. المهضومة: اللطيفة الضامرة. الكشح: الخصر. الطفلة: الرخصة الناعمة. تعاطيت: تناولت. الجيد: العنق.
٢- الخشروم، عبدالرزاق: الغربة في الشعر الجاهلي: ص ٢٤١.

فقلتُ لها رُويدكِ بعضَ عتبي فإني لا أرى أن تزدهيني
وعيشي بالذي يُغنيكِ حتّى إذا ما شئتِ أن تنأيَ فبيني
فإن يكُ فأتني أسفاً شبابي
وكانَ اللهوُ حالفني زماناً فأضحى اليومَ منقطعَ القرينِ
فقد أَلجُ الحِباءَ على العذارى كأنَّ عيونَهُنَّ عيونَ عِينِ
يَلنَّ عليَّ بالأقربِ طوراً وبالأجسادِ كالرِيطِ المصُونِ^(١)

يتكرر الصراع عند الشاعر بين زمنين في حياته، بين الشيخوخة والمشيب والعجز وبين الشباب والتدفق والحيوية، ويظهر ذلك من خلال الحوار الخارجي الذي دار مع زوجته التي راحت تذكره بحاضره المؤلم مركزة على صفاته الجسدية والنفسية (بياض الشعر - التقدم في السن - العجز)، وكأنها تستهزئ به بسبب عجزه في الزمن الحاضر إذ فاته شبابه، ولم يعد الشاعر قادراً على الصبر على تصرفاتها وأقوالها، فطلب إليها أن ترحل إذا أرادت ذلك، لأن حياة اللهو التي صاحبته زمناً طويلاً أصبحت بعيدة عنه الآن.

ولم يجد الشاعر سبيلاً لتسجيل الانتصار في هذا الصراع سوى العودة إلى الماضي الجميل محاولاً أن يثبت رجولته أمامها من خلال الصراع بين زمانين هما الحاضر الكئيب الذي يمثّل عجزه، والماضي السعيد الذي كان فيه يدخل خيمة العذارى، ويمارس صنوف اللهو المختلفة معهنّ.

١- ديوان عبيد بن الأبرص: ص ١٣٢-١٣٥. أخلفت حيناً بعد حين: أي مضت له سنون بعد سنين. آية: علامة. الفظة: سيئة الخلق. مطّ حاجبيها: أي ثنتهما. قروني: شعري. تزدهيني: تستخفين بي. ألج: أدخل. الحباء: الخيمة. الأقرب: الخواصر. الأجساد: جمع جيد، العنق.

ظهر البطل في حاضره عاجزاً عن التواصل مع امرأة واحدة، ولم يكن قادراً على التصرف إزاءها، ولكنه في المقابل كان يدخل خيمة العذارى، ويلهو بمجموعة من النساء، وهو ما يريد الشاعر أن يبقى حاضراً أمام ناظره مهما تقدم به العمر.

وهذا عبد يغوث بن وقاص الحارثي يسترجع ذكريات الشباب بعد أن وقع في الأسر، فيقول:

وقد عَلِمْتُ عَرَسِي مُلَيْكَةً أَنَّنِي أَنَا اللَّيْثُ مَعْدُوًّا عَلَيَّ وَعَادِيَا
وقد كُنْتُ نَحَارَ الْجَزُورِ وَمُعْمَلِ الْ مَطِيٍّ وَأَمْضِي حَيْثُ لَا حِيَّ مَاضِيَا
وَأَنْحُرُ لِلشَّرْبِ الْكِرَامِ مَطِيَّتِي وَأُصْدَعُ بَيْنَ الْقَيْتَيْنِ رَدَائِيَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمَّصَهَا الْقَنَا لَطِيفًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاةِ بِنَانِيَا
كَأَنِّي لَمْ أُرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقُلْ لَخَيْلِي: كُرِّي نَفْسِي عَنْ رِجَالِيَا
وَلَمْ أَسْبَأِ الزِقَّ الرَّوِيِّ وَلَمْ أَقُلْ لِأَيْسَارِ صِدْقٍ: أَعْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا^(١)

ورد في (المفضليات) أن الشاعر بطل هذه القصة وقع في أسر بني تميم، وقد شدوا لسانه كي لا يهجوهم، ولما لم يجد من الموت بداً طلب إليهم أن يطلقوا لسانه، ليذم أصحابه الذين تقاعسوا عن فك أسره، وينوح على نفسه، وأن يقتلوه قتلة كريمة، فأجابوه. ثم تضيف الرواية أنهم سقوه الخمر، وقطعوا له عرقاً يقال له: (الأكحل)، وتركوه ينزف حتى مات^(٢).

١- الضبِّي، المفضَّل: المفضَّلِيَّات، تحقيق عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٦٤م، ص ١٥٨-١٥٩.
٢- يُنظر: المفضَّلِيَّات: ص ١٥٥.

بدأ السرد الاسترجاعي عند الشاعر بتقديم الشخصية الثانية في هذا المشهد، وهي زوجته (مليكة)؛ لأنها أدرى الناس بسجاياه النبيلة المتمثلة في الكرم والسخاء لأضيافه في زمن الرخاء، حيث تخطى ذلك الكرم ما هو شائع بين الناس، والشجاعة في ميادين النزال ومقارعة الفرسان، فأبناء قومه يعتمدون عليه في التصدي للمعتدين مهما كثر عددهم.

كان إدراك الشاعر لحتمة الموت في الأسر قد جعله يستخدم تقنية السرد الاسترجاعي ليقدّم لنا جانباً من بطولاته في الأيام الخوالي، تخلد ذكره بعد موته، وكأنه يرثي نفسه قبل الرحيل في مشهدٍ دراميٍّ مؤثر.

وقد وظّف امرؤ القيس تقنية السرد الاسترجاعي في ردّه على (بسباسة) التي راحت تعيره بتقدمه في السن:

كَبُرْتُ وَأَلَّا يُحْسِنُ اللَّهُ أَمْثَالِي	أَلَا زَعَمْتَ بِسِبَاسَةَ الْيَوْمِ أَنَّنِي
وَأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزْنَ بِهَا الْخَالِي	كَذَبْتَ لَقَدْ أَصَبِي عَلَى الْمَرْءِ عِرْسَهُ
بِأَنْسَةِ كَأَنَّهَا خَطُّ تَمَثَالِ	وَيَا رَبَّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ وَلَيْلَةَ
كَمْ صَبَاحٍ زَيْتٍ فِي قَنَادِيلِ ذُبَالِ	يُضِيءُ الْفَرَاشَ وَجْهَهَا لَضَجِيعِهَا
أَصَابَ غَضِي جَزْلاً وَكُفَّ بِأَجْذَالِ	كَأَنَّ عَلَى لَبَاتِهَا جَمْرَ مُصْطَلِ
صَبًّا وَشَمَالٍ فِي مَنَازِلِ قُفَالِ	وَهَبَّتْ لَهُ رِيحٌ بِمُخْتَلَفِ الصُّوَى
لَعُوبٍ تَسِينِي إِذَا قَمْتُ سِرْبَالِي	وَمِثْلِكَ بِيضَاءِ الْعَوَارِضِ طَفَلَةَ
بِمَا احْتَسَبَا مِنْ لَيْنِ مَسٍّ وَتَسْهَالِ	كَحَقْفِ الْقَنَايْمِشِيِّ الْوَلِيدَانِ فَوْقَهُ
إِذَا انْفَتَلْتُ مُرْتَجَّةً غَيْرِ مِتْفَالِ	لَطِيفَةِ طِيِّ الْكَشْحِ غَيْرِ مُفَاضَةِ

إذا ما الضَّجِيعُ ابتزَّها من ثيابها تَمِيلُ عليه هونَةً غيرَ مجبالٍ^(١)

أصبح البطل عاجزاً في نظر بطله قصته في الزمن الحاضر، والصراع بينهما يميل لصالحها، إذ ادَّعت أنه لم يعد قادراً على اللهو، فأصبح الشاعر يعيش صراعاً درامياً بين حاضره الذي لم يعد فيه قادراً على مجاراة النساء، وبين ماضيه حيث كان يفيض حيويةً ونشاطاً، وقد حاول جاهداً أن ينتصر عليها من خلال صراخه بأعلى صوته: (كذبت)، وحاول أن يقدّم المسوّغات التي تسانده في هذا الصراع، فاسترجع ذلك الزمن الجميل الذي كان فيه منتصراً دائماً في كل مواقف الغزلية، وعرض أمامها سجل انتصاراته في ميدان النساء، ومغامراته اللهوية.

ويوظف امرؤ القيس تقنية السرد الاسترجاعي مرة ثانية في مشهد آخر من القصيدة نفسها لإبراز حاجته إلى الشباب في قصة دخوله إلى بيت العذارى، فيقول:

وَبَيْتِ عِذَارِي يَوْمَ دَجْنٍ وَجَلَّتُهُ	يُطْفَنَ بِجَمَاءِ الْمُرَافِقِ مِكْسَالِ
سِبَاطِ الْبَنَانِ وَالْعَرَائِنِ وَالْقَنَا	لِطَافِ الْخُصُورِ فِي تَمَامِ وَإِكْمَالِ
نَوَاعِمَ يُتْبِعَنَّ الْهَوَى سُبُلَ الرَّدَى	يَقْلَنَ لِأَهْلِ الْحِلْمِ ضُلاَّ بِتَضْلَالِ
صَرَفْتُ الْهَوَى عَنْهُنَّ مِنْ خَشِيَةِ الرَّدَى	وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ
كَأَنِّي لَمْ أُرْكَبْ جَوَادًا لِلذَّةِ	وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ

١- ديوان امرئ القيس: ص ٢٨-٣١. أصبى: أذهب بفؤادها. يُزَنُّ بِتَهْم. الخالي: الذي لا زوج له. الذبال: الصانعون للفتائل. الأجدال: أصول الشجر. كف بأجدال: حلق حول الجمر بأصول الشجر. الصوى: الأكم الصغار. القفال: الراجعون من السفر. الطفلة: الناعمة الرخصة للبدن. السربال: القميص. الجقف والقنا: ما استدار من الرمل. لطيفة طي الكشح: ليست بمنفخة الجنين والخاصرتين. المفاضة: العظيمة البطن. المرتجة: المهتزة لنعمتها. المتفال: التاركة للطيب حتى تقبح رائحتها. الهونة: السهولة اللطيفة. المجبال: العظيمة الخلق.

ولم أسبأ الزقَّ الرويَّ ولم أقلَّ لخليلي: كُريِّ كَرَّةً بعدَ إِجْفالِ
 ولم أشهدِ الخيلَ المغيرةَ بالضُّحى على هَيْكَلٍ نَهْدِ الجَزَارَةِ جَوَّالِ
 سليمَ الشُّطَى عِبِلِ الشَّوَى شَنِجِ النَّسَا لَهُ حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَى الْفَالِ
 وَصُمَّ صِلاَبٍ مَا يَقِينَ مِنَ الْوَجَى كَأَنَّ مَكَانَ الرَّدْفِ مِنْهُ عَلَى رَالِ^(١)

بدأ الشاعر قصته بتحديد المكان والزمان، فالمكان هو بيت العذارى، والزمان في يوم مظلم من شدة الغيوم التي حجبت أشعة الشمس. ويقدم لشخصيات قصته من خلال الوصف الخارجي للشخصيات، فالعذارى لئيات الأصابع، مُلْسُ الأنوف، لطيفات القامات والخصور، قد اكتملت نضارتهم، يضلن أهل العقول، ويقدن من أحبهن إلى مسالك الردى. وهنا تزداد حدة الصراع في نفس الشاعر في مواجهة امرأة تامة الخلق مكتملته، فأردافها تامة، وكذلك صدرها ومناكبها كاملة.

ويبدو أن البطل خسر المواجهة بسبب تقدمه في السن، فراح يسترجع ذلك الزمن الجميل، علّه يكون سبيلاً لتسلية النفس بعد أن فقد شبابه وحيويته، وما كان منه سوى الابتعاد عنهم كأنه لم يلتق بامرأة من قبل، ولم يخض مغامرة للوصول إليها والتلذذ بها، ولم يركب جواداً للصيد، ولم يشتر الزق المملوء بالخمير، ولم يخض معركة بطريقة الكر على الأعداء بعد انسحاب أصحابه في وقت الضحى. نسي الشاعر أمر العذارى تماماً، وراح يقدم وصفاً خارجياً لحصانه النشيط الذي امتلك صفات القوة والسرعة، وذلك من أجل تعويض الخسارة التي ألمت به

١- ديوان امرئ القيس: ص ٣٤-٣٥. الدجن: إلباس الغيم السماء. ولجته: دخلته. الجماء: الغائبة عظم المرفق لكثرة لحمها. سباط البنان: الأصابع. العرائن: الأنوف. الردى: الهلاك. الخلال: المصادقة. الإجفال: الانهزام والانقلاع من الموضع بسرعة. الجزارة: القوائم. الجوال: النشيط السريع في إقباله وإدباره. سليم الشطى: عظم صغير في يد الفرس. الشوى: القوائم. النسا: عرق. الحجبات: رؤوس الأوراك. الرال: فرخ النعام.

في حاضره . ويمكن ملاحظة أن الزمن يتوقف في موقف الوصف، وقلما نستطيع الحصول على نصّ سرديّ خالٍ من الوصف. وللوصف وظيفتان حدّهما الدكتور حميد لحداني بقوله: «وتتحدّ وظائف الوصف -بشكل عام- في وظيفتين أساسيتين: الأولى جماليّة، والوصف يقوم في هذه الحالة بعمل تزيينيّ، وهو يشكّل استراحةً في وسط الأحداث السردية، والوظيفة الثانية توضيحية أو تفسيرية أي تكون للوصف وظيفة رمزية دالة على معنى معيّن في إطار سياق الحكيم»^(١).

ولم يجد الشاعر سبيلاً لتعويض ذلك النقص إلا من خلال استخدام تقنية السرد الاسترجاعي، فنقلنا بين موقفين متناقضين بسبب اختلاف الزمن، فالبطل في الحاضر خاسرٌ ومنهزم، وفي الماضي فائزٌ ومنتصرٌ، فالمفارقة الزمنية تحدّدت بين بداية اللحظة المفارقة في زمن القصة، وبين بدايتها في زمن السرد الاسترجاعي.

ثالثاً: الحذف أو الفجوة:

يختلف زمن الحكاية عن زمن السرد بسبب تعيّر في سرعة الرواية، والسرعة درجاتٌ أقصاها الحذف، وهو حذف فترةٍ طويلةٍ أو قصيرةٍ من زمن القصة، وما جرى فيها من أحداث ووقائع، وهو يحدث عندما يسكت السرد عن جزءٍ من القصة، أو يشير إليه بعباراتٍ زمنيةٍ تدلّ على موضع الحذف أو الفجوة.

ويميز جنيت بين زمن الحكاية وزمن القصة، فيرى أنّ مقارنة مدة الحكاية بمدة القصة التي ترويها هذه الحكاية عمليةٌ صعبةٌ إلا في المشهد الحوارية، وهذا التبدل في السرعة يسميه جنيت حركة السرد، ويجدها متدرجة من تلك السرعة اللامتناهية التي هي سرعة الحذف حيث لا يوجد مقطعٌ سرديٌّ يوافق مدّة ما في القصة، إلى ذلك البطء المطلق الذي هو الوقفة الوصفية حيث لا يوافق مقطع ما

١ - لحداني: حميد: بنية السرد الروائي، ص ٧٩.

من الخطاب السردّي، أي مدّة في القصّة. والحذف عند جينيت ثلاثة أنواع، هي: الحذف الصريح، وهو الحذف الذي يصدر عن إشارة محدّدة أو غير محدّدة، والحذف الضمني، وهو الحذف الذي لا يعلنه النص، وإنما يستنتجه القارئ من خلال ثغرة في التسلسل الزمني للحكاية، والحذف الافتراضي، وهو أكثر أشكال الحذف ضمنية، ينمُّ عنه بعد فوات الأوان استرجاع من الاسترجاعات^(١).

وبذلك يكون الحذف حركة سردية سريعة، يحيل على مدّة زمنية من القصّة لا يوافقها حيناً في النص الأدبي، «ويلجأ الشاعر إلى هذه التّقنية ليتخطّى الفترات الزمنية غير المؤثّرة في حياة الشخصية»^(٢)، وكذلك التي لا تقع فيها أحداث مهمّة بالنسبة إلى القصّة الدرامية، وذلك من أجل الوصول إلى الأحداث المهمّة في حياة الشخصية ودورها الذي تؤدّيه، فالزمن على مستوى الوقائع يكون طويلاً، بينما لا يكاد يقاس على مستوى القول. «وهناك نوعٌ من الفجوات التي لها طابعٌ زمنيٌّ أقلّ صرامةً، والتي لا تقوم على إلغاء مقطع زمني، بل على إسقاط أحد العناصر المشكلة للوضع، في مرحلةٍ تشملها الحكاية مبدئياً»^(٣).

ويتحكّم الشاعر في زمن القصّة الشعريّة فيختصر أحياناً الوقت الذي تستغرقه في القصّة عدداً من الأشهر والسنوات، فيمكن تقديمه في بيتين من الشعر، وقد يكون توسيعاً للوقت الذي تستغرقه القصّة في دقائق فيقدمه في مقطوعة.

وقد وظّف الشاعر لبيد بن ربيعة تقنيّة الحذف وهو يحكي لنا قصّة الحمار الوحشي وأتانه، في قوله:

أَوْ مُلْمَعٍ وَسَقَتْ لِأَحْقَبَ لَاحَهُ طَرَدُ الْفُحُولِ وَضَرْبُهَا وَكِدَامُهَا

١- يُنظر: جينيت، جزار: خطاب الحكاية، ص ١١٧-١١٩.

٢- يوسف، أمنة: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٨٩م، ص ٨٤.

٣- جينيت، جزار: خطاب الحكاية، ص ٦٢.

يَعْلُو بِهَا حُدْبَ الْأَكَامِ مُسَحَّجٌ قَدْ رَابَهُ عِصْيَانُهَا وَوِحَامُهَا
 بِأَحْزَةِ الثَّلْبُوتِ يَرْبَأُ فَوْقَهَا قَفَرَ الْمَرَاقِبِ خَوْفُهَا آرَامُهَا
 حَتَّى إِذَا سَلَخَا جُمَادَى سِتَّةً جَزَاءً فَطَالَ صِيَامُهُ وَصِيَامُهَا
 رَجَعَا بِأَمْرِهِمَا إِلَى ذِي مِرَّةٍ حَصِدٍ، وَنَجْحُ صَرِيمةٍ إِبْرَامُهَا
 وَرَمَى دَوَابِرَهَا السَّفَا وَتَهَيَّجَتْ رِيحُ الْمَصَايِفِ سَوْمُهَا وَسِهَامُهَا
 فَتَنَازَعَا سِبْطًا يَطِيرُ ظِلَالُهُ كَدُخَانٍ مُشْعَلَةٍ يُشَبُّ ضِرَامُهَا
 مَشْمُولَةٌ غُلَّتْ بِنَابِتٍ عَرَفَجٍ كَدُخَانٍ نَارٍ سَاطِعٍ أَسْنَامُهَا
 فَمَضَى وَقَدَّمَهَا وَكَانَتْ عَادَةً مِنْهُ إِذَا هِيَ عَرَدَتْ إِقْدَامُهَا
 فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِزًا قُلَامُهَا
 مَحْفُوفَةٌ وَسَطَ الْبِرَاعِ يُظِلُّهَا مِنْهُ مُصْرَعٌ غَابَةٌ وَقِيَامُهَا^(١)

تنافست الفحول على هذه الأتان، وتزاحمت حولها، واستطاع أحدها أن يستأثر بها، وقد حلَّ به التعب، والضعف الذي ظهر عليه (لاحه)، حيث تعرَّض لأذى الحمر الأخرى وضربها بأرجلها، وعَضَّها إِيَّاهُ، ودفاعه عن أتانته التي حملت

١- ابن ربيعة، لبيد: شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق إحسان عباس، وزارة الإعلام، دولة الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م. ص ٣٠٤-٣٠٧. الملمع: الأتان التي استبان حملها. وسقت: حملت. الأقب: البعير الذي في موضع الحقب منه بياض. لاحه: غيره. كدامها: عضها. الحدب: ما ارتفع من الأرض. المسحج: المعضض. عصيانها: امتناعها عليه. وحامها: شهوتها إليه. أحزة: جمع حزيز، وهو المكان الغليظ. الثلبوت: واد. يربأ: يقف طليعة ويشرف ويعلو. المراقب: المواضع المشرفة. الأرام: أعلام الطريق. جزءاً: اكتفاء بالرطب عن الماء. سلخا جمادى ستة: أكمل الشهر السادس من شهور الشتاء. المرة: القوة. حصد: محكم. الصريمة: العزيمة. الدوابر: مآخير الحوافر. السفا: شوك النبات المسمى بالهمى. سومها: حرها أو اختلاف هوبها. سهامها: ريحها الحارة. سبطا: غباراً متدا. مشعلة: نار. الضرام: الحطب الدقيق. مشمولة: أصابتها الشمال، يعني النار. غلثت: خلط حطبها. بنابت عرفج: بطري منه، فهو كثير الدخان. أسنامها: أعاليها. عرَدت: حادت عن الطريق. عرض: ناحية. السرى: نهر صغير. مسجورة: مملوءة يعني عينا. القلام: نبت وقيل هو القصب. البراع: القصب. المصراع: المائل من القصب.

منه، وملكت الغيرة عليه قلبه، فأثر حياة العزلة، والانفراد بأتانه بعيداً عن رفاقه. ومما زاده حرصاً على ذلك ما كان يراه من تمنع صاحبتة، وتجنبها له تارةً، وشهوتها له تارةً أخرى، فزادت ريبته، وقرّر أن ينطلق بها إلى المرتفعات، وحملها على أن تمضي مسرعةً للابتعاد عن هذا المكان. وكان يراقب الأحجار التي يضعها الناس، علامات للطريق ظناً منه أنها تلحق به الأذى، حتى تمت لهما العزلة والانفراد، وتوفر لهما فيه العشب والكلأ.

وفي هذا المكان يستخدم الشاعر تقنية الحذف والإسقاط «حتى إذا سلخاً جُمادى ستة جزءاً»، إذ قضياً أشهر الشتاء والربيع الستة، وبعد أن اشتدّ عليهما حرّ الصيف جفّ النبات، واشتدّت حاجتهما إلى الكلأ والماء، فصامتا عن الماء مكثفين بالرطب فترةً، ثم عزموا على البحث عن الماء معتمدين على رأي صارم اتخذاه قراراً لهما.

ويتوجه الحمار وأتانه باحثين عن الماء في تلك الريح الحارّة، وقد وخز الشوك دوابرهما، فانطلقا تاركين وراءهما غباراً ممتداً كدخان نارٍ ملتهبة قد أصابتها ريح الشمال، فاشتدّ دخانها لاختلاط حطبها رطبه بيباسه، ودفعها الحمار أمامه لئلا تنحرف عن الطريق، وفكراً طويلاً حتى اهتديا أخيراً إلى تذكّر نبع ماء، وسارا باتجاهه ومازالا يعدوان في طلبه حتى وصلا إليه مشققين النبت والقصب المحيطين بعين الماء، وقد كان قصباً كثيفاً منه القائم ومنه المائل.

استطاع الحمار وأتانه الانتصار في صراعها من أجل البقاء في نهاية هذا المشهد، إذ قاوما كل ما اعترض طريقهما من صعوباتٍ وعقبات، حتى ظفرا في النهاية بالحياة. وهنا ينتهي هذا المشهد الدرامي المرتبط بالحمار الوحشي وأتانه، ليبدأ مشهد آخر بطله البقرة الوحشية التي تمثل القسم الثاني من وصف الناقة، وتستمر القصة الدرامية بشخوصها الحيوانية.

ويلجأ الشاعر الصعلوك قيس بن الحداّدية إلى تقنية الحذف لتسريع الأحداث الدرامية في قصّة الحبّ التي لم تدم طويلاً وانتهت بفراق محبوبته (نعم) له، وحزنه الشديد على ذلك:

أَجْدُكَ إِنْ نُعِمَّ نَأَتْ أَنْتَ جَارِعٌ قَدْ اقْتَرَبْتُ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعٌ
قَدْ اقْتَرَبْتُ لَوْ أَنَّ فِي قُرْبِ دَارِهَا نَوَالًا وَلَكِنْ كُلُّ مَنْ ضَلَّ مَانِعٌ
وقد جاورتنا في شهورٍ كثيرةٍ فما نوّلتُ واللهِ راءٍ وسامِعٌ^(١)

يتساءل بطل هذا المشهد عن حالته إذا أزمعت المحبوبة (نعم) على الرحيل، فالبطل يعيش صراعاً داخل نفسه بين جمال اللقاء بالمحبوبة، وبين أسى الفراق المحتمل، وراح يتذكّر تلك الأيام التي كانا يلتقيان فيها دون أن ينال مبتغاه منها، وقد اختزل الشاعر شهوراً كثيرةً من العلاقة واللقاء في بضع كلمات؛ لأنّ الأحداث التي وقعت خلال هذه الشهور لم تكن مهمة في هذه العلاقة، حيث صرّح بذلك عندما قال: (فما نوّلتُ واللهِ راءٍ وسامِعٌ)، ولذلك لم يكن ثمة حاجةٌ لذكر التفاصيل طالما أن الأحداث المؤثرة فيها كانت غائبة.

وفي لحظات الفراق يدور حوارٌ دراميٌّ بين العاشقين، يظهر ألم الفراق، ويبرز البعد النفسي لكل منهما، ويصوّر عواطف الشخصيات:

وقلتُ لها في السّرِّ بيني وبينها على عَجَلٍ أَيَّانَ مِنْ سَارَ رَاجِعٌ
فقلتُ لفاءً بعد حولٍ وحجّةٍ وشحطِ النوى إلّذي العهد قاطعٌ
وقد يلتقي بعد الشتاتِ أولي النوى ويسترجعُ الحيَّ السحابُ اللوامعُ^(٢)

١- الضامن، حاتم صالح: عشرة شعراء مقلون، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٠م، ص ٣٧.

٢- المصدر السابق: ص ٣٧.

إن هذا الحوار الذي دار بين بطلي هذه القصة يؤكد على الزمن المرتقب للقاء مرة ثانية (بعد حول وحجة) وهو زمنٌ طويلٌ، وخلال هذه الفترة سيستمر الصراع الدرامي داخل الشاعر بين ألم الفراق وبين الشوق للقاء، وقد حاول في حوار الطويل معها أن يؤثر وجدانياً في محبوبته من خلال تأكيد أمل العودة إليه من جديد، إذ بثها شكواه، مقررًا بإمكانية حدوث اللقاء، ويتواصل الحوار بين البطل ومحبوبته:

فقلتُ لها يا نَعْمَ حُلِّي مَحَلَّنَا فَإِنَّ الْهَوَى يَأْنَعُمُ وَالْعَيْشُ جَامِعُ
فَقَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ عِبْرَةً بِأَهْلِي بَيْنَ لِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ
فَقُلْتُ لَهَا تَاللهِ يَدْرِي مَسَافِرٌ إِذَا أَضْمَرْتَهُ الْأَرْضُ مَا اللهُ صَانِعُ
فَشَدَّتْ عَلَيَّ فِيهَا اللَّثَامَ وَأَعْرَضْتُ وَأَمَعْنَ بِالْكَحْلِ السَّحِيقِ الْمَدَامِعُ
وَإِنِّي لَعَهْدِ الْوَدِّ رَاعٍ وَإِنِّي بُوَصْلِكَ مَا لَمْ يَطُونِي الْمَوْتُ طَامِعُ^(١)

وصل الزمن بالقصة إلى اللحظة المأساوية من خلال هذا الحوار الذي يعكس الصراع في نفسيهما، وطلب الشاعر من محبوبته تبادل الأدوار كي تتخيل نفسها مكانه، وقد لفه الحزن والألم، وانعكس الصراع الداخلي في نفسها من خلال الدموع التي فاضت على خديها، ليقرر الشاعر أن أحداث المستقبل خفية ولا يعلمها إلا الله، فتزداد عند ذلك حدة الدرامية في هذا المشهد، وتنساب دموع المحبوبة بغزارة، ويؤكد لها الشاعر بشكل صريح أنه سيرعى عهد الحب بينهما ويحفظه إلا إذا وقف الموت حائلاً دون ذلك، فهنا تنامي الحدث الدرامي إلى أن وصل إلى هذه اللحظة الشعورية المؤثرة في كل من الشاعر - البطل ومحبوبته في تصوير موقف الوداع.

١ - المصدر نفسه: ص ٣٧.

الخاتمة

وصل البحث إلى نهايته، ولا بدّ لنا أن نوجز أهمّ النتائج التي توصل إليها، شكّل الزمن عنصراً درامياً مهماً، وفي القصة الدرامية تجري أحداث كثيرة في وقت واحد، لكنّ الشاعر كان ملزماً أن يقدمهما مرتبةً ترتيباً متتالياً، ويمثّل زمن القصة الفترة الزمنية التي تستغرقها أحداثها، وقد تراوح الزمان بين تقنيات الإبطاء والتسريع حسب الموقف الدرامي الذي يقدمه الشاعر، ويتساوى هذا الزمن في بعض القصص الدرامية عند الشعراء كقصة الثور الوحشي، وليس بالضرورة تحديد زمن القصة، إذ يمكن تحديده بطريقة استدلالية من قرائن أخرى في القصيدة.

استخدم الشعراء تقنية السرد الاسترجاعي في قصصهم، خصوصاً عندما كانوا يقدّمونها في مرحلة الشيخوخة، فيسترجعون أيام الشباب في حيويته وتدفعه، والشاعر هنا يقدّم زمنين مختلفين أولهما هو زمن الحكاية الأصلية وثانيهما زمن سابق له، ولكنّ البطل في الحكايتين هو الشاعر نفسه.

أسهم الحذف أو الفجوة في تسريع حركة السرد، إذ يلجأ الشاعر إلى حذف الأحداث غير المهمة في بنية القصة الدرامية، وحرص الشاعر على استخدام عبارات زمنية تدلّ على موضع الحذف أو الفجوة، وبذلك يكون الحذف حركة سردية سريعة يحيل على مدّة زمنية لا يوافقها حدث مهمّ في النصّ الأدبيّ.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ابن أبي سلمى، زهير: شرح شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، إعادة الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.
- ابن ربيعة، لبید: شرح ديوان لبید بن ربيعة العامري، تحقيق إحسان عباس، وزارة الإعلام، دولة الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤ م.
- امرؤ القيس: ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة، ١٩٩٠ م.
- ابن الأبرص، عبيد: ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٥٧ م.
- الأعشى الكبير: ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٠ م.
- الضامن، حاتم صالح: عشرة شعراء مقلون، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٠ م.
- النابغة الذبياني: ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٨٥ م.
- الضبي، الفضل: الفضليات، تحقيق عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤ م.

ثانياً: المراجع:

- إبراهيم، نبيلة: فن القص بين النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة، د-ت.
- أبو ديب، كمال: الرؤى المنقّعة؛ نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦ م.
- جينيت، جيرار: خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧ م.

- الخشروم، عبدالرزاق: الغربة في الشعر الجاهليّ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٢ م.
- رينيه ويليك، وأوستن وارين: نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥.
- عثمان، عبد الفتاح: بناء الرواية، دار التقدّم، القاهرة، ١٩٨٢ م.
- حمداني، حميد: بنية النص السردية، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
- لفته، ضياء غني: البنية السردية في شعر الصعاليك، دار الحامد، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.
- محمد، إبراهيم عبد الرحمن: قضايا الشعر في النقد العربي، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١.
- النصري، فتحي: السردية في الشعر العربي الحديث؛ في شعرية القصيدة السردية، الشركة التونسية للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م.
- يوسف، آمنة: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٨٩ م.

Sources and References:

First: Sources:

- Ibn Abi Salma, Zuhair: Explanation of the poetry of Zuhair bin Abi Salma, The work of Abi Al-Abbas thaalab, Achievement of Fakhr Al-Din Kabawa, Contemporary Dar Al-Fikr, Beirut, Dar Al-Fikr, Damascus, reprinting the first edition, 1996.
- Ibn Rabiaa, Labeed: Explanation of Diwan Labeed bin Rabia Al-Amiri, Ihsan Abbas Investigation, Ministry of Information, State of Kuwait, second edition, 1984.
- Imru Al-Qais: Imran Al-Qais's Court, Investigation by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Maarif, Egypt, Fifth Edition, 1990.
- Ibn al-Abras, Obaid: Diwan Obaid ibn al-Abras, Investigation and Explanation of Hussein Nassar, Mustafa Al-Babi Al-Halabi and Sons Press, Egypt, first edition, 1957.
- Al-Aasha Al-Kabeer: Diwan Al-Aasha Al-Kabeer, Explanation and Commentary of Muhammad Muhammad Hussein, The Ideal Press, Cairo, First Edition, 1950.
- Al-Damen, Hatem Saleh: Ten Al-Mqallal Poets, Dar Al-Hekma for Printing and Publishing, Baghdad, 1990.
- Al-Nabigha Al-Dhubyani: Diwan Al-Nabighah Al-Dhubyani, investigation by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Maarif, Egypt, second edition, 1985.
- Al-Dhabi, Al-Mufaddal: Al-Mufaddaliat, Preferences, Investigation by Abd al-Salam Haroun and Ahmad Muhammad Shaker, Dar Al-Maarif, Egypt, Third Edition, 1964.

Second: References:

- Ibrahim, Nabila: The Art of Storytelling between theory and practice, Gharib Library, Cairo, no date.
- Abu Deeb, Kamal: Masked Visions: Towards a Structural Approach in the Study of Pre-Islamic Poetry, The Egyptian General Book Authority, 1986.
- Genet, Gerard: The Story letter, translated by Muhammad Mutasim, Abdul Jalil Al-Azdi and Omar Hali, Supreme Council of Culture, second edition, 1997.
- Al-Khushroum, Abdul-Razzaq: Alienation in Pre-Islamic Poetry, Arab Writers Union Publications, Damascus, First Edition, 1982.

-
- Rene Willik and Austin Warren: Literature Theory, translation by Mohieddine Sobhi, review by Hussam Al-Khatib, Arab Institute for Studies and Publishing, third edition, 1985.
 - Lafta, Daa Ghani: The Narrative Structure in Al-Saalik Poetry, Dar Al-Hamed, Amman, Jordan, First Edition, 2010.
 - Muhammad, Ibrahim Abdel Rahman: Poetry Issues in Arab Criticism, Dar Al-Awda, Beirut, second edition, 1981.
 - Al-Nasry, Fathi: The Narrative in Modern Arabic Poetry: In the Poetry of the Narrative Poem, The Tunisian Publishing Company, First Edition, 2006.
 - Youssef, Amna: Narration Techniques in Theory and Practice, Dar Al-Hiwar Publishing and Distribution, Lattakia, 1989.

قاعدة: الحقيقة تترك بدلالة العادة
دراسة تأصيلية تطبيقية

**Jurisprudential Maxim: The Rule of Truth Left
in Terms of Habit
An Applied Fundamental Study**

د. مبارك سعود العجمي

جامعة الشارقة – الإمارات العربية المتحدة

Dr. Mubarak Saud Al-Ajami

University of Sharjah - United Arab Emirates

<https://doi.org/10.47798/awuj.2020.i60.08>



Abstract

I highlighted in this study a great jurisprudence base of importance in the science of jurisprudence, a rule of truth left in terms of habit, I have followed in my study of this rule inductive method and descriptive analytical, The study was divided into seven demands, which dealt in the first request with the overall meaning of the rule of truth left as a function of habit. In the sixth requirement, I mentioned doctrinal applications on the rule. I then concluded the study with a conclusion containing the most important findings and recommendations. The study found that the truth has four types: linguistic, legitimacy, customary public, and customary, and that the custom is usually to continue something acceptable to the proper printing, and return to it again and again, which is the desire to custom, and that the rule of truth left in terms of habit falls under the rule is Custom Court.

Keywords: truth, leave, jurisprudential base, significance of habit, Custom Court.

ملخص البحث

سلط الضوء في هذه الدراسة على قاعدة فقهية عظيمة لها أهميتها في علم القواعد الفقهية، وهي قاعدة الحقيقة تترك بدلالة العادة، وقد اتبعت في دراستي لهذه القاعدة منهج استقرائياً ووصفياً تحليلياً، وقسمت الدراسة إلى مطالب سبعة، تناولت في المطلب الأول المعنى الإجمالي لقاعدة الحقيقة تترك بدلالة العادة، وذكرت في المطلب الثاني ألفاظ القاعدة، وبينت في المطلب الثالث أدلة القاعدة، وفي المطلب الرابع تناولت القواعد ذات الصلة بالقاعدة، وفي المطلب الخامس تناولت بعض الفروع الفقهية للقاعدة، وفي المطلب السادس قمت بإيراد تطبيقات فقهية على القاعدة، وفي المطلب السابع قمت بإيراد تطبيقات معاصرة للقاعدة، وفي المطلب الثامن تناولت مستثنيات القاعدة، ثم ختمت الدراسة بخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات. وتوصلت الدراسة إلى أن الحقيقة أنواع أربعة: لغوية، وشرعية، وعرفية عامة، وعرفية خاصة، وأن المقصود بالعادة هو الاستمرار على شيء مقبول للطبع السليم، والمعادة إليه مرة بعد أخرى، وهي المرادة بالعرف، وأن قاعدة الحقيقة تترك بدلالة العادة تندرج تحت قاعدة كبرى هي: العادة محكمة.

الكلمات المفتاحية: الحقيقة، تترك، دلالة العادة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد؛

فإن علم القواعد الفقهية من أعظم علوم الشريعة وأهمها للفقيه والمفتي والقاضي والحاكم، إذ به تتدرب النفوس في مأخذ الظنون ومدارك الأحكام. فمن استوعب القواعد وأحاط بها فقد استوعب وأحاط بالفقه كله، وبناء عليه فقد حصل على الخير كله؛ نظراً لأهمية العلم المتعلقة به؛ إذ الفقه الإسلامي هو الذي ينظم أعمال المكلفين في شتى مرافق حياتهم ويربطهم بخالقهم ومعبودهم، والعلوم بشتى فروعها خادمة له وهي كلها مترابطة متكاملة تكون بمجموعها بناءً متراصاً، يتجه نحو هدف واحد، هو تنظيم أفعال المكلفين وربطهم بخالقهم ومعبودهم، وهي الغاية التي خلق من أجلها الإنسان قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات، الآية: ٥٦).

وعلم القواعد الفقهية علم عظيم النفع جليل الفائدة؛ إذ هو علم معرفة الحلال والحرام، ومن هنا بين العلماء أن من جمع القواعد الفقهية فقد سلك لأحكام المسائل الفقهية - مهما اختلفت موضوعاتها وتباعدت مخارجها - أيسر سبيل وأقوم طريق؛ حيث معه طالب العلم لا يتوه بين أشتات الجزئيات وأحكام المسائل المختلفة، ومن هنا كانت عناية العلماء به، حيث عمدوا إلى الإحاطة بمناهج كبار الأئمة السابقين وأصولهم فتعرفوا علل الأحكام التي يستنبطها أولئك، واستقصوا أنواع الأحكام المتشابهة التي تجمع بين المسائل المختلفة، فجمعوا الشبيه إلى شبيهه وضموا النظير إلى نظيره، وضبطوا ما تشابه وتمائل برباط وضابط واحد هو القاعدة فتكونت بذلك القواعد الفقهية التي تجمع كل واحدة منها المسائل المتحدة في حكمها وتنظمها بسلك واحد.

فكان هذا العمل الجليل العظيم أساساً سليماً وقياساً صحيحاً مستقيماً لاستنباط واستخراج علل الأحكام الفقهية، ومن هنا حاولت أن أضرب بسهمي في الإحاطة بهذا العلم الجليل، فكان اختياري لدراسة قاعدة من القواعد الفقهية، ألا وهي قاعدة: «الحقيقة تترك بدلالة العادة» لما لهذه القاعدة من أهمية عظيمة؛ حيث كثرت الفروع الفقهية المندرجة تحتها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة الدراسة في الحاجة لمعرفة قاعدة الحقيقة تترك بدلالة العادة التي لها واقع بين الناس، وبيان كيفية تخريج الفروع على هذه القاعدة، وينبثق عن هذه المشكلة عدة تساؤلات هي:

١- ما المعنى الإجمالي لقاعدة الحقيقة تترك بدلالة العادة؟

٢- ما ألفاظ القاعدة عند الفقهاء؟

٣- ما الأدلة على صحة القاعدة؟

٤- ما القواعد ذات الصلة بالقاعدة؟

٥- ما بعض الفروع الفقهية للقاعدة؟

٦- ما أهم التطبيقات الفقهية على القاعدة؟

٧- ما أهم مستثنيات القاعدة؟

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

دفعني إلى دراسة هذا الموضوع عدة أسباب؛ أهمها:

١- هذه الدراسة متعلقة بأهم علم من علوم الشريعة؛ وهو علم الفقه وقواعده، وبشرف العلم يشرف المعلوم.

٢- التعرف على الفروع الفقهية المندرجة تحت القاعدة محل الدراسة.

- ٣- خدمة أهل العلم في الإسهام في دراسة هذا العلم.
- ٤- كون هذا الدراسة من الأهمية بمكان حيث الدراسة التأصيلية التطبيقية لقاعدة عظيمة من القواعد الفقهية.
- ٥- لم أقف على دراسة حول هذه القاعدة.
- ٦- تزويد المكتبة الإسلامية بمؤلف جديد جمع بين طياته حلقة من حلقات البحث العلم.

الدراسات السابقة:

بعد عدة جولات من البحث في المكتبات الجامعية والعامية، ومراكز البحوث والمكتبات الالكترونية ومواقع الانترنت، لم يتمكن الباحث من الوصول إلى دراسات سابقة حول هذه القاعدة.

منهج الدراسة:

بما أن البحث يتناول «قاعدة الحقيقة تترك بدلالة العادة»، ناسب أن يكون المنهج الذي سأتبعه هو المنهج الاستقرائي، ثم المنهج الوصفي التحليلي التطبيقي.

تقسيمات البحث:

المقدمة: تشتمل على مشكلة الموضوع، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة.

المطلب الأول: المعنى الإجمالي لقاعدة الحقيقة تترك بدلالة العادة.

المطلب الثاني: ألفاظ القاعدة.

المطلب الثالث: أدلة القاعدة.

المطلب الرابع: القواعد ذات الصلة بالقاعدة.

المطلب الخامس: بعض الفروع الفقهية للقاعدة.

المطلب السادس: تطبيقات فقهية على القاعدة.

المطلب السابع: تطبيقات فقهية معاصرة على القاعدة.

المطلب الثامن: مستثنيات القاعدة.

الخاتمة، وتشتمل على أهم الخلاصات والتوصيات.

الفهارس.

المطلب الأول: المعنى الإجمالي لقاعدة الحقيقة تترك بدلالة العادة

يتضمن هذا المطلب تعريف (الحقيقة) لغة واصطلاحاً، بالإضافة إلى تعريف (العادة) لغة واصطلاحاً لكونها مركبة منهما، ثم يُختم بالمعنى الإجمالي للقاعدة.

أولاً- تعريف الحقيقة لغة واصطلاحاً:

الحقيقة لغة: ضد المجاز، والحقيقة أيضاً ما يحق على الرجل أن يحميه وفلان حامى الحقيقة ويقال الحقيقة الراية^(١).

الحقيقة اصطلاحاً: هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له^(٢).

١- ينظر: الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد الناشر، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط٥، بيروت - صيدا ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص٧٧، باب (الحاء) مادة (حقق)، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ، ج ١٠ / ص٤٩، باب (القاف) فصل (الحاء) مادة (حقق).

٢- ينظر: الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، ط١، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ج٢ / ص٢١٧، الرازي، المحصول، ج ١ / ص٢٩٥.

والحقيقة أنواع أربعة:

أ- حقيقة لغوية: وهي الألفاظ المستعملة فيما وضعت له لغة، كلفظ الأسد للحيوان المفترس، ولفظ الدابة في كل ما دب على الأرض، ولفظ الحمار للحيوان الناهق.

ب- حقيقة شرعية: هي الألفاظ التي وضعها الشارع للدلالة على معانيها الخاصة، كالصلاة والزكاة والصوم والحج، إلخ.

ج- حقيقة عرفية عامة: وهي اللفظ الذي غلب استعماله في غير مسماه اللغوي، كلفظ الدابة في ذوات الأربع، أو على الحمار خاصة أو الفرس في بعض البلدان.

د- حقيقة عرفية خاصة: وهي الألفاظ التي يستعملها بعض الطوائف كاصطلاح لهم، كلفظ الفعل والفاعل عند النحاة، والجوهر والعرض عند المتكلمين، والسبب والتودد عند العروضيين^(١).

ثانياً- تعريف العادة لغة واصطلاحاً:

أ- العادة لغة: من عاد، يعود، عوداً، والجمع: (عاد)، و (عادات)، و (عوائد)؛ سميت بذلك لأن صاحبها يعاودها أي يرجع إليها مرة بعد أخرى، وعودته كذا فاعتاده وتعوده أي صيرته له عادة^(٢).

١- ينظر: القرافي، الفروق، عالم الكتب، د-ط، د-ت، ج ١/ ص ٦٥، الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، د-ت، ج ١/ ص ٢٧، آل تيمية، المسودة في أصول الفقه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، د-ط، د-ت، ص ٩٣، الطوفي، شرح مختصر الروضة، دار القلم، ط ٢، دمشق - سوريا، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ج ١/ ص ٤٨٨.

٢- ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون ط دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ج ٤/ ص ١٨١، باب (العين والواو وما يثلثهما)، مادة (عود)، الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط المكتبة العلمية - بيروت، (د. ت)، ج ٢/ ص ٤٣٦، كتاب (العين)، مادة (ع و د).

ب- العادة اصطلاحاً: الاستمرار على شيء مقبول للطبع السليم، والمعاودة إليه مرة بعد أخرى، وهي المرادة بالعرف^(١) العملي^(٢).

ثالثاً - المعنى الإجمالي للقاعدة:

تشير القاعدة إلى أنه إذا تعذر إرادة المعنى الحقيقي، أو كان مهجوراً عادة وعرفاً فيأخذ حكم المتعذر، فتترك الحقيقة حينئذ، ويصار إلى العرف والعادة؛ إذ الأصل في الكلام الحقيقة، والمجاز خلف عنه، والحقيقة اللغوية تترك بدلالة العادة والعرف؛ لأن الاستعمال والتعارف يجعلان إطلاق اللفظ على ما تعرف استعماله فيه حقيقة بالنسبة إلى المستعملين، فيكون إطلاقه على معناه الوضعي الأصلي في نظرهم مجازاً، ومن ذلك: ما لو حلف لا يضع قدمه في دار فلان؛ إذ ينصرف المعنى إلى الدخول بأي وجه كان ركباً أو ماشياً، حافياً أو منتعلاً؛ لأنه هو المتعارف، لا المعنى الحقيقي، وهو مباشرة القدم دخل أو لم يدخل؛ لأن هذا

١- العرف لغة: من (عَرَفْتَهُ) عَرَفَةً بالكسر وَ عَرَفَانًا) علمته بحاسة من الحواس الخمس و (المعرفة) اسم منه، ويتعدى بالتثنية فيقال: (عرفته) به فعرفه وأمر عارف وعريف أي معروف، والعرف والعارفة والمعروف واحد: ضد النكر، وهو كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٠٦، باب (العين)، مادة: (ع ر ف)، ابن منظور، لسان العرب، ج ٩/ ص ٢٣٩، باب (الفاء)، فصل (العين)، مادة (عرف)، واصطلاحاً: عرف العرف اصطلاحاً بعدة تعريفات منها:

ما تعارف عليه الناس واعتادوه مما يحتاجون إليه في دنياهم، مثل زيارة الأرحام في الأعياد، وصنع الطعام، وغير ذلك، وقيل هو: ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول، وتلقته الطباع بالقبول وقيل: هو ما استقر في النفوس من جهة شهادات العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول، وهو العادة.

ينظر: الجرجاني، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٤٩، الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د- ط، د- ت، ص ٦١٧، ابن قطلوبغا، خلاصة الأفكار شرح مختصر المنار، تحقيق: حافظ ثناء الله الزاهدي، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٨٩.

٢- ينظر: ابن نجيم، الأشباه والنظائر، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٧٩، الحموي، غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج ١/ ص ٢٩٥، السيوطي، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص ٨٩، المرادوي، التحبير شرح التحرير، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، مكتبة الرشد، ط ١، السعودية - الرياض، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج ٨/ ص ٣٨٥.

المعنى مهجور عرفاً، والعرف قاض على الوضع، وقد تركت الحقيقة هنا بدلالة العادة والعرف^(١).

المطلب الثاني: ألفاظ قاعدة: الحقيقة تترك بدلالة العادة

يتضمن هذا المطلب عدة ألفاظ للقاعدة منها:

- أ- يحمل كلام الناس على ما جرت به عادتهم في خطابهم^(٢).
- ب- تخصيص العموم بالعرف^(٣).
- ج- يخص العموم بالعادة^(٤).
- د- الحقيقة تترك بدلالة الحال، وتترك بدلالة الاستعمال أو العادة^(٥).
- هـ- العلم بالحال يقوم مقام الاشتراط^(٦).
- د- استعمال الناس حجة يجب العمل بها^(٧).
- و- مطلق الكلام محمول على المعتاد^(٨).

- ١- ينظر: البخاري، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، دار الكتاب الإسلامي، د-ط، د-ت، ج ٢ / ص ٩٤، ابن الهمام، فتح القدير، دار الفكر، ج ٣ / ص ٣١٤، الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، دار الفكر، ط ١، دمشق، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ج ١ / ص ٣٣٥.
- ٢- الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، ج ١ / ص ٣٣٥.
- ٣- المرجع نفسه، ج ١ / ص ٣٣٥.
- ٤- المرجع نفسه، ج ١ / ص ٣٣٥.
- ٥- البورنو، موسوعة القواعد الفقهية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ج ٣ / ص ١٥٣.
- ٦- المرجع نفسه، ج ٣ / ص ١٥٣.
- ٧- الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، ج ١ / ص ٣٣٦.
- ٨- أحمد الزرقا، شرح القواعد الفقهية، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم، ط ٢، دمشق-سوريا، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢٣١.

المطلب الثالث: أدلة قاعدة: الحقيقة تترك بدلالة العادة

يتضمن هذا المطلب الأدلة على هذه القاعدة من الكتاب، والسنة، والأثر، والمعقول:

أولاً- الكتاب: قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

وجه الدلالة: في الآية دلالة على العمل بالعرف، والعرف يطلق على العادة عند كثير من أهل الأصول^(١).

ثانياً- السنة والأثر:

١- عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ هِنْدَ بِنْتَ عُبَيْبَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَقَالَ: «خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكَ، بِالْمَعْرُوفِ»^(٢).

وجه الدلالة: أن الرسول ﷺ - ردها إلى العرف والعادة في أخذ ما يكفيها وهذا دليل على الرجوع للعادة والعرف عند تعذر الحقيقة^(٣).

١- ينظر: الطبري، تفسير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج ١٠/ ص ٦٤٣، أبو محمد مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، إشراف الشاهد البوشيخي، ط١ الناشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة- جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج ٤/ ص ٢٦٩٠، السمعاني، قواطع الأدلة في الأصول، تحقيق: محمد إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت-لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٩م، ج ١/ ص ٢٩، القرافي، الفروق، ج ٣/ ص ١٤٩.

٢- البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، كتاب (النفقات)، باب (إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف) ج ٧/ ص ٦٥، رقم الحديث (٥٣٦٤).

٣- ينظر: ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ج ٢/ ص ١٦٠، ابن تيمية، القواعد النورانية الفقهية، تحقيق: أحمد بن محمد الخليل، دار ابن الجوزي، ط١، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ، ص ٢٩٦.

٢- عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، قال: «ما رأى المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء»^(١).

وجه الدلالة: في الأثر دلالة على الرجوع للعرف والعادة وحجية العمل بها، وكونهما تترك بهما الحقيقة^(٢).

ثالثاً- المعقول: الأمر إذا دار بين الحقيقة والمجاز تترجح الحقيقة، وهي هنا العرف والعادة، ويترك المجاز، وهو المعنى الوضعي الأصلي^(٣).

المطلب الرابع: القواعد الفقهية ذات الصلة بقاعدة:

الحقيقة تترك بدلالة العادة

يتضمن هذا المطلب قواعد فقهية ذات صلة بالقاعدة، وكذلك قاعدة فقهية كبرى تدرج تحتها قاعدة الحقيقة تترك بدلالة العادة هي:

العادة محكمة، أي: معمول بها شرعاً، يرجع فيها للفصل عند التنازع، فلو شتم إنسان إنساناً بلفظ، فادعى المشتوم أن الشاتم قذفه، روعي في ذلك ما جرى به العرف في استخدام ذلك اللفظ، وكذلك يرجع فيها لمعرفة قدر الحيض والنفاس والطهر أكثره وأغلبه وأقله^(٤).

١- أحمد بن حنبل، مسند أحمد، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ج ٦ / ص ٨٤، رقم الحديث (٣٦٠٠)، قال الهيثمي: «رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير، ورجاله مؤثقون». ينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، ج ١ / ص ١٧٨.

٢- ينظر: ابن نجيم، الأشباه والنظائر، ص ٧٩، الحموي، غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، ج ١ / ص ٢٩٥، السيوطي، الأشباه والنظائر، ص ٩٠، المرادوي، التحبير شرح التحرير، ج ٨ / ص ٣٨٥١-٣٨٥٧.

٣- أحمد الزرقا، شرح القواعد الفقهية، ص ٢٣١.

٤- ينظر: الجويني، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح بن عويضة، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ج ١ / ص ٢٢٢، السيوطي، الأشباه والنظائر، ص ٩٠، المرادوي، التحبير شرح التحرير، ج ٨ / ص ٣٨٥١، أحمد الزرقا، شرح القواعد الفقهية، ص ٢١٩.

ومن القواعد ذات الصلة بالقاعدة ما يلي:

١- جواب السؤال - يجري على حسب ما تعارف كل قوم في مكانهم.
ومعناها أن تصرفات المكلفين القولية والفعلية إنما تحمل على ما تعارفوه بينهم ما لم تكن هناك نية بخلافه^(١).

٢- حمل اللفظ إلى ما يتبادر إلى الذهن أولى^(٢).

وهذه القاعدة لها ارتباط بقاعدة العرف أو العادة محكمة. فإنه عند الإطلاق وبخاصة في باب الأيمان، فإنما يحمل كلام المتكلم الخالف على معنى الكلمة وإطلاقها العرفي دون اللغوي، ومثالها إذا حلف أن يصلي، فيحمل على الصلاة الشرعية ذات الأركان - لا على الدعاء - لأن المعنى الشرعي هو الحقيقة المتبادرة إلى الذهن عند إطلاق لفظ الصلاة^(٣).

٣- العادة تُجْعَلُ حُكْمًا إذا لم يوجد التصريح بخلافها.

فأما عند وجود التصريح بخلافه يسقط اعتباره، كمن قدم طعام بين يدي إنسان وقال له لا تأكل^(٤).

٤- العادة تنزل منزلة اللفظ، بشرط عدم التصريح بخلافها^(٥).

٥- العادة مُحَكَّمَةٌ إذا اطردت وإن اختلفت فلا.

أي أن العمل بموجبها مستمر بين الناس أو معظمهم في شؤون حياتهم، لأن العادة إذا كان يعمل بها في وقت دون وقت لا تصلح أن تكون حكمًا^(٦).

١- ينظر: البورنو، موسوعة القواعد الفقهية، ج ١ / ص ٤٧٦.

٢- السبكي، الأشباه والنظائر، ج ١ / ص ٢٧٤.

٣- ينظر: البورنو، موسوعة القواعد الفقهية، ج ٣ / ص ٢٥١-٢٥٢.

٤- السرخسي، شرح السير الكبير، الشركة الشرقية للإعلانات، ١٩٧١م، ص ٢٩٥.

٥- ينظر: البورنو، موسوعة القواعد الفقهية، ج ٧ / ص ٣٣٧-٣٣٨.

٦- ينظر: المرجع نفسه، ج ٧ / ص ٣٣٧-٣٣٨.

٦- العادة المطردة تنزل منزلة الشرط^(١).

٧- العادة معتبرة في تقييد مطلق الكلام^(٢).

المطلب الخامس: بعض الفروع الفقهية لقاعدة: الحقيقة تترك بدلالة العادة

يتضمن هذا المطلب عدة فروع فقهية تنطبق عليها هذه القاعدة هي:

١- حلف لا يأكل من هذه الشجرة، فينصرف إلى ثمرها إن كان لها ثمر، وإلا فلعنهما، صوناً لكلام العاقل عن الإلغاء؛ لأنه يتعذر إرادة المعنى الحقيقي^(٣).

٢- لو حلف ألا يضع قدمه في دار فلان، فينصرف إلى الدخول بأي وجه كان، راكباً، أو ماشياً، أو حافياً أو منتعلاً؛ لأنه هو المتعارف لا المعنى الحقيقي، وهو مباشرة القدم، دخل أم لم يدخل؛ لأنه مهجور عرفاً، والعرف قاض على الوضع حتى لو تكلف ووضع قدمه ولم يدخل لا يُعدّ شيئاً، ولا يحنث؛ لأنه لم يتعذر المعنى الحقيقي هنا، لكنه مهجور عرفاً وعادة، فيأخذ حكم المتعذر، وتترك الحقيقة، ويصار إلى العرف والعادة^(٤).

٣- كتب شخص على قرطاس بخطه أن الدين الذي لي على فلان أبرأته منه، فيقبل ويسقط الدين؛ لأن الإنسان كما يؤخذ بإقراره الواقع بلسانه يؤخذ كذلك بإقراره الواقع بالكتابة^(٥).

١- البورنو، موسوعة القواعد الفقهية، ج ٧ / ص ٣٣٧.

٢- السرخسي، شرح السير الكبير، ص ١٠٧٧.

٣- ينظر: الشاشي، أصول الشاشي، دار الكتاب العربي - بيروت، ص ٤٩، السرخسي، أصول السرخسي، دار المعرفة - بيروت، ج ١ / ص ١٧٢، السمرقندي، تحفة الفقهاء، دار الكتب العلمية، ط ٢، بيروت - لبنان ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ج ٢ / ص ٣٢٢.

٤- ينظر: الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، ج ١ / ص ٣٣٦، الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، دمشق - سوريا، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ج ٢ / ص ١٨.

٥- ينظر: علي حيدر، درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، تعريب: فهمي الحسيني، دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ج ٤ / ص ١٦٠، الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، ج ١ / ص ٣٣٧.

٤- إن سند الدين الذي يكتبه الرجل، أو يستكتبه، ويعطيه لآخر ممضىً بإمضائه أو محتوماً بختمه يعتبر إقراراً بالكتابة، ويكون معتبراً ومرعياً كتقريره الشفاهي، فالوصلات التي تعطى عادة هي من قبيل الإقرار بالكتابة ومعتبرة كالتقرير الشفاهي^(١).

٥- من كتب سنداً، أو استكتبه، وأعطاه ممضىً، أو محتوماً، إذا أقر بأنه له، ولكنه أنكر الدين الذي حواه فلا يعتبر إنكاره، ويلزمه أداء ذلك الدين^(٢).

٦- إذا أعطى إنسان سند دين، ثم توفي، يلزم ورثته قضاء الدين من التركة إذا أقروا بأن السند للمتوفى، لأنه حجة عليه، وأما إذا كانوا منكرين بأن ذلك السند للمتوفى فيعمل بذلك السند إذا كان خطاً وختم المتوفى مشهوراً ومُتَعَارَفاً^(٣).

٧- الأيمان تنصرف إلى ما يعرفه المخاطب بلغته، وإن كان اللفظ يستعمل في غيره حقيقة أيضاً، كما إذا حلف؛ لا يأكل الرؤوس، فيما أن يراد رؤوس الأنعام، أو رؤوس الغنم، أو الرأس الذي يؤكل في العادة، وكذلك لفظ البيض الذي يعرفونه، فأما رأس النمل والبراغيث ونحو ذلك فلا يدخل في اللفظ، ولا يدخل بيض السمك، في اليمين^(٤).

٨- إذا تزوج امرأة على ألف دينار، وكانت العادة جارية بتنصيف الصداق، وجعل بعضه معجلاً، وباقية مؤخرًا، فإنه يحمل كلامهم على ما جرت به

١- ينظر: علي حيدر، درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، ج ٤/ ص ١٦١، الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، ج ١/ ص ٣٣٧.

٢- الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، ج ١/ ص ٣٣٧.

٣- ينظر: علي حيدر، درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، ج ٤/ ص ١٦٤.

٤- ينظر: البابرتي، العناية شرح الهداية، دار الفكر، (د-ط) (د-ت)، ج ٥/ ص ١٢٧-١٢٨، الزبيدي، الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، المطبعة الخيرية، ط ١، ١٣٢٢هـ، ج ٢/ ص ٢٠٤، العيني، البناء شرح الهداية، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج ٦/ ص ١٧٨-١٧٩، ابن الهمام، فتح القدير، ج ٥/ ص ١٢٧-١٢٨.

- عادتهم، فيجوز للزوج أن يؤخر نصف الصداق^(١).
- ٩- إذا وكله بشراء دابة، وكان معروفًا بينهم أنه الفرس، أو ذات الخوافر، لم ينصرف هذا المطلق إلا إلى المتعارف بينهم^(٢).
- ١٠- حلف ألا يأكل شواء، اختصت يمينه باللحم المشوي دون البيض وغيره مما يشوى، وكذا لفظ الدابة والسراج والوتد، تختص يمينه بما يسمى في العرف^(٣).
- ١١- حلف لا يأكل اللحم، فأكل لحم سمك، فلا يحث^(٤).
- ١٢- حلف لا يتكلم، فقرأ، أو سبح، فالمشهور أنه لا يحث^(٥).
- ١٣- لو استأجر أجيرًا يعمل له مدة معينة حمل على ما جرت العادة بالعمل فيه من الزمان دون غيره بغير خلاف^(٦).
- ١٤- إذا حلف لا يركب دابة، لا يحث لو ركب كافرًا، مع تسميتها في القرآن دابة^(٧).

- ١- الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، ج ١ / ص ٣٣٧.
- ٢- المرجع نفسه، ج ١ / ص ٣٣٨.
- ٣- ينظر: ابن رجب، قواعد ابن رجب، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، ط ١، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، ج ٢ / ص ٥٥٥.
- ٤- ينظر: السعدي، التنف في الفتاوى، تحقيق: صلاح الدين الناهي، دار الفرقان- مؤسسة الرسالة، ط ٢، عمان - الأردن / بيروت - لبنان ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ج ١ / ص ٣٩٨، السرخسي، المبسوط، دار المعرفة، ج ٨ / ص ١٧٥-١٧٦، السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج ٢ / ص ٣١٩، ابن رجب، قواعد ابن رجب، ج ٢ / ص ٥٥٨-٥٥٩.
- ٥- ينظر: الشيرازي، المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، (د-ط) (د-ت)، ج ٣ / ص ١٠٩، أبو الحسين العمراني، البيان في مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج، ط ١، جدة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ج ١٠ / ص ٥٥٥، النووي، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، (د-ط) (د-ت)، ج ١٨ / ص ٩٢، الشيرازي، التنبيه في الفقه الشافعي، عالم الكتب، ط ١، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٩٧، ابن رجب، قواعد ابن رجب، ج ٢ / ص ٥٦٢.
- ٦- ابن رجب، قواعد ابن رجب، ج ٢ / ص ٥٧٠.
- ٧- ينظر: السرخسي، المبسوط، ج ٨ / ص ١٧٦، الموصلي، الاختيار لتعليل المختار، مطبعة الحلبي - القاهرة، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م، ج ٤ / ص ٦٧، الماوردي، الحاوي الكبير، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ج ١٥ / ص ٣٦١، ابن الهمام، فتح القدير، ج ٥ / ص ١٢٢.

١٥- صيغ العقود كعبت واشترت وتزوجت وتأجرت. حيث استعمل لفظ الماضي وأريد به المضارع لدلالة الاستعمال^(١).

المطلب السادس: تطبيقات فقهية على قاعدة: الحقيقة تترك بدلالة العادة

يتضمن هذا المطلب نماذج تطبيقية للقاعدة:

المسألة الأولى: حلف لا يأكل الرؤوس

صورة المسألة: رجل حلف لا يأكل الرؤوس ولا نية له في تعيين رأس فأكل من رأس النمل والبراغيث، فهل يحنث؟

تحرير محل النزاع: اتفق الفقهاء على أن من حلف لا يأكل من الرؤوس ولا نية له على أن لفظه يقع على بهيمة الأنعام من الإبل، والبقر، والجاموس، والغنم، والماعر^(٢)، ولكنهم اختلفوا في دخول غيرها على قولين:

القول الأول: من حلف ألا يأكل الرؤوس ولا نية له، فيمينه على رؤوس الإبل والبقر والغنم وبه قال أبو حنيفة^(٣)، والشافعي^(٤).

١- ينظر: السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج ٢/ ص ٢٩، الدسوقي، الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي، تحقيق: محمد عليش، دار الفكر، (د-ط) (د-ت)، ج ٣/ ص ٣، النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط ٣، بيروت- دمشق- عمان ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ج ٣/ ص ٣٣٨، ابن قدامة، الكافي في فقه الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج ٢/ ص ٣.

٢- ينظر: البابرتي، العناية شرح الهداية، ج ٥/ ص ١٢٧-١٢٨، العيني، البناية شرح الهداية، ج ٦/ ص ١٧٨-١٧٩، ابن الهمام، فتح القدير، ج ٥/ ص ١٢٧، مالك، المدونة، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ج ١/ ص ٦٠١، الشافعي، الأم، دار المعرفة - بيروت. ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج ٧/ ص ٨٣، عبدالسلام بن تيمية، المحرر في الفقه، مكتبة المعارف، ط ٢، الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج ٢/ ص ٧٨.

٣- ينظر: البابرتي، العناية شرح الهداية، ج ٥/ ص ١٢٧-١٢٨، الزبيدي، الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، ج ٢/ ص ٢٠٤، العيني، البناية شرح الهداية، ج ٦/ ص ١٧٨-١٧٩، ابن الهمام، فتح القدير، ج ٥/ ص ١٢٧-١٢٨.

٤- ينظر: الشافعي، الأم، ج ٧/ ص ٨٣، المزني، مختصر المزني، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج ٨/ ص ٤٠٤، النووي، المجموع شرح المهذب، ج ١٨/ ص ٦٢.

الأدلة: استدل أصحاب القول الأول على ما ذهبوا إليه بالمعقول، وذلك من وجهين:

١- العادة في الرؤوس مقتصرة على رؤوس الغنم أو البقر أو الإبل فتركت الحقيقة وهي كل ما يسمى رأس وبقيت العادة التي تعتمد على العرف المتعارف عليه لذلك من حلف ألا يأكل الرؤوس ولا نية له فيمينه على رؤوس الإبل والبقر والغنم^(١).

٢- أن رؤوس الأنعام تباع مفردة وتؤكل مفردة عن الأبدان، ولا يحنث برؤوس غيرها؛ لأنها تباع مفردة ولا تؤكل مفردة^(٢).

القول الثاني: أن من حلف ألا يأكل الرؤوس ولا نية له، فيمينه على كل ما يقع عليه ذلك الاسم، وبه قال مالك^(٣)، والقاضي من الحنابلة^(٤).

الأدلة: استدل أصحاب القول الثاني على ما ذهبوا إليه بالمعقول، وهو أنه إذا لم يكن ليمينه كلام يستدل به على ما أراد بيمينه ولم تكن له نية لزمه في كل ما يقع عليه ذلك الاسم من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك للإطلاق في كلمة الرؤوس^(٥).

١- ينظر: البابرتي، العناية شرح الهداية، ج ٥ / ص ١٢٧-١٢٨، الزبيدي، الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، ج ٢ / ص ٢٠٤، العيني، البناية شرح الهداية، ج ٦ / ص ١٧٨-١٧٩، ابن الهمام، فتح القدير، ج ٥ / ص ١٢٧-١٢٨.

٢- ينظر: الشافعي، الأم، ج ٧ / ص ٨٣، المزني، مختصر المزني، ج ٨ / ص ٤٠٤، ابن أبي عمر، الشرح الكبير على متن المقنع، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع (د-ط)(د-ت)، ج ١١ / ص ٢٥٩، النووي، المجموع شرح المهذب، ج ١٨ / ص ٦٢.

٣- ينظر: مالك، المدونة، ج ١ / ص ٦٠١.

٤- ينظر: عبدالسلام بن تيمية، المحرر في الفقه، ج ٢ / ص ٧٨، ابن أبي عمر، الشرح الكبير على متن المقنع، ج ١١ / ص ٢٥٩، ابن مفلح، المبدع في شرح المقنع، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ج ٨ / ص ١٠٧.

٥- ينظر: مالك، المدونة، ج ١ / ص ٦٠١، عبدالسلام بن تيمية، المحرر في الفقه، ج ٢ / ص ٧٨، ابن أبي عمر، الشرح الكبير على متن المقنع، ج ١١ / ص ٢٥٩، ابن مفلح، المبدع في شرح المقنع، ج ٨ / ص ١٠٧.

المناقشة: أن اسم الرؤوس وإن كان يقع حقيقة على كل ما يطلق عليه الاسم؛ إلا أنه يترك هنا بدلالة العادة؛ إذ العادة في الرؤوس مقتصرة على رؤوس الأنعام دون غيرها^(١).

القول الثالث: من حلف ألا يأكل الرؤوس ولا نية له فيمينه على كل حيوان جرت العادة بأكله من بهيمة الأنعام وغيرها، وبه قال أبو الخطاب من الحنابلة^(٢).

الأدلة: استدل أصحاب القول الثالث على ما ذهبوا إليه بالمعقول، وهو أن العادة جرت بأكل الرؤوس المتعارف عليها بين الناس دون غيرها حيث أنها تؤكل منفردة^(٣).

المناقشة: رؤوس الأنعام تباع مفردة وتؤكل مفردة عن الأبدان، بخلاف غيرها فلا تباع مفردة^(٤).

الترجيح: بعد عرض المسألة وبيان أقول الفقهاء فيها وبيان أدلة كل قول ومناقشة ما أمكن مناقشته، فإني أرى - والله أعلم - أن الراجح هو القول الأول القائل أن من حلف ألا يأكل الرؤوس ولا نية له فيمينه على رؤوس الإبل والبقر والغنم وذلك للآتي:

١- قوة ما استدل به أصحاب القول الأول.

٢- مناقشتهم لدليل المخالف.

٣- سلامة أدلتهم من المناقشة.

- ١- ينظر: البابرتي، العناية شرح الهداية، ج ٥ / ص ١٢٧-١٢٨، الزبيدي، الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، ج ٢ / ص ٢٠٤، العيني، البناية شرح الهداية، ج ٦ / ص ١٧٨-١٧٩، ابن الهمام، فتح القدير، ج ٥ / ص ١٢٧-١٢٨.
- ٢- ينظر: عبدالسلام بن تيمية، المحرر في الفقه، ج ٢ / ص ٧٨، ابن أبي عمر، الشرح الكبير على متن المقنع، ج ١١ / ص ٢٥٩، ابن مفلح، المبدع في شرح المقنع، ج ٨ / ص ١٠٧.
- ٣- ينظر: عبدالسلام بن تيمية، المحرر في الفقه، ج ٢ / ص ٧٨، ابن أبي عمر، الشرح الكبير على متن المقنع، ج ١١ / ص ٢٥٩، ابن مفلح، المبدع في شرح المقنع، ج ٨ / ص ١٠٧.
- ٤- ينظر: الشافعي، الأم، ج ٧ / ص ٨٣، المزني، مختصر المزني، ج ٨ / ص ٤٠٤، النووي، المجموع شرح المهذب، ج ١٨ / ص ٦٢.

٤- أن العادة والعرف محكمان بين الناس ومعتبران في الشريعة الإسلامية.

المسألة الثانية: حلف لا يأكل اللحم، فأكل لحم سمك

صورة المسألة: شخص حلف أن لا يأكل لحماً فأكل سمكاً، فهل يحنث بذلك؟

تحرير محل النزاع: اتفق الفقهاء على أن من حلف ألا يأكل لحماً، فأكل أي نوع من اللحم فإنه يحنث بذلك، ولكنهم اختلفوا فيما إذا أكل لحم سمك، هل يحنث أم لا على قولين:

القول الأول: أن من حلف لا يأكل اللحم فأكل لحم سمك فإنه لا يحنث، وبه قال أبو حنيفة^(١)، والشافعي^(٢)، وأبو ثور^(٣).

الأدلة: استدل أصحاب القول الأول على ما ذهبوا إليه بالكتاب، والمعقول:

أولاً: دليل الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِيَتَأْكَلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ (النحل: ١٤).

وجه الدلالة: أن الله عز وجل قد سمى لحم السمك لحماً مجازاً لا على سبيل الحقيقة، والأيمان إنما تقع على الحقائق والحقيقة أن لحم السمك لا يطلق عليه لحماً بدلالة العادة لذلك من حلف لا يأكل اللحم فأكل لحم سمك لا يحنث^(٤).

١- ينظر: السعدي، التنف في الفتاوى، ج ١/ ص ٣٩٨، السرخسي، المبسوط، ج ٨/ ص ١٧٥-١٧٦، السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج ٢/ ص ٣١٩.

٢- ينظر: الماوردي، الحاوي الكبير، ج ١٥/ ص ٤١٦، الشيرازي، المهذب في فقه الإمام الشافعي، ج ٣/ ص ١٠٤، أبو الحسين العمراني، البيان في مذهب الإمام الشافعي، ج ١٠/ ص ٥٣٦، النووي، المجموع شرح المهذب، ج ١٠/ ص ٢٠٤، النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ج ١١/ ص ٣٩.

٣- ابن قدامة، المغني، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، (د-ط)، ج ٩/ ص ٦٠٨.

٤- ينظر: الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج ٣/ ص ٥٨، المرغيناني، الهداية في شرح بداية المبتدي، تحقيق: طلال يوسف، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د-ط) (د-ت)، ج ٢/ ص ٣٢٥، أبو الحسين العمراني، البيان في مذهب الإمام الشافعي، ج ١٠/ ص ٥٣٦، النووي، المجموع شرح المهذب، ج ١٠/ ص ٢٠٤، النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ج ١١/ ص ٣٩.

ثانياً: دليل المعقول:

أن معنى اللحمية ناقص في السمك وأن اللحم ما يتولد من الدم وليس في السمك دم؛ لكونه من الماء، ومطلق الاسم يتناول الكامل، وكذلك من حيث العرف لا يستعمل السمك استعمال اللحم في اتخاذ الباحات منه، وبائع السمك لا يسمى لحماً، والعرف في اليمين معتبر لذلك تركت الحقيقة بدلالة العادة في من حلف لا يأكل اللحم فأكل لحم السمك^(١).

القول الثاني: أن من حلف لا يأكل اللحم فأكل لحم سمك فإنه يحنث، وبه قال مالك وأبو يوسف^(٢)، وأحمد وهو اختيار الخرقي والقاضي^(٣).

الأدلة: استدل أصحاب القول الثاني على ما ذهبوا إليه بالكتاب:

أولاً: دليل الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ (النحل: ١٤).

١- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ (فاطر: ١٢).

وجه الدلالة: أن الله عز وجل سمى لحم السمك لحماً؛ لذلك من حلف لا يأكل اللحم فأكل لحم سمك حنث^(٤).

١- ينظر: السرخسي، المبسوط، ج ٨/ ص ١٧٥-١٧٦، المرغيناني، الهداية في شرح بداية المبتدي، ج ٢/ ص ٣٢٥.

٢- ينظر: ابن عبد البر، الكافي في فقه أهل المدينة، تحقيق: محمد محمد أحمد ولد مادريك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، ط ٢، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ج ١/ ص ٤٥١، أبو الحسين العمراني، البيان في مذهب الإمام الشافعي، ج ١٠/ ص ٥٣٦.

٣- ينظر: الكلوذاني، الهداية على مذهب الإمام أحمد، تحقيق: عبد اللطيف هميم - ماهر ياسين الفحل، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص ٤٥٣، ابن قدامة، الكافي في فقه الإمام أحمد، ج ٤/ ص ٢٠٠، ابن قدامة، المغني، ج ٩/ ص ٦٠٨، الزركشي، شرح الزركشي على مختصر الخرقي، دار العبيكان، ط ١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ج ٧/ ص ١٨٦.

٤- ينظر: ابن عبد البر، الكافي في فقه أهل المدينة، ج ١/ ص ٤٥١، ابن أبي عمر، الشرح الكبير على متن المقنع، ج ١١/ ص ٢٥٨، الزركشي، شرح الزركشي على مختصر الخرقي، ج ٧/ ص ١٨٦.

المناقشة: أن الله عز وجل قد سمى لحم السمك لحمًا مجازًا لا على سبيل الحقيقة، والعادة تحيل إطلاق اللحم على لحم السمك، حيث خصص أهل العرف ذلك، كما خصصوا إطلاق لفظ الدابة على الأربعة، وصاروا يسمونه سمكًا، لا لحمًا، ولا ريب أن العرف ناسخ للحقيقة اللغوية^(١).

الترجيح: بعد عرض أقوال الفقهاء في المسألة، وبيان أدلة كل قول، ومناقشة ما أمكن مناقشته فإني أرى - والله أعلم - أن القول الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب القول الأول أن من حلف لا يأكل اللحم فأكل لحم سمك فإنه لا يحنث وذلك للآتي:

١ - قوة ما استدل به أصحاب القول الأول.

٢ - الأصل في الشريعة الإسلامية التيسير ورفع الحرج عن الناس.

٣ - أن العادة بين الناس أن لحم السمك لا يسمى لحمًا.

المسألة الثالثة: حلف لا يتكلم، فقرأ، أو سبَّح، هل يحنث؟

صورة المسألة: رجل حلف ألا يتكلم، فقرأ القرآن، أو ذكر الله تعالى، فهل يحنث بيمينه هذا أم لا، على قولين؟

تحرير محل النزاع: اتفق الفقهاء على من حلف أن لا يتكلم، فقرأ القرآن في الصلاة لا يحنث بذلك، ولكنهم اختلفوا فيمن قرأ القرآن خارج الصلاة هل يحنث أم لا على قولين:

القول الأول: أن من حلف لا يتكلم فقرأ القرآن لا يحنث سواء قرأ في صلاة

١ - ينظر: الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٣/ ص ٥٨، المرغيناني، الهداية في شرح بداية المبتدي، ج ٢/ ص ٣٢٥، أبو الحسين العمري، البيان في مذهب الإمام الشافعي، ج ١٠/ ص ٥٣٦، النووي، المجموع شرح المهذب، ج ١٠/ ص ٢٠٤، النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ج ١١/ ص ٣٩، الزركشي، شرح الزركشي على مختصر الخرقي، ج ٧/ ص ١٨٦.

أو غيرها وبه قال الحنفية في قول^(١)، ومالك^(٢)، والشافعي^(٣)، وأحمد^(٤).
الأدلة: استدل أصحاب القول الأول على ما ذهبوا إليه بأدلة من الكتاب،
والمعقول:

أولاً: دليل الكتاب:

١ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذْبَرُوا وَسْتَكْبَرُوا﴾ (٢٣) فَقَالَ إِنَّ هَذَا لِأَسْحَرُ بَوْتُرًا (٢٤) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصَلِّيهِ سَقَرًا (المدثر: ٢٣-٢٦).

وجه الدلالة: أن القرآن ليس قول البشر، وأن من أطلق ذلك عليه سيصلى سقر لذلك من حلف لا يتكلم فقرأ القرآن لا يحنث^(٥).

قوله تعالى: ﴿ءَايَاتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَآذَكَرُّ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ (آل عمران: ٤١).

وجه الدلالة: أن الله عز وجل أمره بالتسبيح مع قطع الكلام عنه لذلك من حلف لا يتكلم فقرأ القرآن لا يحنث^(٦).

ثانياً: دليل المعقول: أن من تكلم بكلام الله عز وجل داخل الصلاة أو خارجها لا يسمى متكلماً بل يسمى قارئاً لذلك من حلف لا يتكلم فقرأ القرآن

- ١- ينظر: الزبيدي، الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، ج ٢ / ص ١٩٨.
- ٢- ينظر: خليل الجندي، التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب، تحقيق: أحمد نجيب، مركز نجبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ج ٣ / ص ٣٤٢.
- ٣- ينظر: الشيرازي، المذهب في فقه الإمام الشافعي، ج ٣ / ص ١٠٩، أبو الحسين العمراني، البيان في مذهب الإمام الشافعي، ج ١٠ / ص ٥٥٥، النووي، المجموع شرح المذهب، ج ١٨ / ص ٩٢، الشيرازي، التنبيه في الفقه الشافعي، ص ١٩٧.
- ٤- ينظر: الكلوذاني، الهداية على مذهب الإمام أحمد، ص ٤٥٨، ابن قدامة، الكافي في فقه الإمام أحمد، ج ٤ / ص ٢٠٩، ابن قدامة، المغني، ج ٩ / ص ٦١٨، ابن أبي عمر، الشرح الكبير على متن المقنع، ج ١١ / ص ٢٦٢.
- ٥- ينظر: ابن حزم، المحلى بالآثار، دار الفكر، بيروت، (د-ط) (د-ت)، ج ٦ / ص ٣٢٩.
- ٦- ينظر: ابن قدامة، المغني، ج ٩ / ص ٦١٩، ابن أبي عمر، الشرح الكبير على متن المقنع، ج ١١ / ص ٢٦٢، ابن مفلح، المبدع في شرح المقنع، ج ٨ / ص ١٠٨.

لا يحنث حيث إن الحقيقة تركت وهو أنه تكلم بكلام الله عز وجل والعادة والعرف في من تكلم بكلام الله عز وجل يسمى قارئاً^(١).

القول الثاني: أن من حلف لا يتكلم فقرأ في الصلاة لم يحنث وإن قرأ في غير الصلاة حنث وبه قال الحنفية في المذهب عندهم^(٢).

الأدلة: استدلال أصحاب القول الثاني على ما ذهبوا إليه بالسنة، والمعقول:

أولاً: دليل السنة: عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بَيْنَا أَنَا أَصْلِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَأَتَكُلُّ أُمِّيَّاهُ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَيَّ أَفْخَاذَهُمْ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَابِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»^(٣).

وجه الدلالة: إن القراءة في الصلاة ليست بكلام لقوله عليه السلام «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» فدل على أن ما يؤتى به في الصلاة من الأذكار ليس بكلام فلا يحنث وكذا إذا سبح في الصلاة أو هلل أو كبر لم يحنث وإن قرأ القرآن في غير الصلاة

١- ينظر: الزبيدي، الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، ج ٢ / ص ١٩٨.

٢- ينظر: السغدني، التنف في الفتاوى، ج ١ / ص ٤٠٥، الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٣ / ص ٤٨، المرغيناني، بداية المبتدي، ص ١٠٠، الزبيدي، الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، ج ٢ / ص ١٩٨.

٣- مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب (المساجد ومواضع الصلاة)، باب (تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته)، ج ١ / ص ٣٨١، رقم الحديث (٥٣٧).

أو كبر أو هلل أو سبح في غير الصلاة حنث لأنه متكلم^(١).

المناقشة: إن القرآن ليس قول البشر على الإطلاق في الصلاة وغيرها، وأن من أطلق ذلك عليه سيصلى سقراً؛ لذلك من حلف لا يتكلم فقرأ القرآن لا يحنث^(٢).

ثانياً: دليل المعقول: أن الكلام عبارة عن حروف منظومة وأصوات متقطعة لذلك من حلف لا يتكلم فقرأ حنث إلا إذ استثنى من يمينه بلفظ أو عادة^(٣).

المناقشة: من قرأ القرآن داخل الصلاة أو خارجها لا يسمى متكلماً بل يسمى قارئاً^(٤).

الترجيح: بعد عرض أقوال الفقهاء في المسألة وبيان أدلة كل قول، ومناقشة ما أمكن مناقشته، فإنني أرى - والله أعلم - أن القول الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب القول الأول أن من حلف لا يتكلم فقرأ القرآن لا يحنث سواء قرأ في صلاة أو غيرها وذلك للآتي:

- ١- قوة ما استدل به أصحاب القول الأول.
- ٢- مناقشتهم لدليل المخالف.
- ٣- سلامة أدلتهم من المناقشة.
- ٤- إن المشقة تجلب التيسير في الشريعة الإسلامية.

١- ينظر: السغدري، التنف في الفتاوى، ج ١ / ص ٤٠٥، الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٣ / ص ٤٨، المرغيناني، الهداية في شرح بداية المبتدي، ج ٢ / ص ٣٢٩، الزبيدي، الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، ج ٢ / ص ١٩٨.

٢- ينظر: ابن حزم، المحلى بالآثار، ج ٦ / ص ٣٢٩.

٣- ينظر: القدوري، التجريد للقدوري، تحقيق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، ط ٢ دار السلام - القاهرة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ج ١٢ / ص ٦٤٧٦.

٤- ينظر: الزبيدي، الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، ج ٢ / ص ١٩٨.

المسألة الرابعة: حلف لا يركب دابة، فركب كافرًا

صورة المسألة: رجل حلف لا يركب دابة، فركب كافرًا هل يحنث بحلفه؟

تحرير محل النزاع: اتفق الفقهاء على أن من حلف لا يركب دابة، فركب دابة مما يُركب أنه يحنث، ولكنهم اختلفوا فيمن ركب كافرًا فهل يحنث بيمينه أم لا، على قولين:

القول الأول: من حلف لا يركب دابة، فركب كافرًا لا يحنث في حلفه^(١)، وبه قال الحنفية^(٢)، والشافعية^(٣).

الأدلة: استدل أصحاب القول الأول بالكتاب، والمعقول:

أولاً - الكتاب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنفال: ٥٥).

وجه الدلالة: سمي القرآن الكافر دابة إلا أن مبنى الأيمان على العرف لا على ألفاظ القرآن، ولهذا لا يحنث، من حلف على ركوب دابة فركب كافرًا؛ لأن عدم تناول عرفًا إنما هو بعد تخصيص الشارع فلا يمكن أن يجعل هذا النص دليلًا على عمومته^(٤).

ثانياً - المعقول: عدم حنث من ركب الكافر إذا حلف على ركوب دابة،

١- ينظر: وردت هذه المسألة بنصها في كتب الحنفية، للاستدلال على أن المعتبر في الحلف هو العرف ووافقهم الشافعية في ذلك. ينظر: الزيلعي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، ط١، ١٣١٣هـ، ج٣/ ص١٣٠، الماوردى، الحاوي الكبير، ج١٥ / ص٣٦١.

٢- ينظر: السرخسي، المبسوط، ج٨ / ص١٧٦، الموصلي، الاختيار لتعليل المختار، ج٤ / ص٦٧.

٣- الماوردى: الحاوي الكبير، ج١٥ / ص٣٦١.

٤- ينظر: الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج٣ / ص٥٨، الموصلي، الاختيار لتعليل المختار، ج٤ / ص٦٧، النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٦هـ، ج١ / ص٤٦٨.

بناءً على أن الكافر لا يدخل تحت إطلاق اسم اللفظ الذي ورد به الحلف عادة^(١).
القول الثاني: أن الحالف يحنث، إلا أن يكون للحالف نية معينة فله ما نوى،
وبه قال مالك في المشهور من مذهبه، والحنابلة^(٢).

استدل أصحاب القول الثاني بالكتاب والسنة والمعقول:

أولاً - الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ (النحل: ١٤).

فقد عبر سبحانه وتعالى عن السمك بلفظ اللحم فدل ذلك على أن الاسم يتناول الجميع وكذلك الدابة فإنها تتناول الحيوان وغيره كالإنسان، فيدخل الكافر في هذا العموم^(٣).

المناقشة: أن الكافر لا يدخل تحت إطلاق اسم اللفظ الذي ورد به الحلف عادة^(٤).

ثانياً - السنة: عن رُكَّانَةَ بِنِ عَبْدِ يَزِيدَ، أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ سَهِيمَةَ الْبُتَّةَ، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي طَلَّقْتُ امْرَأَتِي سَهِيمَةَ الْبُتَّةَ، وَوَاللَّهِ الْبُتَّةَ، وَوَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ إِلَّا وَاحِدَةً» مَا أَرَدْتُ إِلَّا وَاحِدَةً، «فَرَدَّهَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

- ١- ينظر: الزيلمي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، ج ٣/ ص ١٢٧، الزيبي، الجوهرية النيرة على مختصر القدوري، ج ٢/ ص ٢٠١.
- ٢- ينظر: مالك، المدونة، ج ١/ ص ٦٠١، اللخمي، التبصرة، تحقيق: أحمد عبد الكريم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ج ٤/ ص ١٧٢٠، المواق، التاج والإكليل لمختصر خليل، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٤م، ج ٤/ ص ٤٥٢، ابن قدامة، المغني، ج ٩/ ص ٦٠٨، ابن أبي عمر، الشرح الكبير على متن المقنع، ج ١١/ ص ٢٥٩.
- ٣- ينظر: ابن يونس، الجامع لمسائل المدونة، تحقيق: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط ١، جامعة أم القرى، ج ٦/ ص ٤١٠، اللخمي، التبصرة، ج ٤/ ص ١٧٢٠، المواق، التاج والإكليل لمختصر خليل، ج ٤/ ص ٤٥٢.
- ٤- ينظر: الزيلمي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، ج ٣/ ص ١٢٧، الزيبي، الجوهرية النيرة على مختصر القدوري، ج ٢/ ص ٢٠١.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» فَطَلَّقَهَا الثَّانِيَةَ، فِي زَمَنِ عُمَرَ، وَالثَّلَاثَةَ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١).

قال الزركشي - رحمه الله - مستدلاً بهذا الحديث في الرجوع في الأيمان، هل إلى النية أم العرف؟: (ويرجع في الأيمان إلى النية، لأن كلام الشارع ورد على لغة العرب، ولا ريب أنه محمول على مراده الثابت بالدليل)^(٢).

المناقشة: أن مبنى الأيمان على العرف لا على ألفاظ القرآن، ولهذا لا يحنث، من حلف على ركوب دابة فركب كافراً؛ حيث عدم التناول عرفاً^(٣).

ثالثاً - المعقول: المعتبر أولاً في الأيمان التي لا يقضى على حالفها هو النية، فإن عدمت فقرينة الحال، فإن عدمت فعرف اللفظ، فإن عدم فدلالة اللغة^(٤).

الترجيح: بعد عرض أقوال الفقهاء في المسألة وبيان أدلة كل قول، ومناقشة ما أمكن مناقشته، فإني أرى - والله أعلم - أن القول الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب القول الأول أن من حلف لا يركب دابة فركب كافراً أنه لا يحنث، وذلك للآتي:

١ - قوة ما استدل به أصحاب القول الأول.

٢ - مناقشتهم لدليل المخالف.

١ - البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، كتاب (الخلع والطلاق)، باب (ما جاء في كتابات الطلاق التي لا يقع الطلاق بها)، ج٧ / ص ٥٥٩، رقم الحديث (١٤٩٩٨)، قال الحاكم: «قد صح الحديث بهذه الرواية» ينظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ج٢ / ص ٢١٨، رقم (٢٨٠٨).

٢ - ينظر: الزركشي، شرح الزركشي على مختصر الخرقى، ج٧ / ص ١٥٥-١٥٦.

٣ - ينظر: الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج٣ / ص ٥٨، الموصلي، الاختيار لتعليل المختار، ج٤ / ص ٦٧.

٤ - ينظر: ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ج٢ / ص ١٧٨، الخرشى، شرح مختصر خليل، دار الفكر للطباعة، بيروت، (د-ط) (د-ت)، ج٣ / ص ٦٩.

٣- سلامة أدلتهم من المناقشة.

٤- إن العبرة في الأيمان العرف.

المسألة الخامسة: استعمال لفظ الماضي وإرادة المستقبل به في العقود

دراسة المسألة: اتفق جمهور الفقهاء على جواز استعمال لفظ الماضي في صيغة البيع ومثله الإجارة - الإيجاب والقبول - وعلى انعقاد العقد به^(١).

استدلوا على ذلك بالمعقول:

١- أن هذه الصيغة وإن كانت للماضي وضعاً، لكنها جعلت إيجاباً للحال في عرف أهل اللغة والشرع، والعرف قاض على الوضع^(٢).

٢- أنه إنشاء والشرع قد اعتبر الإخبار إنشاءً في جميع العقود فينقده به ولأن الماضي إيجاب وقطع والمستقبل عدة أو أمر وتوكيل ولهذا انعقد بالماضي^(٣).

ثانياً: اتفق الفقهاء على صحة استعمال لفظ الماضي في صيغة النكاح - الإيجاب والقبول - لدلالته على المضارع^(٤).

١- ينظر: السمرقندي، تحفة الفقهاء، ج ٢ / ص ٢٩، الدسوقي، الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي، ج ٣ / ص ٣، النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ج ٣ / ص ٣٣٨، ابن قدامة، الكافي في فقه الإمام أحمد، ج ٢ / ص ٣.

٢- ينظر: الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٥ / ص ١٣٣، المرغيناني، الهداية في شرح بداية المبتدي، ج ٣ / ص ٢٣.

٣- ينظر: شبخي زاده، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، دار إحياء التراث العربي. (د-ط) (د-ت)، ج ٢ / ص ٤، ملا خسرو، درر الحكام شرح غرر الأحكام، دار إحياء الكتب العربية. (د-ط) (د-ت)، ج ٢ / ص ١٤٢.

٤- ينظر: القدوري، مختصر القدوري، تحقيق: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص ١٤٥، البابر، العناية شرح الهداية، ج ٣ / ص ١٩٠-١٩٣، خليل الجندي، التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب، ج ٣ / ص ٥٧٩، سراج الدين البلقيني، التدريب في الفقه الشافعي، حققه وعلق عليه: أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري، دار القيلتين، ط ١، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، ج ٣ / ص ٧٦-٧٧، ابن حجر الهيتمي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المكتبة التجارية الكبرى، بمصر، ١٣٥٧هـ / ١٩٨٣م، ج ٧ / ص ٢٢١، المرادوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار إحياء التراث العربي، ط ٢. (د-ت)، ج ٨ / ص ٤٥.

واستدلوا على ذلك بالمعقول:

١- أن الانعقاد بلفظ الماضي باعتبار أنه جعل إنشاءً شرعاً فصار هو علة لمعناه فيثبت المعنى عقبه، والمراد بقوله جعلت للإنشاء شرعاً تقرير الشرع ما كان في اللغة، وذلك لأن العقد قد كان ينشأ بها قبل الشرع فقرره الشرع، وإنما اختيرت للإنشاء؛ لأنها أدل على الوجود والتحقق حيث أفادت دخول المعنى في الوجود قبل الإخبار فأفيد بها^(١).

٢- النكاح عقد فينعقد بهما كسائر العقود، واختص بما ينبىء عن الماضي؛ لأنه إنشاء تصرف، وهو إثبات ما لم يكن ثابتاً، وليس له لفظ يختص به باعتبار الوضع فاستعمل فيه لفظ ينبىء عن الثبوت، وهو الماضي دفعاً للحاجة؛ لأن الإنشاء يعرف بالشرع لا باللغة فكان ما ينبىء عن الثبوت أولى من غيره؛ لأن غرضهما الثبوت دون الوعد^(٢).

المطلب السابع: تطبيقات فقهية معاصرة على قاعدة:

الحقيقة تترك بدلالة العادة

١- حقيقة خدمة المرأة زوجها: فهي تختلف من قطر لآخر، فأهل المشرق عادتهم الاستعانة بخادم، عكس أهل المغرب، وبلاد الغرب عادتهم تقاسم أعباء البيت بين الزوجين، فتصرف حقيقة هذه الخدمة إلى ما يتعارف عليه أهل كل بلد.

٢- يدل مصطلح «الروضة» في الخطاب الدارج عند أهل المغرب على المقبرة، ويدل مصطلح «العافية» على النار، فإذا كان التلطف بهما عندهم متعلقاً

١- ينظر: الموصلية، الاختيار لتعليل المختار، ج ٣/ ص ٨٢، ابن الهمام، فتح القدير، ج ٣/ ص ١٩٠.
٢- ينظر: الزيلعي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، ج ٢/ ص ٩٦، ابن أبي العز، التنبيه على مشكلات الهداية، تحقيق ودراسة: عبد الحكيم بن محمد شاكر - أنور صالح أبو زيد، مكتبة الرشد ناشرون، ط ١، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج ٣/ ص ١١٧٩.

بالطلاق أو الحلف أو غير ذلك فإنه لا يقصد بهما إلا هذا العرف، فترك
حينئذ حقيقة اللفظ لغة ويصار إلى ما تعارف عليه هؤلاء الناس.

٣- لو قال شخص: والله لا أضربن فلاناً، الضرب أدنى ضرب يُسمى ضرباً، لكن
في عرف الناس أنه لا يكون كذلك إلا إذا كان موجعاً، فنقول كفر عن يمينك
ولا توجعه.

٤- لو قال رجل أوقفت مالي للفقهاء يدخل فيهم المقلد لأن لفظ الفقيه يطلق عليه
عرفاً فيصرف كلام الواقف أو الموصي إلى ما هو المتعارف في زمنه لأنه
حقيقة كلامه العرفية فترك به الحقيقة الأصلية.

٥- لو قال شخص لآخر: اشتر لي خبزاً، انصرف إلى الخبز المستعمل في مكان
العقد.

المطلب الثامن: مستثنيات القاعدة

بالبحث والتنقيب لم أقف على مستثنيات لهذه القاعدة غير أنه إذا كان هناك
حقيقة ومجاز، ووجدت قرينة على إرادة المعنى المجازي، فيصرف الكلام إلى
المجاز لوجود قرينة صارفة، إلا إذا تعذر إرادة المعنى الحقيقي، أو كان مهجوراً
عادة وعرفاً فيأخذ حكم المتعذر، فترك الحقيقة ويصار إلى العرف والعادة^(١)،
ومنه ما إذا قال لزوجته: إلحقي بأهلك، أو حبلك على غاربك، فيحمل على
حقيقته إلا إذا وجدت قرينة الطلاق بأن كان في حال غضب، وقد نوى الطلاق
فيحمل على الطلاق^(٢).

١- ينظر: الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، ج ١ / ص ٣٣٥.
٢- ينظر: ابن الهمام، فتح القدير، ج ٤ / ص ٦٦، الموصلي، الاختيار لتعليل المختار، ج ٣ / ص ١٣٣،
السيوطي، الأشباه والنظائر، ص ٣٠٢، ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج ٣ / ص ٩٧،
الشافعي، الأم، ج ٧ / ص ٢٤٩، ابن قدامة، المغني، ج ٧ / ص ٣٩٠، ابن حزم، الإحكام في أصول
الأحكام، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج ٢ / ص ١٠٩.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

ففي نهاية هذه الدراسة، توصلت إلى عدد من الخلاصات، والتوصيات،
أجملها فيما يلي:

أولاً: الخلاصات:

- ١- الحقيقة أنواع أربعة: لغوية، وشرعية، وعرفية عامة، وعرفية خاصة.
- ٢- يقصد بالعادة الاستمرار على شيء مقبول للطبع السليم، والمعاودة إليه مرة بعد أخرى، وهي المرادة بالعرف.
- ٣- العادة والعرف يستدل على الأخذ بهما من القرآن والسنة والأثر والمعقول.
- ٤- أن العادة والعرف محكمان بين الناس ومعتبران في الشريعة الإسلامية.
- ٥- إذا أصبح المعنى الحقيقي للفظ مهجوراً عادة وعرفاً، وشاع استعماله في معنى آخر لا يراد بالكلام المعنى الحقيقي، فحينئذ تترك الحقيقة؛ لأن العادة قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.
- ٦- العادة يعمل بها بشرط عدم التصريح بخلافها، وأن تكون مطردة.
- ٧- تندرج قاعدة الحقيقة تترك بدلالة العادة تحت قاعدة كبرى هي: العادة محكمة.

ثانياً: التوصيات:

- ١- الاهتمام بدراسة القواعد الفقهية؛ وتكوين الفقيه القادر على تخريج الفروع على الأصول.
- ٢- استقراء التطبيقات الفقهية المندرجة تحت القاعدة محل الدراسة، مما يعمل على إثراء الحصيلة الفقهية لدى الفقيه والمجتهد.

فهرس المراجع والمصادر

- أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- أحمد بن الشيخ محمد الزرقا، شرح القواعد الفقهية، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم، ط٢، دمشق-سوريا، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- الآمدي، سيد الدين علي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان، د-ت.
- البيهقي، أحمد بن الحسين الخراساني، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- البابرّي، محمد بن محمود أكمل الدين، العناية شرح الهداية، دار الفكر، (د-ط) (د-ت).
- البخاري، علاء الدين الحنفي، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، دار الكتاب الإسلامي، د-ط، د-ت.
- البورنو، محمد صدقي بن أحمد آل بورنو، موسوعة القواعد الفقهية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، القواعد النورانية الفقهية، تحقيق: أحمد بن محمد الخليل، دار ابن الجوزي، ط١، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.
- آل تيمية، بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين عبد السلام بن تيمية، وأضاف إليها الأب،: عبد الحليم بن تيمية، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية، المسودة في أصول الفقه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، د-ط، د-ت.

- الجويني، عبد الملك بن عبدالله أبو المعالي، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح بن عويضة، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت-لبنان، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- الجندي، خليل بن إسحاق بن موسى المالكي، التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب، تحقيق: أحمد نجيب، مركز نجبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- أبو الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني اليمني الشافعي، البيان في مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج، ط ١، جدة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي القرطبي الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ابن حزم، علي بن أحمد القرطبي الظاهري، المحلى بالآثار، دار الفكر، بيروت، (د-ط) (د-ت).
- ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المكتبة التجارية الكبرى، بمصر، ١٣٥٧هـ / ١٩٨٣م.
- الحموي، شهاب الدين الحسيني الحنفي، غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن الحكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- الخرشي، محمد بن عبد الله المالكي، شرح مختصر خليل، دار الفكر للطباعة، بيروت، (د-ط) (د-ت).
- الدسوقي، محمد بن عرفة، الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي، تحقيق: محمد عيش، دار الفكر، (د-ط) (د-ت).
- ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، قواعد ابن رجب، تحقيق: أبو عبدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، ط١، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.
- الرازي، فخر الدين، المحصول، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- الرازي، زين الدين، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد الناشر، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط٥، بيروت - صيدا ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- الزيلعي، فخر الدين الحنفي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، الحاشية: شهاب الدين الشلبي، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، ط١، ١٣١٣هـ.
- الزبيدي، أبو بكر بن علي اليمني الحنفي، الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، المطبعة الخيرية، ط١، ١٣٢٢هـ.
- الزركشي، شمس الدين محمد بن عبد الله، شرح الزركشي على مختصر الخرقى، دار العبيكان، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- الزحيلي، محمد مصطفى، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- الزحيلي، محمد مصطفى، الوجيز في أصول الفقه الاسلامي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، دمشق - سوريا، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- السرخسي، محمد بن شمس الأئمة، أصول السرخسي، دار المعرفة - بيروت.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- السمرقندي، أبو بكر علاء الدين، تحفة الفقهاء، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- سراج الدين البلقيني، عمر ابن رسلان، التدريب في الفقه الشافعي، حققه وعلق عليه: أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري، دار القبلتين، ط ١، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة، شرح السير الكبير، الشركة الشرقية للإعلانات، ١٩٧١م.
- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- السمعاني، منصور بن محمد المروزي الشافعي، قواطع الأدلة في الأصول، تحقيق: محمد إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ / ١٩٩٩م.
- السُّعدي، علي بن الحسين بن محمد، التنف في الفتاوى، تحقيق: صلاح الدين الناهي، دار الفرقان - مؤسسة الرسالة، ط ٢، عمان - الأردن / بيروت - لبنان ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- شيخه زاده، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، دار إحياء التراث العربي. (د-ط) (د-ت).
- الشاشي، نظام الدين أحمد بن محمد بن إسحاق، أصول الشاشي، دار الكتاب العربي - بيروت.
- الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، دار المعرفة - بيروت. ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي، التنبيه في الفقه الشافعي، عالم الكتب، ط ١، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف، المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، (د-ط) (د-ت).
- الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، تحقيق: عبدالله التركي، دار هجر، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- الطوفي، سليمان الصرصري، شرح مختصر الروضة، دار القلم، ط ٢، دمشق - سوريا، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

- العيني، محمود بدر الدين، البناية شرح الهداية، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- ابن أبي العز، صدر الدين علي بن علي الحنفي، التنبيه على مشكلات الهداية، تحقيق ودراسة: عبد الحكيم بن محمد شاکر - أنور صالح أبو زيد، مكتبة الرشد ناشرون، ط١، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- علي حيدر خواجه أمين أفندي، درر الحکام في شرح مجلة الأحكام، تعريب: فهمي الحسيني، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- أبو عبد الله المواق المالكي، التاج والإكليل لمختصر خليل، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٤م.
- ابن أبي عمر، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، الشرح الكبير على متن المقنع، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع (د-ط) (د-ت).
- ابن عبد البر، يوسف القرطبي، الكافي في فقه أهل المدينة، تحقيق: محمد محمد أحمد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، ط٢، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- عبدالرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، البلاغة العربية، دار القلم، ط١، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط المكتبة العلمية - بيروت، (د. د. ت).
- ابن فارس، أحمد بن زكرياء، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون ط دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- القدوري، أحمد بن محمد، التجريد للقدوري، تحقيق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، ط٢ دار السلام - القاهرة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ابن قُطُوبُغَا، أبو الفداء زين الدين قاسم، خلاصة الأفكار شرح مختصر المنار، تحقيق: حافظ ثناء الله الزاهدي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

- القرافي، أبو العباس شهاب الدين، أنوار البروق في أنواع الفروق، عالم الكتب، د-ط، د-ت.
- ابن قدامة، أبو محمد المقدسي، الكافي في فقه الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- القدوري، أحمد بن محمد بن أحمد، مختصر القدوري، تحقيق: كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- ابن قدامة، أبو محمد المقدسي، المغني، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، (د-ط).
- الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د-ط، د-ت.
- الكلوذاني، أبو الخطاب محفوظ بن أحمد، الهداية على مذهب الإمام أحمد، تحقيق: عبد اللطيف هميم - ماهر ياسين الفحل، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- اللخمي، علي بن محمد الربيعي، التبصرة، تحقيق: أحمد عبد الكريم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- ابن مودود الموصللي، عبد الله بن محمود، مجد الدين الحنفي، الاختيار لتعليل المختار، مطبعة الحلبي - القاهرة، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م.
- المرادوي، علاء الدين علي بن سليمان، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار إحياء التراث العربي، ط ٢. (د-ت).
- المرغيناني، علي بن أبي بكر، بداية المبتدي في فقه الإمام أبي حنيفة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح - القاهرة (د-ط) (د-ت).
- المرادوي، علاء الدين، التخبير شرح التحرير، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، مكتبة الرشد، ط ١، السعودية - الرياض، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- ملا خسرو، محمد بن فرامر بن علي، درر الحكام شرح غرر الأحكام، دار إحياء الكتب العربية. (د-ط)(د-ت).
- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ابن مفلح، إبراهيم بن محمد، المبدع في شرح المقنع، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- مجد الدين بن تيمية، عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد، المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، مكتبة المعارف، ط٢، الرياض، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- المزني، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، مختصر المزني، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- مالك بن أنس الأصبحي المدني، المدونة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، إشراف الشاهد البوشيخي، ط١ الناشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة - جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- المرغنياني، علي بن أبي بكر، الهداية في شرح بداية المبتدي، تحقيق: طلال يوسف، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د-ط)(د-ت).
- ابن نجيم، زين الدين المصري، الأشباه والنظائر، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٣، بيروت - دمشق - عمان ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

- النووي، يحيى بن شرف، المجموع شرح المذهب، دار الفكر، (د-ط) (د-ت).
- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١٦هـ.
- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، فتح القدير، دار الفكر.
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة.
- ابن يونس، محمد بن عبد الله التميمي الصقلي، الجامع لمسائل المدونة، تحقيق: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط ١، جامعة أم القرى.

References:

- Ahmed bin Muhammad bin Hanbal Al-Shaibani, Musnad Ahmad bin Hanbal, Investigator: Shoaib Al-Arnaout - Adel Murshid, and others, supervised by: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, Al-Risala Foundation, I 1, 1421 AH/2001 AD.
- Ahmed bin Al-Sheikh Muhammad Al-Zarqa, explained the jurisprudence rules, corrected and commented on: Mustafa Ahmed Al-Zarqa, Dar Al-Qalam, 2nd floor, Damascus-Syria, 1409 AH/1989AD.
- Al-Amedi, Sayyid al-Din Ali, Judgment in the Fundamentals of Rulings, investigation: Abd al-Razzaq Afifi, Islamic Office, Beirut - Damascus - Lebanon, D-T.
- Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein Al-Khorasani, The Greater Sunan, investigation: Muhammad Abdul Qadir Atta, Dar Al-Kutub Al-Alami, 3rd edition, Beirut - Lebanon, 1424 AH/2003 AD.
- Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, Sahih Al-Bukhari, investigation: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, Dar Touq Al-Najat, 1st edition, 1422 AH.
- Al-Babarti, Muhammad bin Mahmoud Akmal Al-Deen, Al-Enaya, Explanation of Guidance, Dar Al-Fikr, (D-i) (D-T).
- Al-Bukhari, Aladdin Al-Hanafi, Revealing the Secrets, Explaining the Fundamentals of Al-Bazdawi, Islamic Book House, D-I, D-T.
- Al-Borno, Muhammad Sidqi Bin Ahmad Al-Borno, Encyclopedia of Jurisprudence, Publisher: Al-Risala Foundation, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1424 AH - 2003 AD.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad bin Abd al-Halim al-Harrani al-Hanbali, Grand Fatwas, Dar al-Kitab al-'Ilmiyya, 1st edition, 1408 AH/1987 CE.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad bin Abd al-Halim, the Jurisprudence of Illumination, an investigation: Ahmed bin Muhammad al-Khalil, Dar Ibn al-Jawzi, 1st edition, Saudi Arabia, 1422 AH.
- The Taymiyyah family began with its grandfather classification: Majd al-Din Abd al-Salam bin Taymiyyah, and the father added to it: Abd al-Halim bin Taymiyyah, then completed by the grandson son: Ahmad bin Taymiyyah, the draft in the principles of jurisprudence. Arab, d-i, d-t.
- Al-Juwayni, Abdul-Malik bin Abdullah Abu Al-Maali, Al-Burhan on Fundamentals of Jurisprudence, investigation: Salah bin Aweidah, Dar Al-Kutub Al-Alami, 1st edition, Beirut-Lebanon, 1418 AH/1997 AD.

- The soldier, Khalil bin Ishaq bin Musa al-Maliki, clarification in a brief explanation of Ibn al-Hajib, investigation: Ahmed Naguib, Naguib Center for Manuscripts and Heritage Service, i 1, 1429 AH/2008 AD.
- Al-Jarjani, Ali bin Muhammad bin Ali al-Zain, definitions, seized and authenticated by a group of scholars, Dar Al-Kutub Al-Alami, 1st edition, Beirut - Lebanon, 1403 AH/1983 AD.
- Abu al-Hussein Yahya bin Abi al-Khair al-Yamani al-Shafi'i, the statement in the doctrine of Imam al-Shafi'i, investigation: Qasim Muhammad al-Nuri, Dar al-Minhaj, 1st edition, Jeddah 1421 AH/2000AD.
- Ibn Hazm, Ali bin Ahmed Al-Andalusi Al-Qurtubi Al-Dhahiri, Al-Ahkam in the Fundamentals of Rulings, investigation: Sheikh Ahmed Muhammad Shaker, New Horizons House, Beirut.
- Ibn Hazm, Ali bin Ahmed Al-Qurtubi Al-Dhahiri, Local with Archeology, Dar Al-Fikr, Beirut, (D-i) (D-T).
- Ibn Hajar Al-Hitmi, Ahmed bin Muhammad, the masterpiece of the needy in explaining the curriculum, the Great Commercial Library, Egypt, 1357 AH/1983 AD.
- Al-Hamwi, Shihab al-Din al-Husayni al-Hanafi, winking the eyes of insights in explaining the likes and isotopes, Dar Al-Kutub Al-Alami, 1 st, 1405 AH/1985 AD.
- Al-Hakim, Muhammad ibn Abdullah ibn Muhammad ibn al-Hakam al-Nisaburi, who was corrected by the two Sahihs, an investigation: Mustafa Abd al-Qadir Atta, Dar al-Kutub al-Alamiyya, 1st edition, Beirut, 1411 AH/1990AD.
- Al-Khurshi, Muhammad bin Abdullah Al-Malki, Sharh Khalil, Khalil, Dar Al-Fikr for Printing, Beirut, (D-i) (D-T).
- El-Desouky, Mohamed Ibn Arafa, the great explanation of Sheikh Al-Dardeer and his entourage of Desouqi, investigation: Muhammad Alish, Dar Al-Fikr, (D-i) (D-T).
- Ibn Rushd, the grandson, Abu al-Walid Muhammad al-Qurtubi, the beginning of the mujtahid and the end of the economist, Dar al-Hadith - Cairo, 1425 AH/2004 AD.
- Ibn Rajab, Abd al-Rahman bin Ahmad al-Hanbali, Ibn Rajab's Rules, Investigation: Abu Ubaida Mashhur bin Hassan Al Salman, Ibn Affan Publishing and Distribution House, 1st edition, Saudi Arabia, 1419 AH.

- Al-Razi, Fakhr Al-Din, The Crop, Study and Inquiry: Dr. Taha Jaber Fayyad, Al-Risala Foundation, 3rd Floor, 1418 AH/1997AD.
- Al-Razi, Zainuddin, Mukhtar Al-Sahah, investigation: Youssef Al-Sheikh Muhammad, publisher, Al-Asriya Library - Model House, 5th floor, Beirut - Saida 1420 AH/1999AD.
- Al-Zayla'i, Fakhr Al-Din Al-Hanafi, showing the facts, explaining the treasure of the minutes, and the footnote to al-Shalaby, footnote: Shihab al-Din al-Shalaby, Al-Amiriya Great Printing Press - Bulaq, Cairo, I 1, 1313 AH.
- Al-Zubaidi, Abu Bakr Bin Ali Al-Yamani Al-Hanafi, Al-Jawhara Al-Naira Ali Mokhtas Al-Qadduri, Charitable Press, i 1, 1322 AH.
- Al-Zarkashi, Shams al-Din Muhammad bin Abdullah, Sharh al-Zarkashi, on the acronym of al-Kharqi, Dar al-Obeikan, 1st floor, 1413 AH/1993 AD.
- Al-Zuhaili, Muhammad Mustafa, The Jurisprudence and its Applications in the Four Schools of Thought, Dar Al-Fikr, 1st edition, Damascus, 1427 AH/2006AD.
- Al-Zuhaili, Muhammad Mustafa, Al-Wajeez in the Origins of Islamic Jurisprudence, Dar Al-Khair for Printing, Publishing and Distribution, 2nd edition, Damascus - Syria, 1427 AH/2006AD.
- Al-Sarkhasi, Muhammad bin Shams Al-Imams, Origins of Al-Sarkhasi, Dar Al-Marefa - Beirut.
- Al-Suyuti, Abd al-Rahman ibn Abi Bakr, Parallels and Isotopes, Dar Al-Kutub Al-Alami, 1/1411AH/1990AD.
- Al-Sobky, Taj Al-Din Abd Al-Wahhab bin Taqi Al-Din, Al-Ashba and Isotopes, Dar Al-Kutub Al-Alami Scientific, 1st edition, 1411 AH/1991 AD.
- Samarkandi, Abu Bakr Aladdin, Masterpiece of Jurists, Dar Al-Kutub Al-Alami, 2nd edition, Beirut - Lebanon 1414 AH/1994 AD.
- Serag El-Din El-Balqiny, Omar Ibn Raslan, Training in Shafi'i Fiqh, achieved and commented on: Abu Ya`qub Nashat Ibn Kamal al-Masry, Dar al-Qiblatayn, 1st Floor, Riyadh - Saudi Arabia, 1433 AH/2012AD.
- Al-Sarkhasi, Muhammad bin Ahmed bin Abi Sahl Shams Al-Imams, Explanation of the Great Sir, Eastern Advertising Company, 1971 AD.
- Al-Sarkhasi, Muhammad bin Ahmed bin Abi Sahl Shams of the Imams, Al-Mabsout, Dar Al-Maarefa, Beirut, 1414 AH/1993 AD.

- Al-Samani, Mansour bin Mohammed Al-Marwazi Al-Shafi'i, evidence breakers in the origins, investigation: Muhammad Ismail Al-Shafi'i, Dar Al-Kutub Al-Alami, 1st edition, Beirut-Lebanon, 1418 AH/1999AD.
- Al-Sughdi, Ali bin Al-Hussein bin Muhammad, plucking in fatwas, investigation: Salah Al-Din Al-Nahhi, Dar Al-Furqan - Al-Resala Foundation, 2nd edition, Amman - Jordan/Beirut - Lebanon 1404 AH/1984 AD.
- Sheikhi Zadeh, Abdul Rahman bin Muhammad bin Suleiman, Al-Anhr Complex in Explaining the Sailing Forum, Arab Heritage Revival House. D-I D-T.
- Al-Shashi, Nizamuddin Ahmed bin Muhammad bin Ishaq, Osoul Al-Shashi, Arab Book House - Beirut.
- Al-Shafi'i, Muhammad bin Idris, mother, Dar Al-Maarefa - Beirut 1410 AH/1990 AD.
- Al-Shirazi, Ibrahim bin Ali bin Yusuf Al-Firozabadi, The Warning in Shafi'i Fiqh, The World of Books, 1st Floor, Beirut, 1403 AH/1983AD.
- Al-Shirazi, Ibrahim bin Ali bin Yousef, the polite in the jurisprudence of Imam Al-Shafi'i, Dar Al-Kutub Al-Alami, (d-i) (d-t).
- Al-Tabari, Muhammad bin Jarir, Tafseer Al-Tabari, investigation: Abdullah Al-Turki, Dar Hajar, 1st floor, 1422 AH/2001 AD.
- Al-Tofi, Suleiman Al-Sarrasri, A Brief Explanation of Al-Rawda, Dar Al-Qalam, 2nd Floor, Damascus - Syria, 1409 AH/1989 AD.
- Al-Aini, Mahmoud Badr Al-Din, Building Explanation of Guidance, House of Scientific Books, 1st floor, Beirut - Lebanon, 1420 AH/2000 AD.
- Ibn Abi Al-Ezz, Sadr Al-Din Ali Bin Ali Al-Hanafi, Warning on the Problems of Guidance, Investigation and Study: Abdul-Hakim Bin Muhammad Shaker - Anwar Saleh Abu Zaid, Al-Rashd Library Publishers, 1st edition, Saudi Arabia, 1424 AH/2003 AD.
- Ali Haider Khawaja Amin Effendi, Pearls of Rulers in Explaining Al-Ahkam Magazine, Arabization: Fahmy Al-Husseini, Dar Al-Jeel, 1st edition, 1411 AH/1991AD.
- Abu Abdullah Al-Muwaq Al-Maliki, The Crown and the Wreath of Abbreviated Khalil, Dar Al-Kutub Al-Alami, 1/1416 AH/1994 AD.
- Ibn Abi Omar, Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Qudamah al-Maqdisi, the great commentary aboard Al-Muqana, Arabic Book House for Publishing and Distribution (D-I) (D-T).

- Ibn Abd al-Barr, Yusuf al-Qurtubi, al-Kafi in Fiqh of the People of the City, investigation: Muhammad Muhammad Ahid Wold Madik al-Mauritanian, Modern Riyadh Library, 2nd edition, Riyadh- Saudi Arabia, 1400 AH/1980AD.
- Abdul Rahman bin Hassan Habnaka, The Damascene Field, Arabic Rhetoric, Dar Al-Qalam, 1st Floor, Damascus, Sham Al-Sham, Beirut, 1416 AH/1996 AD.
- Al-Fayoumi, Ahmad bin Muhammad bin Ali, the luminous lamp in Gharib al-Sharh al-Kabir, Scientific Library - Beirut edition, (d. T.)
- Ibn Faris, Ahmed bin Zakaria, Language Standards, investigation: Abd al-Salam Haroun, Dar al-Fikr, 1399 AH/1979AD.
- Al-Qaduri, Ahmad bin Muhammad, the abstraction of al-Qudduri, an investigation: Center for Jurisprudence and Economic Studies, 2nd edition, Dar Al-Salam - Cairo, 1427 AH/2006AD.
- Ibn Qutlopagha, Abu al-Fida 'Zain al-Din Qasim, Summary of Ideas, Explanation of Muqsar al-Manar, Investigation: Hafiz Thana Allah al-Zahedi, Dar Ibn Hazm, 1st Floor, 1424 AH/2003AD.
- Al-Qarafi, Abu al-Abbas Shihab al-Din, The Lights of Lightning in the Difference of Distinctions, The World of Books, D-i, D-T.
- Ibn Qudamah, Abu Muhammad al-Maqdisi, Al-Kafi in the Jurisprudence of Imam Ahmad, Dar Al-Kutub Al-Alami, 1/1414 AH/1994 AD.
- Al-Qadduri, Ahmed bin Muhammad bin Ahmed, a brief of Al-Qadduri, investigation: Kamel Muhammad Muhammad Owaida, Dar Al-Kutub Al-Alami, 1/1418H/1997AD.
- Ibn Qudamah, Abu Muhammad al-Maqdisi, al-Mughni, Cairo Library, 1388 AH/1968AD (D-i).
- Al-Kasani, Ala Al-Din Abu Bakr Bin Masoud, Bada'i Al-Sanayi 'in Arranging the Laws, Dar Al-Kutub Al-Alami, 2, 1406 AH/1986 AD.
- Al-Kafawi, Ayoub bin Musa Al-Husseini Al-Quraimi, Colleges Glossary of terms and linguistic differences, investigation: Adnan Darwish - Muhammad Al-Masry, Al-Risala Foundation, Beirut, D-I, D-T.
- Al-Kalloudani, Abu Al-Khattab Mahfouz Bin Ahmed, Guidance on the Doctrine of Imam Ahmad, Investigation: Abdul Latif Hamim - Maher Yassin Al-Fahal, Grass Institution for Publishing and Distribution, 1st edition, 1425 AH/2004 AD.

- Al-Lakhmi, Ali bin Muhammad Al-Rubaie, Al-Tabsrah, investigation: Ahmed Abdul Karim, Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, Qatar, 1st edition, 1432 AH/2011AD.
- Ibn Mudood al-Musli, Abdullah bin Mahmoud, Majd al-Din al-Hanafi, The choice to explain the Mukhtar, Al-Halabi Press - Cairo, 1356 AH/1937 AD.
- Al-Mardawi, Ala Al-Din Ali Bin Sulaiman, Equity in Knowing the Most Likely of the Disagreement, Dar Al-Ahyaa Al-Arabiya, 2nd Edition. D-T.
- Al-Marghanani, Ali bin Abi Bakr, The Beginning of Al-Mubtadi in the Fiqh of Imam Abu Hanifa, Library and Press of Muhammad Ali Sobh - Cairo (D-i) (D-T).
- Al-Mardawi, Aladdin, Al-Tahbir, Explanation of Editing, investigation: 70-Abdul Rahman Al-Jibreen, d. Awad Al-Qarni, d. Ahmad Al-Sarrah, Al-Rushd Library, 1st floor, Saudi Arabia - Riyadh, 1421 AH/2000 CE.
- Al-Mawardi, Abu Al-Hassan Ali Bin Muhammad, Al-Hawi Al-Kabir in Fiqh of the doctrine of Imam Al-Shafi'i, investigation: Sheikh Ali Muhammad Moawad - Sheikh Adel Ahmed Abdel-Mawgoud, Dar Al-Kutub Al-Alami, 1st edition, Beirut - Lebanon, 1419 AH/1999 AD.
- Mulla Khusraw, Muhammad bin Framers bin Ali, Pearls of rulers, an explanation of the deceit of rulings, the Arab Books Revival House. D-I D-T.
- Muslim bin Al-Hajjaj al-Nisaburi, Sahih Muslim, investigation: Muhammad Fouad Abd al-Baqi, Arab Heritage Revival House, Beirut.
- Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram Al-Ansari, Lisan Al-Arab, Dar Sader, 3rd floor, Beirut, 1414 AH.
- Ibn Muflih, Ibrahim bin Muhammad, the creator of Sharh Al-Muqna'an, Dar Al-Kutub Al-Alami, 1st edition, Beirut - Lebanon, 1418 AH/1997 AD.
- Majd al-Din bin Taymiyyah, Abd al-Salam bin Abdullah bin al-Khader bin Muhammad, editor in jurisprudence on the doctrine of Imam Ahmad bin Hanbal, Al-Maaref Library, 2nd edition, Riyadh, 1404 AH/1984 AD.
- Al-Muzni, Ismail bin Yahya bin Ismail, Muzni Al-Muzni, Dar Al-Maarefa, Beirut, 1410 AH/1990AD.
- Malik bin Anas Al-Asbahi Al-Madani, Blog, Dar Al-Kutub Al-Alami, 1st edition, 1415 AH/1994 AD.

- Abu Muhammad Makki bin Abi Talib Al-Qurtubi Al-Maliki, Guidance to the End, Achievement: A Collection of Theses in the College of Graduate Studies and Scientific Research, University of Sharjah, supervised by Al-Boshikhi witness, 1st edition of the Book and Sunnah Research Group, College of Sharia - University of Sharjah, 1429 AH/2008AD .
- Al-Marghiani, Ali bin Abi Bakr, Al-Hidaya in Explaining the Beginning of Al-Mobtadi, investigation: Talal Youssef, Arab Heritage Revival House, Beirut - Lebanon, (D-i) (D-T).
- Ibn Njeim, Zain Al-Din Al-Masry, Parallels and Isotopes, Investigation: Sheikh Zakaria Omeirat, Scientific Books House, Beirut - Lebanon, I 1, 1419 AH/1999 AD.
- Al-Nawawi, Muhyiddin Yahya bin Sharaf, Rawdat Al-Talibin and Mayor of Muf-tis, Investigation: Zuhair Al-Shawish, Islamic Office, 3rd Floor, Beirut - Damas-cus - Amman 1412 AH/1991 AD.
- Al-Nawawi, Yahya bin Sharaf, Al-Majmoo 'Sharh Al-Muhadhab, Dar Al-Fikr, (D-i) (D-T).
- Al-Nisaboori, Nizam Al-Din Al-Hassan Bin Muhammad Bin Hussain Al-Qum-mi, Oddities of the Qur'an and Raghaib Al-Furqan, Achieved by: Sheikh Zakaria Omeirat, Dar Al-Kutub Al-Alami, 1st edition, Beirut, 1416 AH.
- Ibn Al-Hamam, Kamal Al-Din Muhammad bin Abdul Wahid Al-Sewasi, Fateh Al-Qadeer, House of Thought
- Al-Haythami, Nur al-Din Ali ibn Abi Bakr ibn Sulayman, The Complex of Ziya-dat and the Source of Benefits, Al-Qudsi Library, Cairo.
- Ibn Yunus, Muhammad bin Abdullah Al-Tamimi Al-Skali, The Collector of Blog Issues.

مستويات البناء النصي
في قصيدة "الزنبقة الداوية"
للشاعر أبي القاسم الشابي

**Leavls Of Texual Construction
In The Poem Of «Al-zanbaqa Al-dhawiya»
Of The Poet Obu-Alqasem Al-shabbi**

د. هبة مصطفى جابر
جامعة الحدود الشمالية - عرعر - السعودية

Dr. Heba Mustafa Jaber
Northern Boarder University -Arar- Soudia Arabia

<https://doi.org/10.47798/awuj.2020.i60.09>



Abstract

The researcher seeks to read the poem "Al-zanbaqa Al-baydaa" Of The Poet Abu-Alqasem Al-shabbi, according to the linguistic analysis of the structural approach, by tracing internal relationships that relate together to give the general construction its literary property four levels of structure: rhetoric, lexical, phonic, synthetic.

Including those levels of structure-property that make the poetic text an integrated text, and allow disclosure of linguistic internal relations to know the components of structure which compose parts of the poetic text, and make it coherent, which can help to understand semantic text units through that text structure.

Keywords: Structuralism, Al-shabbi, phonic, lexical, rhetorical, synthetic.

ملخص البحث

تسعى هذه الدراسة إلى قراءة قصيدة «الزنبقة الداوية» للشاعر أبي القاسم الشابي، وفقاً لمعطيات التحليل اللساني الخاص بالمنهج البنوي، من خلال تتبع العلاقات الداخلية التي تتأزر معاً لتعطي للبناء العام خاصيته الأدبية.

وقد اعتمدت الدراسة على نص أبي القاسم الشابي «الزنبقة الداوية»؛ بغية الكشف عن المستويات البنائية الأربعة، ممثلة في: الصوتي، المعجمي، البلاغي، التركيبي، بما تتضمنه تلك المستويات من خاصية بنائية تجعل من النص الشعري نصاً متكاملًا، وتسمح باستجلاء العلاقات الداخلية لغويًا للنهوض بمقومات البناء الذي يؤلف أجزاء النص الشعري، ويجعله وحدة واحدة، فيساعد على فهم وحدات النص الدلالية من خلال هذه البنية النصية.

الكلمات المفتاحية: البنوية، الشابي، الصوتي، المعجمي، البياني، التركيبي.

المقدمة

لما كان البحث في المنهج البنيوي يستلزم الوقوف على أبرز المستويات الرافدة له، فقد استوجب على الدارس قبل النظر فيها وتفحصها العودة إلى الجذور الخاصة بالبنيوية التي تنطلق أساساً من النظر في لفظة «البنيوية» المشتقة من الكلمة الانجليزية (structure)، التي لها دلالات متباينة ومتنوعة في التطبيق اللساني وهي: «النظام، والتركيب، والهيكل، والشكل، ... والواقع أن المعنى الدقيق لكلمة (structure) لم يتم تحديده إلا في عام ١٩٢٦م، وعلى يد مدرسة «براغ» اللسانية، ويفيد هذا المصطلح معنى الترتيب الداخلي للوحدات التي تُكوّن النظام اللساني^(١)؛ أي أن الانطلاقة الأولى له كانت من خلال ما قدمته هذه المدرسة في التحليل اللساني للدراسات البنيوية؛ حيث تعني بالترتيب والتنسيق والتنظيم الذي يخص الدرس اللساني، ما يعني تمهيد الطريق لظهور الأدوات اللغوية التي تدعم هذا التحليل وتقويه، فيُعتمد مادةً علمية تُفيد في استقراء النص الأدبي بمجمله.

يعتمد التحليل اللساني -إذًا- على الأدوات اللغوية في تحقيق الصورة البنيوية للنص الأدبي عامة والشعري خاصة؛ ذلك أن عملية التحليل تستلزم بالضرورة وجود مستويات بنيوية متوافرة في النص الشعري، حتى يمكن الاعتماد عليها في استجلاء الخاصية البنيوية، ويكون ذلك بتتبع هذه المستويات على اختلافها من صوتي، ومعجمي، وبلاغي، وتركيبية. وهي كلها ممكنة التفسير ضمن هيكل البناء الشعري؛ شأنها شأن «اللغة التي لا يمكن تفسير أشكالها النحوية والصرفية إلا من خلال بنيتها الداخلية ذلك الكيان الموضوعي المباشر والمستقل

١- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط١، ٢٠٠٩، ص٩٤-٩٥.

ذاتياً»^(١)؛ أي بالرجوع إلى البناء الداخلي للنص الشعري خاصة.

ويجدر بنا الوقوف عند أبرز من مهّد الطريق لظهور البنيوية من خلال الآراء التي أثرت المنهج البنيوي وقدمت له عند العالم اللغوي السويسري «فرديناند دي سوسير»، ودراساته لكل من اللغة والكلام، وأهم ما قدمه من آراء حول «نظرية النظام أو النسق (System) اللغوي الذي يحكم الاستخدام الفردي للغة، هذا بالإضافة إلى تطوير مفهوم العلامة (Sign) اللغوية بشقيها الدال (Signifier) والمدلول (Signified)^(٢)؛ فأخذت البنيوية بعد ذلك من الدال والمدلول قاعدة أساساً بنت عليها قوانينها التي تحكم العمل الأدبي؛ حيث إن العمل الأدبي عندها أصبح يركز على كل من الدال والمدلول، وما يقدمه كل منهما في خدمة هذا النص داخلياً.

ويعتمد المنهج البنيوي على مجموعة العلاقات الداخلية المتواشجة في العمل الأدبي الشعري، من خلال انغلاق النص على ذاته ما يعني إيجاد ترابط بين الدال والمدلول بعيداً عن أي تأثيرات خارجية، تاريخية كانت أم نفسية أم اجتماعية، ما يؤدي إلى خلق ترابط بنيوي ينتظمه نسق لغوي خاص، فتكون البنية على ضوء ذلك «آلية للدلالة وديناميكية بتجسيد الدلالة في سلسلة من المكونات الجذرية والعمليات المتصلة وفي شبكة من التفاعلات التي تتكامل لتحول اللغة - بمعناها الأوسع - إلى بنية معقدة تجسد البنية الدلالية تجسيدا مطلقاً في اكتماله»^(٣)، فيظهر النص الأدبي على أثرها نصاً بنيوياً متناسقاً؛ لأن المنهج البنيوي يرى أن المجال الوحيد لحركته وفعاليته هو النص ذاته، فلا أثر خارج هذا النص من مكونات

١- مسلم حسب حسين، جماليات النص الأدبي (دراسات في البنية والدلالة)، دار السيّاب، لندن، ١٥٧، ص ٢٠٠٧.

٢- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨، ص ٢٢٢.

٣- كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص ٩.

أخرى حتى لو كانت مؤلف النص عينه.

ومن خلال تتبع خصائص المنهج البنيوي التي تركز على كونه منهجاً وصفيًا ينحصر عمله في وصف الظواهر اللغوية الخاصة بالنص ذاته يمكن الكشف عن خصوصية النص الشعري بعيداً عن المعيارية في إطلاق الحكم على جودة العمل الأدبي الشعري أو رداءته، «فلا مجال لتدخل الذات في الدراسة، وإن كل اللغات متساوية أمام البحث العلمي، ولا فرق بين لغة قديمة وأخرى حديثة، ولا فرق بين لغات الأمم المتخلفة ولغات الأمم المتحضرة، وليست هناك لغة جيدة وأخرى رديئة»^(٤). وعليه، فإن المعيار الوحيد الذي يُعتمد عليه في التحليل البنيوي هو وصف النص الأدبي مع مراعاة البعد عن أي أحكام خاصة تخرج عن إطار النص الشعري ذاته.

ويتميز المنهج البنيوي باعتماده على قوانين خاصة لها فعاليتها في النص الأدبي؛ يمكن الجزم بأنها «لا تعمل فقط كقوانين بناء وتكوين سلبي، وإنما تقوم هذه القوانين بتحويل البنية ذاتها إلى بنية فاعلة (إيجابية) تسهم بدورها في التكوين وفي البناء وفي تحديد القوانين ذاتها»^(٥)، وهذا يعني أن هنالك خصائص تميز البنية في النص الأدبي تتمثل بالشمول وهو التماسك في العلاقات الداخلية للنص الذي يؤدي بالضرورة إلى الترابط النصي بين أجزائه، والتحول الذي يفضي إلى مجموعة من التغيرات الدلالية بحسب الترتيب الذي وضعت له في النص، والتنظيم الذاتي الذي يعني حفظ النص من أي مؤثرات خارجية «بمعنى أن اللغة لا تبني تكويناتها ووحداتها من خلال رجوعها إلى أنماط (الحقيقة)

٤- محمد الفتحي، انتظام مستويات اللغة في اللسانيات البنيوية، تبين للدراسات الفكرية والثقافية، ع ١١، ٢٠١٥م، مج (٣)، ص ٥٨.

٥- ميجان الرويلي؛ سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ٢، ٢٠٠٠، ص ٣٦.

الخارجية بل من خلال أنظمتها الداخلية الكاملة»^(١)، وهذه الخصائص بمجملها لا بد من توافرها في دراسة النص الأدبي وفق التحليل البنيوي.

إن الاستدلال السابق لمصطلح البنيوية يفضي إلى نهوض هذه المقاربة النقدية على مبدأ التدرج في الانتقال من الجزء إلى الكل؛ أي البحث في المكونات البنائية التي تحيط بالنص الأدبي، وصولاً بها إلى الانتظام التام الذي تتأزر على وفقه هذه المكونات لتشكيل البنية، «فحقيقة العلاقات بين الأجزاء ونوعها هما ما يحدد الكل، ويعطيه شكلاً مميزاً، وخصائص مميزة»^(٢)، ومعرفة هذه العلاقات سيؤدي إلى معرفة قوانين اشتغال آليات النص الأدبي.

وعليه، فالدراسة ستقوم على معطيات المنهج البنيوي، وستتخذ من أدوات الدرس اللساني قاعدة تنطلق منها في تحليل قصيدة «الزنبقة الداوية» للشاعر أبي القاسم الشابي، ومحاولة سبر أغوار هذا النص واستجلاء مكنوناته الداخلية من خلال تتبع المستويات اللغوية الخاصة بالدراسة، بهدف النهوض بمقومات النظام البنيوي الذي من شأنه العمل على تأليف نسيج أجزاءه في وحدة واحدة مترابطة تغذي عناصر النص الأدبي وترفده بما يعمل على الكشف عن دلالاته متعددة الرؤى؛ حيث لا يمكن الوصول إليها والكشف عن مستورها إلا من خلال فحص البنية النصية القائمة على دراسة العلاقة بين الأشياء، ف«البنيوية، بمعناها الواسع، هي طريقة بحث في الواقع، ليس في الأشياء الفردية، بل في العلاقات بينها»^(٣)، وهي تعني أيضاً «القيام بدراسة ظواهر مختلفة كالمجتمعات، والعقول، واللغات، والأساطير، بوصف كل منها نظاماً تاماً، أو كلاً مترابطاً؛ أي بوصفها بنيات، فتتم

-
- ١- محمد الفتحي، انتظام مستويات اللغة في اللسانيات البنيوية، ص ٣٧.
 - ٢- فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون: دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٣، ص ٢٧.
 - ٣- روبرت شولز، البنيوية في الأدب، ترجمة: حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط ٧، ١٩٨٤، ص ١٤.

دراستها من حيث أنساق ترابطها الداخلية، لا من حيث هي مجموعات من الوحدات أو العناصر المنعزلة ولا من حيث تعاقبها التاريخي^(١). وهذا يُفضي إلى وجود هيكله متناسقة على مستوى النص كله، ترتن بالبنوية التي تطوع النص الشعري لأدوات الدرس اللساني، بالتركيز على العوامل الداخلية، وبعيداً عن أي مؤثر خارجي.

وأما القصيدة كاملة^(٢)، فهي على النحو الآتي:

أزنبقة السفح؟ ما لي أراك	تعانقك اللوعة القاسية
أفي قلبك الغض صوت اللهب،	يرتل أنشودة الهاوية؟
أسمعك الليل نذب القلوب	أرشفك الفجر كأس الأسي؟
أصب عليك شعاع الغروب	نجيع الحياة، ودمع المساء
أوقفك الدهر حيث يفجر	نوح الحياة صدوع الصدور؟
وينبثق الليل طيفاً، كئيباً	رهيباً، ويخفق حزن الدهور؟
إذا أضجرتك أغاني الظلام	فقد عذبتني أغاني الوجوم
وإن هجرتك بنات الغيوم،	فقد عانقتني بنات الجحيم
وإن سكب الدر في مسمعك	نحيب [الدجى]، وأنين الأمل
فقد أجج الدهر في مهجتي	شواظاً من الحزن المشتعل

١- عز الدين مناصرة، علم الشعريات (مونتاجية في أدبية الأدب)، دار مجدلاوي، عمان، ط١، ٢٠٠٦، ص٥٤٢.

٢- أبو القاسم الشابي، الديوان، شرح: أحمد حسن بحبح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥، ص١٧٥-١٧٦. × ورد في الديوان كلمة الدجى، ولعل الصواب أن يقول الشاعر (نحيب الدجى) ليستقيم الوزن.

وإن أرشفتك شِفاءَ الحياةِ
 فإنِّي تجرّعتُ من كُفِّها
 أصيخي! فما بينَ أعشارِ قلبي
 مُعيدًا على مُهَجَّتِي بِحَفِيفِ
 وقد أترَعَ اللَّيْلُ بِالْحُبِّ كَأْسِي
 وَجَرَعَنِي مِنْ ثَمَلَاتِهِ
 إليَّ! فقد وَحَدتَ بَيْنَنَا
 فَقَد فَجَّرتَ فِي هَذِي الكُلُومِ
 وإن جَرَفْتَنِي أَكْفُ المَنُونِ
 فَحُزْنِي وَحُزْنُكَ لَا يَبْرَحَانِ
 وَتَحَتَ رِوَاقِ الظَّلَامِ الكَثِيبِ
 سَيُسمَعُ صَوْتُ، كَلْحَنِ شَجِيٍّ
 يُرَدِّدُهُ حُزْنُنَا فِي سُكُونِ
 فَتَرُقُّدُ تَحْتَ التُّرَابِ الأَصَمِّ
 فَيُصَدِّحُ عِنْدَ سُكُونِ الدُّجَى
 صَدَى يَتَهَادَى، كَنَغَمِ شَجِيٍّ
 رُضَابَ الأَسَى، وَرَحِيقَ الأَلَمِ
 كُؤُوسًا، مُؤَجَّجَةً، تَضْطَرِّمِ
 يَرِفُّ صَدَى نَوْحِكَ الخَافِتِ
 جَنَاحِيهِ صَوْتِ الأَسَى المَائِتِ
 وَشَعْشَعَهَا بِلَهيبِ الحَيَاةِ
 مَرَارَةَ حُزْنٍ، تُذِيبُ الصَّفَاةِ
 قَسَاوَةَ هَذَا الزَّمَانِ الظَّلُومِ
 كما فَجرتَ فِيكَ تِلْكَ الكُلُومِ
 إلى اللَّحْدِ، سَحَقْتِكَ الخُطُوبِ
 أَلِيفِينَ رَغَمَ الزَّمَانِ العَصِيبِ
 إِذَا شَمَلَ الكَوْنُ رَوْحَ السَّحَرِ
 تَطَايَرَمِنْ خَفَقَاتِ الوَتْرِ
 [عَلَى] قَبْرِنَا، الصَّامِتِ المُطْمَئِنِّ
 جَمِيعًا عَلَى نَغَمَاتِ الحَزَنِ
 إِذَا نَسِيتْنَا عَذَارَى السَّحَرِ
 تَطَايَرَمِنْ خَفَقَاتِ الوَتْرِ

يُرْتَحُّهُ شَجُونَا الْمُسْتَكِينُ لَدَى الْقَبْرِ، تَحْتَ ظِلَالِ الْمَسَا
فَتَهَجُّعُ تَحْتَ الثَّرَى الْهَاجِعِ جَمِيعًا عَلَى نَعَمَاتِ الْأَسَى

مستويات البناء النصي في القصيدة

أولاً - المستوى الصوتي:

يعتني المستوى الصوتي بـ «تحليل الملامح الصوتية، كتكرار أصوات بعينها، ساكنة أو متحركة، مهموسة أو مجهورة، مرتكزة أو منبورة وكاستخدام أنواع معينة من المقاطع: طويلة أو متوسطة أو قصيرة. وكالعلاقة بين الإيقاع والنبر، والارتكاز والطول، وتوزيع الظواهر البديعية من... وجناس وسجع... إلخ»^(١)؛ أي العمل على خلق نسق معرفي تتجلى فيه الظواهر الصوتية التي تنطلق من مجموعة الجمل المتناسقة في الجملة المتولدة على مستوى البيت الواحد في القصيدة، فتحدد ملامح المستوى الصوتي من خلال تتبع تلك الخصائص مجتمعة.

تنفتح قصيدة أبي القاسم الشابي على مجموعة لا بأس بها من الأصوات التي توّطر بنية النص وتعززها من الناحية الصوتية، وهي تتعاضد أكثر من مرة؛ حيث توفر ذلك الانسجام البنائي على مستوى القصيدة كلها، ويبدأ ذلك بمراعاة الفونيم الذي يعد أصغر وحدة صوتية تنبثق منها محاور التغيير في الكلمة؛ حيث يؤدي التغيير فيه إلى تغيير الكلمة كلها، فهو «الوحدة المتميزة الصغرى التي يمكن تجزئها سلسلة التعبير إليها. ويرى بعضهم أن الوحدة الصغرى هي الصوت الكلامي speed sound أو phone»^(٢)، كما يوصف بأنه «الصوت الواحد العام الذي يجمع جملة من الأفراد والتنوعات اتفق على تسميته الفونيم

١ - محمد عزام، التحليل الألسني للأدب، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٩٤، ص ١٣٢.

٢ - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٦١.

Phoneme... وسار بعضهم على تسميته الوحدة الصوتية»^(١). وهذا من شأنه شحن النص بالدلالات الصوتية التي يمكن الكشف عنها من خلال الفونيم ذاته.

والتأمل في قصيدة «الزنبقة الداوية» يجدها توفر جرسًا موسيقيًا قوامه أحرف تتناوب عليها وتنسجم في بنائها، ولعل أول ما يمكن للقارئ أن يلاحظه هو تجاور حرف النون مع عدة حروف أخرى، وتقاطعها معها أكثر من مرة، ما يثير الانتباه إلى كنه العلاقة الصوتية التي تربط حرف النون بغيره من تلك الحروف، بل إن هذا التجاوز من شأنه الكشف عن مخبوء البناء الشعري، والكشف عما يقوله النص ويحاكيه لقارئه.

يكاد حرف النون يسيطر على أجزاء القصيدة، ويوفر الجرس الموسيقي من خلال تتابعه وتعايقه مع بقية الحروف الأخرى. وهو سمة خاصة تتجسد في بنية القصيدة؛ فيجده القارئ يتكرر تجاورياً مع حروف أخرى. ولعل أهمها تكرار تجاوره مع فونيم «الحاء» ليدل على خاصية الحرف المهموس الذي «لا يهتز معه الوتران الصوتيان، نتيجة انبساط فتحة المزمار، واتساع مجرى الهواء، وابتعاد الوترين الصوتيين، بحيث لا يؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز»^(٢).

ويعد فونيم النون من الفونيمات التي تتصف بأنها ذات غنة؛ فحرف النون خاصة، يندرج ضمن الأصوات ذات الغنة، لما له من قدرة على تحقيق الغنة بوضوح في النطق، وهي ظاهرة صوتية تلتصق بهذا الحرف، وهو بدوره يعززها ويظهرها بوضوح؛ فالنون بصفة خاصة يتميز «بوجود صدى مسموع لخروج الهواء من الفراغ الأنفي على هيئة الغنة»^(٣). ولو أردنا تتبع ذلك في القصيدة

- ١- كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ٢٠٠٠، ص٤٨٢.
- ٢- عبد الغفار حامد هلال، الصوتيات اللغوية، دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩، ص١٨٥.
- ٣- إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، ط٣، ٢٠١٥، ص٥٠.

لوجدنا أن النون تنسجم مع ما يريد البيت الشعري بثه للقارئ من خلال وجود تلك الخلجات الشعورية المكثفة التي تنسجم مع الحزن والسكون الذي يلامس جسد القصيدة أكثر من مرة في أبياتها.

وفي تمازج كل من النون والحاء تحقيق بناء صوتي خاص؛ فالحاء يقع ضمن الأصوات «الاحتكاكية أو الرخوة» (Fricative) وهي التي لا يتوقف النفس عند النطق بها توقفاً تاماً، بل يسمح للهواء بالانطلاق محتكاً بجدران الممر الصوتي محدثاً صوتاً مصاحباً يشبه الضوضاء أو الحفيف أو الخشخشة^(١)، فهذه الفونيمات تتركز قوتها وشدة مجالها الصوتي من خلال تجاورها بما بعدها من الحروف أو ما قبلها، وهذه الفكرة المتوالدة من تآزر الأصوات - على اختلاف صفاتها - يمكن إسقاطها على واقع القصيدة من خلال هذا التناغم الحاصل فيها، وذلك كقول أبي القاسم الشابي:

أَوْقَفِكَ الدَّهْرُ حَيْثُ يَفْجُرُ	نُوحُ الحَيَاةِ صُدُوعَ الصَّدُورِ؟
وَيَنْبَثِقُ اللَّيْلُ طَيْفًا، كَثِيْبًا	رَهِيْبًا، وَيَخْفِقُ حُزْنُ الدَّهْوَرِ؟
وَإِنْ سَكَبَ الدُّرُّ فِي مَسْمَعِيْكَ	نَحِيْبَ [الدُّجَى]، وَأَنْيْنَ الأَمَلِ
أَصِيْحِيْ! فَمَا بَيْنَ أَعْشَارِ قَلْبِيْ	يَرِفُ صَدَى نَوْحِكَ الخَافِتِ
فَحُزْنِيْ وَحُزْنِكَ لَا يَبْرَحَانِ	أَلِيْفِيْنَ رَغْمَ الزَّمَانِ العَصِيْبِ
سَيَسْمَعُ صَوْتِيْ، كَلْحَنِ شَجِيْ	تَطَايِرَ مِنْ خَفَقَاتِ الوَتْرِ ^(٢)

تتضمن الأبيات الشعرية السابقة تعاضداً واضحاً بين كل من حرفي النون

١- المرجع نفسه، ص ٥٠.

٢- أبو القاسم الشابي، الديوان، ص ١٧٥-١٧٦. ورد في الديوان كلمة الدجى، ولعل الصواب أن يقول الشاعر (نحيب الدجى) ليستقيم الوزن.

والحاء، فتبدو فكرة التناغم الصوتي واضحة من خلال ذلك التعاضد بينهما، وكأن النص يتوسل بهما ليستنطق الرمز الكائن في جسد القصيدة التي تشع حزناً بين أشطرها الشعرية، ويعمل هذا التعاضد على السماح للدقات الشعورية بالخروج والبوح بسهولة مرتكزة على الصفة الخاصة بكل حرف.

توظف الكلمات (نوح / حزن / نحيب / نوحك / جناحيه / فحزني / وحزنك / يبرحان / لحن) ماهية الخطاب السردى الشعري السابق؛ فالنص ينضوي على أحاسيس عميقة وثقها التلازم الحاصل بين حرفي النون والحاء، فالحاء فونيم يرتبط بصفة الهمس التي تعني الانسجام مع حرف النون الرامز للغة، وهو في الوقت ذاته يحقق المبدأ الذي يبثه الخطاب الشعري السابق القائم على الحزن والألم والتحسر، فالنص يتضمن وقفات شعورية حزينة تنم في جملها عن حالة اليأس، فيستدعي حواراً مع تلك الزنبقة التي يجد فيها المصير نفسه، كل ذلك يعززه تعاضد الحروف وتجاوزها على الهيئة التي جاءت عليها، فكانت الزنبقة هي الصورة الثابتة لتلك الآلام والأحزان التي سيطرت على جمل النص الشعرية.

وإلى جانب التجاور الصوتي السابق، فإن لظاهرة التكرار دوراً في تفتيق الرؤية الشعرية من خلال الجرس الموسيقي القائم على التردد؛ حيث يجيء التكرار في قصيدة الزنبقة الداوية على مستوى الكلمة والأداة، مما يعني وجود دلالات صوتية تُعنى بتعزيز المعنى وتأكيدُه في النص الشعري من جهة، وتقوية الجرس الموسيقي والتنغيم من جهة أخرى.

ومن أبرز صور التكرار في قصيدة الزنبقة الداوية، تكرار الهمزة، التي توفر نوعاً من التماسك والتعاضد على مستوى القصيدة كلها فتجيء دالة على الاستفهام، «وإن هذا التكرار الاستفهامي ليظهر شكلاً متماسكاً يشد الأشطر

الشعرية إلى بعضها البعض، فالتكرار إنما هو نوع من التأكيد أو التكريس سواء أكان على مستوى البنية اللسانية أم التمثيل الدلالي الذي يتمخض عنها^(١)، فتعمل على استنطاق الفكرة التي تلازم الحالة الشعورية المتوارية في جسد النص الشعري، حالة الاستنكار والاندھاش من ذلك الواقع المؤلم، الذي لم يعد باستطاعة الطبيعة استيعابه، فعجزت هي الأخرى كما الإنسان في تقبل الحياة بالصورة التي ظهرت عليها في الأبيات.

وتكرار هذه الأداة يظهر في قول أو القاسم الشابي^(٢):

أزنبقة السفح؟ ما لي أراك تُعانقك اللوعة القاسية
أفي قلبك الغض صوت اللهب، يُرتل أنشودة الهاوية؟
أأسمعك الليل ندب القلوب أأرشفك الفجر كأس الأسي؟
أصب عليك شعاع الغروب نجيع الحياة، ودمع المساء
أأوقفك الدهر حيث يفجر نوح الحياة صدوع الصدور؟

تتعاضد الأبيات الشعرية السابقة تعاضداً بنائياً يعتمد على تكرار الهمزة؛ حيث يتم تسخيرها لتفعيل الحالة الشعورية الحزينة في الخطاب الشعري الموجه لعنصر من عناصر الطبيعة وهو الزنبقة، ومناداتها وتفعيل الصورة الحسية فيها وإسباغ صفات إنسيّة عليها، فتثار التساؤلات عن فعل الطبيعة ذاتها على الزنبقة، مع التركيز على تحميل الأشر الشعرية طاقات شعورية سلبية تتمثل بالحزن العميق الذي يلامس شغاف القلب، ويثير حزنه وشجونه.

١- حسن ناظم، البنى الأسلوبية دراسة في (أنشودة المطر) للسياب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٢، ص ١٤٧.

٢- الديوان، ص ١٧٥.

ولعل العناصر المكملة للمشهد الشعري قد عملت على شحنه بنوبات شعورية تتصارع لإثبات سوداوية النظرة للحياة، فالأشطر الشعرية السابقة تجمع مفارقات حسية تستثير الشعور من خلالها، كمعانقة اللوعة القاسية وهي هنا تكسر التوقع، فالعناق يدل عامة على الحب والشوق لا على اللوعة والعذاب، بل يزيد حجم الحزن حينما يرتبط وجود القلب الضعيف باحتوائه على صوت اللهب الذي يرمز إلى القوة العنيفة أيضاً.

وما يزال المشهد الشعري السابق يكشف عن سر تكرار الهمزة التي يعمل وجودها في كل بيت شعري على تكثيف الصورة الرمزية المرتبطة بالحدث، فتجيء بمثابة نسق استفهامي تكتمل من خلاله الصورة الشعرية، بل ويعمل على ترابط الأفكار، وتكريس حالة الحزن الماثلة في الأشطر الشعرية؛ حيث يعزز التساؤل هنا وجود الزمن مقترناً بالفعل القائم على الزنبقة، فالليل يسمعها ندب القلوب الحزينة، والفجر يرشفها كأس الأسي المريرة، ويصب عليها شعاع الغروب تقلبات الحياة، ودموع المساء، هذه الدموع التي يقترن وجودها هنا بتوقيت الغروب والمساء، دلالة على الوحشة والوحدة.

وتستكمل اللوحة الشعرية نسقها الدلالي من خلال تسليط الضوء على آلام الحياة ومشقاتها؛ فالدهر هنا يوحى إلى الزمن الذي يتوقف ليعزز فكرة الحزن من خلال توالي الدلالات التكرارية التي تفرز بدورها المعنى الحقيقي لهذا الحزن، من خلال ارتباط الأداة بالبيت الشعري الذي يثير تساؤل فعل الدهر على هذه الزنبقة التي فاض حزنها من انعكاس حزن الطبيعة عليها، وحزن الحياة المثقل الجاثم دون أي تغيير.

وإلى جانب تكرار الهمزة، فإن القارئ سيجد تكراراً آخر في بنية القصيدة وهو تكرار أسلوب الشرط، الذي يرتتهن تحقيقه بوجود شرط يستلزم استكمال

الجملة الشرطية من فعل وجملة وجواب، فهو: «كلام يقتضي وجود جملتين، لا يتم المعنى إلا بهما معاً... بل لا بد من الجملتين مجتمعتين حتى تتم الفائدة»^(١)، وهو هنا في القصيدة يجسد المعاناة والألم وتَحَقُّقُ المأساة، وتبادلها مع عنصر الطبيعة الزنبقة بوجود الجملتين الداليتين على تحقق الشرط، بحسب التوزيع الآتي:

أسلوب الشرط		
أداة الشرط	جملة الشرط	جواب الشرط
إذا	أضجرتك أغاني الظلام	فقد عذبتني أغاني الوجوم
إن	هجرتك بنات الغيوم	فقد عانقتني بنات الجحيم
إن	سكب الدر في مسمعك نحيب [الدجى] وأين الأمل	فقد أجم الدهر في مهجتي شواظا من الحزن المشتعل
إن	أرشفتك شفاه الحياة رضاب الأسى، ورحيق الألم	فإني تجرعت من كفها كؤوساً مؤججة تضطرم
إن	جرفتني أكف المنون إلى اللحد	سحقتك الخطوب

ترتكز الأبيات الشعرية السابقة على خاصية أسلوب الشرط الذي تكرر أكثر من مرة، ليثبت حالة الألم والضياع وعدم الاستقرار النفسي الذي بدا واضحاً للقارئ من خلال النسق الشعري الذي تضمنته الأشطر الشعرية، وكأنها هنا تتعاضد مع الزنبقة في تجسيد الألم والحسرة، وبث طاقة سلبية من خلال التركيز على فقدان الأمل في تغيير المشهد الحزين، وجعله باثاً للتفاؤل والأمل، فتتكرر حالة الحزن واليأس والألم من خلال تكرار الجملة الشرطية التي تعزز هذه الدفقات الشعورية وتغذيها خلال المشهد الشعري.

١ - محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ط ٣، ج ٢: ص ٥٢.

يمثل وجود أسلوب الشرط في النص الشعري، عاملاً أساسياً يكشف عن تواشج النص الشعري الذي تجيء فيه الجملة الشرطية بمثابة لازمة شعورية توفر تحقيق الشرط المرتهن بوجود الفعل في الجملة، وكلها تركز على التوتر النفسي الذي تكشف عنه الألفاظ في تعالقتها عبر هذا الفضاء الشعري الذي تتعاقب عليه الجملة الشرطية متكررة فتكشف عن حالة اليأس المستمر والسييل المتدفق من ذلك الحزن غير المنقطع، من خلال تبادل الحوار مع الزنبقة المرهقة التي أنهكتها عوامل الزمن، وغيرت في دورتها الطبيعية في الحياة، وكما أن لذلك الفعل أثره فيها، فقد وقع تأثيره أيضاً في الذات الشاعرة، فتكتمل اللوحة الشعرية من خلال هذا التناغم الحاصل بينهما.

ثانياً- المستوى المعجمي:

يلتفت المستوى المعجمي بشكل خاص إلى ماهية المفردات، وكيفية تناولها ضمن النسق الخاص في القصيدة، وفق مستوى البناء النصي لها. وعليه، فإن هذا المستوى يركز على المعجم الشعري بوصفه «قائمة من الكلمات المنعزلة التي تتردد بنسب مختلفة أثناء نصّ معين، وكلما تردّدت بعض الكلمات بنفسها أو بمرادفها أو بتركيب يؤدي معناها كوّنت حقلاً أو حقولاً دلالية»^(١). وهذا يؤكد أن المستوى المعجمي يركز على دلالة اللفظة وعلاقتها بدوال الألفاظ الأخرى، من خلال العلاقات التي تتخلق من رحم التجربة الشعرية التي تسمح للمتمعن فيها الغوص في خفايا عوالمها، وكشف الروابط الداخلية بين الدوال المعجمية وما يربطها ببعضها البعض.

١- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط٤، ٢٠٠٥، ص٥٨.

وتتمثل الدلالة المعجمية في قصيدة الزنبقة الداوية من خلال سيطرة ألفاظ خاصة على المعجم الشعري في جسد القصيدة كاملة، وكأنها هنا تريد بثَّ حالة عدم الاستقرار الشعوري التي تتجلى في تلك الألفاظ التي تكررت أكثر من مرة فيها، وأثرت في صيرورة الحدث الشعري حتى نهاية القصيدة، ومكنت المشاهد الشعري من وضع تمفصلات دلالية تزداد أهميتها بتدقيق النظر في أثر الدلالة المعجمية القابعة في جسد القصيدة.

ويمكن تقسيم هذه الألفاظ المعجمية ضمن مستويين اثنين هما: معجم الألفاظ الطبيعية التي ترتبط بالطبيعة، ويرمز النص الشعري من خلالها إلى الحالة الشعورية التي تستقر في تلك الألفاظ الرامزة لملامح حياة تصويرية خاصة بالذات الشاعرة؛ حيث يدل اللجوء إلى ألفاظ الطبيعة على حالة عدم الثقة بالواقع، ومحاولة الهروب منه باللجوء إلى الطبيعة ومناجاتها. ومعجم الألفاظ الانفعالية التي تبين مدى الاضطراب والقلق النفسيين اللذين يندغمان في بنية القصيدة، ويشكلان الجزء الأكبر منها.

ويمكن تتبع الدلالة المعجمية مع الأخذ بعين الاعتبار مقدار أهمية القيمة الدلالية للكلمة وتجاورها مع الكلمات الأخرى ضمن الحقل الدلالي المعجمي ذاته؛ حيث تعمل على تكثيف اللوحة الشعورية المعبرة عن القلق النفسي من جهة، وعن انعدام الثقة بالواقع من جهة أخرى. وكل ذلك يتمثل بوجود الوحدة المعجمية الأساسية التي تتمحور حولها كل أحداث القصيدة وهي الزنبقة الداوية؛ عنوان القصيدة الذي يجمع بين دلالة الطبيعة ودلالة الانفعال الشعوري؛ حيث تمثل القاعدة الأساس التي تتفرع عنها الدلالات المعجمية الخاصة بمثلة بدلالة ألفاظ الطبيعة، ودلالة ألفاظ الانفعال، وترتد في مجملها إليها. ويمكن توزيعها بالشكل الآتي:

زنبقة / سفح / الليل / الفجر / شعاع / الغروب / المسا / الحياة / الليل / الظلام / الغيوم / السحر / التراب / الدجى / القبر / ظلال.	الحقل الدلالي (١) الطبيعي	الحقل الدلالي الأساسي (الزنبقة الداوية)
اللوعة / القاسية / الأسي / صدوع / كئيبيًا / رهيبيًا / حزن / أغاني / الوجوم / نحيب / أنين / الأمل / مشتعل / الألم / مؤججة / تضطرم / نوحك / صوت / صدي / قساوة / حزني / حزنك.	الحقل الدلالي (٢) الانفعالي	

يستمر النسق الدلالي المعجمي في بث الألفاظ الدلالية التي تجلت في القصيدة، وكانت بمثابة تمثيل للحالة الشعورية؛ إذ لامست الصورة الحسية من خلال تقديم الطبيعة بصورة انفعالية ترتد إلى العنوان ذاته، العنوان الذي تتمثل فيه الدلالة المعجمية طبيعية وانفعالية (الزنبقة الداوية)، ليستل منها المستوى المعجمي أدواته من خلال المراوحة بين توظيف هذه الدلالات في هيكل القصيدة كله، فتنشأ العلاقة بين مجموع الكلمات والألفاظ ضمن الحقول الدلالية المعجمية؛ «حيث يمثل وجهًا من أوجه العلاقات في إطار ما يسمّى بنظرية الحقول الدلالية Les Champs Semantiques أو المعجمية، وهي كلمات ترتبط دلالتها وتوضع عادة تحت لفظ يجمعها»^(١)، وهو هنا يتمثل بالعنوان الذي جمع هذه الدوال ووحدت الفكرة الشعورية من خلالها، وبوجوده تتعاضد الدوال ضمن مساحة النص الشعري، الذي تكثفت من بدايته حتى النهاية؛ لتعزز المعنى الشعوري وتخط الرؤية الحزينة المليئة بخيبات الأمل، وفقدان الثقة بالواقع المرير.

١ - أحمد كروم، الاستدلال في معاني الحروف، دراسة في اللغة والأصول، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٩، ص ٨٤.

وتتصل الوحدات الدلالية المعجمية السابقة بشقيها الطبيعي والانفعالي بعلاقة قوية بالحقل الدلالي الأساسي (الزنبقة الداوية)؛ إذ يمثل الحقل الدلالي الطبيعي الحالة الشعورية المتمثلة بالاعتماد على النسق الثابت في جسد القصيدة الذي يعبر عن ثقل الشعور، وعن الحزن العميق، واليأس الشديد من كل ما يحيط بالذات الشاعرة، فالحقل الدلالي الطبيعي تندرج ضمنه وحدات لفظية تتعلق بالزنبقة بوصفها رمزاً طبيعياً، فجاءت كلها مستوحاة من عالم الطبيعة معززة الإيحاءات الدلالية الدالة على الاستسلام التام لحالة اليأس، وعدم التعلق بأي أمل رغم القوة الذاتية التي ذابت أمام دوال الطبيعة القائمة من حياة، وليل، وتراب، وغروب، ومساء...

وأما الحقل الدلالي الانفعالي فإنه يترد بمجموع دواله اللفظية إلى الدلالة الانفعالية (الداوية)، وتسيطر على عناصره فكرة الألم والهوان والضعف التام، نحو ذكر أفاظ النوح والأسى والظلم والحزن...، فتكون هذه الدوال المعجمية وما سبقها من دوال الحقل السابق قد شكلت هيكل النص الشعري. وفي الوقت ذاته، فإنها تُعدّ «مدخلاً لحركة الإبداع الداخلية للنص ذاته، فلا تتحوّل من عمل فني إلى آخر، فإذا انتقلت من مكانها فقدت هويتها الدالة، وأصبحت كلمات عادية»^(١). فالذي يعزز في هذه الكلمات بنيتها الأدبية الخاصة هو تموضعها ضمن بنية النص، ومدى علاقتها وتعالقها بغيرها من الكلمات، ضمن نسيج نصي متماسك من بداية القصيدة حتى نهايتها.

وإلى جانب الحقلين الدلاليين السابقين، يظهر حقل دلالي آخر يغدق على بناء القصيدة بالدلالات الشعورية التي تتناسب ووجود كل من الحقل الدلالي الانفعالي، والحقل الدلالي الطبيعي، يتمثل بالحقل الدلالي الصوتي فيلتقي معهما

١- يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان - الأردن، ط ٤، ٢٠١٦، ص ١٩٦.

ليتم بناء النص وعمله، ويرصفه موسيقيًا ويقيه مندغمًا والفكرة الأساسية التي سيطرت على القصيدة وكانت حاضرة فيها، ألا وهي فكرة الانتهاء لكل شيء.

ويمكن ملاحظة الحقل الدلالي الصوتي الذي يحقق الموسيقى الداخلية في بناء النص الشعري من خلال تتابع بعض الألفاظ من مثل (صوت اللهب / يرتل أنشودة الهاوية / ندب القلوب / أغاني الظلام / أغاني الوجوم / نحيب [الدجى] / أنين الأمل / صدى نوحك / صوت الأسي / صوت كلحن شجي / خفقات الوتر / يردده حزنا / نغمات الحزن / فيصدح / صدى يتهادى / كنغم شجي / يرنحه شجوننا المستكين / نغمات الأسي)، وهي كلها دلالات حزينة تجيء في القصيدة وتضفي عليها طابع الانسجام مع الفكرة والمضمون، بل إنها تتواشج مع الحقلين السابقين فتكون داعمة لهما ومتممة للمشهد الشعري، الذي يختزل الشعور الحزين ويعمقه من خلال هذه الدلالات كلها، وكأن هذه الدلالات الحسية الموسيقية قادرة على إحداث نغمات متواترة تجوب أفق القصيدة، فتصلح لحناً شجياً يلمس شغاف القلب، ويشده للمشهد الشعري حتى نهايته.

وأما الحقل الذي يتوحد مع الحقول السابقة، ويعزز الوصف الشعوري القائم في القصيدة، فهو دلالي حركي، يقوم على أساس آلية الحركة القائمة في القصيدة، يتنقل في مساحة المستوى الشعوري، ويحرك الصمت من خلال بعض العبارات التي وُزعت في محاور حركية تنحصر في التوحد، والامتلاء، والاستمرارية، والاستعلاء، وكلها تركز على الإعلاء من قيمة الألم والحزن، وتندرج ضمن كل وحدة منها عبارات شعرية تدل على الحركة الدائمة للحزن وللألم، وهو من شأنه تأكيد السيطرة التي يفرضها الشعور المشحون بدلالات الحزن، ويؤكد هذه الألفاظ الشعرية التي تندرج ضمن هذه المحاور الأربعة مجتمعة، كما في الجدول الآتي:

التوحد	تعانقك اللوعة القاسية / عانقتني بنات الجحيم / فحزني وحزنك لا يبرحان أليفين / نرقد تحت التراب الأصم جميعًا.
الامتلاء	أصب عليك شعاع الغروب / إن سكب الدر في مسمعيك نحيب [الدجى].
الاستمرارية	يفجر نوح الحياة صدوع الصدور / يخفق حزن الدهور.
الاستعلاء	يرف صدى صوتك الخافت / تطاير من خفقات الوتر.

إن الوحدات الأربعة السابقة مجتمعة تبين مدى السيطرة الكاملة للحزن وشمولية الكون بالألم، بل إنها تفضي إلى سيطرة الأسمى على الذات الشاعرة وبثها للزنبقة فيكون الحزن من باب المشاركة الوجدانية التي بعد استمراريتها وامتلائها تتوحد في هذا الكون وتندغم كل معطياتها الدلالية حتى تصل إلى ذروتها في السيطرة، والسيطرة هنا تدور حول الليل الذي يسيطر على النهار ويسلبه ألوان الحياة، والحزن الذي يسيطر على الفرح ويسلبه هو الآخر ملامح السعادة ويبث فيه كل شقاء وبؤس، والعذاب الذي يسيطر على الراحة والرضا والغبطة، وكلها مرادفات شعورية تتناسب وبناءً القصيدة القائم على النزعة الكئيبة القائمة التي تبرهن على السيطرة الكاملة للألم العميق.

ثالثاً - المستوى التركيبي:

لا تقل أهمية المستوى التركيبي عن المستويين السابقين؛ حيث يعتمد على وجود الجملة بوصفها المحرك الأساسي لعملية البناء النصي، فتنهض معها أركان هذا البناء ممثلة بالجملة وأجزائها وما تفعله في النص الشعري من الناحية النحوية، وعليه، تتفتق الرؤى البنائية الأسلوبية لتعزز القدرة الفنية الشعرية مع الالتفات إلى أن «سلامة الكلام الأدبي مشروطة بامتثاله لحدود البناء النحوي في اللغة، والذي أعوز النقد البنيوي إلى حد الآن هو ضبط المقاييس التي تمكن من السيطرة على تشكل الدلالة داخل سياق الجملة الأسلوبية ودون اختراق

لمعايير البنية النحوية»^(١)؛ أي أن يكون للتحليل اللساني مساحته التي تتكئ على الأسلوب النحوي، فلا يكون تحليل النص الشعري بنيويًا بمعزل عن هذه الخاصية الفاعلة في النص نحويًا، فتُجمل النص الشعري من خلال ما تضيفه تلك التراكيب النحوية وتناغمها في سياق البناء العام للنص ذاته.

والتأمل في قصيدة الزنبقة الداوية، يجد ملامح المستوى التركيبي تسيطر على بنية القصيدة، ولعل أكثر ما يلفت النظر هو أسلوب التقديم الذي يشير إلى «تبادل في المواقع تترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى، لتؤدي غرضًا بلاغيًا ما كانت لتؤدي لو أنها بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي»^(٢). وتعد هذه الخاصية ذات اهتمام كبير لدى البلاغيين القدماء، لعل من أشهرهم عبد القاهر الجرجاني الذي أشار إليه بقوله: «هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة... ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان»^(٣). وهذا يفضي إلى أهمية التركيب في الجملة على مستوى النص الشعري كله، بما يتركه في النص من أثر أسلوبه بنائي تتجلى أهميته في تجويد المعنى في بنية النص ذاته.

وعليه، فالقصيدة في بنيتها التي تتضمن خاصية التقديم والتأخير تكشف عن المقدرة اللغوية في ماهية المستوى التركيبي الذي «تتبارى فيه الأساليب وتظهر فيه المواهب والقدرات، وهو دلالة على التمكن في الفصاحة وحسن التصرف في الكلام ووضع الوضع الذي يقتضيه المعنى»^(٤)، فيشحن النص الشعري

- ١- عبد السلام المسدي، قضية البنيوية: دراسة ونماذج، المطبعة العربية بن عروس، تونس، ١٩٩١، ص ٧٦.
- ٢- منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجملة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص ١٣٨.
- ٣- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط ٣، ٢٠٠١، ص ٨٥.
- ٤- أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة- المعاني، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ١، ١٩٨٠ م، ص ١٦٨.

بدلالات تحفيزية من شأنها تفتيق الرؤى للذات الشاعرة، وتثبيت الفكرة وتعزيزها في النص ذاته. ويمكن تتبع أسلوب التقديم والتأخير في قصيدة الزنبقة الداوية وملاحظته، من خلال تصدر تقديم المفعول به على الفاعل وذلك قول الشاعر^(١):

أزنبقة السفح؟ ما لي أراك تُعانقك اللوعة القاسية

أأوقفك الدهرُ حيث يفجر نوح الحياة صدوع الصدور؟

وتحت رواق الظلام الكئيب إذا شمل الكون روح السحر

يردده حزننا في سكون [على] قبرنا، الصامت المطمئن

يرنحه شجوننا المستكين لدى القبر، تحت ظلال المساء

يتمثل التركيب في الجملة الفعلية وعملها بوجود الترتيب الذي يتضمن (الفعل - الفاعل - المفعول به)، ويكون وجود المفعول به مرتبطاً بالفعل المتعدي الذي يتوسل بالمفعول به لإتمام معنى الجملة الفعلية في تركيبها الذي يعتمد هذا التقسيم، لكن البنية التركيبية في التوليفة الشعرية السابقة تخالف الترتيب المعهود في تركيب الجملة الفعلية، وتعمل على إخضاعها إلى تركيب ترتيبي يقتضي تقديم المفعول به على الفاعل في قول الشاعر (تعانقك اللوعة القاسية / أأوقفك الدهر / شمل الكون روح السحر / يردده حزننا / يرنحه شجوننا)، وهذه التمفصلات الحاصلة على إعادة الترتيب بحسب ما تقتضيه بنية القصيدة إنما يعمل على تأكيد الألم واستحضاره؛ بل على استحقاقه وثبوت واستقراره الذي لا أمل في تغييره، وكأن الاتساق الشعري هنا يرمي إلى برهنة ثبوت وقوع الشيء واستقراره، فيكون تقديم المفعول به هنا محققاً لعمل الفاعل ومثبتاً له، فيجيء التقديم منسجماً

١ - الديوان، ص ١٧٥ - ١٧٦. × ورد في الديوان كلمة (فعلى)، ولعل الصواب أن يقول الشاعر (على) ليستقيم الوزن.

مع بنية القصيدة كلها، وداعماً للفكرة التي تلح على النسق العام فيها، وهو المراوحة بين حال الزنبقة والذات الشاعرة التي تتحدث تارة عن فعل الطبيعة على هذه الزنبقة، وعن فعلها في الذات الشاعرة تارة أخرى، وكأن القصيدة هنا تكشف عن المشاركة الوجدانية في استقبال الألم واستقراره، والتبادل الشعوري بين الإنسان والطبيعة لهذا الفعل، بل تحقق الفعل في الاثنين معاً.

ولا تخلو القصيدة من مظاهر التقديم والتأخير ضمن المستوى التركيبي فيجدها القارئ من مثل قول الشاعر: (أفي قلبك الغض صوت اللهب / أصب عليك شعاع الغروب / فقد عذبتني أغاني الوجوم / فقد عانقتني بنات الجحيم / فقد أجبج الدهر في مهجتي شواظاً / فإني تجرعت من كفها كؤوساً / وحدث بيننا قساوة هذا الزمان الظلوم)، وكلها تكشف عن نبرة الألم التي تسيطر على القصيدة كلها، وتكاد تتواشج مع الحس الشعوري فتكثف الصورة الشعرية، معلنة استحضار الدفق الشعوري الذي يُعلي من قيمة هذا الألم، بوصفها البؤرة المركزية في القصيدة من الناحية الحسية؛ من خلال المترادفات المتناثرة في هيكل القصيدة، فلا يكون الترتيب الذي ظهرت عليه هذه التراكيب النحوية مجرد تحقيق لجرس موسيقي أو تناغمي، «ولكنها تراكيب تؤدي جزءاً من معنى القصيدة وجماليتها. وإذا صحَّ هذا، فإنَّ التراكيب النحوية في القصيدة الشعرية تتناغم مع باقي العناصر الأخرى»^(١)، فيتخلق التناغم من خلال ارتباط الجمل وتعالقها ضمن روابط خاصة يقتضيها سياق النص الشعري، إضافة إلى تأكيد البراعة اللغوية التي تتضمن التشكيل والترتيب على مستوى القصيدة ضمن وجود الوحدات اللغوية التي تتبادل في مكانها؛ لتعزز الفكرة الشعورية وتضفي عليها قداسة تكمن في إعلاء قيمة الوصف، وتسليط الضوء على الحالة الشعورية الملحة في النص الشعري.

١ - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص ٧٠.

رابعاً - المستوى البياني:

يركز المستوى البياني على دراسة التحليل الفني للكلمة، ومدى أثرها الفاعل في النص من خلال وجودها ضمن نسق شعوري أثير في معناه، وتتحدد قوة هذا المستوى من الألفاظ التي يتم انتقاؤها من المعجم اللغوي، على أن تكون متعلقة مع الكلمات الأخرى ومتجاورة معها، بل تحقق الأثر البلاغي باجتماعها ضمن الجملة الواحدة، لا وجودها فرادى كما في اللغة العادية.

يقوم المستوى البياني البلاغي على تحديد بنيتين للنص الشعري، البنية السطحية والبنية العميقة، وتنطوي البنية العميقة على مجموعة كبيرة من الكلمات يقوم المبدع باختيار بعض منها لتظهر على المستوى السطحي مشكلة في علاقتها مع الكلمات الأخرى نسقاً شعرياً جديداً يولد دلالة مقصدية تخدم البناء النصي العام، ويتوخى المبدع الجانب الاستبدالي للألفاظ؛ إذ يغيب بعضها ويظهر بعضها الآخر على وفق مقصدية الإيحائية؛ حيث «يتحدّد الحاضر منها بالغياب (والعكس بالعكس)، ولأن المتكلم لا يوظف تلك الكلمات المترادفة دفعة واحدة، فإنه حين يختار كلمة تغيب الكلمات الأخرى، وتنسحب إلى مجال الوجود بالقوة»^(١)، فيظهر الأثر العميق الذي ينسحب على النص الشعري كله فنياً وبلاغياً.

وأما قصيدة الزنبقة الداوية، فإنها تكاد تشتمل اشتمالاً تاماً على أبرز خاصية بيانية ممثلة بالاستعارة وهي «أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية»^(٢)، فينتج عن ذلك تضمن النص الشعري بناءً إبداعياً يبدأ بالكلمة وينتهي بالجملة البلاغية في

١- يوسف و غليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨، ص ٢٠٠.

٢- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المدني، جدة، ١٩٩١، ط١، ص ٣٠.

البيت الشعري الواحد، بوجود الروابط الداخلية التي تعمل بتواشجها في سياق النص الأدبي على تكثيف القيمة البلاغية لخاصية الاستعارة التي تعد «نتاج مزج مفهومي خاصّ يمكن معالجته في شبكة تكاملية، ينشأ عنها بالضرورة فضاء ذهني يمثل خريطة العلاقات التي آلت إليها الاستعارة بعد عمل الفضاءات الداخلة في تكوينها»^(١)، فيعمل هذا المزج المفهومي البلاغي على تشكيل بنية النص الأدبي بلاغيًا، فتتبدل الوظائف الخاصة باللفظة من انتقالها من المعنى العادي إلى المعنى البلاغي العميق.

وتنهض أركان الاستعارة على حذف أحد طرفي التشبيه: المشبه أو المشبه به. وعليه، فالاستعارة «علاقة لغوية تقوم على المقارنة، شأنها في ذلك شأن التشبيه، لكنها تمتاز عنه بأنها تعتمد على الاستبدال أو الانتقال بين الدلالات الثابتة للكلمات المتغيرة»^(٢)، فتنقل معها الكلمة من المعنى العادي المباشر إلى المعنى البلاغي البياني الفني، بوجود لغة قادرة على تغيير المشهد الشعري وإخضاعه للمعجم البلاغي الفني الذي يغري باكتناه النص وسبر أغواره. فتكون الاستعارة على أثره ذلك بمثابة «الطريق الحتمية التي ينبغي للشاعر عبورها إذا كان يرغب في جعل اللغة تقول ما لا تقوله اللغة أبدًا بشكل طبيعي»^(٣)، وينشأ البناء الشعري ضمن منظومة لفظية بيانية تميزه عن النص العادي، حتى إذا ما تطورت القيمة البلاغية الفنية للاستعارة أصبحت بمثابة نشاط فكري «ينظم التجربة بواسطة خيال دؤوب يعمل على إعادة تشكيل جزئيات الواقع حيث تدوب عناصرها لتتخلق في ميلاد جديد تتضح من خلاله الرؤية الفنية الخاصة للأشياء والمعاناة الانفعالية

١- سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات والنقد أوراق بينية، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٧، ص ١٦٢.

٢- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط ٣، ١٩٩٢م، ص ٢٠١.

٣- جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط ١، ١٩٨٦م، ص ١٢٩.

لصاحبها»^(١)، فتكون انعكاسًا جماليًا للصورة الواقعية، وتمثيلًا بيانيًا لها.

تزرخ قصيدة الزنبقة الداوية للشاعر الشابي بخاصية الاستعارة المكنية، التي تبرز الكثافة اللغوية، وهي «ما حذف منها المستعار منه أي المشبه به وبقيت في الكلام قرينة تدل عليه وذكر المستعار له»^(٢)؛ أي أن يكون المشبه به مخفيًا، وتدل عليه بعض لوازمه، وهو المشبه، ومن ذلك قوله:

وينبثقُ اللَّيْلُ طَيْفًا، كَثِيْبًا رهيبًا، ويخفق حُزْنُ الدَّهْوَرِ؟
أَصِيْخِي! فَمَا بَيْنَ أَغْشَارِ قَلْبِي يَرِفُّ صَدَى نَوْحِكِ الْخَافِتِ
مُعِيدًا عَلَيَّ مَهْجَتِي بِحَفِيْفٍ جَنَاحِيْهِ صَوْتِ الْأَسَى الْمَائِتِ
وَجَرَّعَنِي مِنْ ثُمَالَاتِهِ مَرَارَةَ حُزْنٍ، تُذِيبُ الصَّفَاةَ
وَقَدْ أَتْرَعَ اللَّيْلُ بِالْحُبِّ كَأْسِي وَشَعَشَعَهَا بِلَهِيْبِ الْحَيَاةِ^(٣)

تتضمن الأبيات الشعرية السابقة الاستعارة المكنية، التي تمثل تكائفاً دلاليًا يشحن النص بطاقة شعورية عالية، تفضي مجتمعة إلى تأكيد حالة الحزن العميق التي تسيطر على البناء العام في القصيدة، ويؤكد ذلك مجموع الألفاظ التي سُخِّرَتْ لهذه الحالة الشعورية، وتكثيف المعنى فيها بوجود الاستعارة؛ ففي جملة (يخفق حزن الدهور)، إنما يخلع على الدهر صفات الإنسان فيجعل له قلبًا يخفق بالحزن، مما أسهم في تكثيف الصورة الإيحائية في الجملة الشعرية.

١- رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط١، ص ١٥٢.

٢- محمد أحمد قاسم، محي الدين ذيب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م، ص ١٩٢.

٣- الديوان، ص ١٧٥-١٧٦.

وكذلك الأمر، في جملة (يرف صدى نوحك الخافت)، وهي استعارة تركيبية تعتمد وجود صور تكثيفية فالذي يرف عادة ويتحرك هو الطير بينما قام التشبيه هنا على تشبيه صدى النوح الخافت بالطائر الذي يرف بجناحيه محلّقاً، وكأن المساحة التعبيرية هنا أريد بها انتشار الحزن واشتماله على القيمة الفضائية للقصيد، بعد أن طلب من الزنبقة الذاتية أن تصغي للكلام والحوار في بداية البيت (أصيخي)، فيكون الحوار مع هذه الزنبقة قد أفرز صورة تعبيرية حية بتشخيصها وتوجيه الحوار لها، فكان لنوحها رغم انخفاض صوتها فيه صدى يملأ الأرجاء بذلك النوح، ولأن الصدى ترديدٌ لصوت يتحرك ويملاً الفضاء، فكان نوح هذه الزنبقة أخذاً بالانتشار والامتداد؛ لتأكيد ثبات الحزن واستمراريته.

ويكتمل المشهد التصويري في البيت السابق بوجود البيت الذي يليه؛ حيث يعيد هذا الصدى وهو صدى نوحها فينعكس على نفسية سامعه، ويؤثر فيه، وقد استعان هنا بتحليق جناحي الطائر الذي يقصد به الصدى، فيعكس صورة الأسي التي قد تصل إلى حد الموت لشدتها، وكأن هذا الصوت بعد مروره بمرحلة الصدى ينتهي به الأمر بالموت لعدم مقدرته على المقاومة.

وأما الاستعارة في (أترع الليل بالحب كأسي...)، فإن المشهد البلاغي يعمّق الفكرة الشعورية فيه؛ إذ يتحول الحب إلى شيء مادي، يترع، ويقوم الليل هنا بفعل المملء لهذا الحب فيتم تشبيهه بالحب بالسائل الذي يُمكن ملؤه في الكأس، وأما الذي يقوم بهذا الفعل - بدلاً من الإنسان - الليل الذي أخذ من الصفات الإنسانية لتتناسب والحركة في البيت والخاصة بالمملء والسكب لهذا الحب، الذي بدد معه كل مغريات الحياة بالديمومة والبقاء والاستمرار.

وتستمر هذه الحركة حتى نجد أنفسنا أمام مفارقة في هذا الكأس (وجرعني من ثمالاته)، الذي يعود على صاحبه بالأسي ومرارة الحزن، فلم يتوقف الأمر

عند وجود هذا الحزن الدائم، بل إن له مرارة لا تستقر معها الحال، ولا تصفو لها العقول فجعل للحزن مذاقاً، وجعل للمرارة صفة القدرة على إذابة كل ما يؤدي إلى استمرارية الحياة.

وتستمر الاستعارة في رصف البناء الشعري بالطاقة الشعورية العالية؛ من خلال التركيز على عمل اللغة الشعرية التي تسعى للبوح بغير أسلوب اللغة العادية في النص، ومن ذلك قول الشاعر:

فَنَرُقُدُ تَحْتَ الثُّرَابِ الْأَصَمِّ جَمِيعًا عَلَى نَعْمَاتِ الْحَزَنِ
فِيَصْدَحُ عِنْدَ سُكُونِ الدُّجَى إِذَا نَسَيْتْنَا عِذَارَى السَّحْرِهِ
صَدَى يَتَهَادَى، كَنَعْمٍ شَجِيٍّ تَطَايَرَمِنْ خَفَقَاتِ الْوَتْرِ
فَتَهَجَعُ تَحْتَ الثَّرَى الْهَاجِعِ جَمِيعًا عَلَى نَعْمَاتِ الْأَسَى
يُرْنَحُهُ شَجُونَا الْمُسْتَكِينُ لَدَى الْقَبْرِ، تَحْتَ ظِلَالِ الْمَسَا^(١)

تقوم البنية الاستعارية في الأسطر الشعرية السابقة على فكرة التجاور اللفظي، والتعلق بين الكلمات؛ إذ تقوم بالوظيفة البلاغية من خلال التركيز على الصورة الفنية، فعندما يتم تشبيه التراب بالإنسان الأصم الذي لا يسمع فإن ذلك يعني أن تخلع على هذا الجماد صفات الإنسان، وذلك كله يكون بالتوسل بشيفرة تلك الكلمات متعاضدة ومتعلقة حتى تنتج الصورة الاستعارية الدالة على الصمت والموت، فعلى الرغم من النعمات الحزينة فلن يسمعها أحد إلا الذات الشاعرة الحزينة والزنبقة الداوية، فينتج من ذلك التعلق الخاص بالاستعارة تعلق آخر يمثّل بالرباط بين الحزن الخاص بالإنسان، والذبول التي وصفت به الزنبقة، وكلاهما يشترك في فكرة الحرمان من نبض الحياة الذي أودى بهما إلى الموت.

وهما إذ يشتركان في النهاية والمصير، فإن البنية الاستعارية تسهم في تعزيز المشهد الشعري، وتتوالى الصور الفنية، فعند سكون الليل لا صوت يسمع إلا الصدى الذي تكرر ترديده حتى أضحى يتهادى كالنغم الشجي، فكيف يكون النغم شجياً في مشهد السكون؟، بل إنه هنا يتطير من خفقات الوتر، تلك الخفقات التي تخص الإنسان لكنها هنا في المشهد الشعري أصبقت بالوتر لجعل الحركة دائمة في ذلك الصوت.

ويكمل هذا النغم الشجي فعله في الزنبقة والذات الشاعرة ضمن البناء الشعري، فيجعل النغم يترنح، وهي صفة تدل على عدم التوازن والاستقرار، فتصل بكل من الشاعر والزنبقة في نهاية المشهد الشعري إلى الاستسلام وارتقاب المصير المنتظر الذي تقوم عليه بنى القصيدة كلها وهو الموت الذي يرمز إلى النهاية، نهاية كل الحياة وتوقفها، كل ذلك على نعلمات من الحزن المستفيض.

إن تراتب البنى الاستعارية في جسد القصيدة إشارة واضحة إلى تعزيز فكرة الموت والفناء التي أثبتتها الشاعر تلميحاتارة، وتصريحاتارة أخرى؛ فعبارة «نرقد تحت التراب الأصم» تفجر طاقة تعبيرية جسدتها بنية الكناية التي تقوم على لعبة الخفاء والظهور، فالخفاء هو رمزية الموت التي يستنبطها القارئ من المستوى العميق للبنية النصية، أما الظهور فتشير إليه عبارة ترقد الدالة على الاستمرار الزمني، تعضدها صفة التراب الأصم الذي يوحى بالسكون المطبق. وبتوالد هذه الإشارات الرمزية نصياً في الأبيات يُنهى الشاعر هذا التلميح بتصريح مباشر من خلال لفظة «القبر» الذي يمنح الفكرة وجوداً مادياً ملموساً، ثم يجمل الصورة الدالة بظلال الليل التي لا يمكن أن تتحقق على الواقع الملموس، فالليل والظلال كلاهما يشيران إلى انعدام الضوء الذي هو في حقيقة الأمر انعدام الرؤيا التي تستشرف مستقبلاً بحياة كريمة، يُظللها الحب الذي يُروي النفوس المتعطشة المكلمة.

الخاتمة

بعد استقراء مستويات البناء في قصيدة الزنبقة الداوية للشاعر أبي القاسم الشابي، ودراستها وفق معطيات التحليل اللساني، أمكن التوصل إلى النتائج الآتية:

- تواترت المستويات الأربعة الخاصة بالدرس اللساني على القصيدة، وأثرتها مجتمعة من خلال تواشج البنى النصية وفرض سيطرتها على مدلول النص، وأدى اجتماعها على فرض التعاضد والترابط بين العلاقات الداخلية التي انبثقت منها الألفاظ والتراكيب، فاندغمت ضمن علاقات دلالية بنائية لغوية شكلت لب النص الشعري.
- جاء المستوى الصوتي ليثبت مقدرة الحروف وفعاليتها في الخطاب الشعري، من خلال التركيز على عمل أصغر وحدة صوتية ممثلة بالحرف الذي تتشكل منه الألفاظ، وتكرار الهمس الخاص بصفة تلك الحروف، إضافة إلى التكرار الحاصل للهمزة، وأسلوب الشرط.
- ارتكز المستوى المعجمي على وجود الحقول الدلالية، وتوزيعها ضمن حقلين رئيسيين يتمثلان بالطبيعي والانفعالي، لتأكيد صلتها بعنوان القصيدة من جهة، وعلى بنائها من جهة أخرى، فكان لهما أكبر الأثر على العلاقات المعجمية التي شكلت بناء القصيدة.
- اعتمد المستوى التركيبي على بناء الجملة، والتركيز على مخالفة الترتيب المعهود فيها؛ من خلال الحديث عن خاصية التقديم والتأخير، وأثرها في تعميق المعنى الحسي الشعوري في البناء الشعري كله.

- كشف المستوى البلاغي عن سيطرة الاستعارة المكنية على جسد القصيدة كلها، فعمل على شحنها بالدلالات الفنية البيانية التي خلقت مشاهد تصويرية عززت المعنى الذي ترمي إليه الصورة الفنية في النص الشعري ذاته.

المراجع

- الأنطاكي، محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ط ٣، بيروت: دار الشرق العربي، ج ٢
- بركة، فاطمة الطبال (١٩٩٣)، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون: دراسة ونصوص، ط ١، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .
- بشر، كمال (٢٠٠٠م)، علم الأصوات، ط ١، مصر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .
- بوقرة، نعمان (٢٠٠٩)، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، ط ١، الأردن: جدارا للكتاب العالمي .
- الجرجاني، عبد القاهر، (١٩٩١م)، أسرار البلاغة، ط ١، جدة: دار المدني .
- _____، (٢٠٠١)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، ط ٣، لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع .
- حسين، مسلم حسب (٢٠٠٧)، جماليات النص الأدبي (دراسات في البنية والدلالة)، ط ١، لندن: دار السيّاب .
- حمودة، عبد العزيز (١٩٩٨)، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، .
- خليل، إبراهيم (٢٠١٥م)، في اللسانيات ونحو النص، ط ٣، عمان: دار المسيرة .
- أبو ديب، كمال (١٩٧٩)، جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، ط ١، بيروت: دار العلم للملايين .
- سلطان، منير، بلاغة الكلمة والجمل والجمل، الإسكندرية: منشأة المعارف، .
- الشابي، أبو القاسم، (٢٠٠٥) الديوان، ط ٤، شرح: أحمد حسن بحبح، بيروت: دار الكتب العلمية .
- شولز، روبرت (١٩٨٤م)، البنيوية في الأدب، ط ٧، ترجمة: حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب .

- أبو العدوس، يوسف مسلم (٢٠١٦)، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ط٤، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- عزام، محمد (١٩٩٤)، التحليل الألسني للأدب، سوريا: منشورات وزارة الثقافة.
- عصفور، جابر (١٩٩٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط٣، لبنان: المركز الثقافي العربي.
- عمر، أحمد مختار (١٩٩٧)، دراسة الصوت اللغوي، القاهرة: دار الكتب.
- عيد، رجاء، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ط١، الإسكندرية: منشأة المعارف.
- الفتحي، محمد (٢٠١٥)، انتظام مستويات اللغة في اللسانيات البنيوية، تبين للدراسات الفكرية والثقافية، مج (٣)، ع ١١.
- قاسم، محمد أحمد، محي الدين ذيب (٢٠٠٨)، علوم البلاغة، ط١، لبنان: المؤسسة الحديثة للكتب.
- كروم، أحمد، (٢٠٠٩) الاستدلال في معاني الحروف، دراسة في اللغة والأصول، لبنان: دار الكتب العلمية.
- كوهن، جون، (١٩٨٦)، بنية اللغة الشعرية، ط١، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، المغرب: دار توبقال للنشر.
- المسدي، عبد السلام (١٩٩١)، قضية البنيوية: دراسة ونماذج، تونس: المطبعة العربية بن عروس.
- مصلوح، سعد عبد العزيز (٢٠١٧)، في اللسانيات والنقد أوراق بينية، ط١، القاهرة: عالم الكتب.
- مطلوب، أحمد (١٩٨٠)، أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني، ط١، الكويت: وكالة المطبوعات.
- مفتاح، محمد (٢٠٠٥)، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط٤، المغرب: المركز الثقافي العربي.

- مناصرة، عز الدين (٢٠٠٦)، علم الشعريات (مونتاجية في أدبية الأدب)، ط ١، عمان: دار مجدلاوي.
- ناظم، حسن (٢٠٠٢)، البنى الأسلوبية دراسة في (أنشودة المطر) للسياب، ط ١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- هلال، عبد الغفار حامد (٢٠٠٩)، الصوتيات اللغوية، دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، ط ١، القاهرة: دار الكتاب الحديث.
- وغيليسي، يوسف (٢٠٠٨)، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ط ١، الجزائر: منشورات الاختلاف.

References:

- Al Antakki, Mohammad, Al Moheet Fe Asswat Alarabeea Wanhweha Wa Sarfeha, Edition 3, Beirut: Dar Al Sharq Al Arabi, Vol. 2.
- Barakah, Fatimah Al Tabal, 1993, Al Natharyaha Alalsoneah Eand Romman Jakobsoon, Derasah Wanossos, Edition 1, University Foundation For Studies, Publishing And Distribution, Beirut.
- Beshar Kamal, 2000, Elmm Alaswat, Edition 1, Egypt: Dar Gharib For Printing, Publishing And Distribution.
- Bokreha, Noamman, 2009, Al Mostalahat Alasassyah Fe Lesanyatt Alnass W Atahleel Alkettab, Derassah Moajameah, Edition 1, Jadarah Al Ketab Al Alami, Jordan.
- Al Jerjani, Abd Alqaher, 1991, Asrar Al Balaghah, Edition 1, Dar Al Madani, Jeddah.
- Al Jerjani, Abd Alqaher, 1991, Asrar Al Balaghah, Edition 1, Dar Al Madani, Jeddah, 2001, Dlael Al Ejaaz Fe Elmm Al Maani, Reviewed By Al Sayed Mohammad Rasheed Redah, Edition 3, Dar Al-Maarefa For Printing, Publishing And Distribution, Beirut - Lebanon.
- Husaien, Moslem Hassab, 2007, Jamalyat Al Nass Aladabe, Derassat Fe Al Bonyah W Al Dlah, Edition 1, Dar Al-Sayyab, London.
- Hammodah Abd Al Azeez, 1998, Al Marayah Al Mohadabbah Men Albonyawyah Ela Al Tafkeek, National Council For Culture, Arts And Letters, Kuwait.
- Khalil Ibraheem, 2015, Fe Allesanyatt W Naho Al Nass, Edition 3, Dar Al Masirah, Amman.
- Abu Deeb Kamal, 1979, Jadaleat Al Khfaa Waltajally, Derassat Bonyaweah Fe Al Shear, Edition 1, Dar Al-Alam Lealmalayeen, Beirut.
- Sultan, Mouneer, Balaghat Alkalemah W Al Jomlah W Al Jomal, Monshaet Al Maaref, Alexandria.
- Al-Shabi, Abu Al-Qasim, Al-Diwan, 4th Edition, Explanation: Ahmed Hassan Bahbah, Beirut: Dar Alkotb Alelmeah, 2005.
- Schulz, Robert, Structuralism In Literature, Translation: Hanna Abboud, (1984), Union Of Arab Writers.

- Abu Aloudoos, Yousef Msalam, 2016, Al Oslobyah Al Roayah Wal Tatbeeq, Edition 4, Al-Masirah House For Publishing, Distribution And Printing, Amman - Jordan.
- Azzam, Mohammad, 1994, Altahleel Alalsonnee, Publications Of The Ministry Of Culture, Syria.
- Assfor, Jaber, Al Sorah Al Faneyah Fe Al Torath La Naqdee W Al Balaghee Endd Al Arab, Edition 3, Arab Cultural Center, Lebanon, 1992.
- Omar, Ahmad Mokhtar, Derasat Al Sawt Al Loghawi, Cairo, Dar Alkutub, 1997.
- Eed, Rajaa, Falsafat Al Balaghah Baen Al Tatwor W Al Teqneah, Edition 1, Al-Maaref Institution, Alexandria.
- Al Fathee, Mohammad, 2015, Entazam Mostawayat Al Loghah Fe Al Lesanyat Al Bonyaweyah, Tabayun Le Al Derasat Al Fekreah W Al Thaqfeah, Volume 3 Issue 11.
- Karom, Ahmad, Al Estdlal Fe Maani Al Horoofm Derasah Fe Al Loghah W Al Ousool, Lebanon, Dar Alkutub Aleilmiah, 2009.
- Cohen, John, Binyat Allugh Alshaeria, Edition 1, Translation: Muhammad Al-Wali And Muhammad Al-Omari, Toubkal Publishing House, Morocco, 1986.
- Al Masddee, Abd Al Salam, 1991, Qadyat Al Bonyawyah: Derasah W Namathej, Matbaet Al Arab, Ben Arous, Tunisia.
- Maslouh, Saad Abd Al Azeez, 2017, Fe Al Lesanyat Wal Naqed Awraq Naqdeah, Edition 1, Alam Al Kotob, Cairo.
- Matloob, Ahmad, Asaleeb Balaghyah, Alfasaha - Al Balagha- Al Maanei, 1st Edition, Wikalat Almatbueat, Kuwait, 1980.
- Moftah, Mohammad, 2005, Tahleel Al Khetab Alsharee, Estratejeat Altanass, Edition 4, Arab Cultural Center, Casablanca - Morocco, Beirut - Lebanon.
- Manasrah, Ezz Al Deen, 2006, Elm Al Shearyat, Montajyat Fe Adabyat Al Adab, Edition 1, Amman: Dar Majdalawi.
- Nazem, Hasan, 2002, Al Bonah Al Oslobyah Derasah Fe Onshodat Al Matar Le Alsyab, Edition 1, Casablanca: Arab Cultural Center.
- Hilal, Abdul Ghaffar Hamid (2009), Al Swtyat Al Lwghawyah Ala Aswat Allugha Alarabyah, 1st Edition, Dar Al-Kitab Al-Hadith, Cairo.
- Ghalisi, Youssef (2008), Esh Kalyet Al Moustallah Fe Al Khetab Al Naqde Al Arabee Al Jadeed, Manshorat Al Ekhtelaf, Algeria.

منهج الإمام المهدوي في توجيه
القراءات القرآنية وأثره في
التفسير من خلال كتابه «شرح الهداية»

**The Approach of Imam Mahdawi in Directing
Quranic Qira'at and its Impact on Interpretation
through his Book «Sharh al-Hidaya»**

د. منير أحمد حسين الزبيدي

قسم الدراسات القرآنية، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية

د. محمود علي عثمان عثمان

قسم الدراسات القرآنية، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية

Dr. Muneer Ahmad Alzubaidi

Department of Quranic Studies, King Faisal University, Saudi Arabia

Dr. Mahmoud Ali Othman

Department of Quranic Studies, King Faisal University, Saudi Arabia

<https://doi.org/10.47798/awuj.2020.i60.10>



Abstract

The study aimed at explaining the approach of Imam Mahdawi in the direction of Quranic Qira'at, through his book "Sharh al-Hidaya", and the effect of enriching the interpretation and statement of meanings, and to achieve the objective of the study, the researchers took the analytical inductive method; to reveal his approach in directing Qira'at, and then the research showed its advantages and disadvantages, the results of this research have reached the extent of Mahdawi's knowledge of Quranic Qira'at, his interest in guiding them, their use in the statement of meaning, and the Mahdawi did not mean much to attribute Qira'at to the owners, and that the face of Qira'at and protested the Koran and Sunnah, the Arabic language, Ottoman painting and the provisions of recitation, as directed readings to clarify the issues of faith and jurisprudential provisions, and the study recommended the necessity of conducting a study on Mahdawi efforts in interpretation and Qira'at, and studying its approach to selection and weighting in his book "Sharh al-Hidaya".

Keywords: directing Quranic Qira'at, Sharh al-Hidaya, Mahdawi.

ملخص البحث

هدفت هذه الدراسة إلى بيان منهج الإمام المهدوي في توجيه القراءات القرآنية، من خلال كتابه «شرح الهداية»، وأثر ذلك في إثراء التفسير وبيان المعاني؛ ولتحقيق هدف الدراسة فقد سلك الباحثان المنهج الاستقرائي التحليلي؛ من أجل تتبع القراءات التي عرضها المهدوي في كتابه، ومن ثم كشف منهجه في توجيه القراءات، وبيان أثر توجيهه القراءات في إثراء التفسير والمعاني، ثم بين البحث ما يمتاز به منهج المهدوي في توجيه القراءات من مزايا وخصائص، وما يُسجل عليه من ملحوظات واستدراكات، وقد خُصص هذا البحث في نتائجه إلى سعة علم المهدوي في القراءات القرآنية، واهتمامه بتوجيهها، وتوظيفها في بيان المعنى، وأن المهدوي لم يُعن كثيرًا بعزو القراءات لأصحابها، وأنه وجّه القراءات واحتج لها بالمأثور، واللغة العربية، والرسم العثماني وأحكام التلاوة، كما وجّه القراءات لبيان مسائل العقيدة والأحكام الفقهية، وأوصت الدراسة بضرورة القيام بدراسة حول جهود المهدوي في التفسير، ودراسة منهجه في الاختيارات والترجيح في كتابه «شرح الهداية».

الكلمات المفتاحية: توجيه القراءات، شرح الهداية، المهدوي.

المقدمة

الحمد لله الذي شرف أمة الإسلام بأعظم كتاب، والصلاة والسلام على خير الخلق والعباد، سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الحساب، أما بعد:

فإن من أشرف علوم الكتاب العزيز علم القراءات، الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بكتاب الله عز وجل، فهو علم يبحث في كيفية النطق بالكلمات القرآنية أصولاً وفرشاً، وقد ابتدأ هذا العلم بنزول الوحي، واستمر حتى وقتنا الحاضر، وسيظل بإذن الله تعالى إلى أن تقوم الساعة.

وقد برز في كل قرن ثلثة من علماء القراءات، الذين سخرهم الله عز وجل لخدمة كتابه الكريم، وكان لهم بصمات واضحة، وقد م راسخة في نشر هذا العلم، ومن هؤلاء الإمام المهدي - رحمه الله - حيث كان له سهم في خدمة كتاب الله سبحانه وتعالى، ويعد الإمام المهدي إماماً في هذا العلم، فقد جمع العلوم وحاز الفنون، قال عنه ابن جزي: «أما المهدي فمتقن التأليف، حسن الترتيب، جامع لفنون علوم القرآن»^(١).

أما كتابه «شرح الهداية» فيعد من أهم كتب علل القراءات ووجوهها، وقد تضمن الاحتجاج لأصول القراءة ذكرها في سبعة عشر باباً، متضمنة بعض المباحث التي لها تعلق بالأبواب المذكورة فيها، ثم احتج للكلمات الخلافية في سور القرآن جميعاً، فبدأ بالكلمة المختلف في قراءتها، ونادراً ما ينسبها أو يضبطها بالحروف، ويذكر علل القراءات ووجوهها معتمداً على أصول الاحتجاج، ومن هنا جاءت هذه الدراسة للوقوف على منهج هذا العالم الجليل في توجيه القراءات القرآنية في كتابه «شرح الهداية».

١- ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ، ١ / ٢٠.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

ما هي طريقة الإمام المهدي في توجيه القراءات القرآنية في كتابه «شرح الهداية»؟ وما أثر توجيهه للقراءات في التفسير وبيان المعنى؟

أسئلة الدراسة

يتفرع عن السؤال الرئيس السابق الأسئلة الفرعية الآتية:

- ١- من هو الإمام المهدي وما العلم الذي يتناوله كتابه «شرح الهداية»؟
- ٢- ما هي طرائق المهدي في توجيه القراءات القرآنية في كتابه «شرح الهداية»؟
- ٣- ما هو أثر توجيه القراءات عند المهدي في كتابه «شرح الهداية في التفسير المعنى وبيانه»؟
- ٤- ما مزايا منهج المهدي في عرض القراءات وتوجيهها، والمآخذ التي قد تُؤخذُ عليه؟

أهداف الدراسة

تحدد أهداف الدراسة الحالية فيما يأتي:

- ١- التعريف بالإمام المهدي وبكتابه «شرح الهداية».
- ٢- بيان منهج الإمام المهدي في توجيه القراءات من خلال كتابه «شرح الهداية».
- ٣- بيان ثمار علم توجيه القراءات في إظهار ثروة التفسير ومعاني القرآن.

٤- عرض منهج الإمام المهدوي في توجيه القراءات في الميزان، بيان ماله وما عليه بموضوعية ومنهج علمي في النقد.

أهمية الدراسة

١- تكمن أهمية الدراسة في موضوعها الذي تبحث فيه؛ فهي تناول علما يعدُّ من أشرف علوم القرآن الكريم وهو علم القراءات.

٢- قد تكون هذه الدراسة مرجعية لطلبة العلم عامة والمشتغلين بالقراءات على وجه الخصوص؛ للإفادة منها في التعرف على الإمام المهدوي، ودوره الكبير في خدمة التفسير وعلوم القرآن، كذلك التعرف على منهج الإمام المهدوي في توجيه القراءات من خلال كتابه «شرح الهداية»، وكيف وظف الإمام المهدوي توجيه القراءات في إظهار ثروة التفسير ومعاني الآيات، خاصة أنه لم يسبق لأحد -على حد علم الباحثين- أن درس منهج الإمام المهدوي في توجيه القراءات القرآنية في كتابه «شرح الهداية» وبيان أثر توجيهه القراءات في التفسير وبيان المعنى، دراسة علمية مستقلة مُحكَّمة؛ مما قد يضيف جانب المبادرة على هذه الدراسة.

الدراسات السابقة

اهتم كثير من علماء التفسير وعلماء اللغة العربية القدامى والمعاصرين بالقراءات وتوجيهها، والكشف عن عللها وحججها، وكان لكل عالم منهم طريقته ومنهجه في بيان حجج القراءات وعللها. ومن هؤلاء العلماء المهدوي صاحب كتاب شرح الهداية، والكتاب مطبوع، قام بتحقيقه الدكتور حازم سعيد حيدر.

ولا يعلم الباحثان دراسة علمية مستقلة تناولت موضوع (منهج الإمام المهدوي في توجيه القراءات القرآنية وأثره في التفسير من خلال كتابه «شرح

الهداية») في بحث علميٍّ محكم.

منهج الدراسة

اتَّبَعَ الباحثانِ في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي:

١- المنهج الاستقرائي: ويتمثلُ في تتبُّع القراءات التي ذكرها المهدوي في كتابه «شرح الهداية». وطريقته في توجيه القراءات القرآنية.

٢- المنهج التحليلي: ويتمثلُ في بيان الطرائق التي سلكها المهدوي في توجيه ما يذكره من القراءات القرآنية، وبيان كيفية توظيف المهدوي توجيه القراءات في إثراء المعنى التفسيري، ثم تسجيل الملحوظات والاستدراكات على منهج المهدوي في توجيه القراءات.

خطة البحث

اشتملت خطة البحث على مقدمة، ومطلين، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتضمنت أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وخطة دراسته.

المطلب الأول: التعريف بالإمام المهدوي وكتابه «شرح الهداية»

وفيه أربعة محاور:

المحور الأول: اسمه ونسبه، والمحور الثاني: نشأته ومكانته العلمية، والمحور

الثالث: مؤلفاته، والمحور الرابع: وفاته.

المطلب الثاني: منهج الإمام المهدوي في توجيه القراءات القرآنية

وفيه ثمانية محاور:

المحور الأول: تعريف توجيه القراءات لغةً واصطلاحاً، والمحور الثاني:

توجيه القراءات بالمأثور، والمحور الثالث: توجيه القراءات من لغة العرب،

والمحور الرابع: توجيه القراءات بالرسم العثماني، والمحور الخامس: التوجيه بأصول القراءات وأحكام التلاوة والتجويد، والمحور السادس: توجيه القراءات لبيان حكم فقهي، والمحور السابع: توجيه القراءات لبيان مسألة عقدية، والمحور الثامن: ماله وما عليه في توجيه القراءات.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المطلب الأول: التعريف بالإمام المهدي وكتابه «شرح الهداية»

المحور الأول: اسمه ونسبه

تشير معظم المصادر التي ترجمت للمهدي على أنه أحمد بن عمار^(١) المهدي التميمي القيرواني الأندلسي أبو العباس^(٢)، أما نسبته فهي إلى المهدي وهي مدينة بأفريقية، منسوبة إلى عبيد الله المهدي^(٣) مؤسس دولة العبديين الفاطمية عام ٣٠٢هـ^(٤).

- ١- تشير بعض المصادر أن اسمه: أحمد بن محمد، ينظر: الحميدي، محمد بن فتح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، (د. ط)، ١٩٦٦م، ص ١١٤. الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، د. ط، ١٩٦٧م، ص ١٦٣. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٣، ٢ / ٥٠٨، وبقية المصادر تثبت اسمه أحمد بن عمار.
- ٢- ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١١٤. الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ١٦٣ / ١. الحموي، معجم الأدباء، ٥٠٨ / ١. الداودي، محمد بن علي الداودي المالكي، طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ١ / ٥٦. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، طبقات المفسرين العشرين، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٣٩٦هـ، ١ / ٣٠. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ١ / ٢٢٢.
- ٣- هو إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي، أبو الطاهر، المنصور بنصر الله: ثالث خلفاء الدولة الفاطمية العبيدية بالمغرب، مولده بالقيروان، قام بالأمر في المهدي (بأفريقية) بعد وفاة أبيه (القائم بأمر الله) سنة ٣٣٤هـ، وبيع سنة ٣٣٦، ينظر: الزركلي، الأعلام، ص ٣٢٢.
- ٤- ينظر: الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ٥ / ٢٣٠.

المحور الثاني: نشأته ومكانته العلمية

لم تذكر لنا المصادر التاريخية وكتب التراجم تاريخ ولادة المهدي، ولا تفاصيل دراسته على شيوخه، إنما ذكرت أنه رحل وقرأ على محمد بن سفيان، وعلى جده لأمه مهدي بن إبراهيم، وأبي الحسن أحمد بن محمد القنطري بمكة^(١)، وذكر الذهبي أنه «رحل وأخذ عن أبي الحسن القابسي، وقرأ بالروايات على أبي عبد الله محمد بن سفيان^(٢)، وأبي بكر أحمد بن محمد البرائي^(٣)، وذكر المهدي في مقدمة كتابه «شرح الهداية» أن له شيوخا مصريين دون الإشارة إلى أسمائهم^(٤)، وتشير بعض كتب التراجم أنه دخل الأندلس عام ٤٣٠هـ^(٥)، مما كان له أثر واضح في تشكيل حياته العلمية وتكوينها، فهذا كل ما وصل إلينا عن نشأته العلمية، ولكن يبقى ما تركه المهدي من مؤلفات كثيرة تشهد على أنه نشأ نشأة علمية قوية، ويعدّ الإمام المهدي من العلماء البارزين من بين أقرانه، فهو العالم المقرئ المفسر اللغوي، الذي ذاع صيته بين علماء عصره، فقد أثنى عليه كثير من العلماء، ومن هؤلاء: الحميدي الذي قال عنه: «كان عالما بالقراءات والأدب متقدما، ذكره لي بعض أهل العلم بالقراءات، وأثنى عليه^(٦)»، وقال ابن عطية عنه: «متقن التأليف»^(٧).

- ١- ينظر: ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره لأول مرة: ج. برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، (د. ط)، ١٣٥١هـ، ١/ ٩٢.
- ٢- هو محمد بن سفيان أبو عبد الله القيرواني، المقرئ، مصنف كتاب الهادي في القراءات، قرأ القرآن بالروايات على أبي الطيب بن غلبون، وتفقه على أبي الحسن القابسي، وبرع في مذهب مالك، توفي سنة (٤١٥)، ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص ٢١٢-٢١٣.
- ٣- الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ص ٢٢٢.
- ٤- ينظر: المهدي، أبو العباس أحمد بن عمار، شرح الهداية، تحقيق حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٧هـ، ص ١٤.
- ٥- ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ١/ ١١٤، الضبي، بغية الملتبس، ١/ ١٦٣، وغيرها.
- ٦- الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ١/ ١١٤.
- ٧- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٩٩٣م، ١/ ٤٠.

وقال القفطي^(١): «ألف كتباً كثيرة النفع، مثل كتاب التفصيل، وهو كتابه الكبير في التفسير... وله كتاب تعليل القراءات السبع، وهو كتاب جميل، ذكرت به بعض أدباء عصرنا فقال: هو عندي أنفع من الحجة لأبي عليّ الفارسي. فقلت له: وهو صغير الحجم؟ فقال: إلا أنه كثير الفوائد، حسن الاختصار، يصلح للمبتدي والمنتهي»^(٢)، وقال ابن جزى: «وأما أبو العباس المهدي فمتقن التأليف، حسن الترتيب، جامع لفنون علوم القرآن»^(٣)، قال عنه الذهبي: «وكان رأساً في القراءات والعربية، صنف كتباً مفيدة»^(٤).

فهذه شهادة بعض العلماء به، وهي تؤكد على علو شأنه، ورفعة قدره، ومكانته المرموقة بين العلم وأهله.

أما بالنسبة لتلاميذه، فقد ذكرت بعض كتب التراجم أن المهدي دخل الأندلس عام ٤٣٠هـ^(٥)، مما كان له أثر واضح في انتشار علمه، والتفاف طلبة العلم حوله، فمعظم تلاميذه من الأندلس، ومن أبرز من تتلمذ على يديه:

١- أبو إسحاق: إبراهيم بن محمد الأزدي: من أهل قرطبة، روى عن أبي محمد مكّي بن أبي طالب وأبي القاسم الخزرجي، وأبي العباس أحمد بن عمار

١- هو علي بن يوسف الشيباني القفطي، أبو الحسن، وزير ومؤرخ، ولد في قفط، من الصعيد الأعلى بمصر، وسكن حلب، ولي فيها القضاء، ثم الوزارة، ولقب بالوزير الأكرم، له تصانيف عديدة منها: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، والدر الثمين في أخبار المتيمين، توفي في حلب سنة (٤٤٦هـ)، ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ١٦/ ٤٠٩. والزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ٢/ ٢.

٢- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٢م، ١/ ١٢٦-١٢٧.

٣- ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ١/ ٢٠.

٤- الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ص ٢٢٢.

٥- انظر: الحميدي، محمد بن فتوح، جذوة المتبس جذوة المتبس، (١/ ١١٤)، الضبي، بغية المتبس، (١/ ١٦٣)، وغيرها

- المهدوي، وقرأ الناس بقرطبة مكان أبي القاسم بن عبد الوهاب بعد موته مدة ستة أشهر وتوفي بعده سنة (٤٦٢هـ)^(١).
- ٢- أبو محمد عبد العزيز القرويّ المؤدّب: أخذ كتاب الهداية عن المهدوي كما أخبر بذلك القاضي عياض^(٢).
- ٣- أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله النّمري: من أهل قرطبة، روى عن أبيه، وعن أبي سعيد الجعفري، وأبي العباس المهدوي، وغيرهم، ذكره الحميدي وقال: كان من أهل الأدب البارِع والبلاغة الرائعة والتقدم في العلم والذكاء، مات بعد الخمسين وأربع مائة^(٣).
- ٤- أبو محمد غانم بن وليد المالقي: قرأ على أبي العباس المهدوي، وروى جميع كتبه، قرأ عليه ابن أخته محمد بن سليمان النفري مات سنة (٤٧٠هـ)^(٤).
- ٥- محمد بن إبراهيم بن إلياس، أبو عبد الله اللخمي الأندلسي، المعروف بابن شعيب، أخذ عنه القراءات^(٥).
- ٦- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مُطَرّف، ولد سنة (٣٨٧هـ)، وتوفي سنة (٤٥٤هـ)، أخذ عنه القراءات^(٦).

المحور الثالث: مؤلفاته:

تنوعت مؤلفات المهدوي ما بين نظم ونثر، ولم يكن مكثراً فيها، إلا أنها جاءت غنية وزاخرة بالعلم، وفيما يأتي أهم مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن،

- ١- انظر: ابن بشكوال، الصلة، (٩٦ / ١)
- ٢- انظر: عياض، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، (١٦٠ / ١)
- ٣- انظر: ابن بشكوال، الصلة، (٢٧٩ / ١)، الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، (٢٧٩ / ١)
- ٤- انظر: ابن عطية، فهرسة ابن عطية، (٥٥ / ١)، ابن الجزري، غاية النهاية، (٥٥٣ / ١)
- ٥- انظر: ابن الجزري، غاية النهاية، (١٣٦ / ١). والذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، (٤٤٥ / ١)
- ٦- انظر: ابن الجزري، غاية النهاية، (٨٩ / ٢).

بأهم مؤلفاته بصفة عامة، ثم نعرف بكتابة «شرح الهداية» بشيءٍ من التفصيل:
أولاً: مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن بصفة عامة:

- ١- كتاب الهداية: وهو كتاب في القراءات السبع مختصر، وفيه أشار المهدوي إلى اسمه، وموضوعه، وحجمه في مقدمة «شرح الهداية»^(١)، وذكره بعض أصحاب الفهارس بأسانيدهم للمهدوي، مثل ابن عطية^(٢)، والقاضي عياض^(٣)، وابن خير^(٤)، وذكره ابن الجزري رواية وقراءة بإسناده إلى المؤلف^(٥)، ويعد هذا الكتاب في حكم المفقود الذي لم يصل إلينا.
- ٢- كتاب الكفاية في شرح مقارئ الهداية^(٦).
- ٣- كتاب «شرح الهداية»: المطبوع بعدة طبعات^(٧)، وهو الكتاب الذي ستقوم عليه هذه الدراسة.
- ٤- كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل: وهو كتاب في التفسير، معروف بالتفسير الكبير، ذكره في مقدمة التحصيل^(٨)، وهو كتاب مفقود، لم يصل إلينا.

- ١- ينظر: المهدوي، شرح الهداية، ص ٣.
- ٢- ينظر: ابن عطية، فهرس ابن عطية، ص ٥٥، ٩١.
- ٣- ينظر: عياض، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، ص ١١٦٠، ١٢٨.
- ٤- ينظر: ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي، فهرسة ابن خير الإشبيلي، تحقيق محمد فؤاد منصور. دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٩٩٨ م، ص ٣١.
- ٥- ينظر: ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية، (د. ط)، (د. ت)، ١ / ٦٩-٧٠.
- ٦- ينظر: ابن خير، فهرسة ابن خير، ص ٣٠، والداوودي، طبقات المفسرين، ١ / ٥٧، والمهدوي، شرح الهداية، ص ٥٢٧.
- ٧- ينظر: ابن خير، فهرسة ابن خير، ص ٣٠، وابن الجزري، غاية النهاية، ١ / ٩٢، والقفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ١ / ٢٧.
- ٨- ينظر: الحموي، معجم الأدباء، ٢ / ٥٠٩. والقفطي، إنباه الرواة، ١ / ١٢٦. وابن الجزري، غاية النهاية، ١ / ٩٢. والسيوطي، طبقات المفسرين العشرين، ص ٣٠. والداوودي، طبقات المفسرين، ص ٥٧. وحاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد (د. ط)، ١٩٤١ م، ١ / ٥٤٩.

- ٥- كتاب التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل: وهو كتابٌ في التفسير، مطبوعٌ، قامت بطباعته وزارة الأوقاف القطرية، تحقيق دار الكمال المتحدة.^(١)
- ٦- منظومة في أربعة أبيات في ظاءات القرآن.^(٢)
- ٧- بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات^(٣): والكتاب مطبوع قام بتحقيقه كل من الدكتور حاتم بن صالح الضامن، نشره سنة (٤٠٥هـ) في مجلة معهد المخطوطات العربية، ثم قام بتحقيقه الدكتور أحمد بن فارس السلوم سنة (١٤٢٧هـ)، دار ابن حزم، وأشار السلوم إلى أن هذا الكتاب في الأصل باب من أبواب كتاب الهداية للمهدوي^(٤).
- ٨- هجاء مصاحف الأمصار على غاية التقريب والاختصار.^(٥)

ثانياً: التعريف بكتابه «شرح الهداية»

إنَّ قيمة أي كتاب تنبع من قيمة الموضوعات التي يعالجها، فكتاب «شرح الهداية» من كتب علوم القرآن التي اعتنت بالقراءات، ويعد أحد أهم كتب علل القراءات ووجوهها، وقد تضمَّن الاحتجاج لأصول القراءة، ذكرها في سبعة عشر باباً، مُتضمِّنةً بعض المباحث التي لها تعلق بالأبواب المذكورة فيها، ثم احتجَّ

١- القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ١/ ١٢٦-١٢٧.

٢- ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١١٤-١١٥.

٣- ينظر: القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ١/ ١٢٦-١٢٧.

٤- ينظر: المهدي، أبو العباس، أحمد بن عمار المهدي، بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات، تحقيق حاتم صالح الضامن، مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت، (د. ط)، (د. ت)، ٢٩/ ٦.

٥- ينظر: الزركلي، الأعلام، ١/ ١٨٥، وقال الزركلي: مخطوط، لكن الكتاب حالياً محقق، ومطبوع، طبعته دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٣٠هـ. وهناك تحقيق لمحيي الدين عبد الرحمن (محقق). المجلد / العدد: مج ١٩، ج ١. محكمة: نعم. التاريخ الميلادي: ١٩٧٣. التاريخ الهجري: ١٣٩٣. الشهر: مايو. الصفحات: ٥٣ - ١٤١. رقم MD: ١٦٦٠٥٣، وتحقيق آخر: لحاتم صالح الضامن، الناشر: دار ابن الجوزي، سنة النشر: ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م.

لل كلمات الخلافية في سور القرآن جميعاً، فيبدأ بالكلمة المختلف في قراءتها، ونادراً ما ينسبها أو يضبطها بالحروف، ويذكر علل القراءات ووجوهها معتمداً على أصول في الاحتجاج، قال عنه القفطي: «وله كتاب تعليل القراءات السبع، وهو كتاب جميل، ذاكرت به بعض أدباء عصرنا فقال: هو عندي أنفع من الحجة لأبي عليّ الفارسي، فقلت له: وهو صغير الحجم؟ فقال: إلا أنه كثير الفوائد، حسن الاختصار، يصلح للمبتدي والمنتهي»^(١).

وعدّ الزركشي كتاب المهدي الهداية - وهو أصل مختصر لكتاب شرح الهداية - من أفضل الكتب في توجيه القراءات، حيث قال: «وهو فنّ جليل وبه تعرف جلاله المعاني وجزالتها، وقد اعتنى الأئمة به وأفردوا فيه كتباً منها: كتاب الحجة لأبي عليّ الفارسي، وكتاب الكشف لمكي، وكتاب الهداية للمهدي، وكل منها قد اشتمل على فوائد...»^(٢).

المحور الرابع: وفاته

لم تتفق المصادر في تحديد تاريخ وفاة المهدي، يقول الذهبي (رحمه الله): «توفي بعد الثلاثين وأربع مئة»^(٣)، ومنهم من قال: إنه توفي في حدود (٤٤٠هـ)^(٤)، وهناك مصادر جازمت وحددت وفاته بهذا التاريخ كالسيوطي إذ قال: «ومات في الأربعين وأربعمائة»^(٥)، وتابعه على ذلك البغدادي^(٦).

١- القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ١/ ١٢٧.

٢- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. م)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط ١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، ١/ ٣٣٩.

٣- ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص ٢٢٣.

٤- ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢/ ٤٦٧) الزركلي، الأعلام، ١/ ١٨٤.

٥- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ط ١، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ١/ ٣٥١.

٦- ينظر: البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (د. ط)، مكتبة المثنى، بغداد، (د. ت)، ١/ ٧٥.

المطلب الثاني: مَنَهَجُ الإمامِ المهدوي في توجيه القراءات القرآنية

المحور الأول: تعريف توجيه القراءات لغةً واصطلاحاً

التوجيهُ لغةً: «الواو والجيم والهاء: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مقابلةٍ لشيءٍ، والوجهُ مُسْتَقْبِلٌ لكلِّ شيءٍ... وَوَجَّهْتُ الشَّيْءَ: جَعَلْتُهُ على جِهَةٍ، والتَّوَجُّهُ: أَنْ تَحْفَرَ تحتِ القِثَّاءَةِ أو البِطِّيخَةِ ثم تُضَجِّعُهَا»^(١)، والعربُ تقول: وَجَّهَ الحَجَرُ جِهَةً ماله وجهَةٌ ماله، يُضْرَبُ مثلاً للأمر إذا لم يستقم من جهةٍ أَنْ يُوجَّهَ له تديبٌ من جهةٍ أخرى، وأصل هذا في الحجر يُوضَعُ في البناء فلا يستقيم؛ فيُقَلَّبُ على وجهٍ آخر، فيستقيم^(٢).

وتوجيهُ القراءات اصطلاحاً: هو الإتيانُ بالدليل والبرهان لإثباتِ صحَّةِ القراءة، أو تقويتها؛ لمداغة الخِصْمِ، والردِّ عليه، ودحض مزاعمه، وقد يكون من القرآن، أو الحديث، أو أسباب النزول، أو رسم المصحف، أو الشعر، أو اللغة، أو النظر، أو هو الاستدلالُ على صحَّةِ القراءات، والدفاع عنها، بما ورد من أدلة الشعر، أو النحو، أو اللغة، أو النظر، أو غير ذلك لدفع شُبُه الخِصْمِ^(٣)، ويُسمَّى توجيهُ القراءات، أو عللُ القراءات، أو حُجَّةُ القراءات، وكذلك معاني القراءات، ويدخل في ذلك أيضاً إعراب القرآن، وكلها شيء واحد^(٤).

- ١- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٦ / ٨٩، ٨٨.
- ٢- ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ٦ / ١٨٧. ينظر: الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م، ٦ / ١٨٧.
- ٣- ينظر: الجمل، عبد الرحمن الجمل، منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٢م، ص ١٤٤، بتصرف يسير.
- ٤- ينظر: عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٩٩٧م، ٢ / ١٤٣، بتصرف يسير.

وتنوعت مصطلحات التوجيه عند المهدوي في كتابة شرح الهداية، فتارة يعبر عنها بالعلة، كقوله: علة من قرأ^(١)، وتارة أخرى بالحجة، كقوله: وحجة ابن عامر^(٢)، وتارة أخرى بالوجه، كقوله: ووجه قراءة حمزة^(٣).

وأما الفرق بين معنى مصطلحات التوجيه (الاحتجاج للقراءات، وتعليل القراءات، وتوجيه القراءات) فهو:

الاحتجاج للقراءات يعني: البحث في العربية والشعر وكلام العرب الفصحاء عن كلمات أو أشعار تقوم بمطابقتها لإحدى القراءات القرآنية للاحتجاج لها، وعلى هذا فالاحتجاج هو تعليل الاختيار وبيان وجهه من حيث اللغة والإعراب.

وأما تعليل القراءات: فهو جعل الاختلافات القرآنية خاضعة لقياس اللغة، بمعنى ما سبب اختيار القارئ قراءة معينة من بين القراءات الكثيرة التي صحت لديه وكان يتقنها؟ فقد يكون هذا الوجه تعليلًا نحويًا أو لغويًا، وقد يكون معنويًا أو نقليًا، يراعي القارئ فيه أخبارًا وأحاديث استأنس بها في اختياره.

وأما التوجيه: فهو إخضاع أحد أوجه القراءة للغة والنحو^(٤).

١- المهدوي، شرح الهداية، ص ١٥٣، ١٥٩، ١٦٠، ١٨٠.

٢- المرجع نفسه، ص ١٨٩، وينظر: ١٦٩، ١٧١.

٣- المرجع نفسه، ص ١٦٢، وينظر: ١٦٣، ٢٢٧.

٤- ينظر: السندي، أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، صفحات في علوم القراءات، المكتبة الأمدادية، ط ١، ١٤١٥ هـ، (د. م)، ص ٢٨٦ بتصرف. وينظر: الجمل، عبد الرحمن الجمل، منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره، ص ١٤٤ بتصرف.

المحور الثاني: توجيه القراءات بالمأثور

أولاً: توجيه القراءات بالقرآن، أو بقراءة أخرى

من أمثلة ذلك عند قوله تعالى: ﴿نُنشِرُهَا﴾ (البقرة: ٢٥٩)، قال المهدوي: «من قرأ: (نُنشِرُهَا)»^(١)، فمعناه نحيتها، مثل قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِذْ شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ (عبس: ٢٢)، أي: أحياءه، ويقويه قوله تعالى: ﴿يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (يس: ٧٨)، فكما أخبر عن العظام بالإحياء في ذلك المكان، كذلك أخبر عنها هاهنا بالإنشار الذي معناه الإحياء، ويقال: أنشر الله الميت فنشره، أي أحياه الله فحيي»^(٢).

يتضح من المثال السابق أن المهدوي وجّه قراءة (نُنشِرُهَا) بالراء وهي متواترة، واحتج لها بالقرآن على صحة كونها بالراء، ثم يأتي بما يقويها أيضاً بآية أخرى من القرآن، ومما يلاحظ عليه أنه لم ينسب قراءة (نُنشِرُهَا) بالراء إلى قارئها، بل ذكر أن الآية فيها قراءة، وكان لهذا الاستشهاد أثر واضح في بيان المعنى المراد من اللفظة القرآنية.

ومن ذلك أيضاً عند قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِحَيٍّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ٣٩)، قال المهدوي^(٣): «(يَبْشُرُكَ) و(يَبْشُرُكَ)»^(٤)، هما لغتان، يقال: بَشَّرَ يَبْشُرُ، وَبَشَّرَ يَبْشُرُ بمعنى واحد، يقوي التشديد جميع ما في القرآن، نحو قوله عز وجل: ﴿فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران: ٢١)، وقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠١)».

- ١- نُشِرُهَا فَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَالْكَوْفِيُّونَ بِالزَّيِّ الْمُنْقُوطَةِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/ ٢٣١.
- ٢- المهدوي، شرح الهداية، ص ٢٠٥-٢٠٦.
- ٣- المرجع السابق، ص ٢١٩، ولزيد من الأمثلة ينظر: ص ١٧٥، ٤٣١، ٣٧٦.
- ٤- قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وسكون الباء وضم وتخفيف الشين، والباقون بضم الياء وفتح الباء وكسر وتشديد الشين، ينظر: شرف، جمال الدين محمد، مصحف دار الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدررة، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ١/ ٥٥.

يلاحظ من خلال عرض المثال السابق أن المهدي استعان في توجيه القراءات المتواترة الواردة في الآية بالقرآن وبقرارات متواترة أخرى، ومما يلاحظ عليه أنه لم ينسب كل قراءة إلى قارئها، وجاءت عبارته موجزة ومقتضبة، كما أنه احتج في توجيه القراءات هنا بلغات العرب، لكنه لم يذكر أسماء القبائل، وقال في توجيههما: إنهما لغتان دون ذكر اسم (القبيلتين أو القبائل).

وقد ذكر ابن حسنون في كتابه (اللغات في القرآن): أن «(يبشر) بالتخفيف لغة كنانة، وبالتشديد لغة تميم»^(١).

ومن الأمثلة التي أوردها المهدي في توجيه القراءات المتواترة بقراءات شاذة، ما ذكره عند توجيه القراءة في ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ (آل عمران: ٢١)، قال المهدي: «من جعله من القتال (يقاتلون) فإنه اعتبر بذلك ما في قراءة ابن مسعود^(٢)؛ لأن في قراءته: (وقاتلوا الذين يأمرون بالقسط)، ومن قرأ ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾^(٣) فجعله من القتل، فلأن قبله ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ فهو أشبه بالآية وبالمعنى؛ لأن الذين يأمرون بالقسط من الناس قاموا بما جاءت به الأنبياء فقتلوا كما قتلت الأنبياء»^(٤).

يلاحظ أن المهدي احتج في توجيه قراءة (يقاتلون) المتواترة بقراءة ابن مسعود، وهي قراءة شاذة تخالف قراءة الجمهور^(٥)، ومع ذلك استعان بها في

- ١- ينظر: السامري، عبد الله بن الحسين بن حسنون، أبو أحمد السامري بإسناده: إلى ابن عباس، اللغات في القرآن، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط ١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، ص ٢٩.
- ٢- ينظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ١/ ٤١٥.
- ٣- بفتح الياء وسكون القاف من غير ألف وضمّ التاء هي قراءة الباقيين. ينظر: المرجع السابق، ص ٥٢.
- ٤- المهدي، شرح الهداية، ص ٢١٥-٢١٦.
- ٥- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط ١، (د.ت)، ٢/ ٢٢١.

التوجيه ووظفها في توضيح المعنى وبيانه.

نخلص مما سبق إلى أنّ المهدوي يوجه القراءات المتواترة بالقرآن، كما أنه يوجه بعض القراءات المتواترة غالباً بقراءات أخرى متواترة وأحياناً يوجهها ببعض القراءات الشاذة.

ثانياً: توجيه القراءات بالتفسير وأسباب النزول

من الأمثلة التي أوردها المهدوي في الاحتجاج للقراءة بالتفسير عند توجيه القراءة في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ (آل عمران: ٣٧)، قال المهدوي: «(وَكَفَّلَهَا) من شدد^(١) فمعناه: فكفلها ربُّها زكريا، يقويه أن قبلها قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ (آل عمران: ٣٧)، فجاء (وَكَفَّلَهَا) معطوفاً على (فَتَقَبَّلَهَا)، وهو على هذه القراءة يتعدى إلى مفعولين، أحدهما: الهاء والألف في (وَكَفَّلَهَا)، والآخر (زَكَرِيَّا)، وهذه القراءة أشبه ما جاء في التفسير: من أن أحبار بني إسرائيل اختلفوا فيمن يكفل مريم، فاقترعوا عليها بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة، فقرعهم زكريا، وكان زوج خالتها، فهذا أشبه أن يكون المعنى: وكفلها الله زكريا»^(٢).

نلاحظ هنا أن المهدوي استعان بالتفسير في توضيح توجيه قراءة التشديد (وَكَفَّلَهَا)، ولا شك أن في هذا زيادة بيان وتوضيح للمعنى التفسيري للآية الكريمة.

ومنها أيضاً عند توجيه (وَلَا يَأْمُرُكُمْ) من قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٨٠)، قال المهدوي:

- ١- وهم: «عاصم، وحزمة، والكسائي، وخلف العاشر»، ينظر: محسن، محمد سالم محسن، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ١٠٧/٢.
- ٢- المهدوي، شرح الهداية، ص٢١٧، وقد أخرج الطبري في تفسيره عن قتادة، ينظر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٥٣٩/٦، وأخرج آخره عبد الرزاق في تفسيره ١/ ١٢١ عن معمر عن قتادة، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٥٠ (٣٥١٠) من طريق شببان عن قتادة دون آخره، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٢٠ إلى عبد بن حميد.

«من نصب (وَلَا يَأْمُرْكُمْ)^(١) عطفًا على قوله: (أَنْ يُؤْتِيَهُ)، ويقوي ذلك ما جاء في التفسير: إن اليهود قالت يا محمد أتريد أن نتخذك ربًّا، فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٩) إلى قوله (وَلَا يَأْمُرْكُمْ)^(٢).

يلاحظ من خلال المثال السابق أن المهدي يستشهد في توجيه القراءة ببيان سبب النزول، ومن المعلوم أن أسباب النزول تعين المفسر على بيان المعنى المراد، وقد وظف المهدي ذلك في توجيه القراءة للزيادة في توضيح المعنى.

ثالثاً: توجيه القراءات بالحديث

من الأمثلة التي أوردها المهدي في توجيه القراءات بالحديث، ما ذكره عند توجيه (الرِّيحِ) ^(٣) في قوله تعالى: ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٤)، قال المهدي: «من قرأ بالجمع (الرِّيحِ) في المواضع المذكورة، فلأن أكثرها في ذكر الرحمة، وقد روي عن النبي (ﷺ): أنه كان إذا أتت الريح قال: اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا^(٤)، فوجه ذلك

- ١- النصب، قراءة عاصم، وابن عامر، وحمزة، ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/ ٢٤٠.
- ٢- المهدي، شرح الهداية، ص ٢٢٧، وقد أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس، ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٦/ ٣٤٩، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٩٣ (٣٧٥٦) من طريق سلمة عن ابن إسحاق.
- ٣- المعنى: اختلف القراء في لفظ «الرياح» من حيث الجمع والإفراد، والمواضع المختلف فيها وقعت في ستة عشر موضعاً: تنظر في: محيسن، الهادي شرح طيبة النشر، ٢/ ٦١-٦٢.
- ٤- جزء من حديث ابن عباس، رواه الطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، باب ما يقول إذا هاجت الريح، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ٢، (د. ت)، ١١/ ٢١٣، رقم الحديث ١١٣٦٨. وقال الهيثمي: " وفيه حسين بن قيس الملقب بحنش وهو متروك"، الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (د. ط)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٠/ ١٩٥، رقم الحديث ١٧١٢٦. وقال الألباني: "ضعيف جداً"، الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأم، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ٩/ ٢٢٨، رقم الحديث ٤٢١٧.

أنه عدَّ أكثر ما جاء في القرآن من ذكر الريح بالتوحيد (الإفراد) أنه للعذاب، نحو قوله تعالى: ﴿رِيحًا صَّارِصًا﴾ (القمر: ١٩)، وقوله تعالى: ﴿الرَّيْحَ الْعَقِيمَ﴾ (الذاريات: ٤١)، وما أشبه ذلك، وأكثر ما جاء بالجمع للرحمة، نحو: ﴿الرَّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ (الروم: ٤٦)، وما أشبهه^(١).

يلاحظ من خلال المثال السابق أن المهدوي احتج لقراءة (الرَّيْحِ) بالجمع والإفراد بالحديث الشريف، وكان لذلك كما ظهر أهمية كبيرة في التفسير وبيان الفرق بين الرِّيح والرَّيح.

المحور الثالث: توجيه القراءات بالرسم العثماني:

المقصود بالرسم العثماني: ما كتبه الصحابة من الكلمات القرآنية في المصحف العثماني على هيئة مخصوصة لا تتفق مع قواعد الكتابة، وينحصر أمر هذا الرسم في ست قواعد وهي: الحذف، والزيادة، والهمز، والبدل، والوصل والفصل، وما فيه قراءتان فكتب على إحداهما^(٢).

والرسم العثماني من الأمور التي اعتمد عليها المهدوي في توجيه القراءات، والاحتجاج لها، ومن الأمثلة على ذلك:

عند توجيه ﴿مَرَضَاتٍ﴾ من قوله تعالى: ﴿مَرَضَاتٍ أَلَّهُ﴾ (البقرة: ٢٠٧) ونظائره، قال المهدوي: «مَنْ وقف على شيء من هذا الجنس بالهاء فإنه رد ذلك إلى أصله، وإنما انقلبت تاء التانيث في الإدراج، فإذا وقف وجب أن ترد

١- ينظر: المهدوي، شرح الهداية، بتحقيق د. حازم حيدر، ص ١٨٦، ولزيد من الأمثلة ينظر: ص ٢٣١، ٢٥٦، ٣١٠، ٣١٤، ٣١٥، ٥٤١.

٢- ينظر: الخطاط، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الشافعي الخطاط، تاريخ القرآن الكريم، (مطبعة الفتح بجدة، الحجاز، ط ١، ١٩٤٦م، ص ٩٤.

إلى أصلها، ومن وقف بالتاء^(١) فإنه اتبع خط المصحف^(٢)، ومن الأمثلة أيضا عند توجيه ﴿فَالِ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَالِ هَؤُلَاءِ﴾ (النساء: ٧٨)، ونظائره، قال المهدوي: «من وقف على الألف من (ما) في المواضع المذكورة فلأن اللام لام الجر، فلا يجب أن يفرق بينهما وبين ما جُربَّ بها، ومن وقف على اللام فإنه اتبع خط المصحف، وجعل ذلك بمنزلة: مال بال، وما شأن^(٣)».

يلاحظ من خلال المثالين السابقين أن المهدوي اعتمد على ضوابط القراءة الصحيحة والتي منها هنا موافقة رسم المصحف (الرسم العثماني) في توجيه القراءات، والاحتجاج لها.

المحور الرابع: توجيه القراءات من لغة العرب

تعدّ اللغة العربية من أوسع الأبواب في توجيه القراءات القرآنية لقوة الترابط بينهما، فتوجيه القراءات هو بيان وجوه القراءات القرآنية، واتفاقها مع قواعد النحو واللغة، ومعرفة مستندها اللغوي تحقيقا للشرط المعروف موافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه^(٤)، وستعرض من خلال هذا المطلب إلى طريقة المهدوي في توجيه القراءات باللغة العربية:

أولا: توجيه القراءات بالاشتقاقات اللغوية

نعني بذلك ما جاء من قبيل اختلاف اللغات، ولا يترتب على ذلك اختلاف

١- مرضات: ذكرت في أربعة مواضع، موضعان في "البقرة"، وموضع في "النساء"، وموضع في "التحریم"، ولات حين مناص في "ص"، واللات في "النجم"، وذات بهجة في "النمل"، فوقف الكسائي على الأربعة بالهاء هذا هو الصحيح عنه، ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١٣٢/٢.

٢- المهدوي، شرح الهداية، (١/ ١٩٥).

٣- المرجع نفسه، ص ٢٥٤، ولمزيد من الأمثلة ينظر: ص ١٩٢، ٢٣٣، ٢٤٤.

٤- ينظر: القضاة، محمد أحمد مفلح، وشكري، أحمد خالد، ومنصور، محمد خالد، مقدمات في علم القراءات، دار عمار، عمان، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٢٠١.

بالمعنى ، ومن المعلوم لدى المشتغلين بهذا العلم أن الاختلاف في كثير من القراءات مردهً ومرجعُهُ إلى اختلاف اللغات .

ومن الأمثلة على توجيه القراءات بالاشتقاقات اللغوية عند المهدوي ، ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُذِرُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٠) قال المهدوي: «(قَرْحٌ) فتح القاف وضمها لغتان بمعنى واحد^(١)، مثل: الضَّعْفُ والضُّعْفُ، وقد قيل أيضا: إن القَرْحَ بالفتح الجرح، والقَرْحُ بالضم ما كان من القروح التي تخرج من الجسد»^(٢).

يتضح من المثال السابق أن الإمام المهدوي وجّه القراءتين المتواترتين بالاشتقاق واحتج بلغات العرب لكنه لم يذكر أسماء القبائل، وقال في توجيههما: إنهما لغتان فصيحتان كالضَّعْفُ والضُّعْفُ.

وقد ذكر ابن حسنون في كتابه (اللغات في القرآن): أن «القَرْحُ (الجرح، قَرْحٌ) بلغة الحجاز وقَرْحٌ بلغة تميم»^(٣).

يتبين من المثال السابق ومن غيره^(٤) أن المهدوي في كتابه «شرح الهداية» يحتج في توجيه القراءات بالاشتقاقات اللغوية وبلغات العرب، لكنه لا ينسب هذه اللغات إلى أصحابها في الغالب، بل يكتفي بالقول: وهما لغتان، أو وهما لغتان فصيحتان، دون ذكر اسم القبيلة.

- ١- قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر بضم القاف من قرح في الموضعين (وأصابعهم القرح)، وقرأ الباقون بفتحها في الثلاثة، ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/ ٢٤٢.
- ٢- المهدوي، شرح الهداية، ٢٣٢.
- ٣- ينظر: السامري، اللغات في القرآن، ص ٢٣.
- ٤- ولمزيد من الأمثلة ينظر: المهدوي، شرح الهداية، بتحقيق د. حازم حيدر، ص ١٧٢، ١٧٣، ٢١٧، ٢٨١.

ثانياً: توجيه القراءات بالنحو:

من المعروف أن الاحتجاج للقراءات من أوسع الأبواب لخدمة اللغة العربية، وتقوية بعض وجوهها، والنحويون عرفوا هذا الاحتجاج منذ بداية التأليف في علوم العربية؛ نجد ذلك في كتاب سيبويه^(١) ومن تبعه من النحاة ينظرون إلى القراءة بكلام العرب شعره ونثره، ولم تخل كتب «معاني القرآن» من توجيه القراءات، وبيان نظائرها من كلام العرب، ومن آراء في القراءة احتجاجاً وقبولاً ورداً، وربطاً بالرسم، والرأي النحوي^(٢).

ومن الأمثلة على ذلك عند توجيه (مَتَّعَ)^(٣) من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (يونس: ٢٣) قال المهدي: «قراءة حفص تحتل وجهين، أحدهما: أنه نصب (مَتَّعَ) على أنه مفعول من أجله، فيكون (عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ) متعلقاً بقوله: (إِنَّمَا بَغْيِكُمْ)، و(بَغْيِكُمْ) مرفوع بالابتداء، والخبر محذوف، فالتقدير: (إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ)، إنما بغى بعضكم على بعض، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النساء: ٢٩)، أي: ولا يقتل بعضكم بعضاً، فخير الابتداء على هذا الوجه محذوف فهو مذموم، أو ما كان في معناه، والوجه الثاني: أن يكون نصب (مَتَّعَ) على المصدر، وتقديره: تمتعون متاعاً، فيكون (بَغْيِكُمْ) على هذا ابتداء، والخبر (عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ)، والمعنى: إنما بغىكم راجع على أنفسكم، أما قراءة الجماعة فيجوز أن يكون (بَغْيِكُمْ) ابتداء، و(عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ) الخبر كما قلنا، ويرتفع (مَتَّعَ) على أنه خبر ابتداء محذوف، والتقدير: هو متاع الحياة الدنيا، ويجوز أيضاً أن يكون (عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ) متعلقاً بـ(بَغْيِكُمْ)، و(بَغْيِكُمْ) ابتداء، وخبره

١- ينظر: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ١/ ٥١-٥٢، ٣/ ٢٦، ٣/ ١٤٣، ٣/ ٥٢٠.
٢- العابد، سليمان بن إبراهيم بن محمد، عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، السعودية، ط١، ١٤٢١ هـ، ص ٥٩.
٣- مَتَّعَ: رَوَى حَفْصٌ بِنَصْبِ الْعَيْنِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بَرَفْعِهَا، ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/ ٢٨٣.

﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(١).

وعلى هذا من قرأ: ﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فعلى المصدر، المعنى: تمتعون متاع الحياة الدنيا، ومن قرأ: ﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ بالرفع فمن جهتين، إحداهما: أن يكون ﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ خبراً لقوله ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعُ﴾، ويجوز أن يكون خبر الابتداء، قوله ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، ويكون ﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ على إضمار (هو)، والمعنى: إن ما تnalونه بهذا الفساد والبغي، إنما تمتعون به في الدنيا ثم إينا مرجعكم^(٢).

ومن الأمثلة أيضا عند توجيهه (أن) من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ (المائدة: ٢)، قال المهدوي: «من كسر (إن)^(٣) فهي للشرط، والجواب محذوف، دل عليه ما تقدم من الكلام، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾، والتقدير: إن صدوكم عن المسجد الحرام فلا يكسبنكم صداهم الاعتداء، لأن معنى ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يكسبنكم، ومن فتح (أن) جعلها مفعولا من أجله، و﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ مفعولا ثان ليجرمنكم، والكاف والميم مفعولا أول، التقدير: لا يكسبنكم شَنَاٰنُ قَوْمٍ لأن صدوكم عن المسجد الحرام الاعتداء^(٤)»، وعلى هذا فإن من قرأ بفتح (أن) تحتل معنى التعليل، أي بسبب صدكم عن المسجد الحرام، وعلى هذا فالحجة لمن فتح «أن» أنه أراد: لا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم، أي لصداهم إياكم، والحجة لمن كسر: «إن» أنه جعلها حرف شرط، وجعل الماضي بعدها بمعنى المضارع.

- ١- المهدوي، شرح الهداية، ص٣٣٨-٣٣٩، والأمثلة كثيرة جداً، ينظر: ص١٧٢، ٢٨٣، ٢٦٥، ٢٩٥، ٣٠٢.
- ٢- ينظر: الأزهرى، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور، معاني القراءات، مركز البحوث في كلية الآداب-جامعة الملك سعود، السعودية، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، ٤٢/٢.
- ٣- قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها، ابن الجزري، النشر، ٢/٢٥٤.
- ٤- المهدوي، شرح الهداية، بتحقيق د. حازم حيدر، ص٢٦٢، ولزيد من الأمثلة على التوجيه النحوي، ينظر: ص١٥٣، ١٦٤، ١٨٠، ١٨١، ١٩٦، ٢١٢.

يلاحظ من خلال ما سبق من الأمثلة أن المهدوي يوجه القراءات توجيهها نحوياً، فتارة يفصل، وتارة يختصر، وما يُسجّل للمهدوي أنه في غالب الأحيان يوظف التوجيهات النحوية لبيان المعنى التفسيري للآيات.

ثالثاً: توجيه القراءات بالصرف

من علوم اللغة التي رجع إليها المهدوي في توجيه القراءات علم الصرف، وأمثله كثيرة جداً نذكر منها على سبيل المثال، عند توجيه (حَجًّا) من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٥)، قال المهدوي: «من قرأ (حرجاً) ^(١) بكسر الراء، فإنه جعل اسم الفاعل من حرج يحرج فهو حرج، مثل: فرق يفرق فهو فرق، حذر يحذر فهو حذر، ومن قرأ (حججاً) بفتح الراء فإنه مصدر سمي به، والتقدير: يجعل صدره ضيقاً إذا حرج، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، والحرج الضيق» ^(٢).

يلاحظ أن المهدوي لم يتوسع في بيان المعنى والتفسير في توجيه القراءتين، وعلى ذلك فإن الحجة لمن شدد: أنه أكد الضيق، ودليله قوله تعالى: ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ (الفرقان: ١٣) فكانه ضيق بعد ضيق، والحجة لمن خفف: أنه استثقل الكسرة على الياء مع التشديد فخفف وأسكن كما قالوا هيّن وهيّن، والحجة لمن فتح الراء: أنه أراد المصدر، ولمن كسرهما: أنه أراد الاسم، ومعناهما (الضيق) ^(٣).

وعند توجيه قوله تعالى من الآية السابقة (يَصَّعَّدُ) قال المهدوي: «من قرأ:

١- قرأ «شعبة، ونافع، وأبو جعفر» بكسر الراء، وقرأ الباقون بفتحها، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/ ٢٦٢، وينظر: محيسن، الهادي، ٢/ ٢١٤.

٢- المهدوي، شرح الهداية، ص ٢٩٠.

٣- ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ١٤٩.

(يَصْعَدُ)^(١) جعله من الثلاثي صَعَدَ يَصْعَدُ، ومعناه فيما يكلفه من الإسلام كالذي يكلف أن يصعد إلى السماء وهو لا يقدر على ذلك، ومن قرأ: (يَصْعَدُ) فأصله يتصعد، فأدغم التاء في الصاد، ومعناه: كأنه يتكلف بتكلفه الإسلام التصعد إلى السماء^(٢).

وبناء على ما سبق فإن مَنْ شَدَّدَ (يتصعد) أسكن التاء وأدغمها في الصاد تخفيفاً، فشدد لذلك، وكذلك الحجة في إثبات الألف مع التشديد، والحجة لمن خفف: أنه أخذها من قولهم: صعد يصعد، وذلك كله إن كان لفظه من الارتقاء، فالمراد به: المشقة والتكلف، من قولهم: عقبة صعود، إذا كانت لا ترتقى إلا بمشقة، والمعنى: أن الكافر لو قدر لضيق صدره أن يرتقي في السماء لفعل^(٣).

نستنتج مما سبق أن المهدوي يحتج في توجيه القراءات بقواعد الصرف، لكنه كما تبين سابقاً لا يتوسع في بيان المعنى والتفسير عند توجيه القراءات.

ونخلص من كل ذلك أن العلل، والتوجيهات النحوية، والصرفية في توجيه القراءات عند المهدوي أخذت حيزاً كبيراً في كتابه، ومع ذلك جاءت هذه العلل والتوجيهات مقتضبة نوعاً ما وإن كانت بحاجة إلى توسع وتفصيل، لاسيما أن بعضها قد أخذ حيزاً واسعاً عند النحويين، وعلماء القراءات ممن سبقوه، ومع ذلك فإن المهدوي كان يأتي إلى المعنى والتفسير من أقصر طرقه، ويوجه القراءة من أخصر المسالك من دون تقصير أو إخلال.

١- قرأ ابن كثير بإسكان الصاد وتخفيف العين من غير ألف، وروى أبو بكر بفتح الياء والصاد مشددة وألف وتخفيف العين، وقرأ الباقون بتشديد الصاد والعين من غير ألف، ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/ ٢٦٢.

٢- المهدوي، شرح الهداية، ص ٢٩٠، ولزيد من الأمثلة، ينظر: ص ١٢١، ١٢١، ١٥٥، ٢٤٥، ٣١٥، ٣١٦، ٣٣٦.

٣- ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ١٤٩.

رابعاً: توجيه القراءات بالبلاغة

وأمثلته كثيرة نذكر منها عند توجيه (يَبْعُونَ) من قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠)، قال المهدوي: «من قرأ (بالتاء)»^(١) تَبْعُونَ فعلى معنى: قل لهم أفحكم الجاهلية تبعون، ومن قرأ بالياء (يَبْعُونَ)، فلأن قبله ذكر لفظ غيبة، وهو قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: ٤٩)»^(٢)، وعلى هذا فالحجة لمن قرأ بالتاء أن معناه والله أعلم: قل يا محمد للكفرة إذا كنتم لا تحكمون بما في كتب الله عز وجل، أفتبعون حكم الجاهلية؟ والحجة لمن قرأه بالياء: أنه إخبار من الله تعالى عنهم في حال الغيبة فدل بالياء على ذلك^(٣).

يتضح مما سبق أن المهدوي يوجه القراءات بالبلاغة، ويجعل ذلك سبيلاً إلى توضيح معنى الآية وتفسيرها، لكن بيانه في ذلك جاء مقتضياً ومختصراً^(٤).

المحور الخامس: التوجيه بأصول القراءات وأحكام التلاوة والتجويد

إن المتتبع لكتاب شرح الهداية يجد أن المهدوي قد عقد سبعة عشر باباً متضمنة شرح أصول القراءة، منها باب القول في الوقف على الحروف المتحركة وشرح الروم والإشمام^(٥)، وباب القول في الإدغام، وباب القول في النون الساكنة والتنوين، وباب القول في الإمالة، وغيرها الكثير^(٦).

- ١- قرأ ابن عامر بالخطاب، وقرأ الباقون بالغيبة، ابن الجزري، ينظر: النشر في القراءات العشر، ٢/ ٢٥٤.
- ٢- المهدوي، شرح الهداية، ص ٢٦٦.
- ٣- ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ١٣١.
- ٤- ولزيد من الأمثلة، ينظر: المهدوي، شرح الهداية: ص ٢١٤، ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٧٥، ٢٨٨.
- ٥- الروم: هو عبارة عن النطق ببعض الحركة (أي ثلثها) حتى يذهب معظم صوتها، فتسمع لها صوتاً خفياً، يدركه الأعمى بحاسة سمعه دون الأصم، ويدخل الروم على المضموم والمرفوع والمجرور والمكسور ولا يدخل على المفتوح والمنصوب مطلقاً. وأما الإشمام فهو عبارة عن ضم الشفتين بعيداً إسكان الحرف كمن ينطق بالضممة من غير تصويت، ويدرك ذلك الأصم دون الأعمى، وهو في الوقف لا يكون إلا في المضموم والمرفوع فقط. ينظر: ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: الدكتور على حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص ٥٨.
- ٦- ينظر: المرجع نفسه، ص ٧٠ - ١٤١.

ومن الأمثلة على ذلك عند القراءات الواردة في (يَخْصِمُونَ)^(١) في قوله تعالى: ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ (يس: ٤٩) قال المهدي: «من قرأ (يَخْصِمُونَ) بفتح الخاء وتشديد الصاد، فالأصل يَخْتَصِمُونَ، فألقت فتحة التاء على الخاء، وأدغمت التاء في الصاد، ومن كسر الخاء، فإنه أذهب فتحة التاء حين أراد إدغامها، ولم يلقها على الخاء، ثم أدغمت التاء في الصاد، وبقيت الخاء ساكنة فالتقى ساكنان، فكسر الخاء لالتقاء الساكنين، ومن قرأ (يَخْصِمُونَ) فالمعنى يخصم بعضهم بعضاً»^(٢).

نلاحظ من خلال المثال السابق أن المهدي احتج للقراءات الثلاث الواردة في (يَخْصِمُونَ) بالإدغام، وهذا ظاهر من قوله: فالأصل يختصمون فأدغمت التاء في الصاد، ويظهر أيضاً أن المهدي لم يبين لنا -كعاداته- من هم القراء الذين أدغموا والذين أظهروا^(٣).

وقد جعل المهدي توجيه القراءات بأحكام التجويد - كما رأينا - سبيلاً إلى توضيح معنى الآية وتفسيرها، وإن كان بيانه في ذلك جاء موجزاً.

المحور السادس: توجيه القراءات لبيان حكم فقهي

يُوجَّهُ المهدي أحياناً القراءات القرآنية من أجل بيان حكم شرعي، ومن

- ١- قرأ «ورش، وابن كثير» «يَخْصِمُونَ» بفتح الياء، والحاء، وتشديد الصاد، وقرأ «ابن ذكوان، وحفص، والكسائي، ويعقوب، وخلف العاشر» «يَخْصِمُونَ» بفتح الياء، وكسر الخاء، وتشديد الصاد. وقرأ «هشام» «يَخْصِمُونَ» بفتح الياء، وتشديد الصاد، وله في الخاء الفتح، والكسر. وقرأ «شعبة» «يَخْصِمُونَ» بكسر الخاء، وتشديد الصاد، وله في الياء الفتح، والكسر، وقرأ «قالون» «يَخْصِمُونَ» بفتح الياء، وتشديد الصاد، وله في الخاء الإسكان، والفتح، واختلاس الفتح. وقرأ «حمزة» «يَخْصِمُونَ» بفتح الياء، وإسكان الخاء، وتخفيف الصاد. وقرأ «أبو جعفر» «يَخْصِمُونَ» بفتح الياء، وإسكان الخاء، وتشديد الصاد. وقرأ «أبو عمرو» «يَخْصِمُونَ» بفتح الياء، وتشديد الصاد، وله في الخاء الفتح، واختلاس الفتح، ينظر: محسن، الهادي شرح طيبة النشر، ٣/ ١٧٠-١٧١.
- ٢- المهدي، شرح الهداية، ص ٤٨٦، وينظر: مثلاً آخر، ص ٤٤٥.
- ٣- ينظر تفصيل ذلك في: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (٢/ ٣-٤)، ومحسن، الهادي شرح طيبة النشر، ٣/ ١٧٠-١٧١.

أمثلة ذلك: توجيهه للقراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَحْصِنَّ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَنَاجِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (النساء: ٢٥)، قال المهدوي: «(أَحْصِنَّ) من فتح الهمزة والصاد بنى الفعل للفاعل، معناه ما روي في التفسير فإذا أسلمن، ومن قرأ (أَحْصِنَّ)^(١) بالضم بناه للمفعول، فالمعنى: أَحْصَنَهُنَّ الأزواج، والقراءة الأولى أقوى؛ لأن ظاهر القراءة الثانية يوجب ألا يكون على الأمة حدّ إذا زنت إلا أن تكون ذات زوج، والقراءة الأولى يوجب ظاهرها الحدّ على كل أمة زنت إذا أسلمت أيماً أو ذات زوج، وهو وجه الحكم»^(٢).

يلاحظ في هذا المثال أن المهدوي وجّه القراءات الواردة في الآية لبيان الحكم الشرعي في مسألة حدّ الأمة إذا زنت، وذكر أن قراءة (أَحْصِنَّ) بفتح الهمزة والصاد أقوى؛ لأن ظاهرها يوجب الحدّ على كل أمة زنت إذا أسلمت أيماً أو ذات زوج، ثم قال: «وهو وجه الحكم»، بمعنى أن المهدوي قوى القراءة الأولى من حيث المعنى لا من حيث الثبوت، فكلاهما متواترتان.

المحور السابع: توجيه القراءات لبيان مسألة عقدية

قد يوجّه المهدوي القراءات أحياناً إلى بيان مسألة عقدية، ومن أمثلة ذلك: عند توجيهه القراءات في (فَرَّقُوا دِينَهُمْ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَأَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، قال المهدوي: «من قرأ (فَارَقُوا)^(٣) فمعناه: باينوه وخرجوا عنه، ومن قرأ (فَرَّقُوا) فمعناه: كفروا ببعض ما جاء من

١- قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بفتح الهمزة والصاد، وقرأ الباقون بضم الهمزة وكسر الصاد، ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/ ٢٤٩. والقاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرّة - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ص ٧٨.

٢- المهدوي، شرح الهداية، ص ٢٥٠.

٣- قرأ حمزة والكسائي، (فارقوا) بالالف مع تخفيف الراء، وقرأ الباقون بغير ألف مع التشديد فيهما، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٢/ ٢٦.

عند الله وآمنوا ببعض»^(١).

ذكر المهدوي في المثال السابق قراءتين متواترتين، دون نسبتها لأصحابهما من القراء، وذكر معنيين مختلفين للقراءتين، ورتب على معنى كل قراءة حكماً عقدياً، فالمعنى على القراءة الأولى (فارقوا دينهم): أي خرجوا عن دينهم وتركوه، ويترتب على ذلك الكفر الأكبر المخرج من الملة، والمعنى على القراءة الثانية (فَرَّقُوا): أنهم جعلوا دينهم متفرقا فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه الآخر، ويترتب على ذلك الكفر الأصغر، والذي يفعل ذلك دون استحلال الذنب فلا يعدّ خارجاً من الملة^(٢).

المحور الثامن: ما له وما عليه في توجيه القراءات

أولاً: ما له (مميزاته)

- ١- يُعد الإمام المهدوي من العلماء البارزين في علم القراءات والتفسير، فهو صاحب المصنفات الكثيرة في هذا المجال.
- ٢- يعد كتاب شرح الهداية من أبرز كتب الاحتجاج والتوجيه، وهذا بشهادة كثير من العلماء كالفقهي والزركشي وغيرهما، وقد أشار الباحثان إلى ذلك سابقاً.
- ٣- يعتمد في توجيهه للقراءات على المأثور من القرآن والسنة، وأسباب النزول، ورسم المصحف، وعلوم اللغة.
- ٤- مما يسجل له استيعابه لجميع القراءات المتواترة وعدم تعرضه للقراءات

١- المهدوي، شرح الهداية، ص ٢٩٥.

٢- ينظر: عبد الغني، سيد سعيد، العقيدة الصافية للفرقة الناجية، تقديم سعود الشريم وآخرين، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٣٩٤. ولزيد من الأمثلة ينظر المهدوي، شرح الهداية: ص ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٢، ٣٢٨.

الشاذة، إلا في توجيه بعض القراءات بقراءة شاذة من باب الزيادة في التوضيح.

- ٥- وظف المهدوي في كتابه توجيه القراءات لبيان المعاني وتوضيحها، مع العلم بأنه يأتي إلى المعنى التفسيري بطريقة مقتضبة موجزة، ولكنها محكمة ومتقنة.
- ٦- مما يحسب للمهدوي دفاعه عن القراءات، وله موقف ظاهر ممن ضعف وأنكر بعض القراءات، ومن الأمثلة على ذلك عندما ذكر قراءة حمزة في قوله تعالى: ﴿يَمْصُرْحُكَ﴾ (إبراهيم: ٢٢) بكسر ياء الإضافة، قال: «وغلطه بعض الناس، وقراءته ظاهرة الوجه معروفة في اللغة»^(١)، ثم وجَّهها.

ثانياً: ما يُؤخذ عليه من مآخذ

- ١- لم يكن ملتزماً بعزو كل قراءة لقارئها، وإنما كان يعزو على قلة.
- ٢- عدم نسبته بعض اللهجات الواردة في القراءات إلى أصحابها من قبائل العرب، والحقيقة أن النسبة في هذين الأمرين ليست بالأمر العسير، فكان الأولى بالمهدوي أن ينص عليها، وربما يعود هذا لما ذكره المهدوي في مقدمة كتابه، حيث قال: «وقد سألتني سائلون أن أملي عليهم كتابا مختصرا في شرح وجوه القراءات، والاعتلال على الروايات، بغاية الاختصار وحذف التطويل والتكرار، وأن أجعل ذلك شرحا للكتاب المختصر في القراءات السبع، الذي كنت ألفته وسميته بكتاب الهداية، فأجبتهم إلى ذلك»^(٢)، وهذا لا يغض من قيمة الكتاب، إذ كانت الغاية منه الاختصار وعدم التطويل، فهو من كتب الاحتجاج المشهورة عند كثير من العلماء.

١- ينظر: المهدوي، شرح الهداية، تحقيق: د. حازم حيدر، ص ١٦١-١٦٢. وللمزيد من الأمثلة ينظر: ص ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٤٣، ٤١٩، ٤٥١، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٩٠.

٢- المرجع السابق، ص ٣.

٣- استحسانه وترجيحه لبعض القراءات على بعض، ومن أمثلة ذلك عند توجيهه للقراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿أَصْرَطَ﴾ (الفاتحة: ٦) قال: «والقراءة بالصاد أحسن من المضارعة بالزاي» ثم ذكر تعليلاً لذلك^(١)، وكان الأولى به عدم الترجيح بين القراءات المتواترة؛ لأنَّ القراءة المتواترة قطعياً الورود عن النبيّ (ﷺ)، وهي بمثابة الآية القرآنية، فلا تفاضل بين القراءتين، كما أنه لا تفاضل بين الآيتين.

٤- على الرغم من دفاعه عن القراءات إلا أنه قام بتضعيف بعض القراءات التي صحّت وتلقّتها الأمة بالقبول، ومن الأمثلة: قوله عن إدغام اللام في الذال في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ﴾ (البقرة: ٢٣١): «ليس بالقوي»^(٢)، وتارة يعبر بالبعد^(٣)، أو بالشذوذ^(٤)، أو بعدم الجودة^(٥).

١- المرجع السابق، ص ١٧، وللمزيد من الأمثلة ينظر: ١٦٧، ١٦٨، ٢٥٠، ٢٦٠، ٣٤٦، ٣٧٦، ٤٣١.

٢- ينظر: المرجع نفسه، ص ١٧٩، ٢٠٨، ٢٢٦، ٢٩٢، ٣٨٥، ٤٠٤، ٤٧٩.

٣- ينظر: المرجع نفسه، ص ٨٧.

٤- ينظر: المرجع نفسه، ص ٨٧.

٥- ينظر: المرجع نفسه، ص ٨٧.

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج

- ١- يُعَدُّ الإمام المهدوي من علماء القراءات والتفسير الذين لهم جهد كبير وواضح في خدمة كتاب الله تعالى، وذلك من خلال مصنّفاته الكثيرة في القراءات والتفسير.
- ٢- كشفت الدراسة عن القيمة العلمية لكتاب «شرح الهداية»، وقيّمته بين كتب الاحتجاج.
- ٣- عرّض المهدوي في كتابه «شرح الهداية» القراءات المتواترة فقط، ولم يتطرق لتوجيه القراءات الشاذة.
- ٤- وجّه المهدوي القراءات القرآنية التي أوردّها في تفسيره واحتج لها بالمأثور من القرآن والسنة وأسباب النزول، واللغة العربية، والرسم العثماني، وبأصول القراءات وأحكام التلاوة والتجويد، كما وجّه القراءات لبيان بعض مسائل العقيدة والأحكام الفقهية.
- ٥- ظهرت من خلال هذه الدراسة سعة علم المهدوي في القراءات القرآنية بأنواعها، واهتمامه بتوجيهها، وتوظيفها في بيان المعنى.
- ٦- لم يكن المهدوي في كتابه ملتزماً بعزو كل قراءة لقارئها، وإنما كان يعزو على قلة، كما أنّه لم يَنْسُبْ بعض اللهجات في القراءات إلى أصحابها من قبائل العرب.
- ٧- أظهرت الدراسة أن علم توجيه القراءات يُسهم بدور كبير في إظهار ثروة المعاني والتفسير، وبيان الأحكام الفقهية والمسائل العقدية.

ثانيا: التوصيات

في ضوء نتائج الدراسة الحالية، فإنها توصي بالقيام بدراسة حول جهود المهدي في التفسير والقراءات، ودراسة منهجه في الاختيار والترجيح في كتابه «شرح الهداية».

المصادر والمراجع

- الأزهرى، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.
- الأزهرى، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الهروي، معاني القراءات، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، السعودية، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عني بنشره و صححه و راجع أصله السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، (د. م)، ط ٢، ١٩٥٥ م.
- البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، (د. ط)، (د. ت).
- ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠٥ هـ. ١٩٨٥ م.
- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره ج. برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، (د. م)، (د. ط)، ١٣٥١ هـ.
- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتب العلمية، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ.

- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي، أحكام القرآن، تحقيق محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، ١٤٠٥هـ.
- الجمل، عبد الرحمن، منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره، رسالة ماجستير، إشراف د. فضل حسن عباس، الجامعة الأردنية، الأردن، ١٩٩٢م
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، (د. ط)، ١٩٤١م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، (د. ط)، ١٩٦٦م.
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، ١٤٢٠هـ.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط ٤، ١٤٠١هـ.
- الخطاط، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الشافعي الخطاط، تاريخ القرآن الكريم، مطبعة الفتح بجدة، الحجاز، ط ١، ١٩٤٦م.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تصحيح محمد سعيد العرفي، دار الكتاب العربي، لبنان، (د. ط)، (د. ت).
- ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الإشبيلي، فهرسة ابن خير الإشبيلي، تحقيق محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

- الداودي، محمد بن علي الداودي المالكي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، ١٩٨٣ م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د. ط)، ١٤١٧ هـ.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م.
- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٤ م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، (د. م)، ط ١، ١٣٧٦ هـ.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢ م.
- السامري، عبد الله بن الحسين بن حسنون، أبو أحمد السامري بإسناده: إلى ابن عباس، اللغات في القرآن، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط ١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
- سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، (د. ت).
- السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د. ط)، (د. ت).
- السندي، أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، صفحات في علوم القراءات، المكتبة الأمدادية، (د. م)، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- سيويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، (د. ط.)، (د. ت).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، طبقات المفسرين العشرين، تحقيق علي محمد عمر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٣٩٦هـ.
- أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تحقيق طيار ألتي قولاج، دار صادر، بيروت، (د. ط.)، ١٩٧٥ م.
- شرف، جمال الدين محمد، مصحف دار الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (د. ط.)، ٢٠٠٠ م.
- الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، (د. ط.)، ١٩٦٧ م.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٠ م.
- العايد، سليمان بن إبراهيم بن محمد، عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، السعودية، (د. ط.)، (د. ت).
- عباس، فضل حسن، إتيان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان، عمان ط ١، ١٩٩٧ م.
- عبد الغني، سيد سعيد، العقيدة الصافية للفرقة الناجية، تقديم سعود الشريم وآخرين، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط ١، ٢٠٠١ م.
- ابن عطية، أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، فهرس ابن عطية، تحقيق محمد أبو الأجنان، محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ م.
- ابن عطية، أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٩٩٣ م.

- أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، الحجة للقراء السبعة، تحقيق بدر الدين قهوجي - بشير جويجاني، دار المأمون للتراث، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣ م.
- عياض، أبو الفضل، عياض بن موسى بن عمرو بن اليحصبي السبتي، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، (د. م)، ط ١، ١٩٨٢ م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، ١٣٩٩ هـ.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط ١، (د. ت).
- القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرّة - القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- القضاة، محمد، وشكري، أحمد، ومنصور، محمد خالد، مقدمات في علم القراءات، دار عمار، عمان، ط ١، ٢٠٠١ م.
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٩٨٢ م.
- محيسن، محمد سالم محيسن، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م.
- مكّي، أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، تحقيق محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (د. ط)، ١٣٩٤ م.
- المهدي، أبو العباس، أحمد بن عمار المهدي، بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت، (د. ط)، (د. ت).

- المهدي، أبو العباس، أحمد بن عمار المهدي، شرح الهداية، تحقيق: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، (د. ط)، ١٤١٥هـ.
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، ١٤١٢هـ.

References and Sources:

- Al-Azhari, Abu Mansour, Mohammed Bin Ahmed Bin Al-Hrawi. Tahdhib Al Lughah/Language Refinement. Auditing: Mohammed Awad More'eb. Dar 'Ihya' Al Turath Al 'Arabi/Arab Heritage Revival House. Beirut. 1st ed., 2001 AD.
- Al-Azhari, Abu Mansour, Mohammed Bin Ahmed Bin Al-Hrawi. Ma'ani Al Qira'at/Meanings Of Readings. Research Center at the Faculty of Arts/King Sa'ud University. Saudi Arabia. 1ST ed. 1412 AH.
- Al-Albanian, Muhammad Nasser Al-Deen. Silsilat Al 'Ahadeeth Al Da'eifah Wa Al Mawdu'ah Wa 'Atharuha Al Sayi' 'Alaa Al 'Umah/Series Of Weak And Placed Hadiths And Their Bad Impact On The Nation. Knowledge Library. Riyadh. 1st ed. 1412 AH.
- Ibn Beshkowl, Abu Al-Qasim Khalaf Bin Abdul Malik Bin Beshkowl. Al Silah Fi Tarikh 'A'imat Al 'Andalus/The History Link Of Al-Andalus Imams . Publishing, Correcting and Reviewing: Mr. Ezzat Al-Attar Al-Husseini. Al-Khanji Library. 2nd ed., 1955 AD.
- Al-Baghdadi, Ismail Bin Mohammed Amin Bin Mir Salim Al-Babani Al-Baghdadi. Hadiyat Al 'Arifin Fi 'Asma' Al Mu'alifin Wa'athar Al Musanafin. Al Muthanna Library Publications, Baghdad.
- Ibn Al-Jazari: Shams Al-Deen Abu Al-Khair Ibn Al-Jazari, Muhammad Bin Muhammad Bin Yusuf. Al Tamhid Fi 'Eilm Al Tajweed. Auditing: Ali Hussein Al-Bawaab. Knowledge Library. Riyadh. 1st ed., 1405 AH - 1985 AD.
- Ibn Al-Jazari, Shamseddine Abu Al-Khair Ibn Al-Jazari, Muhammad Ibn Muhammad Bin Yusuf. Ghayaat Al Nihayaat Fi Tabaqaat Al Quraa'. Publishing: Bergstrasseer. Ibn Taymiyyah Library, 1351 AH.
- Ibn Al-Jazari, Shamseddine Abu Al-Khair Ibn Al-Jazari, Muhammad Bin Muhammad Bin Yusuf. Al Nashr Fi Al Qira'at Al 'Ashr. Auditing: Ali Mohammed Al-Dabba'. Major Commercial Press. Photographing: Scientific Books House/ Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Ibn Jazi, Abu Al-Qasim, Mohammed Bin Ahmed Bin Mohammed Bin Abdullah Al-Kalbi Al-Gharanadi. Al Tasheel Li'ulum Al Tanzeel. Auditing: Abdullah Al-Khalidi. Dar Al-'Arqam Bin Abi Al 'Arqam. Beirut. 1st ed., 1416 AH.
- Al-Jassas, Ahmed Bin Ali Abu Bakr Al-Razi Al-Hanafi. 'Ahkaam Al Qur'an/The Provisions of the Qur'an. Auditing: Mohammed Sadiq Al-Qamhaawi. Dar 'Ihya' Al Turath Al 'Arabi/Arab Heritage Revival House. Beirut, 1405 AH.
- Al-Jamal, Abdul Rahman. Manhaj Al 'Ilimam Al Tabarii Fi Al Qira'at Fi Tafsiroh/

- Imam Tabari's Approach In Readings And His Interpretation. Master's Thesis. Supervising: Dr. Fadel Hassan Abbas. Jordan University. Jordan, 1992 AD.
- Haji Khalifa, Mustafa Bin Abdullah, writer of Jalabi Al-Qustantini. Kashaf Al Dhunun 'An 'Asami Alkutub Wal Funun. Muthanna Library. Baghdad, 1941 AD.
 - Al-Hamawi, Shihab Al-Deen Abu Abdullah Yakut Bin Abdullah Al-Rumi. Mu'jam Al'udaba'/Writers Dictionary. Auditing: Ihsan Abbas. Dar Al-Gharb Al Islami. Beirut. 1st ed., 1993 AD.
 - Al-Hamawi, Shihab Al-Deen Abu Abdullah Yakut Bin Abdullah Al-Rumi. Mu'jam Al Buldan/Countries Dictionary. Dar Al-Fikr. Beirut.
 - Al-Hamidi, Mohammed Bin Fattouh Bin Abdullah Bin Fattouh Bin Hamid Al-Azdi Al-Muqouri Al-Hamidi Abu Abdullah Bin Abi Nasr. Jadhwat Almuqtabas Fi Dhikr Wulat Al 'Andalus . The Egyptian House Of Authoring and Publishing. Cairo. 1966 AD.
 - Abu Hayyan, Mohammed Bin Yusuf Bin Yusuf Bin Yusuf Bin Hayyan Atheraldin Al-Andalusi. Al Bahr Al Muhitt Fi Al Tafsir. Sedki Mohammed Jamil. Dar Al-Fikr. Beirut. 1420 AH.
 - Ibn Khalweh, Hussein Bin Ahmed Bin Khalweh. Al Hujjah Fi Al Qira'at Al Sab'/ The Argument In The Seven Readings. Auditing: Abd Al 'Aal Salem Makram. Dar Al Shorouk. Beirut. 4th ed. 1401 AH.
 - Al Khattat, Muhammad Tahir Bin Abdul Qadir Al-Kurdi Al-Maki Al-Shafi'i Al Khattat. Holy Qur'an History. Al Fath Press in Jeddah. Al Hijaz. 1st ed., 1946 AD.
 - Al-Khatib Al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmad Bin Ali Bin Thabet Bin Ahmad Bin Mahdi Al-Khatib Al-Baghdadi. Baghdad History. Correcting: Mohammed Saeed Al-'Orfi. Dar Al Kitab Al Arabi/Arab Book House. Lebanon.
 - Ibn Khair Al-Ishbili(Sevillian), Abu Bakr Mohammed Bin Khair Bin Omar Bin Khalifa Al-Ishbili(Sevillian). Fahrast Ibn Khayr Al 'I ishbilii/Indexing Of Ibn Khair Al-Ishbili(Sevillian). Auditing: Mohamed Fo'ad Mansour. Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah/Scientific Book House. Beirut. 1st ed., 1998 AD.
 - Al Dawudi, Mohammed Bin Ali Al-Dawudi Al-Maliki. Tabaqat Al Mufasireen. Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah/Scientific Books House. Beirut, 1983 AD.
 - Al-Dhahabi, Shams Al-Deen Abu Abdullah Mohammed Bin Ahmed Bin 'Othman Bin Qaymaz Al-Dhahabi. Sayr 'Alam Al Nubala. Al-Resalah Foundation. Beirut, 1417 AH.

- Al-Dhahabi, Shams Al-Deen Abu Abdullah Mohammed Bin Ahmed Bin Othman Bin Qaymaz Al-Dhahabi. Ma'rifat Al Quraa' Al Kibar 'Alaa Al Tabaqat Wal 'Esaar. Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah/The House of Scientific Books. Beirut, 1st ed., 1997 AD.
- Ibn Rushd, Abu Al-Walid Mohammed Bin Ahmed Bin Ahmed Bin Ahmed Bin Rushd Al-Qartabi, Known as Ibn Rushd Al-Hafeed(Grandson). Bidayat Al Mujtahad Wanihayat Al Muqtasad. Dar Al-Hadith. Cairo, 2004 AD.
- Al-Zarkshi, Badr Al-Deen Muhammad Bin Abdullah Bin Bahar Al-Zarkshi. Al Burhan Fi 'Olum Al Qur'an/The Proof In The Qur'an Sciences. Auditing: Muhammad Abu Fadl Ibrahim. Dar 'Ihyaa' Al Kutub Al 'Arabiyah/House Of Revival of Arabic Books/Issa Al-Babi Al-Halabi and His Partners. 1st ed., 137 AH.
- Al-Zarkli, Khair Al-Deen Bin Mahmoud Bin Mohammed Bin Ali Bin Fares, Al-Zarkli Al-Demashqi. Al 'Alam. Dar Al 'Ilm Li Al Malayeen. Beirut.15th ed., 2002 AD.
- Al Samri, Abdullah Bin Al-Hussein Bin Hassanoun, Abu Ahmed Al-Samri. Auditing: Ibn Abbas. Al Lughat Fi Al Qur'an/Languages In The Qur'an. Al-Resalah Press. Cairo. 1st ed., 1365 AH – 1946 AD.
- Suleiman Bin Ahmad Al-Tabrani Abu Al-Qasim. Al Mu'jam Al Kabeer/The Great Dictionary. Auditing: Hamdi Abd Al Majeed Al-Salafi. Ibn Taymiyyah Library. Cairo, 2nd ed.
- Al-Sameen Al-Halabi, Abu Al-Abbas, Shihab Al-Deen, Ahmed Bin Yusuf Bin Abd-Da'em. Al Dur Al Musoun Fi 'Olum Al Kitab Al Maknun. Auditing: Ahmed Mohammed Al-Kharatt. Dar Al-Qalam. Damascus.
- Al-Sindi, Abu Taher Abdul-Qayyum Abdul-Ghafour Al-Sindi. Safahat Fi 'Olum Al Qera'at/Pages in the Sciences of Recitations. Al-Emdadiah Library. 1st Edition, 1415 AH.
- Sebaweh, Amro Bin Othman Bin Qanbar Al-Harithi, Abu Bashr, The Book. Auditing: Abd Al Salam Mohamed Haroun, Al-Khanji Library. Cairo, 3rd. ed., 1408 AH – 1988 AD.
- Al-Suyutti, Abdul Rahman Bin Abi Bakr, Jalal Al-Deen. Bughayat Al Wo'at Fi Tabaqat Al Laghwiin Wal Nohat. Auditing: Mohammed Abu Fadl Ibrahim. Modern Library, Lebanon.
- Al-Suyutti, Abdul Rahman Bin Abi Bakr, Jalal Al-Deen. Tabaqat Al Mufasireen Al Eshreen. Auditing: Ali Mohammed Omar Library and Heba, Cairo. 1st ed., 1396 AD.

- Abu Shama, Abu Al-Qasim Shihab Al-Deen Abdul Rahman Bin Ismail Bin Ismail Bin Ibrahim Al-Maqdisi Al-Demashqi, known as Abu Shamah. Al Murshid Al Wajiz 'Ilalaa 'Olum Tata'alaq Bi Al Kitab Al 'Azizi/The Brief Guide To The Sciences Related To The Dear Book. Auditing: Tayaar Alti Gulaj. Dar Sader. Beirut. 1975 AD.
- Sharaf, Jamal Al-Deen Muhammad. Musahaf Dar Al Sahhabah Fi Al Qira'at Al 'Ashr Al Mutawatirah Min Tareeq Al Shattibiyah Wal Durrah. Al Sahabah Heritage House. Tantta. 1st ed., 1425 AH.
- Al-Safadi, Salah Al-Deen Khalil Bin 'Aibak Bin Abdullah Al-Safadi. Al Wafi Bi Al Wafeyaat. Auditing: Ahmed Al-Arna'out and Turki Mustafa, Heritage Revival House. Beirut, 2000 AD.
- Al-Dabi, Ahmed Bin Yahya Bin Ahmed Bin Amira, Abu Ja'far Al-Dabi. Bughyat Al Multamis Fi Tarikh Rijal 'Ahl Al' 'Undalus. Dar al-Katib Al Arabi. Cairo, 1967 AD.
- Al-Tabari, Mohammed Bin Jarir Bin Yazid Bin Ghaleb Bin Al-Amali, Abu Ja'far Al-Tabari. Jami' Al Bayan 'An T'aweel Al Qur'an. Auditing: Mahmoud Mohammed Shaker. Ibn Taymiyyah Library. Cairo. 2nd ed. 2000 AD.
- Al-'Ayed, Suleiman Bin Ibrahim Bin Mohammed. 'Inayat Al Muslimeen Bi Al Lughah Al Arabiyah Khidmah Lil Qur'an Al Kareem. King Fahd Center for printing the Holy Qur'an in Al Madinah Al Munawarah, Saudi Arabia.
- Abbas, Fadel Hassan. 'Iitqan Al Burhan Fi 'Olum Al Qur'an. Dar Al-Furqan, Amman. 1ST ed., 1997 AD.
- Abd Al Ghani, Sayed Sa'eed. Al 'Aqidah Al Safiyah Li Al Firqah Al Naajiyah. Presenting: So'ud Al-Shariem with others. Dar Taiba Al-Khadraa'. Makkah Al Mukaramah, 1st ed. 2001 AD.
- Ibn Attia, Abu Muhammad, Abd Al-Haq Bin Ghaleb Bin Atiyah Al-Andalusi. Fahris Ibn Attiyah/Ibn Attia Index. Auditing: Mohammed Abu Al-'Ajfan, Mohammed Al-Zahi. Dar al-Gharb Al Islami. Beirut. 2nd ed., 1983 AD.
- Ibn Attia, Abu Mohammed, Abd Al Haq Bin Ghaleb Bin Attiyah Al-Andalusi. Al Muharir Al Wajeez Fi Tafseer Al Kitab Al 'Aziz. Auditing: Abd Al Salam Abd Al Shafi'i Mohammed. Dar Al Kutub Al 'Ilmiyah/Scientific Book House. Lebanon. 1st ed. 1993 AD.
- Abu Ali Al-Farsi, Al-Hasan Ibn Ahmad Bin Abd Al Ghaffar Al-Farsi. Al Hujah Li Al Quraa' Al Sab'ah. Auditing: Badr Al-Deen Qahwaji and Bashir Joyjabi. Dar Al-Ma'amoun Li Al Turath. Beirut. 2nd ed. 1993 AD.

- 'Ayad, Abu al-Fadl, 'Ayad Bin Musa Bin Amroun Al-Yahbasi Al Sabti. Al Ghaniyah Fahrasat Shuyukh Al Qadi 'Ayad. Auditing: Maher Zuhair Jarrar. Dar Al-Gharb Al Islami. 1st ed., 1982 AD.
- Ibn Fares, Abu Al-Hussein Ahmed Bin Faris Bin Zakaria. Mu'jam Miqyas Al Lughah. Auditing: Abd Al Salam Mohamed Haroun. Dar Al-Fikr. Beirut. 1399 AD.
- Al Fara', Abu Zakaria Yahya Bin Ziad Bin Abdullah Bin Mansoor Al-Dilmi. Ma'ani Al Qur'an. Auditing: Ahmed Youssef Al-Najati, Mohammed Ali al-Najjar, Abd Al Fattah Isma'il Al-Shalabi. Dar al-Masriyah for Composing and Translation. Egypt. 1st ed.
- Al Qadi, Abd Al Fattah Bin Abd Al Ghani Bin Mohammed Al-Qadi, Al Budur Al Zzahirah Fi Al Qera'at Al 'Ashr Al Mutawatirah Min Tariqi Al shaattibiyah wal Durah -Al Qira'at Al shathah Wa Tawjihaha Min Lughat Al Arab. Dar Al Kitab Arabi/Arab Book House. Beirut.
- Al Qthah, Mohammed, Shukri, Ahmed, Mansour, Mohammed Khaled. Muqadamat Fi 'Elm Al Qira'at/Reading Science Introductions. Dar Ammar. Amman. 1st ed. 2001 AD.
- Al-Qafti, Jamal Al-Deen Abu Al-Hassan Ali Bin Yusuf Al-Qofti. 'Inbah Al Ruwat 'Alaa 'Anbah Al Nuhah. Auditing: Mohammed Abu fadl Ibrahim. The Arab Thought House/Cairo and the Cultural Books Foundation/Beirut. 1st ed., 1982 AD.
- Mohisin, Mohammed Salem Mohisin, Al-Hadi. Shah Tibat Al Nashr Fi Al Qara'at Al'ashr. Dar Al-Jil. Beirut. 1st ed., 1997 AD.
- Makki, Abu Muhammad Makki Bin Abi Talib Al-Qaisi. Al Kashf 'An Wujuh Al Qira'at Wa 'Elaliha Wa Hajmaha. Auditing: Muhyi Al-Deen Ramadan. Publications of the Arabic Language Congregation. Damascus. 1394 AD.
- Al-Mahdawi, Abu Al-Abbas, Ahmed Bin Ammar Al-Mahdawi. Bayan Al Sabab Al Mujib Li'ikhtilaf Al Qira'at Wa Kuthrat Al Turuq Wa Al Riwayat. Auditing: Dr.Hatem Saleh Al-Daman. Arab Manuscript Institute Magazine, Kuwait.
- Al-Mahdawi, Abu Al-Abbas, Ahmed Bin Ammar Al-Mahdawi. Sharh Al Hidayah. Auditing: Hazem Sa'eed Haidar. Al-Rashed Library. Riyadh, 1415 AH.
- Al-Haithami, Nour Al-Deen Ali Bin Abi Bakr. Majma' Al Zawa'id Wa Manba' Al Faway'id. Dar Al-Fikr. Beirut, 1412 AH.



**UNITED ARAB EMIRATES - DUBAI
AL WASL UNIVERSITY**

AL WASL UNIVERSITY JOURNAL
Specialized in Humanities and Social Sciences
A Peer-Reviewed Journal

GENERAL SUPERVISOR

Prof. Mohammed Ahmed Abdul Rahman
Vice Chancellor of the University

EDITOR IN-CHIEF

Prof. Khalid Tukul

DEPUTY EDITOR IN-CHIEF

Dr. Lateefa Al Hammadi

EDITORIAL SECRETARY

Dr. Abdel Salam Abu Samha

EDITORIAL BOARD

Dr. Mujahed Mansoor

Dr. Emad Hamdi

Dr. Abdel Nasir Yousuf

**Translation Committee: Mr. Saleh Al Azzam, Mrs. Dalia Shanwany,
Mrs. Majdoleen Alhammad**

ISSUE NO. 60

Rabi Al-Akhar 1442H - December 2020CE

ISSN 1607- 209X

This Journal is listed in the “**Ulrich’s International Periodicals Directory**”
under record No. 157016

e-mail: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae

SCIENTIFIC ADVISORY BOARD

Prof. Rashad M. Salem
Al Qasimia University – UAE

Prof. Kotb Rissouni
University of Sharjah – UAE

Prof. Benaissa Bettahar
University of Sharjah – UAE

Prof. Saleh M. Al-Fouzan
King Saud University – KSA

Prof. Jamila Hida
Université Mohammed I Ouajda - Morocco

Al Wasl University in Brief

Al Wasl University is one of the academic institutions registered by Ministry of Education (MOE) in UAE. In accordance with the ministerial order No. 107 of 2019, the College of Islamic and Arabic Studies has changed name into Al Wasl University.

The university's development has encountered through two basic stages:

The First Stage:

The primary nucleus of the university was established in 1986-1987 under the name "College of Islamic and Arabic Studies" by Mr. Juma Al Majid and supervised and taken care by a truehearted group of the people of this country, who appraise the value of knowledge and high rank of education.

- ◆ The Government of Dubai took care of this blessed step which was incorporated by the decision of the Board of Trustees issued in 1407 AH corresponding to the academic year 1986-1987 AD.
- ◆ On 02/04/1414 AH, corresponding to 18/4/1993 AD, H.H Sheikh Nahyan bin Mubarak Al Nahyan, Minister of Higher Education and Scientific Research of the UAE issued the decision No. (53) of the year 1993 granting the license to the college as a Higher Education institution.

1. Bachelor Program:

- ◆ Order No. (77) of the year 1994 was issued as relating to the equivalence of the bachelor's degree in Islamic and Arabic studies issued by the college with the first university degree in Islamic studies.
- ◆ Later, the order No. (55) of the year 1997 was issued concerning the equivalence of the bachelor's degree in Arabic language granted by the College of Islamic and Arabic Studies in Dubai with the first university degree in this specialization.
- ◆ On 24/5/2017, the Board of Trustees, decided to open the doors for enrollment in graduate studies for male students, specializing in Shari'a and Arabic for the academic year 2017-2018.
- ◆ The college celebrated the first graduating batch on the 23rd Sha'ban 1412 AH, 26th December 1992 AD under the patronage of his Highness Sheikh Maktoum Bin Rashid Al Maktoum, Vice President and Prime Minister and Ruler of Dubai (may Allah have mercy on him).
- ◆ The College celebrated the graduation of the second batch of male students and its first female batch on 29/10/1413 AH, 21/4/1993 AD.
- ◆ Since its establishment in the academic year 1406/1407 AH, 1986/1987 AD till 2019/2020, the number of the graduates reached students a total of 12473: 9883 females and 2590 males.
- ◆ By June 2020, the college has graduated 31 males' batches and 30 female batches specialized in Islamic Studies. Arabic Studies graduates are 17 batches of males and 23 of female batches.

2. Post Graduate Program:

- ◆ Graduate program was established in the academic year 1995/1996 AD to award the candidates the Master's degree in Islamic Studies/Shari'a and Arabic Language and Literature. This was followed by implementing Doctoral Program in Fiqh/Jurisprudence, which launched in 2004/2005 AD.
- ◆ Doctoral program of Arabic Language and Literature (in both literature/criticism and linguistics/grammar departments) started in 2007/2008.
- ◆ In 1997, Order No.56 was issued to announce the accreditation of the degree of the higher diploma in Islamic Fiqh/Jurisprudence awarded by the college.
- ◆ This was followed by the issuance of Oder No. (57) of 1997 AD for the master's degree equivalency in Islamic Shari'a (Fiqh)/Jurisprudence and Usul Al Fiqh (Principles of Fiqh).
- ◆ On 24/2/2017, Mohammed bin Rashid Global Center for Endowment and Waqf announced awarding the Endowment logo (Waqf) for the College of Islamic & Arabic Studies in Dubai.
- ◆ The total number of the graduates in the Post- graduate program till the date of transformation into a

university has reached 264 students (189 Master and 75 Ph.D. female holders).

The Second Stage:

The name of the (College of Islamic & Arabic Studies) has been changed according to the ministerial decision No. 107 for the year 2019 into (Al Wasl University) which also received several updates in:

Vision:

Al Wasl University aspires to be a leading regional and global institution offering outstanding programs, approaches and scientific research.

Mission:

Al Wasl University seeks to provide high quality undergraduate and graduate programs, enhancing research capabilities and developing positive thinking in a university environment characterized by originality modernity and innovation.

Board of Trustees:

The Board of Trustees supervises the general affairs of the university and directs it to achieve its objectives. The board, in addition to its Chairman (the founder of the university), includes a number of distinguished figures who combine knowledge, opinion and experience, representing scientific, social, economic and administrative sectors in the United Arab Emirates.

University Colleges:

The university includes the following colleges:

- ◆ College of Islamic Studies.
- ◆ College of Arts.
- ◆ College of Management.

Study Program:

- ◆ The duration of the study to gain the bachelor's degree is (four years) for the holders of the secondary school certificate of Shari'a or general secondary school in its branches: scientific and literary or its equivalent.
- ◆ The study program is based on the credit hours system and has been implemented since the academic year 2001/2002 AD.
- ◆ The student should commit to attend and follow-up the determined courses and researches.
- ◆ The study duration of the master's program is two years and the Ph.D. program is of three years, with a preparatory year included in both.

Scientific Research and Community Service:

The scientific research at the university is based on stable factors and fundamentals, including:

1. Conferences: The University holds a number of annual, internationally- refereed conferences such as:

- ◆ International Scientific Symposium in Al Hadith Al-Sharif. It is held every 2 years. Its ninth version was dated March 2019.
- ◆ The International Arabic Language Conference. It runs every two years.
- ◆ The Islamic Studies International Conference. It runs every two years.
- ◆ The International Conference for Post-Studies. It also runs every two years.

2. Refereed journals: The University issues this scientific refereed journal twice a year. It publishes research and studies for professors and scholars from inside and outside the university.

3. The university book: The university supervises this project, which has, so far, produced (29) books.

4. The project of printing outstanding theses and dissertations: The university is keen to offer free printing and distribution services of unique academic publications.

Subscription Slip

We would like to subscribe in Al Wasl University Journal, for the period of

..... years, starting from

- Name in full:

- Address:

- Telephone:

- Email:

- Fees:

Subscription Fees

Source	Period		Fees		
	Year	Copies	Institutions	Individuals	Students
Inside UAE	One year	2	100 AED	80 AED	50 AED
	Two Years	4	200 AED	150 AED	100 AED
Outside UAE	One Year	2	50 \$	40 \$	30 \$
	Two years	4	100 \$	80 \$	60 \$

Method of Payment:

- Inside the UAE: Cash deposit at the Journals office at the University Campus, or bank transfer.

- Outside the UAE: Bank transfer to:

- Al Wasl University.

Dubai Islamic Bank – Dubai

IBAN No. : AE030240001520816487801

The deposit slip should be sent to this address:

Editor in chief of Al Wasl University Journal,

PO Box: 34414 Dubai – United Arab Emirates – Telephone: 0097143706557

Email: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae

Rules of Publishing

First:

The Journal of the Al Wasl University for Islamic and Arabic Studies publishes original or translated scientific research in Arabic, English or French . The research presented to the journal must be original, genuine in its theme, objective in nature, comprehensive, of academic novelty and depth, and does not contradict Islamic values and principles. The research papers will be published after being evaluated by referees from outside the editorial board, according to the standard academic rules.

Second:

All research work presented for publication in the journal must comply with the following conditions:

1. The research work should not have been previously published by any other institution, and is not derived from any other research study or treatise through which the researcher has acquired an academic degree. The research must provide a written statement of that content upon submitting his paper to the journal.
2. All researches must following the journal publication rules.
3. The research work should not have been previously published by any other institution, and is not derived from any other research study or treatise through which the researcher has acquired an academic degree. The research must provide a written statement of that content upon submitting his paper to the journal.
4. The journal accepts unpublished sections of theses.
5. The researcher does not have the right to publish his research elsewhere or present it for publication unless he receives a written permission from the editor in chief of the journal.
6. Research which embodies Quran quotes or Prophetic sayings (Ahadith) is required to be properly marked and foot-noted.
7. The research must be word-processed using Word 2010, single- spaced, font size 16, with a minimum of 20 pages (about 5000 words) and a maximum of 30 pages (about 7500 words). In case the research paper exceeds 30 pages, an amount of 20 AED is to be charged for every extra page.
8. For international publication, a Soft copy of the research (Word 2010) should be submitted with research's name (both in English and Arabic) and his occupation/title, as per the provided form.
9. An Arabic abstract of 120 words as well as an English one (150) words, should be added. Abstracts should include research objectives, problem, methodology and final conclusion.

Five key words, at least, should be included.

10. A list of works cited and Bibliography should be added, as translated into English for international publication.

11. Tables, figures and additional illustrations referred to should be numbered referenced as per their relevance in the body of the research. They are to be indexed properly and included in a separate annex section.

12. The following methodology should be implemented in the documentation process:

- ♦ Works cited should be sequenced by order and indicated parenthetically in the text of the research. They are to be foot-noted, as per their occurrence on a page.
- ♦ When a reference is cited for the first time, full citation details are to be added as such: Author's name, Book name, editor or translator's name (if any), publishing house, country, edition number (if any), and date (if any). For referencing papers taken from periodicals, Author's name, title, journal/periodical name, issuing body, country, volume number, date and pages in the journal/periodical.
- ♦ When the reference is mentioned for the second time, an indication of the author/reference name is to be included. If same reference is quoted twice in a row, an Ibid mark is to be indicated.
- ♦ Explanations and footnotes are to be preceded by an asterisk*.
- ♦ List of works cited/bibliography should be included, following typical referencing rules.

13. Researcher is committed to doing all the modification suggested by the committee of reviewers and provide the journal with the revised version along with the modification/Errata report.

14. The journal only accepts proofread papers. All papers must be proofread.

Third: Other Rules:

1. The texts should be provided in both source language and the new target language.
2. Two abstracts (1 Arabic, the other in English or French) should be added. The abstract should be of no more than 120 words with key words being indicated.
3. The translated material should be audited or published previously in a reputed magazine.
4. The translated material should be of at least 7 pages (A4) and up to 20, of no more than 6000 words.
5. The translated material should be a non-forced one, with no ellipsis or translation loss, unless for translation necessity.

6. Text should be cohesive and coherent.
7. Upon the first mention of the original author, full citation of the author should be indicated.
8. The translation should be preceded by a brief introduction that indicated topic importance, significance and results.

Fourth:

1. Published points of view do represent their owners. They do not, by any means, represent the journal.
2. Submitted papers are to be kept under the possession of the journal, either published or not.
3. Publication is subject to many factors, e.g. Versatility of topics and universities.
4. The journal has all right to make superficial modification on the research, without affecting its content.
5. The journal has the right to publish approved researches in periodicals and other journals.
6. After the publication, the research can have a PDF copy of the volume in which his research has been published.

Fifth: Publication Fees:

- ♦ As a contribution from Al Wasl University Journal to enriching the research movement in the United Arab Emirates in particular, and all Arab and Islamic countries in general, the magazine does not bear researchers any fees, except for what was previously mentioned previously.
- ♦ All correspondence should be sent to the following address:

**Editor in Chief, Journal of the Al Wasl University,
P.O. Box 34414 - Dubai, United Arab Emirates
Tel: 00-971-4-3706557 - Fax: 00-971-4-3964388
Email: research@alwasl.ac.ae - awuj@alwasl.ac.ae**

Contents

- **PREFACE**
Editor in Chief 17-19

- **Supervisor's Word: Arabic: The Scientific and Universal Language**
General Supervisor 20-26

- **Articles** 27

- **The Effect of Reference in the Coherence of the Text - A Linguistic Textual Approach to the Poem of Omar Abu Risha (bnat shaer)**
Dr. Norah Mohammed Al Bashri 29-68

- **Replacement with Synonymous Expression and its Impact on Substantiating with Prophetic Tradition according to the Scholars of the Principles of Islamic Jurisprudence**
Prof. Dr. Abdul Majeed Mahmoud Al-Salahin
Dr. Salima Abdul Hadi Hamad Abdullah 69-114

- **Preceding the Subordinate over the Superior, its Reasons and Regulations: a Foundational and Applicational Study**
Amna Nezar Kasem Al Shaikh 115-164

- **Speech of the Holly Qur'an about Reporting in the Apostles - peace be upon them - Using Objective Approach**
Dr. Monther Mazin Odeh ALmusidin 165-198

- **The Role of Abnormal Qur'anic Readings in Guiding what went outside the Linguistic Base of Ibn Jenni**
Dr. Hussein Mustafa Ghawanmeh 199-236

- **Suspensions Raised Adnan Ibrahim about Hadith the Prophet peace and blessings Allah (if Allah created Adam in his image) and Answering**
Dr. Tahani Jameel badry 237-286

- **The Relationship between Time and Event
in the Pre-Islamic (Jahily) Poem**
Dr. Raed Rashid Al-Hajj Hassan 287-320

- **Jurisprudential Maxim: The Rule of Truth Left in Terms of Habit
An Applied Fundamental Study**
Dr. Mubarak Saud Al-Ajami 321-368

- **Leavls Of Texual Construction In The Poem Of
«Al-zanbaqa Al-dhawiya» Of The Poet Obu-Alqasem Al-shabbi**
Dr. Heba Mustafa Jaber 369-408

- **The Approach of Imam Mahdawi in Directing Quranic Qira'at
and its Impact on Interpretation through his Book «Sharh al-Hidaya»**
Dr. Muneer Ahmad Alzubaidi
Dr. Mahmoud Ali Othman 409-456

PREFACE

Editor in Chief: Prof. : Khaled Tokal

The 60th issue of Al Wasl Journal is finally here. It indicates nothing but the immense progress that has been achieved by Al Wasl University Journal. Just yesterday, the journal was just limited to two or three areas of interest, publishing only in Arabic. But, nowadays, the journal has changed into a rooted Humanities and Social studies publication, with articles accepted in Arabic, English, and French. Al Wasl Journal has, thus, become widely open to diverse and rich research horizons. If local and communal excellence were our target in the past, we are now aspiring to more global successes that would reinforce the leading academic status of the journal and its role in the service of research ever since its emergence in the early 1990s.

Al Wasl Journal boosts its unique status in this highly competitive environment of research that knows no regional or national borders. This comes as a result of its persistence on keeping up-to-date with the latest scientific and research advancements, employing highest academic standards that goes with the sublime aspirations and academic excellence of Al Wasl University.

What is being accomplished now on the ground would not have happened without the special attention that the university administration gives to the magazine. Its constant encouragement for development and improvement, overcoming obstacles and solving problems are but the clearest evidences.

The 60th issue of the journal contains 10 papers, alphabetically ordered as the following:

The First research:

“The Impact of Reference on the Coherence of the Text: Omar Abu Risha’s” Bnat shaer” ‘The Muses of a Poet’: a Textual, Linguistic Approach.”

It is a study that employs textual linguistics as a way to reveal textual consistency by examining its referral. The study concluded that the text (Banat Shaer) was distinguished by the use of multiple referral tools. They had the greatest impact on achieving textual coherence, and Abi Risha’s ability to successfully use referrals of various kinds was clearly demonstrated.

The Second Research:

“Replacement with Synonyms in Hadith and its Impact on Substantiating with Hadith as seen by Fundamentalists”. It is a study that combines linguistic with fundamental approaches to show the effect Replacement of true meaning with metaphors, and noun with a pronoun, or a case. It also tackles replacing the specific with the general and vice versa, for the sake of foregrounding the concept of respect in each image presented by fundamentalists. The research, in addition, deals with the effect of replacement between letters.

The Third Research:

“Preferring the Virtuous Actions over Honorable ones: Reasons and Regulations; an Authenticating, Applied Study”. It is an applied authenticating Study in the field of jurisprudence that aims at balancing both the original and the deductive appropriateness. It seeks to justify the preference of the “virtuous” over the Honorable actions as governed by the real situation.

The Fourth Research:

“Qur'an's Speech about Messengers Proclaiming (Tableegh Al-Rusul) - Peace Be Upon Them”. It is an objective study aimed at identifying the features of the derivations of the narrative style in the Holy Quran, its rules and importance. The study also tackles the topic of Messengers' and their proclaiming of messages. The study concluded that the use of derivatives of narratives are found more in Meccan era than that of Medina, especially in conveying sensual/physical matters.

The Fifth Research:

“The Role of Anomalous Readings “Qiraat” of Quran in Guiding Linguistic irregularities as seen by Ibn Jinni”. The study sought out to uncover the impact of the anomalous Qiraat of Quran in building up new linguistic structure by Ibn Jinni. The study explored how Ibn Jinni managed to employed readings of Quran in supporting certain linguistic views. This was achieved through agreeing with, rejecting, applauding as well as excluding various views.

The Sixth Research

“The Suspicions Raised by Adnan about Prophet Mohamed's (PBUH) Hadith (Allah created Adam in His picture)”. The study writes back to the suspicions raised by Adnan Ibrahim about Prophet Mohamed's (PBUH) Hadith on the creation of Adam (Allah created Adam in His picture) in order to defy them. The study revealed

the suspicions held by the appellants of a valid hadith response edited in the two authentic narrations (sahihs), by linking what highlights the corruption of the appellant justifications to the suspicions that were previously raised about the hadith with heterogeneity and fallacy in dialogue and persuasion

The Seventh Research:

“The Relationship between Time and Event in the Pre-Islamic (Jahily) Poem”. The research attempted to clarify the technique of retrospective narration, which means any event or scene prior to time described by the literary work in general the pre-Islamic poem in particular, as well as the role of ellipses in accelerating the narrative.

The Eighth Research:

“The rule of truth as left in terms of habit: An Authenticating, Applied study”. The study tries to shed light on this important rule as a jurisprudential base. It concluded that truth is of four types, and that custom are accepted among people and are highly considered in Islamic law, and that if the true meaning of the word becomes abandoned either by custom or tradition, and then known in either way in Another meaning which is not intended by the original true meaning; Then the truth is left, since habit is a presumption prohibiting the essence of the true meaning.

The Ninth Research:

“Levels of Textual Structure in the Poem of "Al-Zanbaqa Al-Dhawyah" of the Poet Abu Alqasem Al-Shabbi". The research is considered a structural reading of "Al-Zanbaqa Al-Dhawyah" in order to uncover the phonemic, lexical, rhetorical, as well as the syntactic structure of the poem.

The Tenth Research:

“The approach of Imam al-Mahdawi in guiding the Qur’anic readings and its effect on interpretation through his book (Sharh al-Hidayah)”. The two researchers followed the Qur’anic readings presented by Imam al-Mahdawi in his book, and revealed his approach to directing the readings, and their effect on enriching interpretation and meanings, as well as the merits and characteristics of this approach.

In the end, I hereby, call you to keep in touch with our journal through reading, annotating, commenting and of course, publishing. It is only through reading and cross reading that new ideas are born.

Supervisor's Word:

Arabic: The Scientific and Universal Language

By the General Supervisor: Prof. Mohammed Ahmed Abdul Rahman

The Origins of Languages and the most Famous Language Families:

A Language represents an element of identity and belonging, and it reflects peoples 'cultures and civilizations. It is responsible for transmitting human experiences between generations. Moreover, it is a means of expressing thoughts, scientific theories as well as the history of human science. It is, undoubtedly, a unique feature that distinguishes human beings from other creatures.

The issue of the origin of the language has not yet been finally resolved. Researchers still dispute over it now. While some views relate language to a religious origin such as the Tower of Babel incident, others believe that Adam- the father of all humans- is the first Arabic speaker. Philological studies, on the other hand, indicate that some records that date back, mostly, to 5000 years ago, were written in old Babylonian, Sumerian, Chinese, and ancient Egyptian Hieroglyphs.

Thus, various theories on the origins of languages have been adopted. Old Babylonian, Arabic, and even Hebrew are all suggested as root origins. A plurality of origin, rather than singularity, is thus the best speculation since humans of today all belong to the Post-Flood era (post- Genesis Flood).

Modern philological studies have divided languages into families depending on a number of factors such as vocabulary, structure, and historical, geographical, and social relations. The most famous of those language families are the Indo-European, Semitic-Hamitic (to which Arabic belongs), and the Turonian family of languages. The Turonian family subsumes most Euro-Asian languages that do not fall under the previous categories. Other families of languages are: Germanic, Slavic, Armenian, Albanian, Celtic, Korean, Chinese, Sudanese, and finally Ghanaian.

The Linguistic Issue in the 21st Century:

The question of language today entails thorough analyses and discussions, especially when keeping in mind the evolutions that human civilizations have encountered throughout history and the changes that have erupted. Language, thus, is no exception. The evolutions of languages and what results out of them are considered the natural outcome of those mega transformations in human history.

The evolution of languages is not considered in the same way if we come to specify a certain language. Different conclusions will, of course, be reached if other targeted linguistic factors are taken as the focus of analysis.

Today, we will tackle Arabic from a purely objective perspective to shed light on its properties as a global language, cherished by its speakers and scholars around the world.

The matter of fact is that, nowadays, the issue of language is governed mainly by education, media, and the internet. Those three factors, do in turn, contribute directly to language and linguistic evolutions.

Linguistic Features of Arabic:

Among the accurate definitions provided by Arab scholars of the Arabic language.

Ibn Jinni said: "As for its limit, Arabic is the sounds in which Arabs expresses themselves and their purposes" (Cohn et al, Languages of the World). Even modern definitions could not surpass the one given by Ibn Jinni. He defined the language as composing of signs and their corresponding sounds. He also gave an expressive function to those sounds. Language, in Jinni's belief, is a means rather than an end in itself. Language is alluded to as socially and societally diverse, communal rather than individual and yet, purposeful in the sense that we use it to express ourselves and fulfill our goals.

Upcoming is a brief summary of the distinguishing features of Arabic:

Semitic Features in Arabic:

Depending on its Semitic origin is what characterizes Arabic the most. The sound system of Arabic contains is rich with velar, pharyngealized or emphatic and dental voiced or voiceless fricatives (ð, θ standing for ظ, ث, ذ). Among the sounds of the Arabic language are those that are written but not spoken, and some are not written even though they are spoken. such as Hamzatul Wasl in (عبداللّٰه), Arabic also silent sounds and letters such as what is known as "Sun and Moon Letters". An example of this is /æ/ in (الرحمن الرحمان) (هذا (هَذَا), (لكن (لاكن), هذا (هَذَا), (الرحمن الرحمان) (الرحمن) and the (و) (indicating the male plurals in verbs. Arabic follows a- three-letter stem root system, inflectionally and morphologically, which does not depend on prefixes and suffixes. Arabic also is a gender language, with a masculine/ feminine system, unlike most old Latin languages. The number is Arabic follows singular, dual, and plural criteria, which is there in most Semitic languages excluding Hebrew.

Verb tenses in Arabic are categorized into: present, past, and imperatives. The aspect of the verb only includes whether the action of the verb is a finished one either in present or in the past. Future and other features can be indicated by the use of articles and letters such as (لم، لن، سوف، السين،...).

The Arabic language is the most widely used language among the Semitic group of languages and the whole world.

Arabic Characteristics Compared to Foreign Languages:

Today, contrastive linguistic studies are concerned with examining similarities and differences between languages and monitoring common foundations/principles for teaching non-native speakers, in accordance with the contrastive method in teaching languages.

There are many linguistic characteristics in Arabic language, not in other foreign languages. Mentioning the vocal and lexical characteristics in specific as the following:

- Arabic language is one of the most important rich languages linguistically. For example, "Lisan Al-Arab Mu'jam " /dictionary contains more than 80,000 corpus, and Al-Khalil counted the total Arabic Structures/Structuralism derivationally, from biliteral, trilateral, quadrilateral and quinqueliteral root, without repetition whether used or not: more than twelve million words. Whereas Samuel Johnson (the first one who composed English dictionary) counted 42,000 English words in the 18th century.
- The Arabic alphabet has 28 written consonants (without Al-Hamzah (glottal catch/glottal soft catch) regardless of the phonetic sound differences of consonant (phonemes) as: the phonetic symbol of the consonant (الجيم) that is close to (الزاي), or (السين) as (الجيم), or (الصاد) as (الزاي) and others that linguists mentioned in " the Recommended and Abhorrent/odd Sounds " chapter.

The expansion of the vocal tract (acoustic grade) from the throat to the lips is 17 outputs. The eloquence sign is in outputs diverging/phonemically varieties outputs. There may be many varieties outputs in Arabic much more than other languages, but the difference in sound distribution is limited in some languages that have nasalization without distributing them in the whole mouth.

- Some characteristics in the acoustic homophones/harmony do not combine (ح) with (هاء) and (هاء) is not preceded (ع), nor the (ح) comes before (هاء) nor the (ن) before (و) nor the (و) before the (ش)... This is due to the pure eloquent audibility in phonics.

Its sounds constant with its outputs and phonetic/articulating characteristics has been for more than 14th century that makes it unique and matchless. This has not happened with any language in history, as the pronunciation/articulation of Arabic sounds continues to be the phonetic characteristics in reciting Qur'an since its descent.

- Arabic language is characterized by many guttural sounds, multitude but not available, if it is compared with other foreign languages.
- Time expression in Arabic is based on semantic reference/component, not on temporal structure or format. Unlike to a number of other foreign languages (e.g. English).
- Arabic language depends on derivation rather than agglutination in the word's inflection/conjugation.

Arabic International Day; Bets and Challenges Talk:

Every year, Arabic language celebrates its International Day on December 18th, and I seize this occasion/opportunity to present several bets that can enhance the global status of Arabic language and develop its position among its users. It can also draw up future visions and plans to overcome the different challenges occupied.

The Challenges Facing Arabic Language Today; Internal Structure and Languages Market:

Today, Arabic faced many challenges: On internal lingual level in terms of structure and performance system. And in external level in its relationship with other languages, in which linguists prefer to call it as " language market ".

One of the most important challenges is:

Bilingualism: Arabic usage is now known to be at least two levels of speech from the same language, one of which is classy, and the other is general (e.g., colloquial and standard). The **Bilingualism** among the history of language has had an impact on it, leading to linguistic stenography and fission, as well as its implications/effects on cultural and cognitive concepts. To deal with this phenomenon scientifically and to exploit its positive aspects, we suggest the following:

- Arabic should be elevated from Dialects, and transcendence to the only one common Standard, especially in vital institutions. It should be limited in using dialects in the expression of geographical privacies and phonological choices as an example, or social concerns that relate to certain dialect ones.
- This does not mean that dialects are abolished and fought, because they are important in expression, folk literature, community arts and linguistic characteristics according to geographical diversity. It also has its own role and function in many aspects with its different values: deliberative and communicative values that are not available in others, as connotation and denotation styles in addition to the different Arts of typical communication.
- The convergence between dialects should be strengthen/promoted, large gatherings should also be established, and the establishment of research and studies in the general characteristics of dialects with their relationship with the standard at the level of the same country or the linguistic communities, should be promoted.

United Arab Emirates Efforts to Enhance the Status of Arabic Language:

Arabic language represents one of the basic components of the Federal Government's strategy. This is particularly evident in many pioneering initiatives that enhance the status of Arabic language locally, regionally, and internationally, and preserve its role in the process of civilization construction.

We cite in this context, but illustrative rather than exhaustive, The Vision 2021, which was launched by His Highness Sheikh Mohammed bin Rashid Al Maktoum, UAE Vice President, Prime Minister and Ruler of Dubai, aims to make the country a center of excellence in the Arabic language. In the same period, the Charter of Arabic Language was announced in April 2012, it was the starting point and reference for several other initiatives that gave Arabic language its appropriate place in all aspects of life. Such as the announcement of the advisory council and the formation of an international committee of experts to revive Arabic as the language of science, and develop its teaching methods. And the launch of Mohammad Bin Rashid Contemporary Arabic Language Dictionary and Mohammed Bin Rashid Arabic language, Award which was launched in 2014 and The Arab Reading Challenge Initiative, the initiative 'Bel Arabi' Hashtag, the UAE's hosting of the annual Arabic language conference, the status and future of the Arabic language report, which brought together international experts and presented a description of the reality of the Arabic language and proposals to strengthen its position.

His Highness Sheikh Dr.Sultan bin Muhammad Al Qasimi, Supreme Council Member and Ruler of Sharjah order to establish the Arabic Language Academy in Sharjah in 2016 was an announcement to the establishment of a landmark of the Arabic language in the state, develop its studies, revives its heritage, and establishes its terminological apparatus in all fields. The Council has begun issuing the historical dictionary of Arabic language, which will date Arabic language from the first stage of engravings to the modern era.

The Abu Dhabi Authority of Arabic Language, which was established by decision of the Executive Council of the Emirate of Abu Dhabi in July 2019, is another addition to the state's efforts in serving Arabic language, and it is concerned with developing its strategic plans and issuing its scientific publications.

On the level of educational institutions, state universities are concerned with Arabic language programs and their development, including Al Wasl University in Dubai, which was founded by His Excellency Mr. Juma Al Majid a third of a century ago, and has provided 126 (females & males) Graduates with higher education in Arabic language specialization, while they are fulfilling their societal roles. And they contribute to the development process.

Towards a Foresight Agenda to Enhance the Reality of Arabic language.

Future challenges force upon us special attention to Arabic language, because it is the vessel of our culture, civilization, and identity, and we suggest the following:

At the Level of Educational Curriculum:

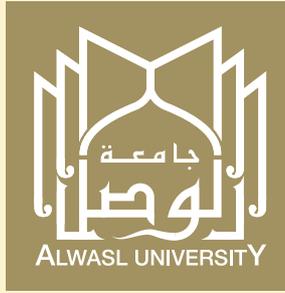
- Developing Arabic language teaching curricula for science students. So that they are not far from their language, the acquisition of specialized teachers, the re-consideration of the language itself in their academic courses, the criteria for transition, and that some specialized courses are offered in the Arabic language.
- Developing Arabic language programs in the humanities and social sciences, enriching them with new curricula, effective methods, and establishing inter-relationships with other sciences and Arabic language programs.
- Developing Arabic language education from a functional perspective, whether for native speakers or non-native speakers, depending on ensuring their communicative ability, and teaching it according to the special purpose programs provided by applied linguistics.

- Using the Arabic language in educational institutions, schools, institutes, and universities, and in the classrooms and conferences.
- Reviving Arabic language and its vitality by teaching it in attractive functional methods, and avoiding examples that are far from the reality of learners.
- Cultivating and developing a healthy Arab taste among young learners.
- Activating Arabic language teaching programs for special purposes.

At the Level of Arab Families:

- Inculcating the love of classical Arabic in the hearts of children, they would take on it since childhood, and comfortable using it.
- Seeking family linguistic security for our children through a clear language policy; Where they use the Arabic language and learn other languages, a fusion of different cultures, and keep abreast of global knowledge and scientific developments, without diminishing the status of their Arabic language in their minds, undermining its position or weakening its pride in their scientific, professional and social lives.

finally, On world Arabic Language Day, we call on researchers and scholars to establish a solid scientific discourse in their approach to the linguistic issue, based on benefiting from languages, benefiting from the gains of cyberspaces, studying cases of overlap, and investing in linguistic encounters in developing curricula for teaching different languages and building linguistic peace between human languages. Ensures language security for each of them.



UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
AL WASL UNIVERSITY

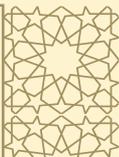
Al Wasl University Journal

Specialized in Humanities and Social Sciences

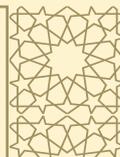
A Peer-Reviewed Journal - Biannual

(The 1st Issue published in 1410 H - 1990 C)

December- Rabi Al-Akhar
2020 CE / 1442 H



60



Issue No. 60
Email: research@alwasl.ac.ae
Website: www.alwasl.ac.ae